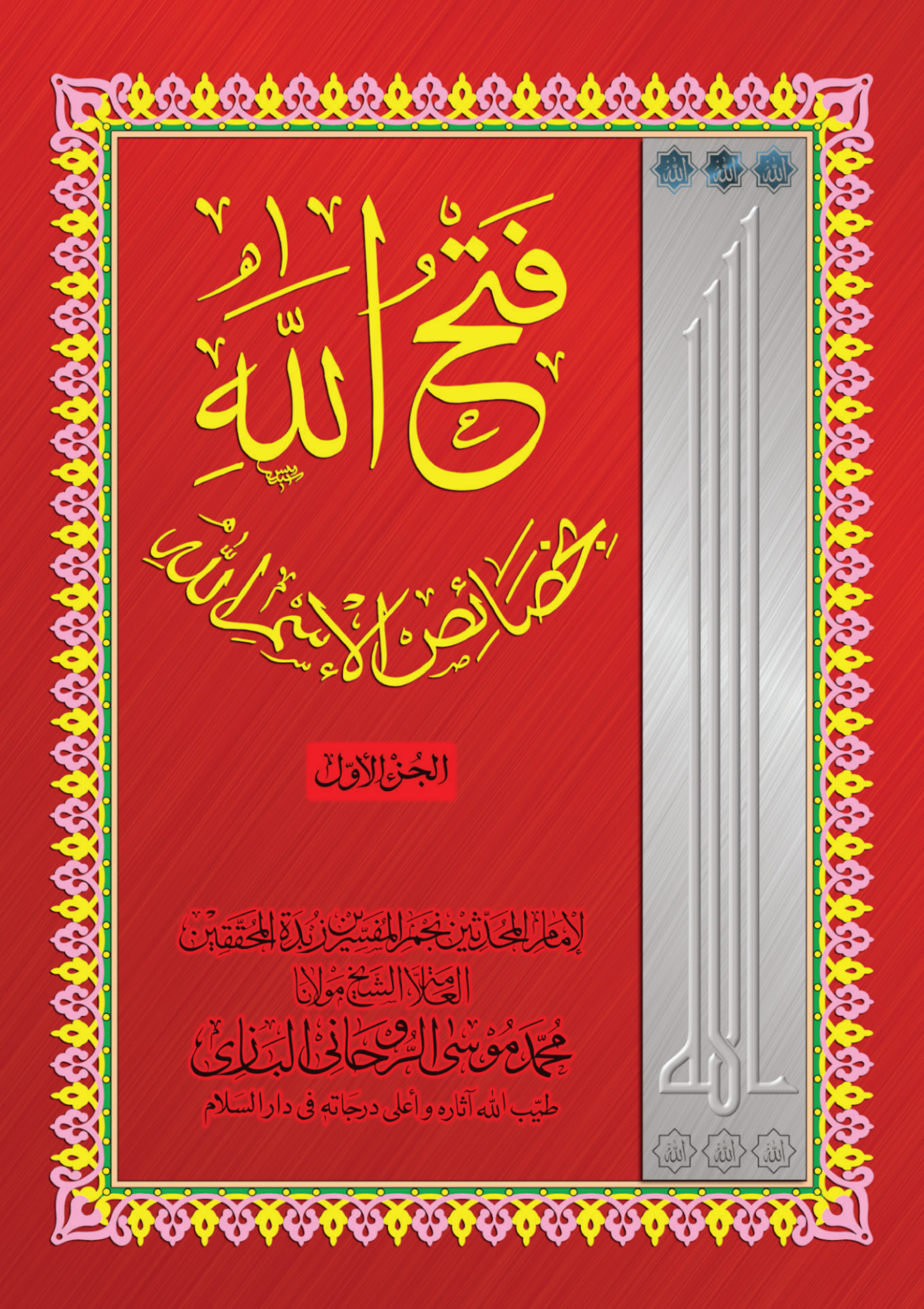

فتح الله
بخصائص الاسم الله
الجزء الأول
لإمام المحدثين نجم المفسرين زبدة المحققين
العلامة الشيخ مولانا
محمد موسى الروحاني البازي
طيب الله آثاره وأعلى درجاته في دار السلام


فتح الله
الجزء الأول

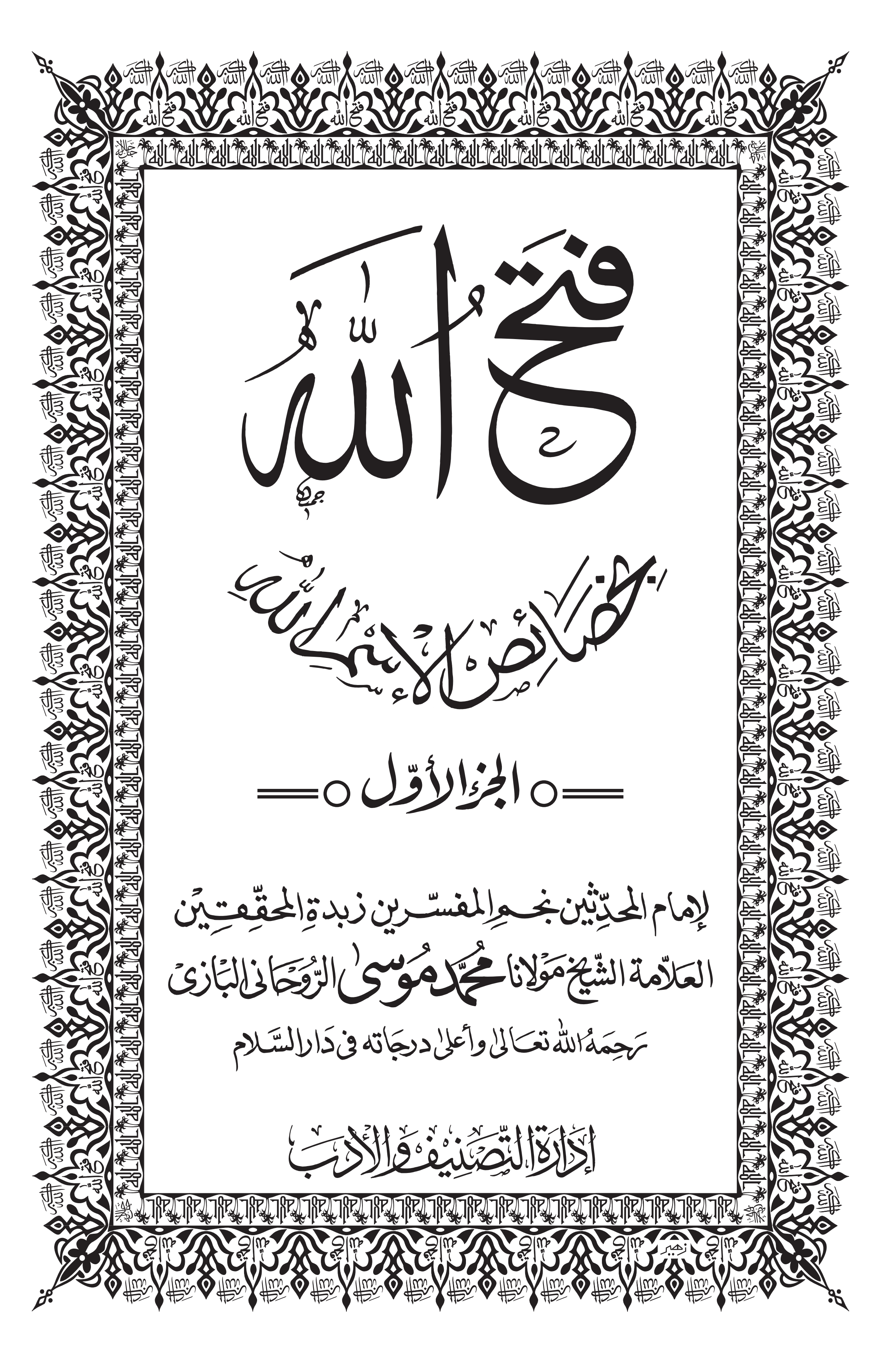
اسم الكتاب : فتح الله بخصائص الاسم الله
اسم المؤلف : محمد موسىٰ الروحاني البازي رحمه الله تعالى
الطبعة الثامنة : ١٤٤١ھ - ٢٠٢٠م

إدارة التصنيف و الأدب
العنوان : المكتب المركزي : ١٣/دي ، بلاك بى ،
سمن آباد ، لاهور ، باكستان
هاتف : ٠٠٩٢ ٤٢ ٣٧٥٦٨٤٣٠
جوال : ٠٠٩٢ ٣٠٠ ٤٤٢٦٤٤٠
البريد الإلكتروني : alqalam777@gmail.com
الموقع على الشبكة الإلكترونية : www.jamiaruhanibazi.org

Idara Tasneef wal Adab
(Institute of Research and Literature)
Alqalam Foundation
Address: Head Office: 13-D, Block B,
Samanabad, Lahore, Pakistan.
Phone: 0092-42-37568430
Cell: 0092-300-4426440
Email: alqalam777@gmail.com
Web: www.jamiaruhanibazi.org



الناشر
إدارة التصنيف و الأدب



فتح الله

بخصائص الاسم الله

الجزء الأول

إمام المحدّثين نجم المفسّرين زبدة المحقّقين

العلّامة الشّيخ مولانا محمّد موسى الرّوحانی البازی

رحمه الله تعالی و أعلی درجاته فی دار السّلام

إدارة التّصنيف و الأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

هــذه المقدمة تبحث عن حياة العالم العــلامة والبحر الفهامة المحدث الأعظم والمفسّر الأفخم الفقيه الأفهم الرحلة الحجّة اللغوي الأديب صاحب التصانيف الكثيرة والتأليف الشهيرة مستنبط علم الجـلالة ومخترعه الشيخ مولانا **محمد موسى الرُّوحاني البَازي** وعن آثاره العلمية الخالدة وعن خدماته الإسلامية . رَحمه الله تعالى و طيَّب آثاره .

هو العلامة الكبير بل الإمام ذوالشان العظيم نادرة الزمان سلطان القلم والبيان كان آية من آيات الله بلا فرية و نادرة من نوادر الدهر بلامرية .

هَيهاتَ لا يأتِي الزَّمانُ بمثله

إنَّ الزمانَ بمثله لبَخِيل

مكانة الشيخ محمد موسى الروحاني البازي عند الله تعالى

كان الشيخ البازي متورّعًا ، تقيًّا ، زاهدًا في الدنيا ، مجاهـدًا في سبيل الله ، دامغًا للبدعات ، لايخاف في الله لومة لائم ، وله كرامات كثيرة لا تحصى لضيق المقام سوف نقتصر على ذكر بعضها فقط لتعلم مدى ما كان لشيخنا الجليل من مكانة عظيمة عند الله تعالى و عند رسول الله ﷺ .

ومن كراماته أنه رابع أربعة في تاريخ الإسلام الذي انبعثت من قبره الرائحة الذكية . و ذلك

بعد أن تم دفن جثمانه الطاهر خرجت رائحة المسك والعنبر من قبره وانتشرت في جميع المقبرة. و هذه الرائحة موجودة حتى اليوم و قد مضت سبعة أشهر مذ وفاته . فإذا ذهبت إلى مقبرته الموجودة في مياني صاحب بلاهور تشم تلك الرائحة الذكية التي تفوح بالعطر و العنبر تنبعث من ذلك الجسد الطاهر و من هـذا الثرى الطيب ثرى شيخنا الجليل الشيخ محمد موسى الروحـاني البازي طيب الله آثاره .

ومنها أن شيخنا الوقور رحـل إلى الحج مصطحبا أسرته . وبعد الفراغ من مناسك الحج شدّ الرحال مع أسرته إلى المدينـة المنوّرة . فلمّا علم شيخ الإسلام قدوة الأنام العـالم الرباني الشيخ مولانا سعيد أحمد خان رحمه الله ورود الشيخ البازي الجليل إلى المدينة المنوّرة فرحّبه ترحيبا حارًّا و استدعاه مع أسرته إلى المأدبة . فلبّى الشيخ البازي المكرم الدعوة و قدم إلى داره مع أسرته حسب الموعد .

و عند ما لاقى الشيخ البازي المحـترم الشيخ سعيد أحمد خان المحترم جلس عنده . وحينما رأى رجلٌ من ندماء الشيخ سعيد أحمد خان الشيخَ البـازي فقام مسرعا نحوالشيخ البازي المفخم والتزمه وعانقه وقبّله وصافحه و وقّره غاية التوقير .

ثم قال له : يا معالي الشيخ ! التمس من سماحتك بكل أدب واحترام أن تسامحني فتعجب الشيخ البازي من حفاوته البالغة وتبجيله إياه وطلبه منه التسامح وقال له : على أيّ شيء أسامحك ولا أعرفك ؟

فأجابه الرجل : يا فضيلة الشيخ الجليل ! سامحني أوّلا ثم أدلّك على سبب المسامحـة . فتبسّم الشيخ البازي طِبق عادته الشريفة و تلطّف في الإجابة قائلاً بأني سامحتك .

ففرح الرجل غاية الفرح و برقت أسارير وجهـه و قال : يا شيخ ! الآن أذكر لك السبب . وهو أني أتمتع بفضل الله وكرمه بالسكنى في رحاب الطِيبة الطيّبة المدينة المنوّرة زادها الله تعالى بركة ورحمة وأمنا و هـدوءًا . و قد أخبرني بعض الزملاء بمكانتك الرفيعة و شخصيّتك البارزة في ميادين العلم والتصنيف و التدريس و الدعوة و الإرشاد فصرت مشتاقا جدًّا لرؤيتك و للقائك .

فقبل أسبوع دخلت المسجد النبوي الشريف مع بعض زملائي . فرآك زميلي وبشّرني قائلاً إن هذا الرجل الجميل هو الشيخ البـازي المكرم الذي كنت تشتاق لرؤيته وللقائه . فرأيتك و كنت مشغولاً بالنوافل . فلما أمعنت النظر إلى شخصك و رأيت حلتك الشهباء وعمامتك البيضاء الفاخرة .

فخطر في قلبي بعض الخواطر بأن هـذا اللباس الثمين لا يليق بالمشائخ الكرام والعلماء العظام . فما أحببت أن أصافحك وبعد الفراغ من الصلاة ذهبت إلى بيتي .

و في نفس تلك الليلة رأيت النبي ﷺ في المنام و على وجهه آثار الغضب . فدنوت منه لأن أسئله عن سبب الغضب . فقال لي النبي ﷺ و هو غضبان عليّ : أظننتَ بموسى هذه الظنون فاخرج من مدينتي . فارتعدت وبكيت وطلبت منه العفو فقال النبي ﷺ : لا أجيز لك السكنى في مدينتي إلّا أن يعفوك موسى .

فاستيقظت مندهشًا ومرتعدًا واجتهدت للقائك فما نجحت إلا في هذا الوقت السعيد . فمن ثم بادرت و طلبت من معاليكم العفو و الصفح عن هذه الظنون و الوساوس السيّئة .

فرحمه اللّٰهُ تعالى رحمة واسعة و أسكنه بحبوحة جنة الفردوس و جزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ما قدم من عطاء ذاخر في ميدان العلم والمعرفة في سبيل نصرة هذا الدين و في سبيل العلم .

مصنفاته العلمية

كان الشيخ البازي رَحِمَهُ اللهُ مفرد العصر و نادرة الدهر ، بحرًا في العلوم و الفنون لا يجارى ولا يماثل ، فصيحًا بليغًا ، شاعرًا ، جامعًا للمنقول و المعقول ، مستنبط علم الجلالة ومخترعه ، نظير نفسه ، فريد الدهر ، من أذكياء العالم. له مؤلفات فريدة كثيرة مقبولة مشتملة على حقائق حقيقة و دقائق دقيقة و لطائف لطيفة وغرائب غريبة وعجائب عجيبة ومسائل فريدة و مباحث جديدة و استنباطات عظيمة و أسرار فنية مخفية دالة على مزية فطنته .

العالم العامل والفاضل الكامل **إمام الحرم الشريف فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل** حفظه الله تعالى دائمًا يمدح الشيخَ البازي في مجالس علمية .

قَدِم إليه مرّةً وفد علماء الجامعة الأشرفية . فسألهم الإمام المذكور عن الشيخ البازي . فتحيّر العلماء بأنه كيف يعرف عالمًا عجميًّا . ثم قال الإمام :

" يأتي إليّ العلماء و المشائخ من جميع نواح العالم و لكن ما رأيتُ
و ما لقيتُ عالما أوسع علمًا و أدق نظرًا من الشيخ البازي " .

و قد تعددت تصانيف شيخنا الفاضل فزادت تصانيفه في مجال العلم على مائتين كتاب في علوم مختلفة وفنون شتّى مثل التفسير والحديث والمنطق والفلسفة والهيئة والنجوم القديمة والحديثة وعلم المرايا وعلم الأبعاد والصرف والنحو والبلاغة وسائر العلوم العربية وعلم التاريخ وغير ذلك .

والحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن شيخنا الجليل ما ترك فنًّا من الفنون ولا علما من العلوم إلّا و ألف فيه كتابا أو رسالة ما يحيّر الألباب . و هـذا لا يتوفر لأي عالم من العلماء في هذا العصر رحم الله شيخنا الفاضل .

وفـاته

وبعد صراع مع المرض رحل أوحد أهل زمانه وفرد أوانه الشيخ الجليل في صلاة عصر الاثنين عن عالمنا . فلقي ربه بنفس آمنة مطمئنة في السّـابع و العشرين من جمادى الآخـرة سنة ١٤١٩ هجرية الموافق التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩٩٨ ميلادية وهو ابن ثلاث وستين سنة " يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝ ". ويقول رسول الله ﷺ : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به " .

أبـناؤه

ومن سعادات الشيخ البازي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ تَعَالَىٰ أن له أبناءً أربعة كل واحد منهم عالم فاضل بعلوم قديمة وعصرية داخلية وخارجية بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ . و بأدعية الوالد المشفق و بتوجهه التام و تعليمه وتربيته كل واحـد منهم أنموذج له و مصداق لكلمات النبوة على صاحبها ألوف التحية من أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أوعلم ينتفع به . فكأنّ المرحوم يقول على لسان الحال :

تلك آثارنا تدل علينـا فانظروا بعدنا إلى الآثار

و صحّ ما قيل : إن الولد سرّ لأبيه ، وكل إناء يترشح بما فيه .

فالأكبر منهم الشيخ محمد زبير الروحاني البازي خريج الجامعة الأشرفية بلاهور وفاضلُها ذهب إلى السعودية وكمّل تعليمه في مكة المكرمة بجامعة أمّ القرى و عاد إلى الوطن فناب مناب الوالد الفقيد بالجامعة الأشرفية . و الثاني منهم محمد عزير الروحاني البازي خريج الجامعة الأشرفية بلاهور . كان يدرس بالجامعة الأشرفية بعد فراغه من دروس الحديث للطلبة الواردين من أوروبّا وغيرها باللغة الإنكليسية . ثم رحـل إلى أمريكا لإعداد رسالة الدكتوراه (بي ، أيج ، دي) وفّقه الله لتحصيلها و تكميلها .

و الثالث منهم محمد زهير الروحاني البازي و الرابع عبدالرحمن الروحاني البازي وكلاهما في مرحلة الاستفادة العلمية في رحاب الجامعة الأشرفية . وفّق الله الجميع لما يحب و يرضى .

و الله أسأل أن ينفعنا بعلوم شيخنا الجليل وأن يجعل علومه من الصدقات الجاريات والباقيات الصالحات لنا و للأجيال القادمة .

ثم بعد هذا البيان نسطر فيما يلي رسالة المحقق المدقق صاحب التصانيف الكثيرة البديعة الشيخ الروحاني البازي رحمه الله تعالى . و يبحث فيها الشيخ البازي رحمه الله تعالى عن حياته و أحواله و عن خدماته الدينيّة والعلميّة تحديثًا بنعم الله تعالى وشكرًا له . ندرجها هٰهنا بتمامها وبعبارتها من غيرزيادة ونقص رومًا لتحصيل مطلوب الطالبين لتراث السلف الصالحين .

هذه رسالة الشيخ البازي رحمه الله تعالى و سمّاها

كتيب
الحياة و بعض النشاطات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله خاتم الأنبياء محمد و على آله و أصحابه أجمعين .

أمّا بعد . فهذه خلاصة ترجمتي و ذكر بعض خدماتي في الإسلام والدعوة الإسلامية و في ميدان العلم و التاليف و غير ذلك .

ثم إن أحوالي و شئوني في هذا الموضوع تتنوع أنواعًا متعددة :

١ - منها بيان حياتي و ترجمتي بالاختصار .
٢ - و منها بيان مناظراتي في ردّ أهل البدع المرتكبين أعمالًا تخالف التوحيد .
٣ - و منها بيان مناظراتي الواقعة بيني و بين الكفرة النصارى وغيرهم .
٤ - و منها بيان مناظراتي الواقعة بيني و بين علماء الفرقة القاديانية أتباع غلام أحمد مرزا المتنبي الكذّاب الدجّال .
٥ - و منها بيان مناظراتي الواقعة بيني و بين منكري الأحاديث النبوية .
٦ - و منها بيان مناظراتي الواقعة بيني و بين أهل الرفض و التشيع .
٧ - و منها ذكر مَن أسلم و مَن آمن من الكفرة بدعوتي و إرشادي .

٨ - و منها ذكر ما خدمت العلم الإسلامي والمسلمين بتدريس جميع الفنون الإسلامية .

٩ - و منها ذكر مَن تابوا و أصلحوا من المسلمين بعد ما كانوا مجرمين سارقين تاركين للصلوات و الصيام .

١٠ - و منها ذكر أسفاري للإرشاد والدعوة الإسلامية وإصلاح المسلمين .

١١ - و منها ذكر ماخدمت العلم والدين بتاليف كتب كثيرة في فنون شتّى بلغات متعددة .

و كل ذلك محض فضل الله تعالى و توفيقه و إعانته و هدايته ولا حول ولا قوة إلّا بالله . و ما ذكرت هـذه الأحوال إلّا شكرًا لله عزّ و جل و تحديثًا بنعم الله تعالى لا تكبرًا و فخرًا . أعاذني الله تعالى من الفخر و التكبر .

ما بال مَن أوله نطفة و جيفة آخـره يفخر

ترجمتي و بعض أحوال نشـأتي

أنا محمد موسى ابن الزاهد التقي المولوي شيرمحمد البازي . مولدي قرية كَتَّهْ خَيْل . و كته خيل قرية من مضافات مديرية دَيْرَهْ إسماعيلْ خَان في إقليم سرحد من باكستان . كان جدّنا الأعلى من سُكّان بلدة غَزْني أو من سكّان حواليها من ولاية أفغانستان و اسم جـدّنا هذا السيّد الشيخ أحمـد الروحـاني وقبره في سفح جبـل من جبال غزني يزار و مشهور في تلك البلاد و كان من كبار أولياء الله تعالى .

و كذلك كان أبي الكريم من الصالحين الزاهدين أهل التقوى و العبادة و من أهل الكشف والمعرفة الباطنيّة . و كان أبي دائم الاستغراق في مراقبة الله و صفاته و أمور الآخـرة ، و مع فقره كان جوده و سخاؤه مشهورًا . و لا يزال أهـل قريتي كته خيل و حواليها من القرى يذكرون قصص جوده وكرمه العجيبة بطريق الاستعجاب والحيرة . قرأ والدي بعض الكتب الدينية على بعض العلماء في قرية كته خيل .

مات أبي في مرض طويل مرض اجتماع الماء في البطن والمعدة . وكنتُ عند موت والدي صغيرًا

ابن خمس سنين أو أصغر .

وعند زيارتي لقبر والدي سمعت مرارًا من داخل قبره تلاوة القرآن الشريف خصوصًا تلاوة سورة الملك التي هي منجية تلاوة واضحة جيدة بلسان فصيح و صوت حسن يأخذ بمجامع القلوب ويجذبها كأنّه مزمار من مزامير آل داود . و كنت أشعر بخوف و قشعريرة أوّلًا و كانت أمّي تشجّعني وتقول لي : لا تخف . فاستأنستُ بالتّلاوة و زال الخوف من سماع تلاوة القرآن من داخل قبره . وهذا من عجائب الكرامات .

و في كتب التاريخ أنّ بعض الناس كانوا يسمعون من قبر ثابت البناني العارف بالله تلاوة القرآن الشريف .

ثم بعد موت أبي ربتني والدتي الذاكرة لِله كثيرًا الصالحة الصائمة القائمة لِله تعالى وسبحانه .

ثم إن أبي و أمي من بني هاشم من السّادات . وهذه منقبة منيفة عظيمة . ما أحسنها وما أجلها إن وفقني الله تعالى وسبحانه للطاعات والصالحات . فكل أمر مرهون بأعماله ونيّاته يوم القيامة .

وقاسينا مصائب كثيرة في زمن الصغر بعد موت الوالد رحمه الله تعالى .

قرأت علوم الدين بأمر والدتي رحمها الله تعالى و إرشادها حسب وصية أبي رحمه الله تعالى .

قرأت أوائل كتب الفقه و جميع كتب الفارسية على بعض علماء القرية . و هذا وفق طريق تعليم ديارنا في باكستان حيث يلزم للطالب قراءة الكتب الفارسية مثل كتاب پنج گنج و جلستان و بوستان لسعدي وغير ذلك من الكتب . ومع اشتغالي بهذه الدروس زمن الصغر كنت أخدم أمي وأساعدها في أمور تتعلق بداخل البيت وخارجه . وكنت أشتغل بجمع العلف لبعض دواب البيت وخدمة إتيان الماء من بعيد . و كان الماء في بعض الأوقات على مسافة ثلاثة أميال .

ثم خرجت بإشارة بعض العلماء لتحصيل العلم إلى بلدة عيسى خيل . و هذا أوّل خروجي لطلب العلم حينما كان عمري أقل من إحدى عشرة سنة .

فبدأت بعلم الصرف و حفظت عدة كتب منه في أشهر عديدة على شيخي فضيلة الشيخ محمد

رحمه الله تعالى بإشراف المفتي محمود رحمه الله تعالى .

ثم ذهبت معه إلى قرية أباخيل من قرى مديرية بَنُوں حين انتقاله إليها . فمكثت في أباخيل سنتين و حفظت هناك جميع كتب الصرف إلى الفصول الأكبرية و كتب النحو إلى الكافية و أوائل كتب المنطق على المولوي جان محمد و على المفتي الكبير الشهير في العالم المولوي محمود رحمه الله عزوجل .

ثم ذهبت مع الشيخ المفتي المذكور إلى قرية عبد الخيل . فبقيت معه هناك نحو سنتين وقرأت عليه شرح الجامي ومختصر المعاني وكتب المنطق إلى سلم العلوم والمقامات الحريرية و أصول الشاشي وشرح الميبذي لهداية الحكمة و شرح الوقاية في الفقه و بعض كتب القراءة و التجويد .

ثم سافرت إلى أَكَورَهْ خَتَك . و هي بلدة معروفة من مضافات مديرية بشاور . و مكثت هناك في جامعة دارالعلوم الحقانية نحو سنتين و قرأت هناك جميع كتب المنطق إلاّ القاضي مبارك وجميع كتب الفلسفة من الطبعيات والالٰهيات و أقليدس و كتب الميراث و أصول الفقه إلاّ التلويح شرح التوضيح للتفتازاني و قرأت المطول و جميع كتب الأدب العربي .

وسافرت من أكوره ختك في الإجازات السنوية إجازات شهر رمضان إلى بلدة راوَلْبِنْدِي . فقرأت ترجمة القرآن الشريف و شرحه و تفسيره على المفسر الموحّد الكبير جامع الفنون مولانا غلام الله خان رحمه الله تعالى .

ومولانا الشيخ غلام الله خان رحمه الله تعالى كان رئيس الموحّدين وأهل السنة والجماعة وكان من أشدّ أعداء المبتدعين ، وكان سيفًا مسلولاً على رؤوس أصحاب البدعة . مضى عمره في الجهاد معهم . جزاه الله خيرًا و أدخله جنة الفردوس .

ثم ذهبت إلى ملتان و دخلت في الجامعة الكبيرة قاسم العلوم . فمكثت فيها ثلاثة أعوام وتخرجت من جميع العلوم من الفقه والحديث والتفسير والمنطق والفلسفة والأصول وعلم التجويد وعلم القراءة قراءات السبع ، و قرأت جميع الكتب المهمة الباقية .

ثم عينت أستاذًاومدرسًا في المدرسة الجامعة مطلع العلوم في بلدة كَوئِتَهْ من إقليم بلوجستان

إلى مدة . و كنت في جامعة مطلع العلوم رئيس جميع الشيوخ المدرسين في هذه الجامعة .

ثمّ عينت ريئس المدرسين والشيوخ في جامعة إسلامية في بلدة بوريواله من إقليم بنجاب .

ثمّ انتقلت إلى جامعة قاسم العلوم بملتان من إقليم بنجاب و كنت فيها الأستاذ الأعلى .

ثمّ إلى الجامعة الأشرفية ببلدة لاهور من إقليم بنجاب وهي أشهر وأكبر جامعة في دولة باكستان .

فأنا من سنة ١٩٧١م إلى هذا الزمان شيخ الحديث والتفسير و الفقه و الفنون في هذه الجامعة الكبيرة و مشغول بالتدريس فيها .

القسم الأوّل من منن الله تعالى على هذا العبد الضعيف

ثم إن لِله تعالى وسبحانه عليّ في باب العلم مننًا ونعمًا لا تعدّ ولا تحصى . خصّني بأمور علمية شريفة و منن عظيمة منيفة من بين علماء هذا العصر . أقول هذا تحديثًا بنعمة الله الكريم وشكرًا لجزيل آلائه لافخرًا و رياءً ، وكيف يفخر مَن أوله نطفة وآخره جيفة و بين يديه القبر وعقبات الآخرة لا يدري فيها مصيره و فيها يسئل عن ذرة من أعماله .

ما بال مَن أوله نطفة　　　و جيفة آخره يفخر

١ – فممّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ أني ما سكنت في مدرسة وجامعة للتحصيل إلاّ وأنا كنت أسبق الطلبة و فوقهم في نتائج الامتحانات والاختبارات . وما سبقني في ذلك أحد منهم بل ما ساواني منهم طالب قط . وهكذا كان حالي إلى أن تخرجت من العلوم كلها حتى أن بعض الطلبة من الرفقاء كانوا يجتهدون إلى غاية ويحفظون كتب الدرس للامتحان خفية كي يفوقوني في حلبة المسابقة مسابقة امتحانية لكن ما نجح أحد بمرامه . هذا . ولِله الحمد . وحتى أن الشيوخ والطلبة كانوا يتحيرون ويتعجبون من شدة ذكائي و قوة حافظتي و سعة مطالعتي و إحاطتي بما في كتب الدرس زمن التعليم . وهنا قصص من هذا الباب كثيرة أطوي عنها الكشح اختصارًا .

٢ – و ممّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ أني كثيرًا ما كنت أحل المسائل المشكلة في الفنون أو العبارات الصعبة في الكتب حلًّا يندمغ به الإشكالات في زمن الطلب والتحصيل و قد عجز عن حلها المدرسون الكبار بل أساتذتي العظام . فكانوا يختبرونني بأسئلة استصعبوها أو عجزوا عن حلها و يمتحنونني في الدروس بمواضع صعبة من العبارات في الكتب التي قد قضوا عليها بالغلط وأنا لا أعرف حالهم . فكنت أحلها بداهةً و أقرر تقريرًا ينتفي به إشكال الكلام و ينحل المرام . فيتعجبون تعجبًا . و كل ذلك بإحسان و إلهام من الله تعالى وسبحانه و لا فخر . و هذا أمر غريب قلما رآه أحد من العلماء في المتعلمين . و هنا غير واحد من الأخبار والقصص المتعلقة بهذا الباب أترك ذكرها .

٣ – و ممّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ أن الخصلة المذكورة لي باقية إلى الآن بل ازدادت ازديادًا بتوفيق الله تعالى و إحسانه . ولِلّه الحمد والمنة . فأذكر بتوفيق الله تعالى أثناء الدروس للطلبة و في التصنيفات توجيهات و أسرارًا من عند نفسي في حل المعضلات العلمية و المغلقات من فنون شتّى كالتفسير والحديث والفقه والأصول والمنطق والفلسفة وعلم الأدب العربية وغير ذلك . فلي توجيهات جيدة وتقريرات قوية في غير واحد من مغلقات هذه العلوم تعانق القلوب وتصافح الأذهان وتدخل الأذن قبل الإذن قد خلت عنها الزبر . و مصنفاتي و دروسي شاهدا عدل على ذلك . و مَن شك فليرجع إلى كتبي نحو " بغية الكامل " و " فتح العليم " و " فتح الله " وغير ذلك .

٤ – و ممّا مَنَّ الله تعالى به عليّ أنه وفّقني بفضله و كرمه لاستخراج أجوبة كثيرة خلت عنها الزبر واستنباط غير واحد من توجيهات و وجوه ما فتق بها الآذان من قبلي . وذلك عند حل سوال علمي مهم و دفع مشكلة علمية قوية . حتى أني ربما أذكر في حل سوال واحد نحو عشرة وجوه من الأجوبة و التوجيهات أو نحو عشرين أو أكثر إلى عدة مآت . و كتبي تنبئك ماسطرت إن طالعت و حققت ، و يثلج بها صدرك إن فتشت و دققت .

و هذا الاستكثار من الأسرار المكتومة و الدقائق المكنونة و العلوم السنية و الوجوه العلية نعمة من الله تعالى عظيمة . ولا يقدر على الاستكثار هذا إلّا مَن رزق سعة العلم و بسط المطالعة و دقّة النظر و ذاكرة قوية و ذهنًا غوّاصًا بفضل الله وكرمه . و إن شئت مصداق ذلك فارجع إلى بعض تصانيفي .

فذكرت في كتَابي " فتح العليم " نحو مائة و تسعين جوابًا و توجيهًا لحل الإشكال العظيم في تشبيه حديث " كما صليت على إبراهيم " مع أسرار و دقائق علمية كثيرة من هذا الباب .

حتى قال بعض العلماء بعد رؤية " فتح العَليم " : ما سمعنا أن أحدًا من العلماء القدماء ذكر لمسألة علمية هذا القدر من عدد الأجوبة والتوجيهات بل ولا نصفها . و قال بعض كبار أئمة الحرمين الشريفين عند مطالعة " فتح العليم " : إن أمثال هذه التحقيقات لا يقدر عليها عامة علماء العصر ، و إنما كان هذا شان العلماء قبل خمسمائة سنة أو أكثر من ذلك .

وأنهيت في " فتح الله " وجوه خصائص الجلالة إلى ما ينيف على سبعمائة و خمسين خاصة . فلا يطلع أحد من الفضلاء على هذا الكتاب إلّا و هو يتعجب من جمع هذه الخصائص الكثيرة . أقول هذا تحديثًا ولا فخر .

ورأيت في السلف الشيخ العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ممتازًا في هذه الخصلة السنية حيث سلك في غير واحد من كتبه هذا المسلك من ذكر أجوبة و وجوه كثيرة لحل سوال واحد أو إيضاح مطلب واحد . فأنا متبع منهجه وسالك سبيله و إن كنت قليل البضاعة ذاقلم مكسور وصدر مصدور و أنى للظالع أن يدرك شأو الضليع .

أسير خلف ركاب النجب ذاعرج	مؤملا جبر ما لاقيت من عرج
فإن لحقت بهم من بعد ماسبقوا	فكم لرب السما في النّاس من فرج
و إن ظللت بقفر الأرض منقطعا	فما على عرج في ذاك من حرج

و حق و الحق أحق أن يحق أن البعيد قريب إذا التقى العزم و التّوفيق كما أن القريب بعيد إذا تلاقى التفريط و التعويق .

٥ - و ممّا مَنّ الله تعالى به عليّ تصنيفي لكتب كثيرة في فنون شتّى . وسهل الله لي طريق التاليف والتصنيف و أسباب ذلك بتوفيقه و فضله . فصنفت نحو مائة كتب في فنون مختلفة من التفسير والحديث والمنطق والفلسفة والهيئة و النجوم القديمة و الحديثة و علم المرايا و علم الأبعاد و الصرف

والنحو و سائر العلوم العربية و البلاغة و علم التاريخ وغير ذلك . وأقول كما قال بعض القدماء من العلماء : ما من مسألة مهمة من مهمات الفنون و العلوم إلاّ و أنا أستطيع بفضـله تعالى وكرمه أن أؤلف فيها كتابًا كبيرًا أو رسالة بتوفيق الملك المنعام . و الحمد لله على إحسانه و كرمه .

٦ – ومـمّا أنعم الله تعالى به عليّ في باب التصنيف أن جعل تسويدي للتصانيف تبييضًا لها ومسودتي مبيضة على ما جمعت علومًا كثيرة وحوالات على كتب الأئمة متوفرة . ولله الحمد و المنة و لا فخر .

و هذه خصلة نادرة الوجود مَنّ الله تعالى وسبحـانه بها عليّ فيما بين العلماء الكبار . فإن المصنفين أغلبهم يسودون أولاً بجمع المسائل من غير رعاية ترتيب و من غير لحاظ تحسين ونحو ذلك ثم يرجعون و يكررون النظر فيها فيبيضون بتغيير ما كتبوا أوّلاً و إيقاع نبذ من المحو و الإثبات فيها . و كون المسودة مبيضـة قل مَن يتصف بها . و يعدّ هذا الوصف من النوادر و يورد في أثناء المدائح .

ولذا قال الشيخ عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى : و إني أحمد الله حمدًا كثيرًا على أنه جعلني فيما بين علماء عصري متصفًا بهذه الصفة و جعل مسوداتي لمؤلفاتي مبيضة أو كالمبيضة . انتهى . قال الجـلال السيوطي رحمه الله تعالى في طبقات النحاة عند سرد أحوال العلامة قطب الدين الشيرازي شارح حكمة الإشراق و القانون و التحفة الشاهية و نهاية الإدراك : إن مسودته مبيضة . انتهى .

٧ – و ممّا مَنَّ الله تعالى به عليّ التبحر في العلوم كلها النقلية و العقلية من التفسير و الحديث والفقه والكلام والأصول و المعاني والبيان و النحو والصرف و الاشتقاق و اللغة العربية و سائر علوم العربية وما يتعلق بذلك و المنطق و الطبعيات والإلهيات و علم السماء والعالم والهندسة وعلم الهيئة القديمة اليونانية والهيئة الحديثة الكوبرنيكسية . و لي تصانيف في هذه العـلوم و تعاليق على كتبها .

بل أعرف بالضبط و المعرفة الجيدة غير واحد من الفنون التي لا يعرفها علماء العصر فضلاً عن التبحر و التمهر فيها . و مشايخي الكبار وأكابر علماء العصر الذين هم في مرتبة مشايخي يعترفون لي بذلك . و ربما جعلوني حكمًا في تحقيق بعض المسائل المختلفة المهمة و ربما فوضوا إليّ تحقيق مباحث مهمة معضلة عجز عن تحقيقها علماء الزمان عن آخرهم و طلبوا مني بسطها و تحقيقها ، فحققتها بالأدلة المقنعة و استقصيت الكلام فيها بالأدلة الشافية الكافية بتوفيق الله تعالى و فضله . فسلموا لذلك و أعجبهم

ما ذكرت و عملوا بوفق ما حررت و حققت . ولله الحمد و المنة .

و بالجملة سهل الله تعالى لي هذه العلوم لاسيما العلوم العقلية من المنطق والفلسفة بأنواعها حيث وهب لي فيها مقام المجتهد المطلق . فأبحث في فصولها و أبوابها وأحكامها وأسبابها بالنقض والإبرام و بذكر الحقائق السنية و إيراد الدقائق العلية حسب أصول المعقول كأني مجتهدها و مؤسسها و أخوض في مباحث لم يخض فيها أحد قبلي وأستنبط علومًا وأسرارًا لم يطمثهن أحد من قبلي وأستنبط خرائد لم يطمثهن أحد غيري .

و أبدي في الدروس بين حلقات الطلبة و العلماء من النكات المخفية والعلوم المستورة ما يظن السامع أن عمري مضى في هذا الفن الواحد و في استحكامه . و هكذا حال درسي لجميع كتب الفنون العقلية والنقلية . و هكذا يحسب سامع كل درس لي في جميع الفنون . و ذلك لكثرة ما يسمع من النقض و الإبرام على وفق الأصول و ضبطي للأصول و الفروع ، و لكثرة ما يقرع سمعه من بدائع اللطائف و لطائف البدائع . ولله الحمد و لا فخر .

ذكرت نبذًا ممّا مَنّ الله به عليّ تحديثًا بالنعم و ترغيبًا للطلبة والعلماء في جمع العلوم و هدايةً لهم إلى مسالك الفنون و اشارةً لهم إلى أن من جدّ وجد و من دقّ الباب و لَجَّ وَلِجَ . و لنعم ما قيل :

بجد لا بجد كُل مجد وهل جد بلاجد بمجد

هذا . والله أعلم و علمه أتم و فضله أجل و نعمه أكمل .

٨ – تبليغ الإسلام و الدعوة إليه و ترغيب الناس إلى الإسلام و إلى الشرائع الدينية والعلوم الإسلامية و ترهيبهم من الكفر و المعاصي من أهم فرائض العلماء ورثة الأنبياء .

و التبليغ نوعان :

الأوّل تبليغ الإسلام لغير المسلمين و دعوتهم إلى أن يؤمنوا بالله تعالى و يوحّدوه و يؤمنوا بصدق نبينا صلى الله عليه وسلم و صدق ما جاء به من الشريعة .

والنوع الثاني إرشاد المسلمين العصاة المنهمكين في اتباع الهوى التاركين للصلوات المعرضين

عن عمل الحسنات و الصالحات .

و كل واحد قسمان :

الأوّل باللسان و هو ظاهر .

و الثاني بالقلم كالتصانيف و إذاعة الأحكام الإسلامية و إشاعة تفصيل الموضوعات الدينية بأدلتها المقنعة في الجرائد .

هذه أربعة أنواع الإرشاد و التبليغ .

والله تعالى بفضله و منّه وفّقني للعمل بجميع أنواع الدعوة و الإرشاد . و الحمد لله و المنة .

فقد أسلم بإرشادي و جهدي المسلسل في ذلك أكثر من ألفي نفر من الكفّار و بايعوا على يدي و آمنوا بأن الإسلام حقّ و شهدوا أن الله تعالى واحد لا شريك له و دخلوا في دين الله فرادى و فوجًا .

حتى رأيت في بعض الأحيان أسرة كافرة مشتملة على عشرة أشخاص فصاعدًا أسلموا و بايعوا للإسلام على يدي بإرشادي في وقت واحد و ساعة واحدة . والحمد لله ثم الحمد لله .

و في الحديث : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك مما تطلع عليه الشمس و تغرب .

خصوصًا أسلم بإرشادي وتبليغي نحو خمسين نفرًا من الفرقة الكافرة الملحدة القاديانية أصحاب المتنبي الكذّاب الدجّال مرزا غلام أحمد .

و أسلم غير واحد من الفرقة الكافرة طائفة الذكريين بإرشادي ونصحي و بما بذلت مجهودي وقاسيت المشقة الكبيرة في الإرشاد و التبليغ .

والفرقة الذكرية فرقة في بلادنا لايؤمنون بكون القرآن كتاب الله تعالى ولا يحجون إلى كعبة الله المباركة بل بنوا بيتًا في ديار مكران من ديار باكستان يحجون إليه و لهم عقائد زائغة .

وأمّا إرشادي المسلمين العصاة التاركين لأداء الزكاة والصلوات والصوم وغيرها فله نتائج طيبة و أحسن و أحسن . ولله الحمد والفضل و منه التوفيق . فقد تاب آلاف من المجرمين المجاهرين بالفسق من الرجال والنساء وأصبحوا من مقيمي الصلوات و توجهوا إلى أداء الزكاة والصوم والأعمال الصالحة ، و تبدلت

حياتهم و انقلبت أحوالهم . ولا أحصي عدد هولاء التائبين لكثرتهم .

خدمتي الإسلامية في المناظرات

٩ – قد اتفقت لي مناظرات كثيرة لسانية مشافهة في المجالس و قلمية أي بالرسائل مع غير واحد من الكفرة الفجرة .

و ألقيت نفسي لهذا المرام الإسلامي في مهالك ومقاتل تستنتج القتل غالبًا و كان الناس يظنون فيها أن المفسدين الكفرة يحتالون في قتلي لكن إلى الآن حفظني الله عزوجل ، كيف و مَن كان لِله كان الله له . فالحمد لله و له الفضل . نعم أصابني من الكفرة و الفجرة مصائب كثيرة . والله حسبي نعم المولى و نعم النصير .

مناظراتي مع القاديانيّين الكفرة

١٠ – ناظرت كثيرًا و مرارًا علماء القاديانية فرقة أصحاب المتنبي الكافر الدجّال غلام أحمد مرزا . وهزمتهم و دمغت أقوالهم و أدلتهم التي اعتمدوا عليها .

و رأيت غير مرة أن نفرًا منهم بعد المنَاظرة جاؤا إليّ و أسلموا و أيقنوا أن ذلك المتنبي مرزا غلام أحمد كافر دجّال .

و أخبروني أن القاديانيين يقولون في مجالس خلواتهم : إنّ الشيخ محمد موسى البازي رجل منطقي فلسفي نحوي متكلم محدث مفسر جامع للفنون و العلوم كلها . ما ناظرنا أحدًا أجمع و أكبر علمًا من هذا الشيخ محمد موسى البازي . ولله الحمد و المنة .

مناظراتي مع النصارى

١١ – ناظرت غير واحد من كبار علماء النصارى و أبطلت مايزعمون من إلهيّة عيسى عليه الصلاة والسلام و أثبتُّ بأدلّة كافية شافية أن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد الله و رسوله و أنه حيّ في السماوات .

مناظراتي مع أهل التشيع و الروافض

١٢ – ناظرت كثيرًا كثيرًا في بلاد شتّى الروافض و الشيعة و رددت خرافاتهم وأباطيلهم و كشفت عن عقائدهم الزائغة و أثبتُّ بأقوال أئمتهم و حوالات كتبهم المعتبرة و الدلائل العقلية و الآيات و الأحاديث بطلان ما زعموا و اعتقدوا . و هذا أمر طويل .

مناظراتي مع طائفة غلام أحمد برويز منكر حجية الأحاديث النبوية

١٣ – في باكستان و الهند فرقة للزنادقة و الملاحدة يقولون : إن القرآن يكفي لمعرفة جميع أمور الشريعة المحمدية .

و يقولون : إنه لا حاجة إلى التمسك بالسنة النبوية . و يقولون : إن الأحاديث النبوية في الصحاح الستة وغيرها كلها باطلة وضعها أعداء الإسلام و ضعفاء المسلمين (أعاذنا الله من شرهم) . وصنفوا في ذلك كتبًا كثيرةً ولهم أتباع كثيرون في دول متفرقة .

و قد اتفقت لي مناظرات كثيرة مع كبيرهم غلام أحمد برويز الزنديق . و ذلك في مجالس و مواقع كثيرة خصوصًا في مجالس ذوي العلم و النهى مجالس محكمة القضاة و وكلاء القضاة ماهري العلم الجديد .

فإن هذا الزنديق المذكور أضلّ ناسًا و قضاة و وكلاء القضاة و غيرهم . و بعد مناظراتي معه تابوا ورجعوا إلى الإسلام وإلى أن السنة النبوية لا غنى عنها في الإسلام .

وكانت لهذا الزنديق غلام أحمد برويز ردود و اعتراضات على الأحاديث النبوية والآثار و على بعض الأصول الإسلامية عجز عن جوابها كثير من العلماء فأبطلتها و دمغتها بما فتح الله تعالى عليّ حتى اطمأنت قلوب الناس الموجودين في تلك المجالس . ولله الحمد و منه التوفيق .

مناظراتي مع أهل البدعة

١٤ – في بلادنا أصحاب البدعة كثيرون . و لهم شوكة و قوة و كثرة . و قد وقعت بيني و بين علمائهم مناظرات ومباحثات رددت فيها على بدعاتهم وخرافاتهم و رسومهم التي اخترعوها وجعلوها جزءً للإسلام و لأحكامه .

وهذه المناظرات بعضها لسانية وقعت في محافل الناس و بعضها قلمية . و أبطلت مزعوماتهم الباطلة و رسومهم المدمرة بأدلة قوية منقولة و معقولة . ولله الحمد و المنة .

أسفاري للتبليغ والدعوة الإسلامية

١٥ – سافرت إلى بلاد نائية في أطراف دولتنا باكستان بل إلى دول خارجة أسفارًا كثيرةً و ذلك للإرشاد و تبليغ أحكام الإسلام والدعوة الدينية . وألقيت هناك خطابات كثيرة في مجالس حافلة .

والحمد لله تعالى على ما رأيت لهذه الأسفار فوائد كثيرة ونتائج طيبة ، إذ صلحت الأحوال الدينية لآلاف الناس و تابوا من ترك الصلوات و ترك الصوم و ترك الفرائض ومن جرائم كثيرة كانوا يرتكبونها وتوجهوا إلى الأعمال الصالحة . فا لحمد لله ثم الحمد لله .

خدمتي الإسلامية العلمية بالتصنيف

١٦ – تصانيفي بعضها باللغة العربية و بعضها بلغة الأردو و بعضها بالفارسية وغيرها من الألسنة . ثم إن بعضها مطبوعة وبعضها غير مطبوعة لعدم تيسر أسباب الطباعة . و بعضها صغار و بعضها كبار وبعضها في عدة مجلدات .

وقد وفّقني الله تعالى للتصنيف في جميع الفنون الرائجة قديمًا وحديثًا في علماء الإسلام رحمهم الله تعالى مثل فنّ علم التفسير و فنّ أصوله و علم رواية الحديث و علم الفقه و أصوله و علم اللغة العربية و الأدب العربي و علم الصرف و علم الاشتقاق و علم النحو و علم الفروق اللغوية و علم العروض و علم القافية وعلم أصول العروض و في الدعوة الإسلامية والنصائح و علم المنطق و علم الطبيعي من الفلسفة و علم الإلهيات و علم الهيئة القديمة و علم الهيئة الحديثة و علم الأخلاق و علم العقائد الإسلامية وعلم الفرق المختلفة و علم الأمور العامة و علم التاريخ و علم التجويد و علم القراءة . ولله الحمد و المنة .

وكذلك درست بتوفيق الله تعالى في المدارس والجامعات كتب أكثر هذه الفنون إلى مدة . ولله الحمد والمنة .

القسم الثاني من منن الله تعالى على هـذا العبد الضعيف

هذا . ولله تعالى وسبحانه عليّ في باب العلم والتبليغ و خدمة الإسلام والمسلمين نعمًا و مننًا لا تحصى . ولله الحمد . ذكرت عدة من هذه النعم في القسم الأوّل من هـذا الكتيب الخاص .

و أذكر نبذًا من شئوني و أحوالي من هذا الموضوع في القسم الثاني .

و لم أرد من ذكر هـذه المنن إلاّ تحديثًا بآلاء الله تعالى شكرًا لجزيل نعمه لا فخرًا و رياءً . وكيف يفخر مَن حاله ما قال الشاعر :

ما بال مَن أوله نطفة و جيفة آخـره يفخر

١ – فممّا أنعم الله تعالى و سبحانه عليّ أنني في جميع المدة المذكورة من قبل أي مدة التدريس و التعليم (بل في زمان تحصيل العلم و طلبه أيضًا) ما زلت مبلغًا مذكرًا واعظًا آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر .

فما زلت و لا أزال ألقي الخطابات تبليغًا و عظةً في مجالس و حفلات هائلة كبيرة مزدحمة مشتملة على آلاف السامعين من الخواص والعوام . وأسافر لهـذا الموضوع إلى بلاد نائية في أقاليم باكستان و أرجائها لطلب الناس إيّاي و لغير طلبهم . و رأيت لهـذه المواعظ و الخطابات نفعًا كثيرًا و خطاباتي هذه باللغة الشعبية الأردو و غيرها .

٢ – وممّا أنعم الله جَلّ جلاله وعمّ نواله عليّ أنني ما زلت خطيبًا للجمعة في بعض المساجد الكبيرة الجامعة مواظبًا على إلقاء خطاب و موعظة من قبيل النصيحة والتبليغ والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بلغة الشعب الباكستاني في كل جمعة قبل صلاة الجمعة غالبًا و بعدها في بعض الأيام . و ذلك في مجمع حافل و جم غفير من السامعين المستمعين . و رأيت الناس يأتون لسماع مواعظي من أطراف البلاد وحدانًا و أفواجًا و ذلك في كل يوم جمعة .

و ظهر لخطاباتي و مواعظي بفضل الله تعالى وسبحانه نفع كثير و تاثير غريب في القلوب . ولله الحمد . قال الله تعالى : **وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** .

حتى تاب ببركة ذلك من المعاصي و فعل المنكرات آلاف من الفسقة الفجرة العصاة من

تاركي الصلوات والصوم والحج و غير ذلك من الفرائض ، و من السارقين و قطاع الطريق و من الخَائنين والغاصبين و آكلي الربا والمقترفين للفحشاء والمنكر ومن الروافض السابّين أصحاب رسول الله ﷺ و من الفرقة المبتدعة الضالّة وغير هؤلاء من الطغاة .

٣ – و ممّا أنعم الله تعالى وسبحانه عليّ أنه وفّقني لخدمة العلم والإسلام والمسلمين وخصّني لهذا الشغل الديني الإيماني و عصمني من الأمور الدنيوية كالتجارة و نحو ذلك من الأمور التي تعوق عن خدمة الإسلام والعلم والمسلمين . و الحمد لله جل مجده على أن لم يحبب إليّ مكاسب الدنيا و مجلبة الأموال و حطام الدنيا الفانية اللاهية . فإن حبّ الدكاكين و بناء المصانع و تحصيل العقار و إحياء الأراضي والبساتين بالزرع و صرف العمر في ذلك و مضي الأوقات الغالية في السوق و هيشاتها غرور و خسارة .

أين هـذه الأمور الفانية من العـلم الديني و التصنيف و تدريس الحديث النبوي و التفسير و مطالعتهما و من الخدمة في سبيل الإسلام و المسلمين .

٤ – و ممّا أنعم الله جَلَّ وَعَلا عليّ أن أوقاتي كلها أو جلها ليـلاً و نهارًا مشغولة في أمور ثلاثة . ولله الحمد و المنة .

الأمر الأوّل : ذكر الله تعالى وسبحانه والدعاء في الخلوة و الجلوة وما يقتضيانه أساسًا و فرعًا .

الأمر الثاني : الخدمة في سبيـل الإسلام و المسلمين و التذكير و إلقاء الخطابات و العظة والإنذار و التبشير و الترغيب و الترهيب و إصـلاح الأمة و الدعوة إلى الله تعالى و الإرشاد إلى صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم . ولله الحمد و المنة .

الأمر الثالث : العلم من باب التدريس والمطالعة لكتب الحديث والتفسير والفنون المختلفة وكتابة العلوم و تحرير المسائل و الأسرار و المباحث و التفكر في ذلك .

فما نمت حياتي على الفراش (ما خلا زمن السفر والمرض) إلاّ وأكتب العلم وأبحاثه . فإذا تعبت من الكتابة أستريح على الفراش مضطجعًا و آخذ كتابًا أطالعه و بيدي قلم أعلم به على مواضع الحوالة في التصنيف والتاليف وهكذا إلى أن يغلبني النوم فأضع الكتاب و أنام .

هذا ديدني و عادتي المستمرة . ولذا لاتزال توجد ذخيرة كبيرة من الكتب عند رأس فراشي .

ولا أذكر في حياتي إلّا ما شاء الله تعالى (وإلّا نادرًا بل أندر) أني نمت على الفراش مثل نوم عامة الناس من غير مطالعة كتاب . ولله الحمد والفضل .

٥ - و ممّا أنعم الله تعالى وسبحانه عليّ أنه وفقني للتاليف و التصنيف و حبب إليّ ذلك . فما تمضي أوقاتي كلها أو جلها إلّا في ذكر الله تعالى وعبادته وطاعته و في العلم وخدمته والمطالعة والجمع والتاليف و التصنيف و الترصيف .

فألفت كتبًا كثيرةً في كل فنّ . وهذا الأمر نادر في هذا الزمان فقلّ مَن صنّف في فنون كثيرة .

حتى أرى كثيرًا من العلماء متحيرين متعجبين عن جمعي للفنون و تمهري في تلك الفنون الكثيرة و عن تصنيفي في جلها . ولله الحمد و المنة .

٦ - و ممّا أنعم الله تعالى به عليّ أنه وفقني في زمن التحصيل وطلب العلم و في زمن التدريس بعده إلى الآن للمجاهدة في حفظ الكتب والمسائل و لبذل المجهود في مطالعة أسفار العلوم و استفراغ الطاقة في توسيع دائرة الاطلاع على العلوم و الفنون .

ولا آلو جهدًا في الجمع والمطالعة للكتب و ربما ينفجر عليّ الفجر الصادق في الليالي الطويلة و أنا مشغول في المطالعة و التاليف و أسهر سهرًا من غير أن تذوق عيناي النوم .

فأقوم واضعًا للقلم و الكتاب إلى صلاة الفجر . هكذا حالي الآن و كذا كانت حالي و عادتي في زمان طلب العلم . ولله الحمد و المنة و الفضل .

كيف و قد قال الإمام القاضي أبو يوسف رحمه الله تعالى : العلم لا يعطيك بعضه إلّا إذا أعطيته كله . أي كل الأوقات . وحكي عن بعض كبار المشايخ أنه كان يطالع الكتب ساهرًا سائر الليل فإذا انحلت له معضلة دينية و مشكلة علمية قال : أين هذه اللذائذ لأبناء الملوك . وأشار إلى لذة حل المشكلات من المسائل و الأبحاث .

و حكي أن الإمام محمد بن الحسن رحمه الله تعالى كان يطالع الكتب و يشتغل بحل الأبحاث العلمية

سائر الليل . وكان يدفع النوم بالماء البارد و يقول : النوم من الحرارة فلابد من دفعه بالماء البارد .

و ما أحسن ما قيل :

فمن رام المنى ليلا يقوم ومن طلب العلى سهر الليالي
يغوص البحر من طلب اللآلي

٧ – و ممّا أنعم الله جل مجده عليّ و الحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا برؤيتي في زمان طلب العلم مبشرات كثيرة .

و في الحديث المرفوع الصحيح : لم يبق من النبوة إلّا المبشّرات . قالوا : و ما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له .

و أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا : أن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي . قال : فشق ذلك على الناس . فقال : لكن المبشرات . فقالوا : يا رسول الله ! و ما المبشرات ؟ قال : رؤيا المسلم و هي جزء من أجزاء النبوة .

و أخرج الترمذي عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى " لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ". قال : هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له .

و أخرج الترمذي عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي .

فرأيت في أيّام طلب العلم النبي صلى الله عليه وسلم مرارًا و بشّرني ببشارات متعددة . منها البشرى بأنّ الله تعالى وسبحانه يجعلك من العلماء و يوفقك للتاليف والتصنيف في فنون كثيرة ، و أوصاني بالتقوى و الورع .

و ها أنا معترف بالقصور و العجز و التواني و الكسل .

و إنما الرؤيا تسر وما أشرت إلى المنامات المباركة إلّا لأنها تسر المؤمنين وأن كل مؤمن يفرح بها .

و إلّا فمعتقدي و معتقد أسلافنا الكرام أن مناط النجاة و مدار الفلاح في الدارين التوحيد و التقوى و الأعمال الصالحة و اتباع أحكام الشريعة الغراء الإسلامية . فأدعو الله تعالى وسبحانه أن يغفر

زلّاتي و يستر عوراتي و أن يجعلني من العلماء الصالحين لا من العلماء المفسدين و أن يعصمني من البدعة و الحدث في الإسلام . إنه تعالى بالإجابة جدير و على كل شيء قدير .

٨ – وممّا أنعم الله عزوجل به عليّ أنه هيّأ لي أسباب التعليم و سنى لي أسباب التدريس و مجالس التلاميذ الجمّ الغفير و جعلني مدرسهم و أستاذهم في فنون العلم سيما في فني التفسير و الحديث . و هذه نعمة لله تعالى عظيمة . ولله الحمد و المنة .

و كلّ شيء رهين أسبابه حسب قضاء الله تعالى و مجالس الدراسة و التدريس ومحافل الطلاب من أسباب العلم و الإرشاد و التبليغ كما لا يخفى .

وحكي أن بعض الكبار من العلماء السالفين لم يرزقوا مجالس الطلاب وحرموا رونق الدرس فكانوا يتأسفون لذلك طوال حياتهم .

و الحمد لله تعالى حمدًا لا نهاية له على أن يسر لي أسباب إشاعة العلم و شرفني بمجالس دروس مستمرة حاوية على جم غفير من التلاميذ وحبب دروسي إليهم ومنحني حظًّا وافرًا من شهرة حسنة جذابة لقلوب طلبة العلم إلى القراءة والدخول في صفوف دروسي و صيتة وافية جلابة للمتعلمين عطشى الفنون لاسيما عطشى فني التفسير والحديث حيث يأتون إلى جامعتنا الأشرفية لسماع دروسي وللقراءة عليّ فوجًا فوجًا من كل فجّ عميق و من بلاد نائية بل من دول أخرى خارجة عن باكستان أيضًا .

حتى أن جماعة طلابي وتلاميذي في درس الحديث النبوي حديث النبي ﷺ الموجودين في جامعتنا الأشرفية للقراءة عليّ كتب الحديث المبارك في هذه السنة ١٤٠٦-١٤٠٧ﻫ و كذا في كل سنة أكثر و أكبر عددًا من طلبة الحديث الموجودين في كل جامعة من دولة باكستان . و هكذا حال دروسي الحديثية كل سنة في هذه الجامعة .

٩ – و ممّا أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ أن تلاميذي الواردين لدي لتحصيل العلم و قراءة الفنون عليّ لاسيما فن الحديث المبارك ليسوا من دولة باكستان فحسب .

بل يأتون كل سنة للقراءة والدخول في جامعتنا الأشرفية من دول كثيرة غير باكستان أيضًا من الهند و إيران و أفغانستان و الجزائر و ماليزيا و بورما و بنغله ديش و الفيلبين و يوغنده و نيجيريه

وغينيه و نيروبيه و غير ذلك من دول قارة أفريقيا .

و من بلاد سمرقند ، بخارا ، تاشقند الداخلة في دولة الاتحاد السوفيتي .

١٠ – و ممّا أنعم الله جلّ جلاله عليّ أن منحني التمهر في العلوم الشائعة كلها وحباني الحذاقة و الإتقان لجميع الفنون الذائعة المشهورة في أسلافنا الكرام من العرب والعجم منذ ألف سنة فصاعدًا و في فنون نصاب التعليم الرائج في بلاد الهند و باكستان و افغانستان و غيرها المسمى بالدرس النظامي والنصاب النظامي .

و ذلك فضل الله و كرمه ، فله الحمد و الفضل .

و هذه أسماء الفنون التي أعرفها بالضبط و أتقنها و تدرس و تعلم في جامعات بلادنا و مدارسها وكانت تدرس وتحصل في عهد أسلافنا العظام منذ ألف سنة فصاعدًا :

علم الحديث ، علم التفسير ، علم الفقه ، علم أصول التفسير ، علم أصول الحديث ، علم أصول الفقه ، علم العقائد ، علم التاريخ ، علم الفرق المتخالفة ، علم اللغة العربية ، علم الأدب العربي المشتمل على اثني عشر فنًّا و علمًا كما صرح به الأدباء ، علم الصرف ، علم الاشتقاق ، علم النحو ، علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع ، علم قرض الشعر ، علم المنطق ، علم الفلسفة الأرسطوية اليونانية ، علم الإلٰهيات من الفلسفة اليونانية ، علم الطبيعيات من الفلسفة اليونانية ، علم السماء والعالم ، علم الرياضيات من الفلسفة اليونانية ، علم تهذيب الأخلاق ، علم السياسة المدنية من الفلسفة ، علم الهندسة أي علم أقليدس اليوناني ، علم الأبعاد ، علم الأكر ، علم اللغة الفارسية و الأدب الفارسي ، علم العروض ، علم القوافي ، علم الهيئة أي علم الفلك البطليموسي اليوناني ، علم التجويد للقرآن ، علم ترتيل القرآن ، علم القراءات .

١١ – وممّا أنعم الله تعالى به عليّ أني أعرف ، بفضل الله و كرمه ، بطريق الضبط والإتقان و الحذاقة غير واحد من فنون و علوم لا يعرفها عامة علماء هذا الزمان فضلا عن المهارة و الحذق فيها . و من هذه الفنون و العلوم علم الهيئة الكوبرنيكسية و هو علم الفلك الجديد و هو علم لطيف شريف مهم يعرف به كثير من الآثار المخفية في الكون و تنحل به كثير من مشكلات القرآن ومعضلات الحديث و يعرف به عجائب قدرته تعالى و علا و غرائب ملكه و ملكوته و يطلع به على جميل نظام العلويات و السفليات .

و هذا العلم علم الفلك الجديد والفلسفة الحديثة خصني الله تعالى به من بين عامة علماء الإسلام

بفضله تعالى و كرمه . ولله الحمد .

١٢ – ومِمّا أنعم الله عزوجل به عليّ أنه وفّقني توفيقًا بتسهيل الأسباب ، برحمته و فضله و كرمه ، أن درست جميع الكتب الشائعة في نصاب تعليم بلادنا و دروسها الموسوم بالدرس النظامي و بالنصاب النظامي المشهور الجاري في جامعاتنا و مدارسنا .

وأكثر هذه الكتب مغلقة جدًّا جدًّا لاتنحل بأنامل الأنظار بل تحتاج إلى المهارة التامة والملكة العلمية الراسخة . و بلغ صعوبة عبارات بعض هذه الكتب و دقة مطوياتها إلى حدّ لا يقدر على تدريسها و تفصيل مجملاتها و تبيين معضلاتها و نشر مطوياتها و إظهار مكنوناتها و تنقيح أبحاثها و توضيح مسائلها إلّا شرذمة من الفضلاء و طائفة قليلة من كبار العلماء الجامعين للفنون و العلوم .

ثم إن هذه الكتب كتب دروس جامعاتنا أكثرها للقدماء و الأقدمين من العلماء الذين صنفوها قبل ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة أو ٥٠٠ سنة أو ٦٠٠ سنة أو ٧٠٠ سنة أو ٨٠٠ سنة أو ٩٠٠ سنة أو ١٠٠٠ سنة فصاعدًا .

و معلوم أن مصنفات القدماء أصعب بحثًا و بيانًا و حلًّا .

ولا تدرس في جامعات بلادنا و مدارسها مؤلفات المتأخرين فضلا عن مؤلفات المعاصرين .

ثم إن هذه الكتب درستها مرات كثيرة و بعضها درستها أكثر من عشر مرات و البعض أكثر من عشرين مرة و ذلك في سنين مختلفة و جامعات و مدارس متعددة .

نعم الآن اختص درسي بالتفسير و الحديث و بعض الفنون . فتمضي أكثر ساعاتي في تدريس كتب الحديث المبارك و التفسير و في بعض الساعات أشتغل معهما بتدريس كتب بعض الفنون أيضًا .

و هذه أسماء بعض الكتب التي درستها في أعوام مختلفة :

فمن علم الحديث المبارك : الصحاح الستة الصحيحان للبخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، والسنن للنسائي رحمه الله تعالى ، وأبي داؤد رحمه الله تعالى ، وابن ماجه رحمه الله تعالى ، والجامع للترمذي رحمه الله تعالى ، وكتاب الشمائل للترمذي رحمه الله تعالى ،والموطأن للإمامين مالك رحمه الله تعالى ومحمد رحمه الله تعالى ، و شرح معاني الآثار للطحاوي رحمه الله تعالى ، و مشكوة

المصابيح و غير ذلك .

و من علم التفسير : تفسير الجلالين ، و تفسير البيضاوي ، و تفسير القرآن بتمامه .

و من علم أصول الحديث : نخبة الفكر ، شرح نخبة الفكر ، و المقدمة المنسوبة إلى السيد السند رحمه الله تعالى و غير ذلك .

و من علم الفقه : كتاب الخلاصة ، و القدوري ، و نور الإيضاح ، و كنز الدقائق ، و شرح المستخلص ، و شرح الياس ، و الوقاية ، و شرحها المشهور بشرح الوقاية بمجلداته الثلاث ، و مختصر الوقاية ، و كتاب الهداية أربع مجلدات و غير ذلك .

و من علم أصول الفقه : أصول الشاشي ، نور الأنوار شرح المنار ، كتاب الحسامي ، تنقيح الأصول ، مع شرح التوضيح لصدر الشريعة رحمه الله تعالى ، التلويح شرح التوضيح للتفتازاني مجلدان كبيران و غير ذلك .

و من علم العقائد : كتاب العقائد النسفية ، شرحه للتفتازاني رحمه الله تعالى ، عقائد عزيزية مع شرحها لشاه عبدالعزيز رحمه الله تعالى ، حاشية الخيالي على شرح العقائد ، المواقف لعضد الدين رحمه الله تعالى ، شرح المواقف للسيد السند رحمه الله تعالى و غير ذلك .

و من علوم المعاني والبيان والبديع : كتاب تلخيص المفتاح ، شرحي التلخيص المختصر والمطول للتفتازاني وغير ذلك .

و من علم المناظرة : كتاب الرشيدية ، مناظرة عضدية مع شرحها و غير ذلك .

و من علم الأدب العربي : نفحة العرب ، نفحة اليمن ، المقامات الحريرية ، ديوان أبي الطيب المتنبي ، ديوان الحماسة لأبي تمام ، السبع المعلقات ، مقامات بديع الزمان ، ديوان حسان رضي الله عنه وغير ذلك .

و من علم العروض و القافية : محيط الدائرة ، الكافي مع شرحه .

و من علم الفلسفة اليونانية : هداية الحكمة ، الهدية السعيدية ، شرح العلامة الميبذي لهداية

الحكمة ، شرح الصدر الشيرازي لهداية الحكمة و هو شرح مبسوط جدًّا ، الشمس البازغة كتاب كبير ضخم مفصل ، إشارات ابن سينا ، شرح الطوسي لإشارات ابن سينا ، شرح الرازي للإشارات و غير ذلك .

و من علم المنطق : إيساغوجي و شروحه الكثيرة مثل كتاب قال أقول وغيره ، بديع الميزان ، ميزان المنطق ، التهذيب للتفتازاني رحمه الله تعالى ، شرح التهذيب لملاّ عبد الله رحمه الله تعالى ، شرح التهذيب للمحقق الدواني رحمه الله تعالى ، شرح شرح التهذيب لمير زاهد الهروي رحمه الله تعالى ، شرح غلام يحيى رحمه الله تعالى على الزاهد ، كتاب التعريفات المنطقية ، الرسالة القطبية للقطب الرازي رحمه الله تعالى ، شرحها لمير زاهد رحمه الله تعالى ، وشروح شرح مير زاهد الكثيرة ، الرسالة الشمسية ، شرحها المسمى بالقطبي لقطب الدين الرازي رحمه الله تعالى ، سلم العلوم لمحب الله رحمه الله تعالى ، بحر العلوم شرح سلم العلوم ، شرح السلم لملاّ حسن رحمه الله تعالى ، شرح السلم لحمدِ الله رحمه الله تعالى ، شرح السلم للقاضي محمد مبارك رحمه الله تعالى وغير ذلك .

و من علم الصرف كتب كثيرة منها : كتاب زرّادي ، و كتاب دستور المبتدي ، و علم الصيغة ، وصرف مير ، والزنجاني ، و مراح الأرواح ، و صرف البهائي ، و ميزان الصرف ، و فصول أكبرية ، والشافية لابن الحاجب رحمه الله تعالى و غير ذلك .

و من علم النحو : نحو مير ، شرح مائة عامل ، هداية النحو ، الكافية لابن حاجب رحمه الله تعالى ، الفوائد الضيائية شرح الكافية للجامي رحمه الله تعالى ، الألفية لابن مالك رحمه الله تعالى بشروحها ، حاشية الفوائد الضيائية للشيخ عبد الغفور رحمه الله تعالى و غير ذلك .

و من علم التجويد و القراءات المتواترة و غير المتواترة : كتاب الفوائد المكية ، اللمعات ، جمال القرآن ، التسهيل ، المقدمة للإمام الجزري رحمه الله تعالى ، الشاطبي رحمه الله تعالى في بيان القراءات المتواترة ، إجراء القراءات المتواترة و غير ذلك .

و من علم الحساب : كتاب خلاصة الحساب للبهاء العاملي رحمه الله تعالى ، شرح الخلاصة للشيخ عصمة الله رحمه الله تعالى و غير ذلك .

و من علم أصول تفسير القرآن : كتاب علوم القرآن ، كتاب جواهر القرآن للشيخ غلام الله

رحمه الله تعالى ، الفوز الكبير .

و من علم الفلك اليوناني و علم الأبعاد : التشريح للبهاء العاملي ، التصريح للشيخ لطف الله المهندس رحمه الله تعالى ، السبع الشداد لابن كمال الدين حسين الطباطبا عطاءالله رحمه الله تعالى ، ملخص الجغميني ، شرح الملخص للفاضل الرومي ، نيل البصيرة في نسبة سبع عرض الشعيرة ، الإفادة الخطيرة في مبحث نسبة سبع شعيرة و غير ذلك من كتب علم الهيئة الأرسطوي البطليموسي اليوناني . هذا . ولا تدرس في جامعات بلادنا و معاهدنا إلّا الهيئة القديمة الأرسطوية اليونانية .

و أمّا الهيئة الحديثة الكوبرنيكسية فلا يعرفها أحد من علماء الإسلام غير هذا العبد الضعيف محمد موسى البازي .

و من علم الفلك الجديد الكوبرنيكسية درست عدة من مؤلفاتي في هذا الفن بلغات متعددة مثل كتابي الهيئة الحديثة ، وكتابي الفلكيات الجديدة ، وكتابي سير القمر و عيد الفطر و غير ذلك .

ولا يوجد لأحد من علماء الإسلام تاليف في هذا الفن فن علم الفلك الحديث سوى هذا العبد الضعيف محمد موسى البازي .

١٣ – و ممّا أنعم الله عزّ وجلّ عليّ أنه خصني بالمهارة في فني علم الفلك الجديد و علم الفلك القديم من بين علماء الإسلام .

فلايوجد أحد منهم هو ماهر في هذين الفنين كليهما غيري . أقول هذا تحديثًا بنعم الله تعالى وشكرًا لا فخرًا . ولله الحمد و المنة .

و صنفت في هٰذين العلمين كتبًا أكثر من ثلاثين كتابًا ما خلا تأليفي في فنون أخر . ولله الحمد و الفضل .

١٤ – وممّا أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ أنه اتفق العلماء علماء باكستان بتدريس بعض مؤلفاتي من علم الفلك الجديد في الجامعات والمدارس حتمًا ولزومًا وأدخلوها في نصاب كتب التعليم لازمًا في بلادنا .

إذ لا يوجد لديهم كتاب آخر مناسبًا للتدريس في هذا الفن ولم يفوزوا بسفر آخر في هذا العلم

أنسب و أحسن و أجمع من كتبي .

و هذا أمر غريب قلما يكون له نظير في الهند و باكستان و أفغانستان و غيرها .

لأن علماء هذه البلاد يأنفون و يترفعون من تدريسهم التلاميذ مؤلفات العالم المعاصر لهم .

١٥ – و ممّا أنعم الله تعالى و سبحانه عليّ اعتماد غير واحد من كبار علماء الدول والممالك و معولهم عليّ و على علمي و استحسانهم مباحثي العلمية و تحقيقاتي الفنية و تآليفي في العلوم .

و العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات . فاعتمادهم على شخص علمًا و دينًا سعادة لذلك الرجل لا تساجل و كرامة لا تماثل . و في ذلك وقائع و حكايات متعددة سارة .

و من تلك الواقعات حكاية و واقعة العالم الكبير الحبر المحقق العلامة الإمام صاحب مكارم الأخلاق فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة السعودية إذ أهديت أنا بعض كتبي بيد رجل أمين إلى فضيلة الشيخ المذكور رئيس مجلس القضاء . فقال الشيخ المذكور عند استلام الكتب لذلك الرجل الأمين : أهذا هو محمد موسى البازي الذي هو جامع علوم الفنون كلها و الذي هو أشهر علماء الدنيا في علم الفلك خاصة ؟ قال الرجل الأمين : قلت : نعم . ثم قال له الشيخ المكرم المذكور : أما أرسل إليّ بيدك الشيخ البازي بعض تآليفه في علم الفلك ؟ قال الأمين : قلت : لا .

هذا الذي كتبه إليّ ذلك الرجل الأمين في رسالته بعد المقابلة مع الشيخ المذكور الإمام عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

ثم إن الشيخ المذكور الإمام عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أرسل إلى هذا العبد الضعيف البازي خطابًا بل غير واحد من رسائل و خطابات (كما أرسلت إليه في الرد رسائل) تدلّ على رابطة المحبة لله تعالى القوية بيني و بينه (ولله الحمد) و طلب مني بعض تصانيفي في علم الفلك .

و كنت أحب الشيخ الإمام المذكور صاحب مكارم الأخلاق كثيرًا كما كان هو يحبني كثيرًا . وكانت هذه المحبة لله تعالى . وكانت هذه الرابطة رابطة المحبة مبنية على حب العلم و على حب العلماء . وكانت باقية مستمرة إلى أن توفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وتبقى في يوم القيامة وإلى أن نقوم عليها إن شاء الله تعالى في

المحشر . و ما أحسن ما قال الإمام الشّافعي رَحمه الله تعالى شانه : نعم الوصلة بين العلماء العلم .

و هذه صورة خطاب واحد للشيخ العلامة المحترم عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله تعالى أدرجها هنا أنموذجًا من بين رسائل خطابه الكثيرة المرسلة إليّ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
مجلس القضاء الاعلى

الرقم ١/١٢٧١
التاريخ ١٣٩٩/٨/٧هـ
المشفوعات ٢ نسخ ٢

من عبد الله بن محمد بن حميد الى حضرة الأخ المكرم الشيخ محمد موسى استاذ الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم في الجامعه الاشرفيه سلمه الله
لاهور : باكستان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد :

فقد وصلني خطابكم الكريم المتضمن للافاده عن صحتكم وعافيتكم نحمد الله على نعمه ونسأله شكرها والمزيد منها .

هديتكم القيمه وهي مؤلفكم الثمين كتابان قيمان وصلا شكرالله لكم واكثر فوائدكم النافعه وسأقرأ الكتابين ان شاء الله وأكتب لكم عن مرئياتي فيهما ويصلكم هدية ارجو قبولها الا وهي كتاب (التبيان في اقسام القرآن) للعلامه ابن القيم . وكتاب (السياسه الشرعيه والحسبه) لشيخ الاسلام ابن تيميه وهي كتب نافعه في بابها واذا يمكنكم بعث شيئا من مؤلفاتكم في علم الفلك أكون شاكرا .

والسلام عليكم . ،،،،،

رئيس مجلس القضاء الأعلى



عبد الله بن محمد بن حميد

ن / س

١٦ – و ممّا أنعم الله تعالى شانه عليّ أنه وهب لي حظًّا وافرًا من الشهرة المقبولة والصيتة المسموعة بين علماء باكستان في جميع العلوم الإسلاميه من التفسير والحديث و الفقه وغير ذلك من الفنون سيما في علم الفلك القديم و الجديد حتى أن كثيرًا من العلماء الذين هم معمرون و في درجة شيوخي وغيرهم يستفتونني في مسائل عويصة و مباحث علمية مشكلة عسيرة .

وحتى أنهم قد جعلوني حكمًا في عدة من المسائل العالمية المهمة التي اختلفوا فيها وكثر فيها القيل و القال .

من تلك المسائل المختلف فيها اختلافهم في مقدار وقت الصبح في باكستان بل في بعض ممالك أخرى أيضًا اختلافًا أفضى إلى القتال والسباب اختلفوا في أن وقت الصبح من طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس ما مقداره و كم هو ؟

و كذا اختلفوا في أن انحطاط الشمس تحت دائرة الأفق عند بدء الفجر الصادق كم درجة ؟

و يتفرع على هذا التشاجر الاختلاف في نهاية الليل ونهاية السحور وغاية جواز الأكل والشرب ليلاً في شهر رمضان .

فقال كل منهم بما ارتأى و بما استبان له و بدا و رمٰى كل واحد منهم عن قوسه بنبله و أتى بما استطاع من طله و وبله .

و يبتني على هذا الاختلاف غير واحد من الأحكام و كذا اختلفوا في مقدار وقت المغرب و في نهاية الشفق الأحمر و منتهى الشفق الأبيض و بداية وقت العشاء و غير ذلك .

ثم لما بلغ سيل الاختلاف الزبى استنبأوني مرارًا فرادٰى و أفواجًا .

ثم حكموني و فوضوا تحقيق الحق إليّ و أصروا عليّ و الحوا . فحققت ما هو الحق والصواب عندي والله الموفق و هو المستعان .

فانقادوا لما فصلت و أوضحت و سلموا ما أبرمت وحررت و اعترفوا بصحة ما كتبت وهذبت وانقضى الشر و النزاع و صلح الأمر . ولله الحمد و المنة و الفضل .

١٧ – ومِمّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ أن كثيرًا من فضلاء الممالك النائية والقريبة و علمائها ما زالوا ولا يزالون يستفتونني (كما أن غير واحد من فضلاء باكستان يستفتونني) في بعض مسائل عويصة وأبحاث معضلة لاسيما مسائل رؤية الهلال هلال عيد الفطر وغيره وما يترتب على ذلك ، و مسائل أوقات الصلوات الفجر و العشاء و غيرها ، و وقت بداية الصوم و نهايته ، و مباحث سمت القبلة المتعلقة بعلم الفلك و علم الحديث وما يبتني على هذه المسائل و الأبحاث من الأحكام الشرعية .

و من هؤلاء العلماء المستفتين بعض علماء الهند وفضلاء لندن و إنكلترا و بعض ممالك أوروبا حيث تأتي إليّ منهم رسائل الأسئلة و الاستفتاء تترى .

و إذا تأخر مني الردّ لرسائلهم و على أسئلتهم لكثرة أشغالي العلمية يكتبون إلى بعض كبار رجال باكستان و علماءها مستشفعين بهم إليّ طالبين أن أرد على رسائلهم و أسئلتهم و أن أكتب إليهم أجوبة ما استفهمونيها وأن أحل ما استعجم عليهم .

هذا . و ما توفيقي إلّا بالله تعالى شانه .

١٨ – و ممّا أنعم الله تعالى و تبارك به عليّ أنه كره إلى نفسي الغيبة أكل لحوم الإخوة المسلمين . ولا ريب أن الغيبة سم ناقع و مرتع و خيم . فطوبى لمن عصمه الله عزوجل من هذه الفتنة العمياء والآفة الصماء . فلا أتذكر أني اغتبت أحدًا أو ذكرت عيوبه على ظهر الغيب إلّا مَن جاز ذكر عيوبه شرعًا مثل الفجرة المجاهرين و المبتدعين و نحو ذلك .

ولا أزكي نفسي على الله تعالى بل أردت التحديث بنعمة الله تبارك و هو الهادي و المستعان والموفّق .

ولقد وصل إليّ (بل ما زال يصل عليّ) خبر بعض العلماء المصاحبين إيّاي والفضلاء المستكثرين الجلوس لدي أنهم يثنون عليّ على ظهر الغيب هذه الخصلة الصالحة النادرة في هذا الزمان و أنهم يتحيرون من شدّة تنزيهي ساحتي و لساني عن الغيبة المحرمة و طيّ كشحي عن هذه السيئة و المعرة .

و إنهم يقولون : هذه عادة غريبة في هذا العصر إذ قلّما تجالس أحدًا إلّا و تراه مولعًا بالغيبة و أكل لحوم المسلمين مستوليًا عليه هذه العادة السيئة . هذا . ولله الحمد والمنة .

١٩ - و ممّا أنعم الله عزّ وجلّ به عليّ أنه هداني في باب العقائد إلى الصراط المستقيم صراط عقائد السلف الصالح و أئمة الإسلام الكبار المقتدى بهم من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين و من بعدهم من الذين اتبعوهم بالإحسان ، وعصمني من عقائد تنافي التوحيد في ذات الله تعالى و في صفاته فلاشريك له تعالى في ذاته و صفاته .

و إنه هو المستعان في الأمور كلها و إنه هو قاضي الحاجات المجيب للدعوات و إنه الذي يجب علينا أن ننادي إليه في المصائب و النوائب فلا كاشف للمصائب إلّا هو و إنه لا يعلم الغيب إلّا هو .

و إن الخلق عن آخرهم فقراء إلى الله تبارك وتعالى محتاجون إليه ولا شافي للأمراض إلّا هو . وإنه لامانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد . فهذا هو صراط مستقيم .

كما أخرج أصحاب السنن عن إسماعيل عن سليمان بن حرب عن حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا خطًّا طويلاً و خطّ لنا سليمان خطًّا طويلاً و خطّ عن يمينه و عن يساره فقال : هذا سبيل الله منها . ثم خطّ لنا خطوطًا عن يمينه و يساره و قال : هذه سبل و على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه .

ثم تلا هذه الآية " وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ".

و عن عمر بن سلمة الصمداني رحمه الله تعالى قال : كنّا جلوسًا في حلقة ابن مسعود رضي الله عنه في المسجد و هو بطحاء قبل أن يحصب . فقال له عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان أتى غازيًا : ما الصراط المستقيم يا أبا عبد الرحمن ؟

قال : هو و ربّ الكعبة الذي ثبت عليه أبوك حتى دخل الجنة . ثم حلف على ذلك ثلاث أيمان ولاء . ثم خطّ في البطحاء خطًّا بيده و خطّ بجنبيه خطوطًا و قال : ترككم نبيّكم صلى الله عليه وسلم على طرفه و طرفه الآخر في الجنة . فمن ثبت عليه دخل الجنة و مَن أخذ في هذه الخطوط هلك .

٢٠ - وممّا أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ حفظي لحرمة أشياخي أحياء وأمواتًا . فما زرت أحدًا منهم إلّا و أرى خدمته والتواضع له في الكلام والمعاملات والجلوس في مجلسه بطريق الأدب من الواجبات عليّ .

و أعتقد أن رضاه سعـادة لي في الدارين . و روي عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : أنا عبـد مَن علّمني حرفًا واحدًا إن شاء باعني و إن شاء تركني .

و أعتقد أن الذي حصل لي من العلم إنما هو من المادة التي أعطانيها شيخي .

و أنا مع كثرة التلاميذ وشهرتي بين العلماء إذا زرت واحدًا من شيوخي ولو كان من صغار العلماء الغير المشهورين (هذا باعتبار الظاهر و إلّا فكل شيخ أكبر شانًا من تلميـذه) أساعده حسب استطاعتي من وجوه شتّى و أخدمه في المجلس خدمة تلميذ صغير لشيخ كبير تواضعًا وأداءً لبعض حقوقه وطلبًا لدعائه و رضائه . و أعد هذه الخدمة لنفسي مسرةً و فخرًا و سعادةً و سيادةً .

و أكبس جسده و إن وجدت فرصة أمسح الزيت على رأسه مع حضور تلاميذي . ولا أنقبض ولا أخجل من خدمة الشيخ لأجل حضور طلبتي بل أفرح فرحًا على أن الله تعالى وفّقني لخدمة الشيخ .

٢١ – و ممّا أنعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به عليّ أنه وفّقني لإحياء السنة المطهرة و أعطاني حظًّا من تبليغ السنة و إشاعتها و حبّب إلى نفسي هذا الشغل المبارك عملاً و فعلاً و قولاً .

و جعلني محدثًا شارحًا لأحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومفسرًا لكتابه العظيم المجيد وأستاذًا للحديث و التفسير و مدرسهما .

فلا تمضي أكثر أوقاتي و ساعات ليـلي و نهاري إلّا في تدريس الحديث و التفسير و مطالعتهما وتحريرهما و التفكر فيهما .

حتى أن تدريسي كتب الحديث فقط (فضلاً عن تفسير القرآن و تدريس التفسير وغيره) ينتهي في بعض الأيام إلى خمس أو ست من الساعات متواليًا في كل يوم . فأتكلم على شرح الأحاديث المطهرة روايةً و درايةً و سندًا و متنًا و استنباطًا للمسائل الفقهيّة و استخراجًا للنكات والأسرار العلميّة و الأدبيّة والدينيّة في مجلس مزدحم من التلاميذ ست ساعات أو خمس ساعات متتابعًا . ولله الحمد الكثير والشكر .

و أرجو من سعة رحمة الله تعالى أن يتقبل مجالسي هذه العلميّة التدريسيّة بقبول حسن و أن يحشرني يوم القيامة في زمرة مَن وردت في حقهم آثار و رويت في فلاحهم أخبار مرفوعة سارة مبشرة

تورث الطمانينة .

كما روى أبوسعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال في حجــة الوداع : نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها . فرب حامل فقه ليس بفقيه . رواه ابن حبان في صحيحه وغيره .

و عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا : نضّر الله امرأً سمع منّا شيئًا فبلّغه كما سمعه . فرب مبلّغ أوعى من سامع . رواه أبوداود و الترمذي .

و روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم خلفائي . قلنا : يا رسول الله ! و مَن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي و يعلمونها الناس . رواه الطبراني في الأوسط .

و روي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . رواه مسلم .

٢٢ – و ممّا أنعم الله جل شانه به عليّ أنه كره إلى قلبي البدعة و الحدث في الإسلام أشدّ كراهية .

و المبتدعون العاكفون على القبور المنادون غير الله تعالى عند الشدائد و المصائب المقترفون للسيئات و الحدث في الدين كثيرون في بلادنا بل في جميع بلاد الدول . و الحمد لله تعالى حمدًا كثيرًا على أن عصمني من البدعة و من حبّ المبتدعة الضالّة و من صحبتهم و الركون إليهم . و الحمد لله جل شانه على أن جلعني من أهل السنة و الجماعة و هداني إلى حبهم و حبّ صراطهم الصراط المستقيم و أرشدني إلى التمسك بسنة النبي ﷺ . فقد روى البيهقي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا : مَن تمسّك بسنّتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد .

و عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ : مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ . رواه البخاري و مسلم .

و عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا : إيّاكم و المحدثات فإن كل محدثة ضلالة . رواه أبو داود و الترمذي .

و روى ابن ماجه عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : إيّاكم و محدثات الأمور فإن

شرّ الأمور محدثاتها و إن كل محدثة بدعة و إن كل بدعة ضلالة .

التجنب عن السياسة

٢٣ – وممّا أنعم الله تعالى به عليّ أنه حفظني عن أيّ علاقة بالسياسة . و أحمد الله تعالى على أن كره إليّ السياسة و الدخول في هذا الميدان من أوّل زمن تحصيل العلم و تعلمه إلى هذا الزمان .

وما زلت ولا أزال أوصي تلاميذي بالاحتراز من السياسة . والله تعالى حبّب إليّ العلم ومطالعة الكتب و خدمة العلم و المسلمين من جهة التعليم و التدريس و التاليف .

و أشكر الله جلّ و علا على أن عصمني من الدخول في حلبة السياسة . وما أحسن ما قيل : السياسة نار تضرم دارًا دخلتها .

و قد جربنا أن مَن دخل في السياسة حرم الترقي في العلم و في خدمة العلم و حرم رونق التعليم و التصنيف و التاليف و التدريس . هذا . ولله الحمد .

هـذا . والحمد لله ربّ العالمين و الصلاة والسلام على رسوله محمد و آله و أصحابه و مَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

محمد موسى البازي

استاذ الحديث و التفسير بالجامعة الأشرفية ، لاهور ، باكستان .

انتهت رسالة العلّامة الشيخ البازي رحمه الله تعالى المشتملة على أحواله و ترجمته . والآن نذكر مؤلّفات الشيخ البازي رحمه الله تعالى تكميلاً لإفادة التائقين للفنون و قضاءً لشوق المشتاقين للعلوم . و ذلك حسبما يناسب الكلام و يقتضيه المقام .

فهرستُ مؤلفات الروحَاني البَازي

أعلى الله درجاته في دارالسّلام و طيّب آثاره

ندرج ههنا مؤلفات المحدّث المفسّر الفقيه الرحلة الحجّة الشهير في الآفاق جامع المعقول و المنقول أمير المؤمنين في الحديث العلامة الأوحدي و الفهامة اللوذعي الشاعر اللغوي الأديب الشيخ مولانا محمد موسى الروحاني البازي وآثاره العلمية الخالدة . رَحمه الله تعالى رحمة واسعة .

﴿**قال الشيخ الروحاني البازي رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته** : تصانيفي بعضها باللغة العربية وبعضها بلغة الأردو وبعضها بالفارسية وغيرها من الألسنة ثم إن بعضها مطبوعة وبعضها غير مطبوعة لعدم تيسر أسباب الطباعة . و بعضها صغار و بعضها كبار و بعضها في عدة مجلدات .

وقد وفّقني الله تعالى للتصنيف في جميع الفنون الرائجة قديمًا وحديثًا في علماء الإسلام رحمهم الله تعالى مثل فنّ علم التفسير و فنّ أصوله و علم رواية الحديث و علم الفقه و أصوله و علم اللغة العربية و الأدب العربي و علم الصرف و علم الاشتقاق و علم النحو و علم الفروق اللغوية و علم العروض و علم القافية وعلم أصول العروض و في الدعوة الإسلامية والنصائح و علم المنطق و علم الطبيعي من الفلسفة و علم الإلهيات و علم الهيئة القديمة و علم الهيئة الحديثة و علم الأخلاق و علم العقائد الإسلامية وعلم الفِرق المختلفة و علم الأمور العامة و علم التاريخ و علم التجويد و علم القراءة . ولله الحمد و المنة .

وكذلك درست بتوفيق الله تعالى في المدارس والجامعات كتب أكثر هذه الفنون إلى مدة . ولله الحمد والمنة .﴾

هذه أسماء نبذة من تصانيف الشيخ البازي رحمه الله تعالى في العلوم المختلفة و الفنون المتعددة من غير استقصاء

في علم التفسير

١ - شرح و تفسير لنحو ثلاثين سورةً من آخر القرآن الشريف . هو تفسير مفيد مشتمل على أسرار و علوم .

٢ - أزهار التّسهيل في مجلّدات كثيرة تزيد على أربعين مجلّدًا . هو شرح مبسوط للتفسير المشهور بأنوار التنزيل للعلامة المحقّق البيضاوي .

٣ - أثمار التكميل مقدمة أزهار التسهيل في مجلّدين .

٤ - كتابُ علوم القرآن . بيّن فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى أصول التفسير ومباديه و علومه الكلية وأتى فيه بمسائل مفيدة مهمة إلى غاية .

٥ - تفسير آية " قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ " الآية . ذكر فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى من باب سعة رحمة الله غرائب أسرار و عجائب مكنونة مشتملة عليها هـذه الآية نحو سبعين سرًّا و هذه أسرار لطيفة مثيرة لساكن العزمات إلى غرفات نيرات في روضات الجنّات . فتحها الله عزّ وجلّ على المصنف وقد خلت عنها زبر السلف والخلف . ولله الحمد و المنة .

٦ - كتاب تفسير آيات متفرقة من كتاب الله عزّ وجلّ و هو مجموعة خطابات تفسيرية كان المصنف البازي يلقيها على الناس و يذيعها بوساطة الراديو في باكستان و ذلك إلى مدة .

٧ - كتاب ثبوت النّسخ في غير واحد من الأحكام القرآنية و الحديثية و حكم النسخ و أسراره ومصالحه . رسالة مهمة جدًّا فيها أسرار النسخ ما خلت عنها الكتب . كتبها المصنّف البازي دمغًا لمطاعن غلام أحمد برويز رئيس طائفة الملاحدة المنكرين حجيَّة الأحاديث النبويّة في

الأحكام الإسلامية . أبطل فيها المصنف البازي رحمه الله تعالى اعتراضات هذا الملحد على الإسلام و على حكم النسخ . و ذلك بعد ما اتّفقت مناظرات قلميّة و خطابيّة بين المصنّف و بين هذا الملحد غلام أحمد و أتباعه .

٨ - فتح الله بخصائص الاسم الله . كتاب بديع كبير في مجلدين ضخمين ذكر فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى نحو سبعمائة و خمسين من خصائص و مزايا للاسم الله (الجلالة) ظاهرية و باطنية لغوية و أدبية و روحانية و نحوية و اشتقاقية و عددية و تفسيرية و تاثيرية . و هو من بدائع كتب الدنيا ما لا نظير له في كتب السلف والخلف ولا يطالعه أحد من العلماء أصحاب الذوق السليم والطبع المستقيم إلّا و هو يتعجب مما اجتهد المصنف البازي في جمع الأسرار و البدائع .

٩ - رسالة في تفسير "هدًى للمتّقين" فيها نحو عشرين جوابًا لحلّ إشكال تخصيص الهداية بالمتّقين .

١٠ - مختصر فتح الله بخصائص الاسم الله .

في علم الحديث

١ - شرح حصّة من صحيح مسلم .

٢ - شرح سنن ابن ماجه .

٣ - كتاب علوم الحديث . هذا كتاب مفيد مشتمل على مباحث و علوم من باب أصول الحديث رواية و دراية .

٤ - رياض السنن شرح السنن و الجامع للإمام الترمذي رحمه الله تعالى في مجلدات كثيرة .

٥ - فتح العليم بحلّ الإشكال العظيم في حديث " كما صلّيت على إبراهيم" . هذا كتاب كبير بديع لا نظير له . فتح الله تعالى فيه برحمته وفضله على المصنف البازي أبوابًا من العلوم ما مستها أيدي العقول وما انتهت إليها عقول العلماء الفحول إلى هذا الزمان . ذكر المصنّف في هذا الكتاب لحلّ هذا الإشكال العظيم نحو مائة و تسعين جوابًا . قال بعض العلماء الكبار في حق هذا الكتاب : ما سمعنا أن أحدًا من علماء السلف و الخلف أجاب عن مسألة دينية و معضلة علمية هذا العدد من الأجوبة بل و لا نصف هذا العدد .

٦ - أجر الله الجزيل على عمل العبد القليل .

٧ - كتاب الفرق بين النبي و الرسول . هذا كتاب بديع لطيف ذكر فيه المصنف البازي أكثر من ثلاثين فرقًا بين النبي و الرسول مع بيان عجائب الغرائب و غرائب العجائب و بدائع الروائع و روائع البدائع من باب علوم متعلقة بحقيقة النبوة و بشان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . و هذا الكتاب لا نظير له في الكتب .

٨ - كتاب الدعاء . كتاب كبير نافع مشتمل على أبحاث مهمة لا غنى عنها .

٩ - النفحة الربانية في كون الأحاديث حجة في القواعد العربية . هذا كتاب كبير أثبت فيه المصنف البازي أن الأحاديث حجة في باب العربية و اللغة . و هو من عجائب الكتب .

١٠ - مختصر فتح العليم .

١١ - كتاب الأربعين البازية .

١٢ - الكنز الأعظم في تعيين الاسم الأعظم . كتاب جامع في هذا الموضوع لم تر العيون نظيرَه في كتب المتقدّمين ولم يقف أحد على مثيله في أسفار المتأخّرين .

١٣ - البركات المكيّة في الصلوات النبوية . كتاب بديع مبارك ذكر فيه المصنف البازي أكثر من ثمانمائة اسم محقَّق من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الصلوات على خاتم النبيّين صلى الله عليه وسلم .

١٤ - كتاب كبير على حجيّة الأحاديث النبويّة في الأحكام الإسلامية . كتبها المصنّف دمغًا لمطاعن طائفة الملاحدة المنكرين حجيّة الأحاديث النبويّة في الأحكام الإسلامية .

في علم أصول الفقه

١ - شرح التوضيح والتلويح . التوضيح والتلويح كتاب مغلق دقيق محقق جدًّا في أصول الفقه و يدرس في مدارس الهند و باكستان و أفغانستان وغيرها . وهو كتاب عويص لايفهم دقائقه وأسراره إلّا الآحاد من أكابر الفن فشرحه المصنف البازي شرحًا محققا و أتى فيه ببدائع النفائس و نفائس البدائع .

في علم الأدب العربي

١ - شرح مفصل لديوان أبي الطيّب المتنبي .

٢ - شرح آخر مختصر لديوان أبي الطيب .

٣ - خصائص اللغة العربيّة و مزاياها . هو كتاب ضخيم نفيس لا نظير له في بابه فصل فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى الفضائل الكلية و الجزئية لهذه اللغة المباركة و أتى فيه بلطائف وغرائب و بدائع و روائع تسرّ الناظرين و تهزّ أعطاف الكاملين و حق ما قيل : كم ترك الأول للآخر .

٤ - رشحات القلم في الفروق . هذا الكتاب مما يحتاج إليه كل عالم ومتعلم لم يصنف في هذا الموضوع أحد قبل ذلك أثبت فيه المصنف البازي علومًا و حقائق الفروق و دقائق الحدود و لطائف التعريفات للمصدر الصريح والمصدر المأوّل وحاصل المصدر واسم المصدر وعلم المصدر والجنس و اسم الجنس وعلم الجنس و الجمع و اسم الجمع و شبه الجمع والجنس اللغوي والفقهي والعرفي والمنطقي والأصولي و نحو ذلك من المباحث المفيدة إلى غاية .

٥ - شرح ديوان حسان رضي الله عنه .

٦ - الطوبى . قصيدة في نظم أسماء الله الحسنى شهيرة طبعت في صورة رسالة مستقلة أكثر من خمس و عشرين مرة استحسنها العوام و الخواص و استفادوا منها كثيرًا .

٧ - الحسنٰى . قصيدة في نظم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم طبعت في صورة رسالة منفردة مرارًا .

٨ - المباحث الممهدة في شرح المقدمة . رسالة نافعة في مباحث لفظ المقدّمة الواقع في الخطب .

٩ - ديوان القصائد . مشتمل على أشعاري و قصائدي .

في علم النحو

١ - بُغية الكامل السامي شرح المحصول و الحاصل لملاّ جامي . هذا شرح مبسوط محتو على مباحث و حقائق متعلّقة بالفعل والحرف والاسم و حدودها وعلاماتها و وقوعها محكومًا عليها و بها وغير ذلك من أبحاث تتعلّق بهذا الموضوع . و هذا كتاب لا نظير له في كتب النحو . فيه بدائع و حقائق خلت عنها كتب السلف و الخلف . و كتب بعض كبار العلماء في تقريضه : هذا

الكتاب غاية العقل في هذا الموضوع . و من أراد أن يطلع على حقائق الاسم و الفعل و الحرف فوق هذا و أكثر من هذا فليستح .

٢ - التعليقات على الفوائد الضيائية للجامي . هذا شرح الكتاب للعلامة ملاّ جامي . و هو كتاب معروف و متداول في ديار باكستان و الهند و أفغانستان و بنغله ديش و غيرها و يدرس في مدارسها .

٣ - النجم السعد في مباحث " أمّابعد " . هذا كتاب مفيد لطيف بيّن فيها المصنف البازي رحمه الله تعالى مباحث فصل الخطاب لفظة " أمّابعد " و أوّل قائلها و حكمها الشرعي و إعرابها و ما ينضاف إلى ذلك من المباحث المفيدة و ذكر نحو ١٣٣٩٧٤٠ وجهًا و طريقًا من وجوه إعراب و طرق تركيب يحتملها "أمّابعد". و هذا من عجائب اللغة العربية فانظر إلى هذه الكلمة المختصرة و إلى هذه الوجوه الكثيرة .

٤ - لطائف البال في الفروق بين الأهل و الآل . هو كتاب صغير حجمًا كبير مغزى نافع جدًّا لا مثيل له في موضوعه . جمع فيه المصنف البازي فروقًا كثيرة و مباحث و دقائق يجهلها كثير من الناس و يحتاج إليها العلماء .

٥ - نفحة الرّيحانه في أسرار لفظة سبحانه . رسالة مفيدة مشتملة على أسرار هذه اللّفظة .

٦ - الطريق العادل إلى بغية الكامل .

٧ - كتاب الدرّة الفريدة ، في الكلم التي تكون اسمًا و فعلاً و حرفًا أو حوت قسمين من أقسام الكلمة الثلاثة . ذكر المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب الذي هو نظير نفسه كلمات تكون اسمًا مرة و حرفًا حينا و فعلا مرة أخرى . و هذا من غرائب كتب الدنيا و مما لا مثيل له .

٨ - رسالة في عمل الاسم الجامد .

٩ - النهج السهل إلى مباحث الآل و الأهل . كتاب نافع لأولى الألباب و سِفر رافع لدرجات الطلاّب لم تسمح في هذا الموضوع قريحة بمثاله ولم ينسج في هذا المطلوب ناسج على منواله . كتاب فريد جمع أبحاث الأهل و الآل منها الفروق بين هذه اللفظين التي بلغت أكثر من خمسة و ثلاثين فرقًا و منها الأقاويل في أصل الآل و منها المباحث و الأقوال في محمل آل النبي

صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بهم و غير ذلك من المباحث المفيدة المهمّة جدًّا .

١٠ - رسالة بديعة في حقيقة المشتق .

١١ - رسالة في حقيقة الفعل .

١٢ - رسالة في حقيقة الحرف .

في علم الصرف

١ - كتاب الصّرف . هو كتاب نافع على منوال جديد .

٢ - التصريف . كتاب دقيق في هذا الفن لا نظير له .

٣ - كتاب الأبواب و تصريفاتها الصغيرة و الكبيرة .

في علمي العروض و القوافي

١ - الرّياض الناضرة شرح محيط الدّائرة .

٢ - العيون الناظرة إلى الرياض الناضرة . هذا كتاب لطيف و مفيد جدًّا مشتمل على أصول هذا الفنّ و أنواع الشعر و ما يتعلّق بذلك من البدائع و الحقائق الشريفة .

٣ - كتاب الوافي شرح الكافي . هذا شرح مبسوط للكتاب المشهور بالكافي .

في اللغة العربيّة

١ - كتاب الفروق اللغوية بين الألفاظ العربية هو كتاب نافع جدًّا لكل عالم و متعلم و بغية مشتاقي الأدب العربي أوضح فيه المصنف فروق مآت ألفاظ متقاربة معنى .

٢ - نعم النّول في أسرار لفظة القول . كتاب مفيد فصلت فيه أبحاث و مسائل متعلقة بلفظة القول و مادة " ق ، و ، ل " . و أتى فيه المصنف البازي أسرارًا و أثبت بالدلائل أن هذا البناء بحر فحدث عن البحر ولا حرج .

٣ - كتاب زيادة المعنى لزيادة المبنى . ذكر المصنّف فيه أن زيادة المادة و الحروف تدلّ على زيادة المعنى و أتى بشواهد من القرآن و الحديث و اللغة و أقوال الأئمة .

٤ - فتح الصمد في نظم أسماء الأسد المعروف بلقب نظم الفقير الروحاني في رثاء الشيخ عبدالحق الحقّاني . هذه قصيدة فريدة لا نظير لها في الماضي قد جمع فيها المصنف ما ينيف على ستمائة من أسماء الأسد و ما يتعلق بالأسد و هي في رثاء المحدّث الكبير مسند العَصر جامع المعقولات و المنقولات شيخ الحديث مولانا عبدالحق رحمه الله تعالى مؤسّس جامعة دارالعلوم الحقانية ببلدة أكوره ختك .

٥ - كتاب كبير في أسماء الأسد و ما يتعلق بالأسد .

٦ - رسالة في وضع اللغات .

في النصائح و الدعوة الإسلامية العامة

١ - تعليم الرفق في طلب الرزق .

٢ - استعظام الصغائر .

٣ - تنبيه العقلاء على حقوق النساء .

٤ - ترغيب المسلمين في الرزق الحلال و طِعمة الصالحين .

٥ - منازل الإسلام .

٦ - فوائد الاتفاق .

٧ - عدل الحاكم و رعاية الرعية .

٨ - جنة القناعة .

٩ - أحوال القبر و ذكر ما فيها عبرة .

١٠ - الموت و ما فيه من الموعظة .

١١ - مَن العاقل و ما تعريفه و حدّه .

١٢ - التوحيد و مقتضاه و ثمراته .

في علم التاريخ

١ - تحبير الحسب بمعرفة أقسام العرب وطبقات العرب . كتاب مفيد فيه بيان طبقات العرب

وتفصيل أقسامهم و ما ينضاف إلى ذلك .

٢ - الصحيفة المبرورة في معرفة الفرق المشهورة . بيّن المصنف البازي في هذا الكتاب أحوال الفرق في المسلمين و تفاصيل مؤسس كل فرقة .

٣ - مرآة النّجباء في تاريخ الأنبياء . هذا كتاب تاريخي مشتمل على أهم واقعات الأنبياء وتواريخهم عليهم الصلاة و السلام .

٤ - التحقيق في الزنديق . رسالة لطيفة فيها تفصيل تعريف الزنديق و تحقيق لفظه و بيان مصداقه من الفرق الباطلة و حقق فيه المصنف البازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مستدلًّا بالكتاب و السنة وأقوال الأئمة الكبار أن الفرقة القاديانية أتباع المتنبي غلام أحمد الكذاب الدجال من الزنادقة و أنه لا يجوز إبقاؤهم في الدول الإسلامية بأخذ الجزية عنهم بل يجب قتلهم .

٥ - عبرة السائس بأحوال ملوك فارس . فصل المصنف البازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه تراجم ملوك فارس حسب ترتيب تملكهم وأحوال طبقتي ملوكهم الكينية و الساسانية و ما آل إليه أمرهم و في ذلك عبرة للمعتبرين .

٦ - غاية الطلب في أسواق العرب . كتاب أدبي تاريخي ذكر فيه المصنف البازي تواريخ الأسواق المشهورة في العرب و ما يتعلق بذلك الموضوع من حقائق أدبية .

٧ - إعلام الكرام بأحوال الملائكة العظام . بلغة أردو .

٨ - تراجم شارحي تفسير البيضاوي و مُحشّيه .

٩ - الطاحون في أحوال الطاعون .

١٠ - النظرة إلى الفترة . كتاب صغير مهم تاريخي في مصاديق زمن الفترة و أقسامها بأحكامها وما يتعلق بهذا الموضوع .

١١ - تاريخ العلماء و الأعيان .

١٢ - ترجمة سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

١٣ - توجيهات علمية لأنوار مقبرة سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . كتاب بديع بيّن فيه المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى نحو ثلاثين توجيها علميا لأنوار قبر سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

في علم المنطق

١ - شكر الله على شرح حمد الله للسنديلي . كتاب حمد الله شرح سلم العلوم للشيخ العلامة حمد الله السنديلي كتاب كبير مغلق دقيق محقق جدًّا في المنطق وهو مما يقرأ و يدرس في مدارس الهند و باكستان و أفغانستان و غيرها لازما و لا يفهم دقائقه و أسراره إلاّ بعض أكابر الفن وللمصنف البازي رحمه الله تعالى شهرة في حل هذا الكتاب فشرحه شرحا محققا و أتى فيه ببدائع .

٢ - التعليقات على شرح القاضي مبارك لسلّم العلوم . كتاب القاضي مبارك كتاب نهائي في المنطق و أشهر كتاب في هذا الفن قد اشتهر بين العلماء و الطلبة بأنه عويص و عسير فهما لأجل العبارات الدقيقة الجامعة للأسرار العلمية و أنه لا يقدر على تدريسه و فهمه إلاّ القليل حتى قيل في حقه : كاد أن يكون مجملا مبهما . و هذا الكتاب يدرس في مدارسنا و جامعاتنا فشرحه المصنف البازي شرحًا مبسوطا و سهل فهمه للعلماء و الطلبة .

٣ - التعليقات على سلّم العلوم .

٤ - التعليقات على شرح مير زاهد على ملاّ جلال .

٥ - الثمرات الإلهاميّة لاختلاف أهل المنطق و العربية في أن حكم الشرطية هل هو بين المقدم والتالي أو هو في التالي . بيّن المصنف البازي ثمرات و نتائج اختلاف الفريقين المذكورين في محل القضية الشرطية هل هوفيما بين الشرط و الجزاء أو في الجزاء فقط و فرع على ذلك غير واحد من أدقّ مسائل الحنفية و الشافعية و غير ذلك من الأسرار و هو كتاب عويص لا يفهمه إلاّ الآحاد من أكابر الفن و لا نظير له .

٦ - شرح مبحث الوجود الرابطي من كتاب حمد الله (باللغة العربية) .

٧ - شرح بحث الوجود الرابطي من كتاب حمد الله (بلغة الأردو) .

٨ - التحقيقات العلميّة في نفي الاختلاف في محلّ نسبة القضيّة الشرطية بين علماء المنطق وعلماء العربية . هذا كتاب لانظير له عويص لايفهمه إلاّ بعض الأفاضل الماهرين في المعقول و المنقول حقق فيه المصنّف البازي أن هذا الاختلاف وإن كان مشهورًا مسلّما لكن الحق أنه لا خلاف بين هاتين الطائفتين وأن محل النسبة إنما هو بين الشرط و الجزاء عند كلا الفريقين أهل المنطق

و أهل العربية و أيّد المصنف مدعاه هذا بإيراد حوالات كتب النحو و ذكر أقوال أئمة النحو و حقق ما لا يقدر عليه إلّا مَن كان ذامطالعة وسيعة جدًّا .

في الطبعيات و الإلٰهيات من الفلسفة

١ - تعليقات على كتاب صدرا شرح هداية الحكمة للعلامة الصدر الشيرازي .

٢ - تعليقات على كتاب مير زاهد شرح الأمور العامة .

في علم الفلك القديم اليوناني البطليموسي

١ - شرح التصريح على التشريح . هذا شرح جامع مبسوط لكتاب التصريح المشهور المتداول في مدارس الهند و باكستان و أفغانستان و غيرها .

٢ - التعليقات على شرح الجغميني . هذه التعليقات جامعة لمسائل علم الفلك القديم مع ذكر مسائل الفلك الحديث بالاختصار . وكتاب شرح الجغميني متداول في دروس مدارسنا .

٣ - نيل البصيرة في نسبة سُبع عرض الشعيرة . فصّل المصنف البازي رحمه الله تعالى في هذا الكتاب العجيب مسائل مشكلة ومباحث مغلقة منها أن الجبال هل تضر في الكروية الحسية للأرض أم لا ، بحث فيه المصنف على تعيين أعظم الجبال ارتفاعًا في الزمان الحاضر و في العهد القديم ثم بيّن نسبة أعظم الجبال ارتفاعًا إلى قطر الأرض بيانًا شافيًا .

٤ - كتاب أبعاد السيّارات و الثوابت و أجحامهنّ حسبما اقتضاه علم الفلك القديم البطليموسي .

٥ - كتاب وجوه تقسيم الفلاسفة للدائرة ٣٦٠ جزء قد أجمع الفلاسفة منذ أقدم الأعصار على تقسيم الدائرة إلى ثلاثمائة و ستين درجة ولا يدري الفضلاء فضلاً عن الطلبة تفصيل وجوه ذلك . فذكر المصنف البازي في هذا الكتاب الذي هو نظير نفسه وجوهًا كثيرة غريبة بديعة قد شرح الله تعالى لها صدره و تفرد بها حيث لم يخطر إلى الآن هذه الوجوه على قلب أحد من العلماء .

في علم الفلك الحديث الكوبرنيكسي

١ – الهيئة الكبرى . كتاب كبير مفصّل .

٢ – سماء الفكرى شرح الهيئة الكبرى . هذا شرح لطيف مفيد جدًّا صنف المصنّف الروحاني البازي رحمه الله تعالى هذا المتن الهيئة الكبرى بإشارة جمع من أكابر العلماء و أماثل الفضلاء ثم شرحه أيضًا بطلبهم و إشارتهم .

٣ – الشرح الكبير للهيئة الكبرى .

٤ – كتاب الهيئة الكبيرة . كتاب كبير جامع لمسائل الفن لا نظير له .

٥ – أين محلّ السماوات السبع . هذا كتاب نفيس مُهِمّ لم يصنّف أحد قبل هذا في هذا الموضوع . صنّفه المصنّف البازي لدفع مطاعن المتنوّرين و الفجرة حيث زعموا أن بنيان الإسلام صار متزلزلا و قصره أصبح خاويًا ، إذ بطلت عقيدة السماوات السبع القرآنية لأجل إطلاق السفن الفضائية و الصواريخ إلى القمر و إلى الزهرة وغير ذلك من السيارات فدمغ المصنف في هذا الكتاب العظيم مطاعنهم بأدلة مقنعة و أثبت أن هذه الأسفار الفضائية تؤيد الإسلام و أصوله و أنها لا تصادم السماوات القرآنية .

٦ – هل للسموات أبواب (باللغة العربي) .

٧ – هل للسموات أبواب (بلغة الأردو) .

٨ – هل الكواكب و النجوم متحركة بذاتها (باللغة العربي) .

٩ – هل للنجوم حركة ذاتية (بلغة الأردو) .

١٠ – كتاب السدم و المجرات و ميلاد النجوم و السيارات (باللغة العربي) .

١١ – هل السماء و الفلك مترادفان (باللغة العربي) .

١٢ – السماء غير الفلك شرعًا (بلغة الأردو) . حقق المصنف في هذين الكتابين اللطيفين البديعين أن السماء تغاير الفلك شرعًا و أن السماء فوق الفلك و أن النجوم واقعة في أفلاك لا في أثخان السماوات . واستدلّ في ذلك بنصوص إسلامية كثيرة و بأقوال كبار علماء علم الفلك الجديد وبأقوال أئمة الإسلام .

١٣ - عمر العالم و قيام القيامة عند علماء الفلك و علماء الإسلام (بلغة الأردو) .

١٤ - الفلكيّات الجديدة . من عجائب كتب الفن كتاب جامع لأصول هذا الفنّ لانظير له ولكونه جامعًا متفردًا في موضوعه وأسلوب بيانه قرره علماء دولتنا في نصاب كتب المدارس والجامعات وجعلوا تدريسه لازمًا في جميع الجامعات و المدارس .

١٥ - كتاب أسرار تقرر الشهور و السنين القمرية في الإسلام .

١٦ - كتاب شرح حديث " أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصلي العشاء لسقوط القمر لليلة ثالثة " .

١٧ - التقاويم المختلفة و تواريخها و أحوال مباديها و تفاصيل ذلك .

١٨ - أين مواقع النجوم هل هي في أثخان السموات أو تحتهن عند علماء الإسلام و عند أصحاب الفلسفة الجديدة .

١٩ - قدرالمدّة من الفجر إلى طلوع الشمس . هذا كتاب دقيق لايفهمه إلاّ المهرة . ألّفه المصنّف عند تحكيم أكابر العلماء إيّاه في هذه المسئلة الكثيرة الاختلاف وقد اختلف العلماء والعوام في هذه المسألة كثيرًا حتى أفضى الأمر إلى الجدال و القتال و ذلك إلى عدة سنين فجعلوا المصنف البازي حكمًا و التمسوا منه أن يحقق الحق و الصواب فكتب المصنف هذا الكتاب و أوضح فيه الحسابات الدقيقة لسير الشمس فاستحسن العلماء هذا الكتاب جدًّا و اعتقدوا صحة ما فيه و عملوا على وفق ما حقق المصنف و ارتفع النزاع و اضمحل الباطل .

٢٠ - هل السماوات القرآنية أجسام صلبة أو هي عبارة عن طبقات فضائيّة غير مجسمة . هذا كتاب مهم و بديع جدًّا .

٢١ - هل الأرض متحرّكة ؟ هذا كتاب مفيد جدًّا جمع فيه المصنف البازي أقوال علماء الإسلام وآراء الفلاسفة من القدماء و المحدثين مما يتعلق بهذا الموضوع .

٢٢ - كتاب عيد الفطر و سير القمر . فيه أبحاث جديدة مفيدة مهمة مثل بحث المطالع و تقدم عيد مكة على عيد باكستان بيوم أو يومين . كتبها المصنف البازي رحمه الله تعالى دمغًا لمطاعن المتنورين الملحدين على علماء الدين بأنهم لا يعرفون العلوم الجديدة .

٢٣ - القمر في الإسلام و الهيئة الجديدة و القديمة .

٢٤ - قصة النجوم . هو كتاب ضخم .

٢٥ - كتاب الهيئة الحديثة . كتاب كبير جامع للمسائل و الأبحاث . أوّل كتاب ألّف باللغة العربية في هذا الفن في ديار الهند و إيران و أفغانستان و باكستان وغيرها و مع هذا هو أوّل كتاب صنّفه المصنّف البازي رحمه الله تعالى في هذا الفنّ .

٢٦ - شرح الهيئة الحديثة (بلغة الأردو) .

٢٧ - الهيئة الوُسطى (باللغة العربي) .

٢٨ - النجوم النُشطى شرح الهيئة الوسطى (بلغة الأردو) .

٢٩ - الهيئة الصغرى (باللغة العربي) .

٣٠ - مدارالبشرى شرح الهيئة الصغرى (بلغة الأردو) .

٣١ - ميزان الهيئة .

في الموضوعات المتفرّقة

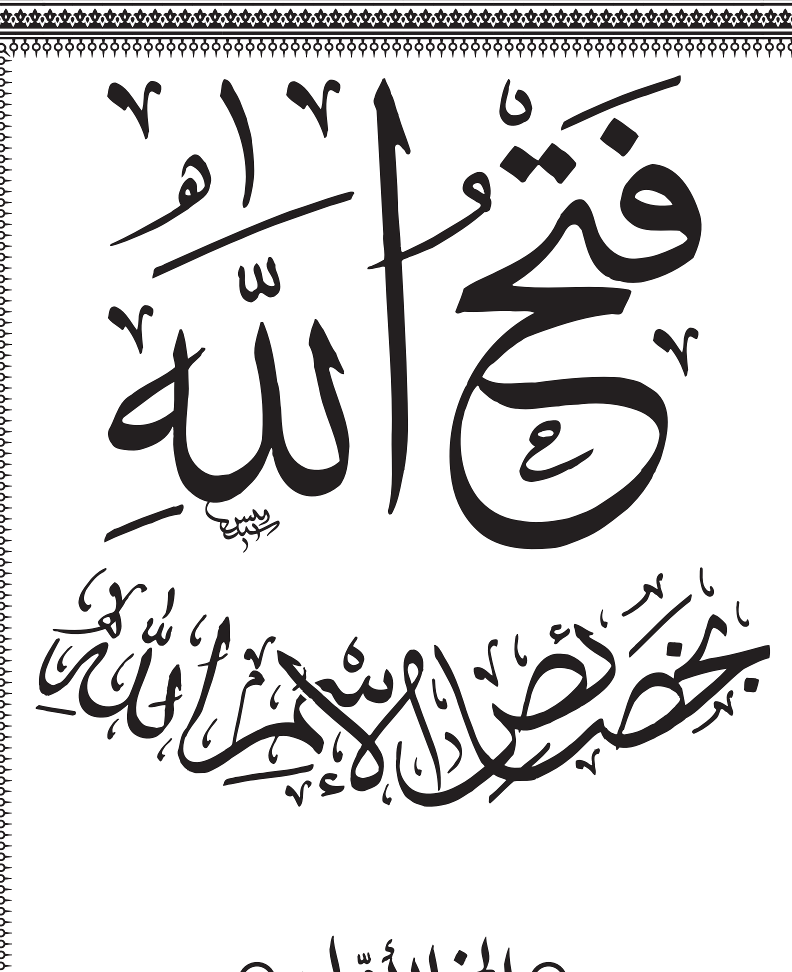
١ - كتاب أسرار الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء . هذا كتاب لطيف جامع لكثير من الحكم و الأسرار في الإسراء إلى بيت المقدس .

٢ - الخواصّ العلميّة للاسمين محمد و أحمد اسمي نبيّنا صلى الله عليه وسلم .

٣ - كتاب الحكمة في حفظ الله الكعبة من أصحاب الفيل دون غيرهم . ذكر المصنف البازي رحمه الله تعالى في هذا الكتاب الصغير أسرارًا و حكمًا مخفية في حفظ الله تعالى بيت الله من أصحاب الفيل دون غيرهم من أصحاب الحجّاج الظالم ومن الملاحدة الباطنية . و هذه الأسرار لا توجد في الكتب . صنفه البازي باقتراح بعض أكابر العلماء .

٤ - كتاب الحكايات الحكميّة .

٥ - فردوس الفوائد . كتاب كبير في عدة مجلدات .



الجزء الأوّل

لإمام المحدّثين نجم المفسّرين زبدة المحقّقين
العلاّمة الشّيخ مولانا محمّد موسى الرّوحاني البازي
رحمه الله تعالى وطيّب آثاره

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سبحان الله و الحمد لِله ولا إله إلاّ الله و الله أكبر ولا حَول ولا قوّة إلاّ بالله العَليّ العظيم عددَ ما خلَقَ و عددَ ما هو خالق و زِنَةَ ما خلق و زِنَةَ ما هو خالق و مِلءَ ما خَلَقَ و مِلءَ ما هو خالق و مِلءَ سمٰواته و مِلءَ أرضه ومثلَ ذلك و أضعافَ ذلك و عددَ خلقِه و زِنةَ عرشِه و منتهٰى رحمتِه و مدادَ كلماتِه و مبلغَ رِضاه حتى يرضٰى و عددَ ما ذكره به خَلْقُه في جميع ما مضى و عددَ ما هم ذاكروه فيما بقِيَ في كلِّ سنةٍ وشهر وجُمُعَةٍ و يومٍ و ليلة و ساعة من الساعات و شمّ و نفس من الأنفاسِ و أبدٍ من الآباد من أبدٍ إلى أبدٍ أبدِ الدنيا و أبدِ الآخرة و أكثر من ذلك لا ينقطعُ أوّلُه و لا ينفد آخرُهٗ .

اللّٰهُمّ أنتَ ربِّي لا إله إلاّ أنت عليك توكلتُ و أنت ربُّ العرشِ العظيم لاحول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ما شاء اللّٰه كانَ وما لم يشأ لم يكُنْ . أعلمُ أن الله على كل شَيْءٍ قديرٌ و أن الله قد أحاط بكل شيءٍ علمـًا و أحصٰى كلَّ شيءٍ عددًا . اللّهمّ إني أعوذبك من شرِّ نفسي و من شر كل دابَّةٍ أنت آخِذ بناصِيَتِها ، إن ربي على صراطٍ مستقيم .

اللّٰهُمّ إني أسألك من الخَيْرِ كلِّه عاجلِه و آجلِه ما علمتُ منه و ما لم أعلمْ . و أعوذبك من الشر كلِّه عاجلِه و آجله ما علمتُ منه و ما لم أعلم . و أسألك الجنّة و ما قرّب إليها من قولٍ و عمل و أعوذُبك من النَّار و ما قرّب إليها من قولٍ و عملٍ . و أسألك من الخَير ما سأَلَك عبدُكَ و رسولُك محمدٌ ﷺ وأستعيذُك مما استعاذك منه عبدُك و رسولك محمد ﷺ . و أسألك ما قضيتَ لي من أمر أن تجعلَ عاقبتَه رشدًا برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين .

اللهم اجزِ عنا سيّدَنا محمدًا ما هو أهلُه . و صَلِّ على روح سيّدِنا محمدٍ في الأرواح . و صَلِّ على جسَدِ سيّدِنا محمدٍ في الأجسادِ . و صلِّ على قبر سيّدنا محمدٍ في القُبور .

اللهم أبلغ روحَ محمدٍ منّي تحيةً وسلامًا و صَلِّ عليه و على آلِه وأصحابِه و أتباعه إلى يومِ الدين كما تُحِبُّ و ترضى عددَ خلقِك و زنةَ عرشِك و مدادَ كلماتك وعددَ الرملِ والنجوم و عدد قطراتِ المياهِ و عدد أوراق الأشجار و النجوم في كلِّ يومٍ ألفَ ألفِ مَرّةٍ و أضعاف ذلك بعَدَدِ ما ذكر و ما لم يُذكر ما ذكرك الذاكرون و غَفَلَ عن ذكرك الغافلون .

أمّابعد : فيقول العبد الضعيف محمد موسٰى ابن الزاهد العارف بالله المولوي شَيْر محمَّد الروحاني البازي وهب له الله تعالى النعيم المؤبّد في الفِردَوس الأخلدِ المخلّد : هذا سِفر أنضر وكتاب أزهر يحتوِي على عِدّة مئآتٍ من خصائص الاسم "الله" الأكبر و مزايا اسم "الله" الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِل به أعطى .

ألهمَني اللهُ تعَالى وسبحانه تأليفَه و وفّقني لتنضيدِه و ترصيفِه و هو أوّل مؤلَّفٍ في هذا الموضوع لم يُؤلِّف فيه أحدٌ من المتقدمين و المتأخرين .

و سيفوز فيه المطالع المنصِفُ و اللبيب الغير المتعسِّف بأسرارٍ لطيفةٍ و معَارفَ شريفةٍ و دقائق منيفة و نكاتٍ كانت مصونةً وحقائقَ كانت مكنونة و نفائسَ كانت مخزونةً و تحقيقاتٍ إلهاميّة و لطائفَ كشفيّةٍ و تدقيقاتٍ روحانيّة .

طالما أحييتُ بتحريرها ليالِيَ وافيةً وشرّفتُ باقتناصِها أيّامًا صافية متدبّرًا متفحِّصًا لمسائلَ تسرّ الناظرين و متفكرًا مستنبِطًا لبدائعَ تهزّ أعطافَ العارفين . حتّى كشفتُ بفضلِ اللهِ تعالى القناعَ من عرائسِ الأسرار و نفائسِ الأفكارِ في الروضَة الرحبةِ الزاهرة روضة الحِكمة اليمانية الباهرة . واقتنصتُ أبكارًا من أفكارٍ طاهراتٍ وأترابًا من مواهبَ طيباتٍ زاهرات لم يطمِثْهنّ فكرٌ ولا غشِيَهن ذِكرٌ ولا مسَّهن قلمٌ و فهمٌ ولا قرُبَ منهنّ قدمٌ و وهم .

وكُلُّ ذلك بتوفيق الله تعالى وسبحانه و بِبَرَكة اسم الجلالةِ الكريمة . وما أدراك ما اسم الجلالة ؟ هو اسمٌ كريم ذوشانٍ عظيم . قد حوٰى خصائص لاتحصٰى وخواصّ لا تنسٰى وجمع إشاراتٍ قدسيّةً و أسرارًا

عرفانية و معارفَ ربانية وعلومًا أدبية و مزايا عربيةً وعوارِفَ روحانية و أنوارًا صمدانية و أذكارًا إيمانية و إيماضاتٍ عرشيةً و إيماءاتٍ مكية و تلميحات مدنية و نفحات مسكية وأمارات سرمديّة و فوحات فردوسيّةً .

و حقّ أنها مغناطِيسٌ جذّابٌ و ياقوتٌ جلّاب . روضُها عاطرٌ و زهرُها زاهــر و نهرها دافقٌ و طيرها زاعق و برقها لامعٌ و غَيْثها هامع و نورها طالع ونجمُها زاهر و هِلالُها باهِرٌ و نشوها فاخرٌ وحُسنها ظاهر ، وسماؤُها لطائف و أرضها معارف ، و غربها أسرار و شرقها أنوارٌ ، و لطائفها لاهُوتية و معارفها ملكوتية ، لا يتبيّنُها حقَّ تبيُّنٍ إلّا الأوليَاءُ العاملون ، ولا يعرفُها حقَّ معرفةٍ إلّا الأصفياءُ الخالصون ، ولاينالُها إلّا الفُضَلاءُ المدقّقون ، ولايحكمها إلّا العلماءُ المحقّقون ، ولايلقاها إلّا الصابرون . وقلتُ في ذلك :

سبحانَ مَن تاهَ الْوَرٰى في ذاتِهٖ بل دون كُنْهِ الذّاتِ في أسمائِهٖ

فالمحاسنُ في الاسم "الله" كثيرةٌ و الفوائدُ فيه غيرُ يسيرةٍ فكم في أعْماقِ أنوارِه من الدرّ المصُون والرّمزِ المكنون . و العِلمِ المكتوم و السّرِّ المخْتُوم . و الدّليـلِ العَظيم و الكنْزِ القَديم . و التّرياقِ الشافي والدواءِ الكافي :

خلِيلَيّ ما هـذا بِهَزلٍ و إنّما عجيبُ الأحاديثِ غريبُ البدائع

و بالجملة هذا الاسم المبارك بدرُ الأنوارِ و بحرُ الأسرار و حدّث عن البحر ولا حرج و أثْنِ على البدر و إيّاك و المرَج . وقد جمعتُ في كتابي هذا ما وصل إليه علمي و نالَه فهمي من بدائع لطائفِه و لطائفِ بدائعِه و غرائبِ أسْراره و أسرار غرائبه البَهيّة الشهيّة و السنية القُدسية .

و الحق أن هـذا الكثيرَ مِن فيضه غَيضٌ و مِن عِدّه بَرضٌ و أنّٰى لمثلي أن يستوعبَ أبحَاثَه ويستقصِيَ مباحثَه . كيف وهو اسمُ الله الأعظم وعَلَم الذاتِ الأفخم . فكما أن ذاتَ الله تعالى متعاليةٌ عن مجالِ عقولنا و فائقة عن أن تصِلَ إليها أفهامُنا ، فكذا عَلَمُ ذاتِه تعالى أبعـدُ و أعلى من أن نحيـطَ بمبانيه و بإشاراتِه و معانيه .

ولقد صدق العلامة السيّد السند رَحِمَهُ اللهُ تَعَالٰى إذ قال و على قوله يعتمد : اعلَمْ : أن العقلاءَ كما تاهوا في ذاتِ الله و صفاته لِاحْتِجابها بأنوار العظمة و أستارِ الجَبَرُوت كذلك تحيّروا في لفظ "الله" كأنه انعكس

إليه من مسماه أشعّةٌ من تلك الأنوار قهرتْ أعينَ المستبصرين عن إدراكه . فاختلفوا أسُرْياني هو أم عربيّ ، اسم أو صفة ، مشتق و مم اشتقاقه و ما أصله أو غير مشتق ، عَلَم أو غير عَلَم . انتهى .

و أرجو الله تعالى و سبحانه أن يرحمني و يغفر لي و لوالديّ ببركة هذا الدر المنظم و اسمه الأعظم . و بما شرحته و بسطته في كتابي هذا الذي أسمّيه " **فتح الله بخصائص الاسم الله** " فرحمتُه سبقتْ و أدركتْ أمثالي و لحقت .

كما أرجو الله تعالى أن يحمي من البَلايا و الغَرق و الحَرقِ و السرق كلَّ بيت فيه هذا السِّفر المبارك الحميد والكتاب الشريف السعيد تفاؤلاً باسمه الطيّب المبارك الميمون .

وحكى ابن جماعة أن الإمام أبا الحسَن الأشعريّ رحمه الله تعالى رُؤِيَ في المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ قال : غَفَرَ لي . قيل : بماذا ؟ قال : بقولي بعَلَميّة الاسم "الله". فالحمد لمن وفّقنا لهذا الأمر الجسيم و الخَطب العظيم وهو ذُوالفضلِ العميم . و هذا أوان الشروع في المقصود بتوفيق الله الكريم الودود .



الباب الأوّل

من خصائص لفظة الجلالة تعيّن كلمة "يا" وحدها في ندائها نحو "يا الله" فيمتنع أن يقال "أيا الله" و "هيا الله" و نحو ذلك . صرّح بهذه الخاصّة الشريفة غير واحد من علماء النحو .

قال الشيخ الأزهري رحمه الله تعالى في التصريح شرح التوضيح لابن هشام رحمه الله تعالى (ج٢ ص١٦٤) : وأعمّها أي أعمّ حروف النداء "يا" لأنها أمّ الباب . فإنها تدخُل في كُلِّ نداءٍ خالص من الندبة والاستغاثة أو مصحوبٍ بهما . وتتعين "يا" وحدها في نداء اسم "الله" نحو "يا الله" . انتهى كلامه .

ولا نظير للاسم "الله" في هذا الحكم إلّا ثلاثة مواضع : الأوّل الاستغاثة نحو يا لله لِلمسلمين . و الثاني أيّها . والثالث أيّتها نحو يا أيّها الرجل و يا أيّتها المرأة .

ففي التوضيح و شرحه : و تتعين "يا" أيضًا في باب الاستغاثة نحو يا لله للمسلمين . انتهى .

و في المغني لابن هشام رحمه الله تعالى : ولا ينادى اسم "الله" و الاسم المستغاث و أيّها و أيّتها إلّا بها أي بكلمة "يا" . انتهى .

و قال الأشموني رحمه الله تعالى في شرح الألفية (ج٣ ص١٠٣) وأعمّها "يا" فإنها تدخل في كلّ نداء وتتعين في اسم "الله". قال العلامة الصبان رحمه الله تعالى : وكما تتعين "يا" في لفظ الجلالة تتعين في المستغاث وأيّها و أيّتها . لأن الأربعة لم يسمع نداؤها إلّا بيا . لا لبعدها حقيقة أو تنزيلا لأنه غير لازم . انتهى .

فإن قلت : ما السرّ في امتناع نداء الاسم "الله" بما سوى "يا" من أحرف النداء ؟

قلت : الذي يخطر بالبال بإلهام الله المفضال أن ذلك لوجوه كثيرة مشتملة على أسرار لطيفة

ونكات روحانية منيفة . خلاصتها تحقُّق المناسبة التّامة و الرابطة القويّة بين لفظ "الله" و حرف "يا" من بين سائر حروف النداء .

دونك الآن وجوهًا متعدّدةً لطيفةً لتحقيق المناسبة القويّة بين الاسم "الله" و "يا" و لتفصيل الأسرار المكنونة و الإشارات المكتومة و الإيماضات الدقيقة والإيماءات الوثيقة التي خصّ بسببها حرف "يا" بِنِداء الاسم "الله". و هـذه الوجوه المشتملة على هذه الأسرار الجليلة من أعزّ النفائس العلميّة التي لا تجدها في غير هذا الكتاب . ولِله الحمدُ و المنّة .

الوجه الأول : وجود المناسبة التامّة بين حقيقة "يا" و محلها و ذات الله تعالى . و إن شئتَ فقل : وجود المناسبة التامة بين مدلولَيْ حرف "يا" و الاسم "الله".

فكما أن كنه الله تعالى غير مدرك بعدُ ، وذاته تعالى مستورة تحت أستار نورانية ومحجوبة بالحُجُب الرحمانيَّة ، كيف لا و لو كشف عن سبحات وجهه لأحرقت ما انتهى إليه البصر ، كذلك مدلول "يا" الحقيقي و محل استعمالها الموضوع له مستور بعدُ عند الأئمة السابقين و السلف السالفين لم يكشف القناع عنه الفكر .

و إن شئتَ فابنِ هذا الوجه على إبهام الاسم "الله" و لفظه . فإن أمره مبهم بعدُ . فلا يدرى أعربي أم سرياني . مشتق و مم اشتقاقه وما أصله أم غير مشتق . عَلَم أم غير علَم . اسم الله الأعظم أم لا ونحو ذلك . فتعيَّنت "يا" المستورة مدلولاً في نداء الاسم "الله" المستور المبهم أصلاً و لفظًا و مأخذًا .

الوجه الثاني : النداء إلى الله تعالى مقام سؤال و إظهار عجز و انكسار . و السؤال كلّما كان أعرق في هذا المعنى و أمسّ بهذا الفحوى و أدخل في هذا المغزى كان أقرب من الإجابة . ولا يتحمل هذا المعنى ولا يدلّ عليه إلّا قولنا "يا الله" لكون مدلولي حرف "يا" و اسم "الله" محجوبين عن عقول العاقلين و عن أفكار المتفكرين .

فاذا قلنا "يا الله" فقد اعترفنا في ضمن هذا القول بأنك يا ربنا أعظم شانًا وأجـلّ برهانًا تعاليتَ عن أن تدركك عقولنا و عن أن تحيط بك أذهاننا ، كما أن مدلول "يا" و حقيقة الاسم "الله" محجوبان لم يقض فيهما بقول فصل .

فنحن يا ربّنا ! نتوسّل إليك بالإقرار بأننا عجزة وبالاعتراف بأنك عالٍ والعجز عن الإدراك إدراك . فآتِنا يا ربّنا ما نستوهبه منك . إنك خَير الواهبين . ومحصوله أن هذا النداء أقرب إجابة و أدلّ على عجز السائل و تضرُّع المنادِي .

و إنما قلنا : إن مدلول "يا" و معناها الموضوع له مستور بعد فلكثرة أقوال الأئمة فيه . فكلٌّ رمٰى عن قوسه نبلَه و أبدى طلَّه و وبلَه . و هذا شاهد عدل على خفاء معناها الموضوع له .

فقال أبوحيان : إن "يا" تستعمل للقريب والبعيد مطلقا . و إنه الذي يظهر من استقراء كلام العرب .

و قال ابن مالك : حرف "يا" وضع لنداء البعيد حقيقة أو حكما كالنائم و الساهي والمغمٰى عليه و نحو ذلك .

و في المغني لابن هشام : "يا" حرف لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا . وقد يُنادى بها القريب توكيدًا . و قيل : هي مشتركة بين البعيد و القريب . و قيل : بينهما و بين المتوسط .

و ذكر الشيخ ابن الخباز نقلاً عن شيخه أن "يا" للقريب و هو خرق لإجماعهم . إذ لم يقُل بذلك أحد من أئمّة النحو غير شيخه .

و في حواشي الشيخ يٰس رحمه الله تعالى على التصريح : إن قيل : إن "يا" للبعيد و هو تعالى أقرب إلى كلّ شيءٍ من حبل الوريد . فالجواب : أن ذلك لاستقصاء الداعي نفسه و إبعَاده عن مرتبة المدعو تعالى . قاله الرضي رحمه الله تعالى . انتهى .

الوجه الثالث : لم يقع النداء في القرآن إلّا "بيا" فلها فضل من بين أخواتها . و الاسم "الله" أفضل الأسماء . و نداء الأفضل بالأفضل أفضل .

الوجه الرابع : لم يناد الله تعالى أحدًا من خلقه إلّا بحرف "يا" كما لا يخفى على تالي القرآن وقارئه . قال تعالى : يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَ زَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ . يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ . يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ . و كلام الله لايخلو عن حكمة و سرّ . فناسب أن لا يناديه تعالى وسبحانه أحدٌ من خلقه إلّا بكلمة اختارها الله لندائهم و اصطفاها لخطابهم . إذ ما اختاره الله و اصطفاه كان أفضل و أعلى

و أمثل و أحلى .

الوجه الخامس : "يا" أخفّ حروف النداء مع وقوع الألف في آخرها التي تقتضيها النداء ومدّ الصوت . فناسبت الاسم "الله" الذي هو أكثر الأسماء نداءً . إذ الكثرة تستدعي الخفّة .

الوجه السادس : "يا" أعم حروف النداء استعمالاً و تصرفًا كما صرح به النحاة . و لذا لا يحذف من حروف النداء إلاّ "يا" نحو : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا . و تدخل على المستغاث . و على "أيّها" و "أيّتها" و "المندوب" .

و الله تعالى أعم الأشياء تصرّفًا و حكمًا و رحمته تعالى عمّت و وسعت كلّ شيءٍ و كذا كل صفة له تعالى . بل لا تصرف و لا حكم إلاّ لِلّٰه الواحد القهّار . فناسب حرف النداء الأعمّ تصرفًا المنادٰى الأعمّ كذلك و إن كانت جهتا التصرُّفين متغايرتين .

الوجه السابع : أن "يا" لمّا كانت أكثر الحروف استعمالاً وأعمّها ، و اسم "الله" أكثر أسماءٍ تقع منادًى لعموم وجوده تعالى في كل زمان و شيوع ملكوته وجبروته في كل مكان . ولكونه تعالى مرجع العقول و مأوى الآمال . فكلمة "يا" أكثر ما يطلب به الإقبال . و الله تعالى أكثر ما يقصد إقباله . فتعينت "يا" لنداء أعظم أسمائه تعالى لهذه المناسبة اللطيفة .

الوجه الثامن : أن لكل باب أُمًّا و "يا" أمّ الباب . صرح به الأئمة . و ذات الله تعالى أمّ ما يرجع إليه في دفع البليات و أصل ما يتوجه إليه في قضاء الحاجات و إجابة الأسئلة وحلّ المشكلات . إنه هو مجيب الداعين و المنَادين . فناسب أمُّ الباب من حروف النداء اسمَ أصل الذوات و مرجع ذوي الألباب جَلّ جلالُه .

الوجه التاسع : فيه إشارة إلى سرٍّ بديع وحُكم رفيع مبنيّ على الوجه الثامن المذكور من قبل . وهو كما أن "يا" أمّ الباب لا شريك لها في ذلك ثم تعينت هذه الأمّ في نداء اسم "الله" لغةً و استعمالاً كذلك أيها المنادِي اجعل نداءَك لقضاء الحوائج مختصًّا بالله تعالى ، وتبتّل إليه تبتيلاً ، واعتقدْ أن لا شريك له تعالى في ذلك . فلا يجيب المضطر إلاّ هو . ولا يقضي الحاجات إلاّ هو . و ليكن باطنك مطابقًا لظاهرك و كلمةِ مرامك ، واجعل قلبك موافقًا للسانك ولفظةِ كلامك ، ليوافق الوضعُ الطبع و بالعكس .

خلاصة هذا الوجه أن فيه رمزًا لطيفًا إلى التوحيد و تخلية القلب عن الالتفات إلى الأغيار و تحليته بحلية "لا إله إلاّ الله" في الليل و النهار .

الوجه العاشر : أن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ، و أبعد شيء عنّا مقامًا و مرتبةً وشانًا . فهو سبحانه قريب و بعيد كما أنه ظاهر و باطن و أوّل و آخر .

و حرف "يا" وضع للقريب و البعيد على قول المحققين من الأئمة كما سنحت لك أقوالهم فيها من قبل . و هو الحق الراجح . و ما سواه من حروف النداء بعضه للقريب دون البعيد و بعضه بالعكس . وليس فيها حرف وضع للبعيد و القريب معًا إلاّ حرف "يا". و ما في الصحاح أن "أيا" لنداء القريب والبعيد فهو مردود كما في المغني و همع الهوامع و غيرهما من الكتب .

فليس في حروف النداء ما وضع للقريب و البعيد كليهما غير "يا" و ليس في المنادٰى ما يوصف بالقرب و البعد معًا ما خلا الله سبحانه . فتعين أحدهما للآخر في الكلام لهـذه المناسبة اللطيفة و الرابطة المنيفة .

الوجه الحادي عشر : لا يحذف من حروف النداء إلاّ كلمة "يا" نحو : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا ، أي يا يوسف . كما صرّح به النحاة عن آخرهم . فهي عند الحذف غير مشاهدة . و أما أثرها و هو كون المنادٰى مبنيًّا بالضم أو منصوبًا معربًا و نحو ذلك فمشاهد .

و كذلك الله تعالى غير مبصر إلاّ أن آثار صنعه تعالى و عجائب قدرته و مشاعر حكمه مبصَرة مشاهَدة . فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . وأما في الجنّة فذاته تعالى أيضًا تكون مرئيةً و مبصرةً . وُجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . فلم يثبت عند العرب في نداء الاسم "الله" إلاّ كلمة "يا" لهذه الرابطة الغريبة و المناسبة العجيبة .

الوجه الثاني عشر : إنما تعيّنت "يا" في نداء الاسم "الله" لتحصيل التاكيد المستدعي للاعتناء بجوابه المنبِّه على كمال إحاطة هذا الجواب الأهمّ بفؤاد المنادِي و المستغيث . و هذا يؤذن بشغل قلبه بهذا المدعو و انقطاعه عما سواه .

ولا يخفى على أهل العلم أنّ قبول الدعاء إنما هو بقدر شغل القلب بالدعاء وبالتفكّر في الله تعالى

و في صفاته . و في الحديث : إنّ الله لا يقبل الدعاء والقلبُ ساهٍ . و في رواية : لاهٍ . و ما سوى "يا" من أحرف النداء لايفيد التاكيد . و إنما فائدته محض النداء و محض طلب الإقبال .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في الإتقان ج١ ص١٧٩ . قال الزمخشري : و يفيد حرف "يا" التاكيد المؤذن بأنّ الخطاب الذي يتلوه يعتني به جدًّا . انتهى .

الوجه الثالث عشر : أن عدد كلمة "يا" بحساب الجمّل و هو أحد عشر يُفنِي عددَ الاسم "الله" و هو ستة و ستون بحساب الجمل و الأبجد بإسقاط عدد الألف الأولى لكونها أسًّا . كما عمل بها بعض العارفين في بعض مواضع نظير هذا الحساب . فعدد ٦٦ ينقسم على عدد ١١ ست مرّات .

ثم إنّ عدد الستة ينطوي على نكتة بديعة . وهي أنّ الستة أول عدد كامل . ففيه رمز لطيف آخر وهو كما أن الستة عدد كامل كذلك حرف "يا" كامل في النداء . و الاسم "الله" عظيم و كامل في الأسماء الحسنى . و هذه قرينة لكمال المناسبة و دليل على شدّة الرابطة بين كلمة "يا" و "المناذى بها" . و هذه المناسبة العجيبة داعية إلى الاختصاص المذكور .

كيف لا و عدد "١١" داخل في "٦٦" ، و عدد "٦٦" محيط به . فبينهما نسبَة إحاطة و تداخل . فالله على كلّ شيء محيط .

الوجه الرابع عشر : اعلم : أن ضرب عدد كلمة "يا" و هو "١١" في حروف الاسم "الله" يفضي إلى عدد محبوب ومحبّ ومطلوب وطالب وهو "٢٢٠". ففيه إشارة إلى أن المنادِي بكسر الدال و المنادى بفتح الدال صار كل واحد منهما ببركة النداء بكلمة "يا" و باعتبار عدد "يا" و عدد اسم "الله" محبوبًا و محبًّا . و أصبح كل منهما مطلوبًا و طالبًا بشرط كون النداء بالإخلاص الأتمّ .

فإنّ العبد يحب الله تعالى . فإذا ناداه بقوله "يا الله" مخلصًا صادقًا في ذلك مقبلاً بقلبه و سرّه إلى الله تعالى ارتقى إلى منزلة عالية من منازل "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ" و درجة سامية من درجات الصالحين والصدّيقين . و صار مطلوبًا و محبوبًا له تعالى بعد ما كان محبًّا و طالبًا له تعالى . وصار الله تعالى محبا لهذا العبد المنادِي كما كان محبوبًا لهذا العبد . و التحابّ بين الله سبحانه و العبد من أعلى المقامات .

تفصيل المقام أن علماء الأرثماطيقي و مهرة الحساب قالوا : إن العشق جارٍ في كل شيء حتى

في الأعداد . فتجد عددي "٢٢٠" و "٢٨٤" متحابّين .

لأن مضاريبَ "٢٢٠" و أجزاءَه تساوي مضاريب "٢٨٤" وبالعكس . إذ مضاريب "٢٨٤" إنما هي ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ . و مجموعها ٢٢٠ . و أمّا مضاريب "٢٢٠" فهي ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ . و مجموعها يساوي ٢٨٤ . فهما عددان معتنقان و رقمان متحابّان . و هـذا من لطائف العجائب و بدائع الغرائب .

و بعد هذا التمهيد نقول : إن عدد حروف الاسم "الله" بعد البسط وإسقاط المكرر خمسة حروف . وهي "ا ، ف ، ل ، م ، ه" فإن بسط حروفه "ألف ، لام ، لام ، ألف ، ها" . و هذه الحروف مجموعة حروف "ا ، ف ، ل ،م ، ه" .

فظهر لك من هذا البيان أن حروف الاسم "الله" بعد إسقاط المكرر خمسة . و عدد كلمة "يا" بحساب الجمل و الأبجد "١١" . فاضرب "٥" في "١١" يحصل "٥٥" .

ثم اعلم : أن ههنا جهة أخرىٰ للحساب المتعلق بالاسم "الله" مبنيّة على إسقاط همزة الوصل المتحققة في أول الاسم "الله" و على طيّ الكشح عنها في الحساب . لأنّ همزة الوصـل شيء عارضيّ غير مستقل . فلا حرج في إسقاطها و عدم اعتبارها في الحساب .

فنقول بالنظر إلى اعتبار هذه الجهة : إن حروف الاسم "الله" بعد إسقاط همزة الوصل أربعة . و هي "ل ، ل ، ا ، ه" .

و إن شئت فقل : إن الملتفت إليه بالذات في حساب هذه الجهة إنما هي الحروف الملفوظة للاسم "الله" في حالة الوصل و الدرج دون حالة الابتداء . والحروف الملفوظة للاسم "الله" أربعة . و هي "ل ، ل ، ا ، ه" . و أمّا همزة الوصل فيتلفظ بها في الابتداء فقط دون الوصل و الدرج .

و بالجملة أن حروف الاسم "الله" بإسقاط همزة الوصل أربعة . وهي "ل ،ل ، ا ، ه" . فاضرب ٤ في ٥٥ كان الناتج "٢٢٠" . و هذا أحد الأعداد المتحابّة .

ثم في هذا التداخل والاندماج بالضرب أي ضرب أحد العددين في الآخر بالطريق المذكور

ترغيبٌ إلى منزلة الاستغراق في ملاحظة جناب القدس و في صفات الله الجلاليّة و الجماليّة ، وحثٌّ على الولوج في مقام السير في الله و إلى الله وحضّ على الخوض في لُجّة الوصول إلى الله تعالى ، وتحريضٌ على نيل المرتبة العُليا من الإحسان فيرى الله عَزَّوَجَلَّ عيانًا و يناجيه شفاهًا ، و دعوةٌ إلى مرتبة الفناء في حب الله و عبادته تعالى .

فاغتنم هذا البيان فإنه من الأسرار النفيسة المكنونة و من البدائع الشريفة المختومة و من الحِكَمِ الطريفة المكتومة التي لم تمسسها أذهان السلف ولم تقرع آذان أحد من الخلف .

هذا ما ألهمني ربّي فالحمد لِلّٰه على كرمه ومنّه . فذقه أنت يا أخي ! وتمتَّع به وتفكَّر في عجائب حِكَمه و غرائب أسرار اسمه . و الله أعلم و علمه أتم .



الباب الثاني
مشتمل على خاصتين

من بدائع خصائص الاسم "الله" الشريف تخفيفهم له في القَسَم عند اتصاله بكلمة "إنّ" فيقولون : "لِهِنّك" بدل "والله إنّك" . و أيضًا روي تخفيفه بدون اتصاله بكلمة "إنّ" نحو : " لَهِ ربي لا أقول ذلك" بقصر لام "له" و كسر الهاء .

إن قلت : ما تفصيل هذا التخفيف المشار إليه ههنا ؟

قلتُ : تفصيل هذا التخفيف أنّ ههنا خاصّتين . لأنّ حذف ألف "الله" خاصة و حذف همزة "إنك" بعد الجلالة خاصة أخرٰى . فهما خاصتان . هذا على مسلك الفراء . و فيه ثلاثة مذاهب كما سيأتي بيانها .

و في سيرة ابن هشام ج١ ص٢٨ : إنه لمّا مات تبع مَلَكَ اليمنَ بعدَه ابنُه حسّان . ثم قتله أخوه عمرو . فقال رجل من حمير :

لاهِ عينا الذي رأى مثل حسـ ـ ـ ـ ـان قتيلاً في سالف الأحقاب

قال العَلاّمة السهيلي رَحِمَهُ اللهُ في شرحه للسيرة روض الأنف ، ما حاصله : قوله "لاه" أراد "لِلّه". ثم حذف لام الجرّ واللام الأخرى مع ألف الوصل و هذا حذف كثير . و إنما جاز في هذا الاسم خاصةً لكثرة دوره على الألسنة . و مثل ذلك قول الفراء :

لهنّك من برق عليّ كريم

ع

أراد "والله إنّك" . و قال بعضهم : أراد "لإنك" (بفتح اللام الموكّدة ثم إنّ المكسورة الهمزة) . فأُبدل الهمزة هاء . وهذا أي القول الأخير بعيد . لأن لام التاكيد لا تجتمع مع "إنّ" المشدّدة إلّا أن تؤخّر اللام إلى الخبر . لأنهما حرفان مؤكدان . و ليس انقلاب الهمزة هاءً بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما . انتهى كلامه بتصرّف .

هذه العبارة للسهيلي رحمه الله تعالى تدلّ صريحًا على أن العلامة السهيلي رحمه الله تعالى اختار مذهب الفراء رحمه الله تعالى ، وهو أن أصله "والله إنك" دون مذهب سيبويه ، و هو أن أصله "لأنك" . حيث ردّ على سيبويه و قدح فيه .

قال الرضي رحمه الله تعالى في شرح الكافية ج٢ ص٣٠٠ في بحث الحروف المشبهة بالفعل : و اعلم : أن بعض العرب يقول : لهنّك لرجل صدق . قال :

ع لَهَنَّا لمقضيٌّ علينا التهاجر

و قال آخر :

ع لهنّي لأشقى الناس إن كنت غارمًا

و قد يحذف اللام و هو قليل . قال :

ألا يا سنا برق على قلل الحمٰى لَهَنَّكَ من برقٍ عليّ كريم

ثم قال الإمام الرضي : و فيه ثلاثة مذاهب :

أحدها لسيبويه : وهو أن الهاء بدل من همزة "أن" كما يقال "هِياك" في "إياك" و "هَرقت" في "أرقت" . فلما غيرت صورة "إن" بقلب همزتها هاء جاز مجامعة اللام إياها بعد الامتناع .

و المذهب الثاني للفراء : و هو أن أصله "والله إنّك" كما روي عن أبي أدهم الكلابي : " لَهِ ربي لا أقول ذلك" بقصر اللام . ثم حذف حرف الجر أي الواو كما يقال : "اللهِ لأفعلنّ" . و حذفت لام التعريف أيضًا كما يقال : "لاهِ أبوك" بمعنى لِلّٰه أبوك . ثم حذفت ألف "فعال" من الجلالة كما تحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال : "الحصاد و الحصد" . قال الشاعر :

ألا لا بارك اللَّهُ في سهيـل إذا ما بارك الله في الرجال

بقصر لفظ "الله" في المصراع الأوّل . ثم حذفت همزة "إنّك" . و فيما قال الفرّاء تكلفات كثيرة .

و المذهب الثالث : و هو ما حكى المفضل بن سلمة رحمه الله تعالى عن بعضهم أن أصله "لِلّٰه إنك" واللام للقسم . فعل به ما علم من مذهب الفراء . و قول الفراء أقرب من هذا لأنه يقال : "لهنك لقائم" بلا تعجب . انتهى كلام الرضي .

فترى في هذا الكلام أنّ الرضي اختار مذهب سيبويه حيث نسب مذهب الفراء إلى التكلفات و قد عرفت قبيل هذا أنّ العلامة السهيلي اختار قول الفراء .

إيضاح المقام بحيث ينشرح به المرام أن في أصل "لَهَنّك" أقوالًا أربعة :

القول الأول : ما يدل عليه كلام الإمام ابن الأنباري رحمه الله تعالى في كتاب الإنصاف ج١ ص٢٠٩ : أن أصله عند الكوفيين "إنك" فزيدت على "إن" المشدَّدة اللام والهاء فصار "له إنّك" ثم حذفت الهمزة وكسرت الهاء فصار "لهنك" . ذكر ابن الأنباري ذلك في البحث على دخول اللام في خبر "لكن" حيث قال : ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز دخول اللام في خبر "لكنّ" كما يجوز دخولها في خبر "إنّ" خلافًا للبصريين . و احتج الكوفيون بالقياس فإن أصل "لكن" عندهم " أن " زيدت عليها "لا" و"الكاف" فصارتا جميعًا حرفًا واحدًا كما زيدت عليها اللام و الهاء في قول الشاعر :

لَهَنّك مِن عبسيّة لوَسِيمةٌ على هَنَواتٍ كاذبٍ مَن يقولُها

فزاد اللام و الهاء على " أن " .

فكذلك ههنا زاد عليها "لا" و "الكاف" و حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارتا حرفًا واحدًا . كما قالوا : "لن" و أصلها "لا أن" فحذفوا الألف و الهمزة لكثرة الاستعمال فصارتا حرفًا واحدًا . انتهى بتصرف .

ثم إن بيت "لهنك من عبسية الخ" أنشده ابن منظور ثاني بيتين . و نسب روايتهما إلى الكسائي . ولم يعزهما إلى قائل معين . و البيت السابق عليه قوله :

وبي مِن تباريح الصبابةِ لوعةٌ قتيلة أشواقي و شوقي قتيلها

و أنشد بيتًا آخر يشترك مع بيت الشاهد في صدره ولم يعزه إلى معين أيضًا . وهو بتمامه هكذا :

لِهَنّك مِن عبسيّةٍ لَوسيمةٌ على كاذب من وعدها ضوء صَادق

و الاستشهاد في قوله : لَهَنك .

القول الثاني : أن أصله "لإنك" بلام توكيد مفتوحة بعدها "إنّ" المكسورة المشددة النون . والأصل أن لام التوكيد لا تدخل على "إنّ" بل تدخل على خبرها نحو : إن زيدًا لمنطلق . أو على اسمها بشرط تأخره عن الخبر كما في قوله تعالى : وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً . أو على ضمير الفصل الواقع بين اسمها و خبرها نحو قوله تعالى : إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ . لكن لما أبدل الهمزة من "إن" هاء توهّم أنها كلمة أخرى غير "إن" . و اللام في "لوسيمة" زائدة .

و هذا معنى قول الجوهري : و قولهم "لِهنك" بفتح اللام و كسر الهاء فكلمة تستعمل عند التوكيد . و أصله "لإنك" فأبدلت الهمزة هاء كما قالوا في "إيّاك" "هِيّاك" .

و إنما جاز أن يجمع بين "اللام" و "إن"، و كلاهما للتوكيد ، لأنه لما أبدلت الهمزة هاء زال لفظ "إن" فصار كأنه شيء آخر . انتهى بحروفه . و هذا المذهب ينسب إلى سيبويه .

القول الثالث : ذهب جماعة من النحاة إلى أن أصل "لهنك" "لاهِ إنك" أي "والله إنك" على نحو ما جاء في قول ذي الأصبع العدواني :

لاهِ ابن عمّك لا أفضلتَ في حسب عنّي و لا أنت ديّاني فتخزوني

أي "لِلّٰه ابن عمك" ثم حذفت الألف و الهمزة من "إن" فصار "لهنك". و هذا مذهب ينسب إلى الكسائي كما في حواشي الإنصاف المسماة بالانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محي الدين .

و فيها أيضًا أن أبا علي الفارسي كان يرجّحه . قال ابن جني تلميذ الفارسي : و فيه تعسف . قال الجوهري : و أنشد الكسائي :

لِهنّك من عبسيّة لوسيمة

و قال : أراد "لِلّٰه إنك من عبسية" فحذفت اللام الأولى يريد لام الجر و الألف من "إنّك". انتهى .

القول الرابع : أن أصله "والله إنك" فحذفت الواو و إحدى اللامين من "والله" وحذفت الهمزة من "إن" و هو رأي الفراء .

قال الإمام كمال الدين أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧ﻫ مؤيدًا لمذهب البصريين و رادًّا للقول الأول المذكور من قبل الذي هو قول الكوفيين : قولهم " كما زيدت اللام والهاء" في قوله :

ع لِهِنّك من عبسيّة لوسيمة

قلنا : لانسلم أن الهاء في قوله "لِهنك" زائدة . وإنما هي مبدلة من ألف"إنّ" فإن الهاء تبدل من الهمزة في مواضع كثيرة مثل "هرقت الماء" في "أرقت الماء". و لهذا المعنى جاز أن يجمع بين اللام و بينها لتغير صورتها . و قد حكي عن أصحابكم فيه وجهان :

أحدهما قول الفراء : و هو أن أصله "والله إنك لوسيمة" فحذفت الهمزة من "إن" و الواو من "والله" و إحدى اللامين . فبقي "لهنك" .

و الوجه الثاني : و هو قول المفضل بن سلمة : إن أصله "لِلّٰه إنكِ لوسيمة" فحذفت لامان من "لِلّٰه" والهمزة من "إن" فبقي "لهنك" فسقط الاحتجاج به على كلا المذهبين . انتهى باختصار .

قال العبد الضعيف البازي : هذا اللفظ أي "لهنك" وكذا "لهني" قد ورد كثيرًا في شعر العرب المحتج بهم ، من ذلك ما ذكره ابن يعيش في شرح المفصل ص١١٢٠ و الشيخ الرضي :

ألا يا سنا برقٍ على قلل الحمٰى لهنك مِن برق عليّ وسيم

و قال تليد الضبي وكان أحد اللصوص على عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

لَهَنّي لأشقى النّاس إن كنت غارمًا قلائص بين الجلهتين ترود

و قال خداش بن زهير العامري رضي الله عنه وهو صحابي شهد حنينًا مع النبي صلى الله عليه وسلم :

لِهِنِّي لأشقى الناس إن كنت غارمًا لعاقبة قتلي خزيمة و الخضر

و قال الشاعر :

وقالت ألا هل تقصم الحب موهنا من الليل إن الكاشحين حُضور

فقلت لها ما تطعميني أقتلد لَهِنّ الذي كلفتني ليسير

و قال الآخر :

ثمانين حولًا لا أرٰى منك راحةً لَهِنّك في الدنيا لباقية العمر

و أنشد أبوزيد :

أبائنة حبي ؟ نعم و تماضر لَهِنّا لمقضيٌّ علينا التهاجر

هذا . والله حسبي نعم المولىٰ و نعم الوكيل و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الثالث

من خصائص اسم "الله" الشريف أنه أعرف المعارف بإجماع الأدباء و النحاة و سائر العلماء . كيف لا ومسمّاه أعرف المعارف . له في كل شيء آيات بينات ، و علامات باهرات ، وحجج واضحات نيّرات ، تدل على وجوب وجوده و علو جبروته . ولذا سمى الله ذاته باسم الظاهر . ولله درّ أبي نواس حيث يقول :

تأمّلْ في نبات الأرض و انظر	إلى آثار ما صَنَع المليك
عيونٌ من لُجينٍ شاخصات	و أزهار كما الذهب السّبيك
على قُضُب الزبرجد شاهدات	بأنّ الله ليس لهُ شَرِيك

تحقيق المقام بتوفيق الملك المنعام أنّ المعارف المعروفة المتداولة عند الجمهور سبعة كما سيأتي بيانها . سابعها المناذى المنكّر نحو "يا رجلُ" لمعيَّن . بناءً على أن تعريفه بالقصد لا بحرف تعريف منويّ . صرح به ابن هشام و غيره .

و عند ابن كيسان المعارف ثمانية بل تسعة . ثامنها و تاسعها "مَن" و "ما" الاستفهاميتان . و استدل بتعريف جوابهما نحو : من عندك ؟ فيقال : زيد . و ما دعاك إلى كذا ؟ فيقال : لقاؤك . و الجواب يطابق السؤال . و الجمهور على أنهما نكرتان .

ثم اختلفوا في ترتيب تلك المعارف بعد الإطباق بأعرفية الجلالة على الإطلاق . فرتّبها ابن مالك في كافيته بقوله :

فمضمرًا أعرفها ثم العَلَم فذو إشارة فموصول متم

فذو أداةٍ فمنادًى عينا فذو إضافة بها تبيّنا

و في التسهيل : و أعرفها ضمير المتكلم . ثم ضمير المخاطب . ثم العَلَم . ثم ضمير الغائب السالم عن إبهام ، يعني بأن يتقدمه اسم واحد معرفة أو نكرة . ثم المشار به والمنادى ، يعني أنهما في مرتبة واحدة لأن التعريف فيهما بالقصد عنده . ثم الموصول و ذو الأداة ، يعني أنهما في مرتبة واحدة لأن تعريفهما بالعهد .

و في بعض نسخه : ثم ذوالأداة . والمضاف بحسب المضاف إليه . والصحيح ما نسب إلى سيبويه أن المضاف في رتبة المضاف إليه إلاّ المضاف إلى المضمر فإنه في رتبة العَلَم .

و **ذهب** المبرد إلى أن المضاف دون المضاف إليه مطلقا . فتحصل ثلاثة أقوال . انتهى مع زيادة من التصريح .

و في الخضري ج١ ص٥٧ : و اعلم : أن الجلالة أعرف المعارف إجماعًا ثم الضمير . و المراد من العَلَم العَلَم الشخصي كما في التسهيل . أمّا العَلَم الجنسي فالظاهر أنه دون الجميع . انتهى كلامه .

و في حواشي يس على التصريح ج١ ص٩٥ : قوله "ثم العلَم" قال الزرقاني : ظاهره سواء كان خاصا أو عرض له اشتراك . و في كلام الرضي نقلاً عن ابن مالك التقييد بالخاص . و فسره بقوله : أي الذي لم يتفق له مشارك . و الظاهر ما هنا . انظر في باب النعت . انتهى .

و في الرضي على الكافية ج٢ ص٢٧٧ : و مذهب الكوفيين أن الأعرف العَلَم . ثم المضمر . ثم المبهم . ثم ذو اللام . و لعلهم نظروا إلى أن العلَم حين وضع لم يقصد به إلاّ مدلول واحد معين بحيث لا يشاركه في اسمه ما يماثله . و إن اتفق مشاركة فبوضعٍ ثانٍ . بخلاف سائر المعارف . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : تحرير الكلام بحيث ينكشف به الغطاء عن المرام و يروي أوام الأنام و يطمئنّ به قلوب الأعلام أن في ترتيب المعارف أقوالاً عديدة :

القول الأول مذهب الجمهور و سيبويه : و هو أن أعرفها المضمرات . ثم الأعلام . ثم اسم الإشارة . ثم المعرف باللام و الموصولات فهما في مرتبة واحدة . و المضاف إلى أحد الأربعة مثل المضاف

إليه إلّا المضاف إلى المضمر فإنه في رتبة العَلَم . كذا قيل .

و في الإنصاف في مسائل الخلاف للإمام ابن الأنباري ج٢ ص٧٠٨ : واختلفوا في مراتب المعارف فذهب سيبويه إلى أن أعرف المعارف الاسم المضمر ، لأنه لا يضمر إلّا وقد عرف . و لهذا لايفتقر إلى أن يوصف كغيره من المعارف . ثم الاسم العَلَم ، لأن الأصل فيه أن يوضع على شيء لا يقع على غيره من أمّته ، أي من نوعه . ثم الاسم المبهم ، لأنه يعرف بالعين و بالقلب . ثم ما عرف باللام ، لأنه يعرف بالقلب فقط . ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف ، لأن تعريفه من غيره وتعريفه على قدر ما يضاف إليه . انتهى كلامه .

و القول الثاني مذهب المبرد : وهو أن تعريف المضاف أنقص من تعريف المضاف إليه ، لأنه يكتسي منه .

و القول الثالث مذهب الكوفيين : و هو أن الأعرف العَلَم . ثم المضمر . ثم المبهم . ثم ذواللام . و نسب إلى سيبويه . و اختاره أبوحيان .

وفي الإنصاف : ذهب أبوسعيد السيرافي إلى أن أعرفها الاسم العَلَم . ثم المضمر . ثم المبهم . ثم ما عرف باللام . ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف .

و القول الرابع مذهب ابن كيسان من الأئمة : و هو أن الأول المضمر . ثم العَلَم . ثم اسم الإشارة . ثم ذواللام . ثم الموصول .

و القول الخامس : أن المضاف دون المضاف إليه إلّا المضاف لذي "أل" و باقي الترتيب مثل ترتيب الجمهور . نقل هذا القول صاحب الإفصاح كما في حواشي يٰس رَحِمَهُ اللهُ على التصريح .

و القول السادس و السابع ما اختاره ابن مالك في التسهيل : أن أعرفها ضمير المتكلم . ثم ضمير المخاطب . ثم العلَم . ثم ضمير الغائب السالم عن إبهام . ثم المشار به والمنادٰى ، فهما في مرتبة . ثم ذواللام و الموصول ، فهما في مرتبة . و في بعض النسخ : ثم الموصول . ثم ذوالأداة . فهما قولان .

و القول الثامن مذهب ابن السراج ، و في حواشي التصريح للشيخ يٰس : أنه مذهب الكوفيين : و هو أن أعرفها اسم الإشارة . ثم المضمر . ثم العَلَم . ثم ذواللام . ثم الموصول .

وفي الإنصاف لابن الأنباري ج٢ ص٧٠٨ : ذهب أبوبكر بن السراج إلى أن أعرف المعارف الاسم المبهم ، أي اسم الإشارة . ثم المضمر . ثم العَلَم . ثم ما فيه الألف واللام . ثم ما أضيف إلى أحد هذه المعارف . انتهى .

و أيضًا قال ابن الأنباري : ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المبهم نحو "هـذا" و "ذاك" أعرف من الاسم العَلَم نحو "زيد". وذهب البصريون إلى أن الاسم العَلَم أعرف من المبهم .

و احتجّ الكوفيون بأن الاسم المبهم يعرف بشيئين بالعين و بالقلب . وأما الاسم العلَم فلا يعرف إلّا بالقلب وحده . و ما عرف بشيئين ينبغي أن يكون أعرف مما يعرف بشيء واحد .

قال الكوفيّون : والذي يدل على صحة ذلك أن الاسم العَلَم يقبل التنكير . ألا ترى أنك تقول : مررت بزيد الظريف و زيد آخر . و مررت بعمرو العاقل و عمرو آخر . و كذلك إذا ثنّيت الاسم العلَم أو جمعتَه نكّرته نحو : زيدان و الزيدان . و عمران و العمران . و زيدون و الزيدون . و عمرون و العمرون . فتدخل عليه الألف واللام في التثنية و الجمع . و لا تدخلان إلّا على النكرة فهو يقبل التنكير .

بخلاف الاسم المبهم فإنه لايقبل التنكير . لأنك لا تصفه بنكرة في حال من الأحوال . ولا تنكّره في التثنية و الجمع . فلا تدخل عليه الألف و اللام فلا تقول : الهاذان .

و ما لا يقبل التنكير أعرف مما يقبل التنكير . فتنزل منزلة المضمر . و كما أن المضمر أعرف من الاسم العلَم فكذلك المبهم .

و أمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إن الاسم العَلَم أعرف من المبهم ، لأن الأصل في الاسم العَلَم أن يوضع لشيءٍ بعينه لا يقع على غيره من أمّته أي من نوعه . وإذا كان الأصل فيه أن لا يكون له مشارك أشبه ضمير المتكلم . و كما أن ضمير المتكلم أعرف من المبهم فكذلك ما أشبهه .

و الذي أذهب إليه ما ذهب إليه الكوفيون .

و أمّا الجواب عن كلمات البصريين فأما قولهم : إن الأصل في الاسم العلَم أن يوضع لشيءٍ بعينه لا يقع على غيره . قلنا : و كذلك الأصل في جميع المعارف . ولهذا يقال : حدّ المعرفة ما خص الواحد من الجنس . و هذا يشتمل على جميع المعارف لا على الاسم العلَم دون غيره .

على أنا نسلّم أن الأصل في الاسم العلَم ما ذكرتموه . إلاّ أنه قد حصل فيه الاشتراك و زال عن أصل وضعه . و لهذا افتقر إلى الوصف . و لو كان باقيا على الأصل لما افتقر إلى الوصف . إذ الأصل في المعارف أن لا توصف . لأن الأصل فيها أن يقع لشيء بعينه .

فلما جاز فيه الوصف دل على زوال الأصل . فلا يجوز أن يحمل على المضمر الذي لايزول عن الأصل . ولا يفتقر إلى الوصف في أنه أعرف من المبهم . انتهى ما في الإنصاف .

و القول التاسع ما نقله الرضي عن ابن مالك : أن أعرفها ضمير المتكلم . ثم العلَم الخاص ، أي الذي لم يتفق له مشارك وضمير المخاطب جعلهما في درجة . ثم ضمير الغائب السالم من إبهام ، أي الذي لا يشتبه مفسره . ثم المشار به والمنادٰى . ثم الموصول و الأداة و المضاف بحسب المضاف إليه .

و القول العاشر : أن أعرف المعارف ذو "أل" عند البعض . كما في كتاب جمع الجوامع وشرحه .

و القول الحادي عشر ما قيل : إن الضمير العائد إلى النكرة نكرة . فيجب تقييد الضمير بما يوافق هذا القول . و عند الجمهور هو كسائر الضمائر .

و القول الثاني عشر ما قيل : إنّ الضمير إن كان عائدا على واجب التنكير فهو نكرة كالحال و التمييز ، بخلاف غيره كالفاعل .

و القول الثالث عشر ما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله : و هو عدم تفاوت المعارف و أنها كلها متساوية الأقدام ، لأن المعرفة لا تتفاضل . إذ لا يصح أن يقال : عرفت هذا أكثر من هذا . هذا . و الله أعلم بالصواب .

فائدة شريفَة

إن قلت : ما ثمرة هذا الاختلاف ؟

قلت : ثمرة ذلك يبدو في التوصيف . فالموصوف عند الجمهور يجب أن يكون أعرف أو مساويًا للصفة . فما هو أعرف يوصف بالأدنى لا بالعكس .

و لذا يوصف لفظ الجلالة بالمعارف و لا يوصف به . و إلّا يلزم كون الصفة أعرفَ و أعلى .

فائدة ثانية

و من ثم لا يقال في الجلالة عند النداء "يا أيّها الله" كما هو مقتضى ما هو معرف باللام عند النداء حيث يقال "يا أيها الرجل" لأن الرجل صفة "أيّها" و لفظ الجَلالة لا يوصف به . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أكمل .

الله اكبر

الباب الرابع
محتوٍ على أربع خصائص

من غرائب خواص اسم "الله"العظيم قول العرب : "لَهْيَ أبوك" في "لِلّٰه أبوك" . فأصل "لَهْيَ" جار و مجرور . و حكمه حكم الظروف المبنية عندهم . حذفت اللامان منه . فبقي "لاهِ" ثم قلبت اللام إلى العين فصار "لَهْيَ أبوك" .

و لم يتأتّ مثل هذا القلب فيما سواه من أسماء الله الحسنى . وأما فيما عدا أسماء الله تعالى فموجود . و هذه إحدٰى خواصه .

ثم بني لَهْيَ على الفتح . و هذه خاصة ثانية حيث لم يبن اسم من أسماء الله غيره .

ثم قد يحذف الياء من "لَهْيَ" فيقال : "لَهْ أبوك" . و هذه خاصة ثالثة .

قال الإمام ابن الشجري في أماليه ج٢ ص١٥ : قال سيبويه : و يجوز أن يكون أصل لفظ "الله" "لاه" و أصل "لاه" "لَيَه" على وزن فَعَل . ثم أدخل عليه الألف و اللام فقيل "الله" .

و استدل على هذا القول بقول بعض العرب : "لَهْيَ أبوك" يريدون "لاهِ أبوك" . قال : فتقديره على هذا القول "فَعَل" و الوزن وزن باب و دار .

و أقول : من قال "لَهْيَ أبوك" فهو مقلوب من "لاه" على هذا القول ، قدّمت لامه التي هي الهاء على عينه التي هي الياء . فوزنه فَلَع . فكأن أصله بعد تقديم لامه على عينه "لِلَهْيِ". فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف . وضمَّنوه معنى لام التعريف فبنوه كما ضمَّنوا معناها "أمس". فوجب بناؤه و حركوا الياء في

"لَهْيَ" لسكون الهاء قبلها . و اختاروا لها الفتحة لخفتها . انتهى كلام ابن الشجري بتصرف .

قال الرضي في بحث الظروف المبنية ج٢ ص١٠١ : و قريبٌ من الظروف المبنية قولهم "لهي أبوك" أي "لِلّٰه أبوك" لأن أصله جار و مجرور . و حكمه حكم الظروف عندهم . حذف لام الجر لكثرة الاستعمال و قدّر لام التعريف . فبقي "لاهِ أبوك" كما قال :

لاهِ ابنُ عمِّك لا أفضلتَ في حسب عنّي و لا أنت ديَّاني فتخـزوني

فبني لتضمّن الحرف . ثم قلب اللام إلى موضع العين . وسُكّن الهاء في "لَهْيَ" لوقوعها موقع الألف السّاكنة . و رجعت الألف إلى أصلها من الياء لسكون العين على ما هو أحد مذهبي سيبويه في "الله". و هو أنه من "لاه يليه" أي تسترّ . ففتح لخفة الفتحة على الياء دون الكسرة و الضمة . وقد يحذف الياء فيقال : "لَهْ أبوك" .

و إنما قلب لأن الكسر لم يبن في "لاه" لالتباسه بالجر الذي هو أصله . فأريد التنبيه على تضمّن الحرف بالبناء على حركة غير ملتبسة بالإعرابية . ولو قالوا "لاهَ" بالفتح بلا قلب لالتبست بالإعرابية في نحو "الله لأفعلن" بالنصب . انتهى كلامه بلفظه .

قلت : العمل بقلب لام"لاه" إلى موضع العين و بالعكس لغرض تحصيل البناء في "لهي" خاصّة رابعة . إذ مثل هذا القلب في الأسماء لقضاء وطر البناء غير مطّرد وغير معروف . كما لايخفى .

و في ألغاز الأشباه والنظائر للسيوطي رحمه الله ج٢ ص٢٧٢ : أخبِرْني عن الفرق بين "لَهْيَ أبوك" و "لَهْيَ أمّك" و بين "لَهِ ابنك" و "لَهْ أخوك" .

الجواب : لمّا كان اسم "الله" لا شيء أدور منه على الألسنة خفَّفوه ضروبًا من التخفيف فقالوا "لاهِ أبوك" بحذف اللامين . و قلبوا فقالوا "لهي أبوك" . و حذفوا من المقلوب فقالوا "لَهْ أبوك". وبُنيت لتضمن لام التعريف كأمس . و بني أحدهما (أي لَهْ أبوك) على السكون لأنه الأصل و لا مانع . والثاني (أي لاهِ أبوك) على الكسر لأنه الملجأ عندالتقاء الساكنين . والثالث (أي لهيَ أبوك) على الفتح لاستثقال الكسرة على ما هو من جنسها . انتهى بلفظه . هذا . والله أعلم بالصّواب و علمه أتمّ و أجلّ .

الباب الخامس
وهو مشتمل على ثلاث خصائص

من خصائص الجلالة جواز اجتماع الساكنين على غير حدّه عند دخول "إيْ" حرف الإيجاب عليها بعد حذف حرف القسم. فيقال: "إيْ الله" بإثبات الياء الساكنة و نصب الجلالة. فاجتمع ساكنان على غير حده وهو الياء و اللام. و لا يجوز مثل ذلك في مدخول "إيْ" في ما سوى الجلالة.

ثم اعلم: أنّه جاز في الياء حينئذ الفتح أيضًا. ولايجوز الكسر الذي هو الأصل في هذا الباب. و هذه خاصة ثانية لاسم "الله". إذ المتعين لتحريك الساكن عند اجتماع الساكنين الكسر إلاّ لداعٍ كما في "اخشوا الله" و نحو ذلك. و الداعي مفقود ههنا.

قال ابن هشام في المغني: و إذا قيل "إي والله" ثم أسقطت الواو جاز سكون الياء و فتحها وحذفها و على الأول فيلتقي ساكنان على غير حدّهما. انتهى.

و في حواشيه للشيخ محمد الأمير: قوله "وفتحها" و إن كان أصل التخلُّف من السكونين الكسر، لأنهم حافظوا على تفخيم اسم الجلالة كما في "الم الله". انتهى.

قال في الهمع و الجمع ج٢ ص٧١: "إي" بالكسر و السكون حرف للجواب كنعَم فتكون لتصديق الخبر و لإعلام المستخبر. وتفارق "نعَم" في أنها لا تقع إلاّ قبل القسم كقوله تعالى: "وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ".

قال ابن الحاجب رحمه الله تعالى: و لا تقع أيضًا إلاّ بعد الاستفهام. و إذا وليها حرف القسم نحو "إي

والله" فلايجوز فيها إلاّ إثبات الياء . فإن حذفت الواو و وليها لفظ "الله" جاز فيها سكون الياء . وحينئذ فيلتقي ساكنان على غير حدّهما . وهو المستثنى من قاعدة المنع . وجاز أيضًا فتحها وحذفها . انتهى بتصرف .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٣٢٣ : ولا يستعمل بعد "إي" فعل القسم فلا يقال : إي أقسمت بربي . ولا يكون المقسم به بعـدها إلاّ "الربّ" و "الله" و "لَعمري" تقول : "إي والله" و "إي الله" بحذف حرف القسم و نصب "الله". و "إي ها الله ذا" و "إي و ربي" و "إي لَعمري" .

و إذا جاء بعد "إي" لفظ "الله" فإن كانت مع "ها" نحو "إي ها الله ذا" فقَد مر الوجوه الجائزة فيه في باب القسم . و يجب جر "الله" إذن ، لِنيابة حرف التنبيه عن الجار .

و إن تجردت عن "ها" فالله منصوب بفعل القسم المقدر . و في ياءِ "إي" ثلاثة أوجهٍ : حذفها للساكنين ، وفتحها تبيينًا لحرف الإيجاب ، و إبقاؤها ساكنة . و الجمع بين ساكنين مبالغةً في المحافظة على حرف الإيجاب بصون آخرها عن التحريك و الحذف و إن كان يلزم ساكنان على غير حـدّه ، لأنهما في كلمتين إجراءً لهما مجرى كلمة واحدة نحو "الضالّين" و " تمودّ الثوب " كما في "ها الله". و هذا أيضًا من خصائص لفظة "الله". انتهى كلامه .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : إن كلمة "إي" يلزمها القسم ، و لا يكون المقسم به بعدها إلاّ اسم "الله". و هذه خاصية ثالثة . ولا يشاركه في ذلك إلاّ لفظان : أحدهما "الربّ" والثاني "لعمري" كما صرح به الرضي في كلامه المذكور. لكن استعمالها مع " الربّ " قليل و مع "لعمري" أقل ، و القليل كالمعدوم .

فصل

قد سنح لك أن اجتماع الساكنين على غير حدّه في "إي الله" على وجه وتحريك أحدهما وهو الياء بالفتح على وجه آخر من خصائص اسم "الله". وهذا المبحث لايتمّ إلاّ أن يفصّل مسائل تتعلق باجتماع الساكنين . فأقول و بالله التوفيق :

المسألة الأولىٰ

اعلم : أنّ معرفة أقسام اجتماع السّاكنين والاطّلاع على تفاصيل أحكامه منعًا و جوازًا من أهمّ المباحث النحويّة . و فهم خصائص اسم "الله" المذكورة في هذا الباب موقوف عليها . فالأحرىٰ أن نورد هٰهنا ملخّص ذلك . فأقول و بالله التوفيق :

قال في الهمع ج٢ ص١٩٩ : لا يخلو التقاء الساكنين من حذف أحدهما أو تحريكه . و هو الأصل ، لأنه أقل إخلالاً . و أصل التخفيف أن يكون في الساكن المتأخر .

و قال قوم : الأصل تحريك الساكن الأول . لأن به التوصل إلى النطق بالثاني فهو كهمزة الوصل .

و قال قوم : الأصل تحريك ما هو طرف الكلمة أول الساكنين كان أو ثانيهما ، لأن الأواخر مواضع التغيير . ولذلك كان الإعراب آخرًا . و يلتقيان في الوقف مطلقا سواء كان الأول حرف علة أم لا . نحو : يعلمون و صرن . ولايلتقيان في الوصل إلّا و أولهما حرف لين و ثانيهما مدغم متصل نحو : دابّة . بخلاف المنفصل فيحذف الأول و ربما ثبت و ربما فر من التقائهما في المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف . قرئ : فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَنْ ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَّلَا جَآنٌّ . وَلَا ٱلضَّآلِّينَ . وقال الشاعر :

وللأرض أما سُودها فتجّلت بياضًا و أمّا بِيضها فادهأمّت

قال أبوحيان : و لا ينقاس شيء من ذلك إلّا في ضرورة الشعر على كثرة ما جاء منه . فإن لم يكن الثاني مدغما حذف الأول إن كان حرف مد أو نون توكيد خفيفة أو نون "لدن" كقولك : رأيته لدى الصباح أي لدن . و شذّ إثبات الألف في قولهم : التقت حلقتا البطان . و قولهم : ها الله و إي الله . بإثبات الألف و الياء . انتهى .

قال نجم الأئمة الشيخ الرضي في شرح الشافية ص١٦٩ : لا يمكن التقاء الساكنَين إلّا إذا كان أوّلهما حرف لين لكن مع ثقل ما . و إنما أمكن ذلك مع حروف العلة لأن هـذه الحروف هي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض . و ذلك أنك تأخذ أبعاضها أعني الحركات فتنظم بها بين الحروف . ولولاها لم تتّسق .

فإذا كانت أبعاض حروف العلّة هي الروابط و كانت إحداها و هي ساكنة قبل ساكن آخر مددتها و مكَّنت صوتك منها حتى تصير ذات أجزاء فتتوصل بجزئها الأخير إلى ربطها بالساكن الذي بعدها . و لذلك وجب المدّ التام في أول مثل هذين الساكنين .

و ثقل المدّ في حروف اللين إذا كانت حركة ما قبلها من غير جنسها نحو قَول و بَيع . بخلاف ما إذا كان ما قبلها الحركات من جنسها نحو قُول و بِيع .

وذلك لأن في نحو "قُول" المضموم قافه تتهيّأ بعد النطق بالقاف للواو . وذلك لأن الضمة بعض الواو فيسهل عليك المجيء بعد الضمة بالواو كاملة ، لأنه لم يخالطها إذن نوع آخر من المد . كما خالطها في نحو "قَول" المفتوح قافه . فإنك إذن تهيّأت فيه بعد القاف للمدّ الألفي أي الفتحة ثم انتقلت في الحال إلى المد الواوي شائبًا شيئًا من المد الأول بالمد الثاني و ميل كل واحد من المدَّين إلى جانب غير جانب الآخر . فلاجرم لم تتمكن من إشباع المد الواوي تمام التمكُّن .

فاذا تقرر هذا فاعلم : أن أول مثل هذين الساكنين (أي الساكنين مطلقا سواء كانا على حدّهما أو على غير حدّهما) إذا كان ألفًا فالأمر أخفّ لكثرة المد الذي في الألف إذ هو مدّ فقط . فلذلك كان نحو مادّ و سادّ أكثر من نحو تمودّ الثوب . ثم بعد ذلك إذا كان أولهما واوًا أو ياء ما قبلهما من الحركات من جنسهما .

و الدرجة الأخيرة أن يكون أول الساكنين واوًا أو ياء قبلها فتحة . لقلة المدّ الذي في مثل ذلك . ولم يأت مثل ذلك إلاّ في المصغّر نحو خويصّة . فلا تقول في الأفعل من اليلل و الودّ أيْلّ و أوْدّ بحذف حركة اللام الأولى والدال الأولى كما في أصَيّم. بل تنقل حركة أول الساكنين عند قصد الإدغام إلى الواو والياء نحو "أيَلّ" و "أوَدّ" لقلة المدّ الذي فيهما كما فعلت في نحو أشدّ و أمرّ.

و إنما اختص ياء التصغير بعدم جواز نقل حركة ما بعدها إليها عند قصد الإدغام لوضعهم له ساكنا و لزومه للسكون . هذا .

و مع المد الذي في حروف اللين يشترط أن يكون المدغم و المدغم فيه معًا من كلمة حرف المدّ . و ذلك أنه إذا كان مدغمًا في متحرك فهو في حكم المتحرك . و ذلك لشدّة التصاقه به . فإن اللسان يرتفع

بالمدغم فيه ارتفاعةً واحدةً فيصيران كأنهما حرف واحد متحرك .

و إنما اشترطنا أن يكون المدغم من كلمة حرف المدّ احترازًا من نحو "خافا الله" فإنه يحذف المدّ من الساكنين . وذلك لأن في التقائهما مطلقًا . و إن حصل جميع الشرائط كلفةٌ مّا كما ذكرنا . فإذا كان أوّلهما في مكان يليق به الحذف و هو آخر الكلمة كان تخفيف الكلمة بحذفه أولى . و إنما حذف الأول دون الثاني لضعف الحرف الأول .

و اشترطنا كون المدغم فيه من كلمة حرف المد ، إذ لو لم يكن منها لكان الإدغام الذي هو شرط اغتفار اجتماع الساكنين بمعرض الزوال فلا يعتدّ به .

فلهذا لا تقول في النون المخففة في المثنى : إضربان نّعمان . بإدغام نون "إضربان" في نون "نعمان" . و جاز في "ها الله" في أحد الوجوه اجتماع الساكنين و إن لم يكن من كلمة حرف المد . لما مرّ في شرح الكافية (قلت : و قد نمقناه في باب "ها الله ذا" الآتي ذكره فراجعه) .

الشرط الثاني من الشرطين المعتبر واحد منهما في الساكن الثاني أن يكون موقوفًا عليه بالسكون أو يجري مجرى الموقوف عليه . و ذلك لأن الوقف لقصد الاستراحة . و مشارفة الراحة تهوّن عليك أمر الثقل الذي كنت فيه .

و الوقف على ضربين : إما أن يكون في نظر الواضع أو لا . فالأول في أسماء حروف الهجاء . و الثاني أن لا يكون الوقف بنظر الواضع بل يطرأ ذلك في حال الاستعمال في غير أسماء حروف الهجاء و الأصوات نحو المؤمنون . و كذا الأسماء المعدودة نحو : زيد ، ثمود ، سعيد . انتهى كلام الشيخ الرضي .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : محصول ما ذكرنا أنه لايشارك اسم "الله" في هذه الخاصية إلّا قولهم "ها الله ذا" و قد فصلناه في موضعه من هذا الكتاب .

و إلّا قولهم "حلقتا البطان" يقال في المثل "التقت حلقتا البطان" إذا تفاقم الشرّ . و ذلك لأنهما لا يلتقيان إلّا عند غاية هزال البعير أو فرط شدّ البطان . لأنّ البطان هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير . و فيه حلقتان . فإذا التقتا دلّ على نهاية الهزال . و مع هذا المعروف عن العرب حذف الألف من "حلقتا البطان" لالتقاء الساكنين . و أيضًا هو شاذّ و نادر .

و إلّا قولهم "له ثلثا المال" بإثبات الألف على ما رواه الثقات .

و بهما تمسك الكوفيون على جواز دخول نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين و فعل جماعة النسوة نحو : إفعلانْ و إفعلنانْ . و قالوا : إنّ التقاء الساكنين في الوصل جائز مطلقًا و إن كان التقاؤهما على غير حدّه . كما قد قرأ نافع رحمه الله : إِنَّ صَلَاتِيْ وَ نُسُكِيْ وَ مَحْيَايْ . بسكون الياء . و حكي عن العرب : التقت حلقتا البطان . و له ثلثا المال . بإثبات الألف فيهما .

و أنكر البصريون ذلك . وأجابوا عن القراءة بأنه نوي الوقف لحذف الفتح . وأجابوا عما حكوا عن العرب بأنه غير معروف . و المعروف عن العرب حذف الألف من "حلقتا البطان" و"ثلثا المال" وما أشبههما لالتقاء الساكنين . و إن صح ما حكيتموه عن أحد من العرب فهو من الشاذّ النادر الذي لا يقاس عليه ولا يعتدّ به لقلّته . كذا في كتاب الإنصاف ج٢ ص٦٦٦ .

المسألة الثانية

اختلفوا في أن الأصل عند التقاء الساكنين الكسر و عليه الجمهور أو لا . أقوال . و في ذلك تفصيل ذكروه في كتبهم و نذكر ههنا ملخص كلامهم .

قال السيوطي رحمه الله بعد ذكر جواز اجتماع الساكنين على حدّه : و إن كان غير ذلك حرّك أعني الأول نحو : اضربِ الرجل . إلّا أن يكون الساكن الثاني آخر كلمة فيحرَّك هو أي الثاني كأين و كيف و أمس و حيث و منذ .

و إذا كان الساكن الأول تنوينًا فالأصل فيه عند التقاء الساكنين الكسر نحو : مررت بزيدٍنِ الظريف . فإن كان بعد الساكن الثاني مضموم ضمًّا لازمًا فمن العرب من يضم التنوين اتباعًا نحو : هذا زيدُنُ اخرج إليه . و فيهم من يكسر . فإن كانت الضمة عارضة فليس إلّا الكسر نحو : زيدُنِ ابنك و زيدُنِ اسمك .

وقال الجرمي : حذف التنوين لالتقاء الساكنين مطلقًا لغةٌ . وعليها قرئ "أَحَدُ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ" بضم الدال بلا تنوين . و أصل ما حرِّك من الساكنين الكسر ، لأنها حركة لا توهم إعرابا . إذ لا يكون في كلمة ليس فيها تنوين ولا ما يعاقبه من "أل" و الإضافة . بخلاف الضم و الفتح فإنهما يكونان إعرابًا

ولا تنوين معهما .

قال صاحب البسيط : هذا قول النحويين قال : و يحتمل أن يقال : الفتح هو الأصـل ، لأن الفرار من الثقل . و الفتح أخفّ فكان أصلاً . أو يقال : الأصل في الالتقاء الحركة بل يقتضي التحريك خاصة . و تعين الحركة يكون لوجوه تخص .

و يعدل عن الكسرة . إمّا للتخفيف كأين و كيف . لأن الكسر مجانس للياء فثقل اجتماعهما و أشبه اجتماع مثلين و منه "الٓمٓ ٱللَّهُ" .

أو للجبركقبل و بعد ، لأنهما لما حذف ما أضيفا إليه و بنيا صار لهما بذلك وهنٌ فجبرا بأن بنيا على الضم لتخالف حركة بنائهما حركة إعرابهما .

أو للاتباع لحركة ما قبل كضمة ذال "منذ" لضمة الميم . أو لما بعد نحو "قُلُ ٱدۡعُوا۟" ضمت لام "قل" اتباعًا لحركة العين بعدها .

أو ردًّا إلى الأصل نحو : مذُ اليوم . بضم الذال .

أو تجنُّبًا للبس كأنتَ بالفتح لئلا يلتبس بخطاب المؤنث .

أو حملاً على نظير كضمة نون "نحن" حملاً على "هم" و "الواو" .

و الغالب في نون "مِن" الجارة أنها تفتح مع حرف التعريف وتكسر مع غيره نحو : "وَمِنَ ٱلنَّاسِ" و "مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمۡ" بفتح النون . و قلّ عكسه .

و الغـالب في الواو المفتوح ما قبلها الضم إن كانت للجمع نحو "اخشوُا الناس" و الكسر إن لم تكن للجمع نحو "لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا" و قد تفتح واو الجمع قرئ " ٱشۡتَرَوَا ٱلضَّلَٰلَةَ " بالفتح . هذا كلامه .

قال نجم الأئمّة الرضي في شرح الشافية ص١٦٨ : اعلم : أن الحرفين الساكنين إذا كان أوّلهما صحيحًا لا يمكن التقاؤهما إلاّ مع إتيانك بكسرة مختلسة غير مشبعة على الأول منهما فيحسب المستمع أن الساكنين التقيا . و يشاركه في هذا الوهم المتكلم أيضًا . فإذا تفطّن كل منهما علم أن على الأول منهما كسرة خفيفة نحو : بكر ، بشر ، بسر . حرّكت عين الثلاثة بكسرة خفيفة و إلاّ استحال أن تأتي بعـدها بالراء

الساكنة . و إنما تحسّ بذلك و تتفطنه بعد تثبُّتك و تأنفك فيما تتكلم به .

و إذا خلّيتَ نفسك وسجيتها وجدتَّ منها أنها لا تلتجئ في النطق بالساكن الثاني المستحيل مجيئه بعد الساكن الأول من بين الحركات إلّا إلى الكسرة و إن حصل لها هذا المقصود بالضمة والفتحة أيضا . وكذلك إذا فرضتَ أول كلمة تريد النطق بها ساكنًا . و ذلك مما لا يجيءُ في العربية في ابتداء الكلام إلّا مع همزة الوصل . و يوجد في الفارسية كقولهم "شتاب" و "ستان" (فإن أوّلهما ساكن بدليل بشتاب و بستان إلّا أنّهما يلفظان بكسرة مختلسة) . وجدتَّ من نفسك أنك تتوصل إلى النطق بذلك الساكن بهمزة مكسورة في غاية الخفاء حتى كأنها من جملة حديث النفس فلا يدركها السامع . ثم تجهر بالحرف الساكن في أول الكلمة .

فيتحقق لك أن إزالة كلفة النطق بالساكن بالكسرة سواء كان ذلك الساكن في أول الكلمة أو في آخرها أو في وسطها من طبيعة النفس و سجيتها إذا خلَّيتَهَا و شأنها .

فظهر لك أنهم لأيّ سبب كسروا همزة الوصل . و لِمَ اجتلبوها دون غيرها . ولِمَ كسروا أول الساكنين في نحو "اضربِ اضرب" و "لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ". انتهى كلامه .

و أيضًا قال الرضي في موضع آخر من شرح الشافية : وأمّا إذا كان أول الساكنين من غير حروف اللين ولا يكون إذن سكون ثانيهما إلّا للوقف في حال الاستعمال لا بنظر الواضع فلابد من تحريك الأول منهما بكسرة مختلسة خفيفة كما ذكرنا حتى يمكن النطق بالثاني ساكنًا نحو : عمرو و بكر و بشر .

و إنما جوّز هذا الشبيه بالتقاء الساكنين لما قلنا : إن الوقف لطلب استراحة فيحتمل معه أدنى ثقل .

و لمّا استحال اجتماعهما إلّا مع تحريك الأول و إن كان بحركة خفيفة اختار بعض العرب نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الأول على التحريك بالكسرة الخفيفة التي اقتضاها الطبع كما ذكرنا لفائدتين :

إحداهما دفع الضرورة من غير اجتلاب حركة أجنبية .

و الثانية إبقاء دليـل الإعراب . لكن فيما اختاره ضعفًا من جهـة دوران الإعراب على وسط الكلمة . فلذلك اجتنبه أكثر العرب . انتهى .

و أيضًا قال الشيخ الرضي فيه ص١٧٦ : و الأصل في تحريك الساكن الأول الكسر لما ذكرنا أنه من سجية النفس إذا لم تُستكرَه على حركة أخرى .

و قيل : إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذي نحن فيه و من همزة الوصل الكسر ، لأن السكون في الفعل أي الجزم أقيم مقام الكسر في الاسم أي الجر . فلمّا احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاصّ .

و قيـل : إنما كسر أول الساكنين وقت الاحتياج إلى تحريكه، لأنه لم يقع إلاّ في آخر الكلمـة . فاستحب أن يحرك بحركة لاتلتبس بالحركة الإعرابية . فكان الكسر أولى لأنه لايكون إعرابًا إلاّ مع التنوين بعده أو ما يقوم مقامها من "لام" وإضافة . فإذا لم يوجد بعده تنوين ولاقائم مقامها علم أنه ليس بإعراب .

و أمّا الضم و الفتح فقد يكونان إعرابا بلا تنوين و لا شيء قائم مقامها كما في "جاءني أحمد" و "رأيت أحمد" و "يضرب" و "لن يضرب". فلوحرّك بإحدى الحركتين لالتبست بالحركة الإعرابية . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أجلّ .



الباب السادس
وهو مشتمل على ستِّ خصائص

من بدائع خصائص هـذا الاسم المجيد دلالته على مسمّاه بعد إسقاط حرفٍ حرفٍ منه مثل دلالته على مسمّاه قبل الإسقاط . و هذا من بدائع اللطائف و لطائف البدائع .

قال الإمام الرازي رأس المتكلمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تفسيره الكبير ج١ ص٨٩ : اعلم : أن هذا الاسم أي اسم "الله" مختص بخواصّ لم توجد في سائر أسماء الله سبحانه و نحن نشير إليها .

فالخاصية الأولى أنك إذا حذفت الألف من قولك "الله" بقي الباقي على صورة "لله" و هو مختص به سبحانه كما في قوله : وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . هذه خاصّة واحدة .

و إن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة "له" كما في قوله تعالى : لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . و قوله : لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ . هذه خاصة ثانية .

فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هو قولنا "هو" و هو أيضًا يدل عليه سبحانه كما في قوله : قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . و قوله : هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ . و قوله : هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ . و الواو في كلمة "هو" زائدة بدليل سقوطها في التثنية و الجمع فإنك تقول : هما ، هم . فلا تبقى الواو فيهما . هذه خاصة ثالثة .

فهذه الخصائص الثلاث البديعة موجودة في لفظة "الله" غير موجودة في سائر الأسماء .

وكما حصلت هذه الخصائص بحسب اللفظ فقد حصلت أيضًا بحسب المعنى . فإنك إذا دعوتَ

الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة وما وصفته بالقهر . و إذا دعوتَه بالعليم فقد وصفته بالعلم وما وصفته بالقدرة . و أما إذا قلتَ "يا الله" فقد وصفته بجميع الصفات ، لأنّ الإلٓه لايكون إلٓهًا إلّا إذا كان موصوفًا بجميع هذه الصفات . فثبت أن قولنا "الله" قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء . انتهى كلام الرازي بأدنى تصرّف .

قد عرفت أن كلام الإمام الرازي هذا مشتمل على ثلاث خصائص . فتفكّر فيها فإنّها دقيقة بديعة .

ثم أقول : إن حذفتَ الألف واللام بقي "إلٰهٌ" وهو المعبود . فهو أيضًا دال على الله تعالى .

و إن حذفت ما عدا الألف و اللام بقي "أل" وهو الله تعالى في اللغة السريانية .

و إن حذفت اللامين بقيت البقية على صورة " أهو " و هو اسم الذات عند المحققين من الصوفية . والهمزة للنداء . و هذا القول أيضًا يطلق على الله تعالى مع زيادة . وهي إفادة النداء الدال على أنه تعالى قبلة الحاجات و قاضي المأمولات . فهذه ثلاث خصائص أخرٰى . و المجموع ستّ خصائص .

فدونك هذه البدائع و الأسرار الخفية . أفاد الثلاث الأخيرة بعض العلماء منهم الشيخ البوني المتوفى سنة ٦٢٢هـ حيث قال : و لاسم الجلالة تقسيم آخر . وهو إذا أتيتَ باسم الذات و رقّتَه فإنه ينطق باسم الألوهية . مثال ذلك لو حذفت اللام و جمعته نطق باسم "إلٓه" و إن حذفت اللامين نطق باسم " أه " .

و إذا أسقطتَّ اللام و الهاء نطق باسم عظيم سرياني و هو "أل" . و إذا أسقطنا الألف و اللامين نطق باسمه "هو" و هو اسم ناطق من اسم الذات و جامع إلى جميع الأسماء متعلقة به . و جميع الأسماء إذا فككتها لم تنطق بهذا المعنى إلّا هو إذا فككته نطق كما ذكرناه .

و سبب تسميته الجامع لأنه جامع للأسرار . فمن ذلك إذا قلت : يا رحمٰن يا رحيم يا أللّٰه ، أعني : وارحمني يا أللّٰه . و إذا قلت : يا غفار يا الله ، أعني : واغفرلي يا الله . و إذا كنت في ضيق فتقول : فرج عني يا الله . و كذلك نسبته في جميع الأسماء ما يلفظ الإنسان باسم من الأسماء إلّا وهو متعلق باسم الذات في جميع الأسماء و تعلقها منه بهذا المعنى . فافهم . انتهى .

و في لطائف المنن للشيخ تاج الدين في أحوال أبي العباس و الإمام الشاذلي رحمهما الله ص٢١٤ :
قال الشيخ أبوالعباس رحمه الله : جميع أسماء الله تعالى إذا أسقطت منه حرفًا ذهبتْ دلالته على الله تعالى كالعليم والقادر والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى إلاّ اسمه "الله" فإنك إذا أسقطت الألف بقي "لله" و إذا أسقطت اللام الأولى بقي "له" و إذا أسقطت اللام الثانية بقي "هو" و هو النهاية في الإشارة .
و أنشد البعض في حروف اسم "الله" الأربعة كتابةً :

أحرفٌ أربعٌ بها هام قلبي وتلاشت بها همومي وفكري
ألف ألف الخلائق بالصُّنــــــع ثم لام على الملامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني ثم هاء بها أهيم أتدرِي

هذا . و الله أعلم بالصواب و علمه أتم .

فصل
في تحقيق أصل ضمير "هو" و "هي"

اعلم : أن قولنا في الخاصية الثالثة في هذا الباب : إن الواو زائدة في كلمة "هو" مشير إلى أن أصل الاسم من ضمير "هو" هو الهاء وحدها . و هذا ينبني على مسلك الكوفيين . و فيه خلاف بين البصرية و الكوفية . فذهب الكوفيون إلى أن الاسم من "هو" الهاء وحدها .

و ذهب البصريون إلى أن الهاء و الواو من ضمير "هو" و الهاء و الياء من ضمير "هي" هما الاسم المضمر بمجموعهما .

أما الكوفيون فاحتجّوا بأن الواو و الياء تحذفان في التثنية نحو "هما" . و لو كانتا أصلا لما حذفتا . و تحذفان في حالة الإفراد أيضًا و تبقى الهاء وحدها كما قال العجير السلولي الجاهلي :

فَبَيْنَاه يَشري رَحلَه قال قائِلٌ لمن جَمَلٌ رِخوُ المِلاَطِ نَجيب

أراد "بينا هو". و قال الآخر :

إذاهُ سِيمَ الخسفَ آلىٰ بِقَسَم بالله لا يأخـذ إلّا ما احتَكَمَ

أراد "إذا هو". فعلم أن الواو و الياء زائدتان . فإن المعروف أن سقوط الحرف من الكلمة دليل على أنه زائد . و قال آخر :

هل تَعرِفُ الدار على تِبراكا دارٌ لسُعْدٰى إذهِ مِن هواكا

أراد "إذ هي" فحذفت الياء . فدل على أن الاسم هو الهاء وحدها . وإنما زادوا الواو والياء تكثيرًا للاسم كراهية أن يبقى الاسم على حرف واحد كما زادوا الواو في قولهم : ضربتُهو ، و أكرمتُهو . و إن كانت الهاء وحدها هي الاسم فكذلك ههنا .

و أجاب البصريون عن تمسك الكوفيين بالتثنية : أنّ "هما" ليس بتثنية على حد قولك في "زيد" زيدان و "عمرو" عَمران . و إنما كلمة "هما" صيغة مرتجلة للتثنية كأنتما . و إلّا قالوا في تثنية "هو" : هوان ، و في تثنية "أنت" : أنتان . و لجاز دخول اللام عليهما فيقال : الهوان و الأنتان كما يقال : الزيدان . كذا في الإنصاف لابن الأنباري ج٢ ص٦٨٠ .

و أجابوا عن تمسكهم بالأشعار المذكورة بأنها محمولة على الضرورة .

قال ابن يعيش في شرح المفصل ص٤١٧ : و ذهب الكوفيون إلى أن الاسم من "هي" الهاء وحدها . واحتجوا لذلك بحذف الياء في نحو قوله : "دار لسعدٰى إذهِ من هواكا" وليس في ذلك حجة لأهل الكوفة ، لأن ذلك من ضرورات الشعر .

و فيها أي في "هي" ثلاث لغات : "هيَ" بتخفيف الياء وفتحها . و "هِيَّ" بتشديد الياء مبالغة في تقوية الاسم . و لتصير على أبنية الظاهر . و"هِيْ" بالإسكان تخفيفًا . و ينبغي أن يكون الحذف في قوله "إذهِ من هواكا" على لغة من أسكن لضعفها . إذ المفتوحة قد قويت بالحركة . انتهى .

قال ابن منظور : قال الكسائي : لفظ "هو" أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل أنت فيقال : هُوَّ فعل كذا . أي بتشديد الواو مفتوحة . و قد ورد في قول الشاعر :

و إن لساني شهدة يشتفي بها و هُوَّ على مَن صبّه الله علقم

و من شواهد تشديد الياء من "هيّ" قول الشاعر :

والنفس ما أُمِرت بالعنف آبية و هِيّ إن أمرتْ باللطف تأتمر

قال : و من العرب من يخففه فيقول : هوْ فعل كذا . أي بإسكان الواو . قال اللحياني : و حكى الكسائي عن بني أسد و تميم و قيس "هوْ فعل كذا" بإسكان الواو . و أنشد لعبيد :

و ركضك لولا هُوْ لقيت الذي لقوا فأصبحت قد جاوزت قومًا أعاديا

قال الكسائي رحمه الله تعالى : و بعضهم يلقي الواو من "هو" إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول "حتّاه فعل ذلك" و "إنّماه فعل ذلك" . و أنشد أبوخالد الأسدي :

ع إذاه لم يؤذن له لم ينبس

و قال : و أنشدني خشاف : إذاه سيم الخسف ...... البيتين .

و قال ابن جني : إنما ذلك لضرورة الشعر و لتشبيه الضمير المنفصل بالضمير المتصل في عصاه و فتاه . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أوسع و أعلى .



الباب السابع
وهو مشتمل على ستِّ خصائص

من خصائص هذا الاسم الكريم كثرة الحذف فيه عند التعجب و بقاء أثر لام التعريف بعد حذفها و حذف العوض و المعوض عنه معًا .

فتقول "لاهِ أبوك" في "لِلّهِ أبوك" . ولا يجوز في مثل "للناس كذا" "ناسِ كذا". فحذفت اللام الجارة في "لِلّه" و أبقي عملها الجرّ في اسم "الله" فصار "للّهِ أبوك" بكسر "اللّهِ" . هذه خاصية واحدة سطرناها و شرحناها في باب آخر من هذا الكتاب .

ثم حذفت لام التعريف فأصبح "لاهِ أبوك" بكسر الهاء مع أن اللام عوض عن الهمزة على المذهب الأصح . إذ أصل "الله" "الإلّه". و حذفُ العوض و المعوض عنه معًا لا يسوغ . و إنّما ساغ هنا لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة . فهذه خاصية أخرى ثانية .

ثم قولنا "لاهِ" مجرور بلا تنوين فأبقي أثر اللام المحذوفة بنيّة لفظها . و هذه خاصية ثالثة .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص١٠١ في بحث الظروف : حذف لام الجرّ من قولنا "للّه أبوك" فبقي "لاهِ أبوك" كما قال :

لاهِ ابنُ عمّك لا أفضلتَ في حسب عنّي ولا أنت ديّاني فتَخزُوني

يقال : خزاه يخزوه . ساسه . انتهى مع زيادة عبارة بعض محشيه .

قال ابن الشجري في أماليه ج٢ ص١٣ : و من ذلك أعني حذف الهمزة فاءً حذف همزة "إلاه"

حذفوها تخفيفًا كما حذفوا همزة "أناس" و همزة "أب" في قولهم "يا با فلانٍ" فقالوا "لاهِ أبوك" يريدون "لِلّٰه" كما قال :

لاهِ ابنُ عمِّك لا أفضلتَ في حسب عنّي و لا أنت ديَّاني فتخزوني

معنى "تخزوني" تسوسني و تقهرني . و معنى "عنّي" ههنا بمعنى "عليّ" و "الديّان" ذو السياسة . "فلاهِ" في قوله "لاه ابن عمك" أصله "لِلّٰه" فحذفت لام الجر و أعملها محذوفة كما أعمل الباء محذوفة في قولهم "اللّٰهِ لأفعلنّ" . و تبعها في الحذف لام التعريف فبقي "لاهِ" بوزن "عالِ" .

ولا يجوز أن تكون اللام في قوله "لاه ابن عمك" لام الجر و فتحت لمجاورتها الألف كما زعم بعض النحويين ، لأنهم قالوا "لَهْي أبوك" بمعنى "لِلّٰه أبوك" ففتحوا اللام . ولا مانع لها من الكسر في "لهي" لو كانت الجارة .

وإنما يفتحون لام الجر مع المضمر في نحو "لك" و "لنا" وفتحوها في الاستغاثة إذا دخلتْ على اسم المستغاث به ، لأنه أشبه الضمير من حيث كان منادًى . و المنادٰى يحلّ محلّ الكاف في قولك "أدعوك" . انتهى كلام ابن الشجري رحمه الله تعالى .

و في سيرة ابن هشام ج١ ص٢٨ في ذكر تاريخ أهل اليمن : أن عمرًا أي ابن تبع ملك اليمن لما قتل أخاه حسّان و رجع بمن معه إلى اليمن فقال رجل من حمير :

لاهِ عينا الذي رأٰى مثل حسّا نَ قتيلاً في سالف الأحقاب
قتلته مقاول خشية الحبـــس غداة قالوا لباب لباب
ميتكم خيرنا و حيّكم ربّ علينا وكلكم أَرْباب

قال ابن إسحٰق : معنى قوله "لباب لباب" لا بأس لا بأس ، بلغة حمير . و يروى لياب لياب . انتهى .

قال العلامة السهيلي في شرح السيرة روض الأنف : وقوله في الأبيات بعد هذا "لاه عينا الذي رأى مثل حسان" أراد "لِلّٰه" . و حذف لام الجر واللام الأخرى مع الوصل . و هذا حذف كثير . ولكنه جاز في مثل هذا الاسم خاصةً لكثرة دوره على الألسنة . و مثل قول الفراء "لِهِنّك من برق عليّ كريم" أراد "واللّٰه إنك" .

و قال بعضهم : أراد "لأنك" أبدل الهمزة هاء . وهذا بعيد ، لأنّ اللام لاتجمع مع "أنّ" إلّا أن تؤخر اللام إلى الخبر ، لأنهما حرفان مؤكدان . و ليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما . و قوله : المقاول . يريد الأقيال . و هم الذين دون التبابعة واحدهم قَيْل . انتهى كلام السهيلي .

و قال ابن الشجري في أماليه ج٢ ص٢٦٨ : قال ذوالأصبع : لاه ابن عمك إلخ أي لم تفضل في حسب عليّ . ولا أنت ديّاني أي مالك أمري . و تخزوني أي تسوسني و تقهرني . و قوله "لاهِ" أراد "لِلّه" فحذف لام الجر و لام التعريف . قال الخليل : و كانت العرب تقول "لاهِ أنت" في معنى "لِلّه أنت" و كره ذلك في الإسلام . و أنشد :

لاهِ درّ الشباب و الشعر الأسـ-----ـود و الراتكات تحت الرحال

و أيضًا قال ابن الشجري في أماليه : فإن قيل : كيف يتصل الاسم بالاسم في قوله "لاه ابن عمك" بغير واسطة ؟ و إنما يتصل الاسم بالاسم بواسطة . و هي في نحو "لِلّه زيد" و "لأخيك ثوب" حرف اللام .

قيل : إن اللام أوصلت الاسم بالاسم و هي مقدّرة كما عملت الجر وهي مقدّرة و كما أوصلتِ الباء فعل القسم إلى المقسم به و هي محذوفة . فأصل هذا الاسم الذي هو "الله" تعالى مسماه "إلٓه" في أحد قولي سيبويه على وزن فِعال .

ثم "لاه" بوزن عال . ولما حذفوا فاءه عوضوا منها لام التعريف فصادفت وهي ساكنة اللامَ التي هي عين وهي متحركة فأدغمت فيها . و هذا مذهب الكسائي و قطرب و الأخفش .

و قال سيبويه : جاز أن يكون أصله "لاه" وأصل "لاه" "لَيَه" على وزن فَعَل بفتح الفاء والعين ثم أدخل عليه الألف و اللام فقيل "الله"فوزن "لاه" على هذا فَعَل مثل وزن باب و دار . و أنشد للأعشى :

كحلفة من أبي رباح يسمعها لاهُه الكبار

و لذي الأصبع العدواني :

لاهِ ابنُ عمِّك لا أفضلتَ في حسب　　عنّي ولا أنت ديَّاني فتخزوني

انتهى كلام سيبويه باختصار .

و أقول : إن الاسم الذي هو "لاه" على هذا القول تامّ و أصله "لَيَه" على وزن فَعَل مثل جبل فصارت ياؤه ألفًا لتحركها و انفتاح ما قبلها . انتهى كلام ابن الشجري بتصرف .

و في همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ج٢ ص٣٧ : قالت العرب : "لاهِ أبوك" يريدون "لِلّٰه أبوك" . قال سيبويه : حذف لام الجر و "أل" و هو شاذّ لا يقاس عليه .

و قال المبرد : المحذوفة لام التعريف و لام الأصل و الباقية لام الجر . قال المبرّد : لأن حرف الجر لمعنى و علة . و حذفه و إبقاء عمله شاذ . فالحكم بحذف غيره أولى . أمّا لام التعريف فواضح ، إذ لا معنى لها هنا لصيرورة الكلمة عَلَمًا فلم يفتقر إليها . وأمّا لام الأصل فقد عهد حذف بعض الأصول تخفيفًا كيَدٍ و دَمٍ . انتهى .

فائدة في حاصل ما ذُكر

هذه أقوال ذكرناها بناءً على وفق مذهب سيبويه وهو مختار أكثر النحاة . وحاصلها أن المحذوف في "لاه" اللام الجارة قد بقي أثرها الجر .

وقد تقدم أنّ المبرد وأتباعه قالوا : إنّ المحذوف في "لاه" اللام المعرفة مع لام "اللّٰه" أي مع اللام التي هي أصليّة والمبقاة لام الجر فتحت ردًّا إلى أصلها .

فباعتبار مذهب المبرد حذف اللام المعرّفة مع بقاء أثرها و هو التعريف و إسقاط التنوين في الجلالة خاصّتان :

الأولى بقاء الأثر المعنوي للام التعريف . و الأثر المعنوي هو التعريف .

و الثانية بقاء الأثر اللفظي لها . و الأثر اللفظي هو حذف التنوين في الجلالة .

ثم ههنا خاصّة ثالثة . و هي حذف اللام المعرّفة عند اجتماعها مع اللام الجارّة . لكثرة استعمال

هذا الاسم الكريم . و كثرة الاستعمال مقتضية للتخفيف . فهذه الخاصة مبنيّة على نفس حذف لام التعريف في الصورة المذكورة مع قطع النظر عن إبقاء أثر لام التعريف .

ثم فتح اللام الجارّة مع اسم "الله" خاصة أخرى و هي رابعة ، إذ اللام الجارة تكسر مع الاسم الظاهر . فهذه أربع خصائص مترتبة على مذهب المبرد وحده . ومجموع ما في هذا الباب ستّ خصائص .

قال الإمام الشلوبين في تعليقه على كتاب سيبويه : مذهبنا في قولهم "لاهِ أبوك" في "لِلّٰه أبوك" أن المحذوف حرف الجر و اللام التي للتعريف و زعم المبرد أن المحذوف اللام المعرّفة و لام "الله" الأصلية و المبقاة لام الجر فتحت ردًّا إلى أصلها كما تفتح مع المضمر .

قال المبرد : و هذا أولى لأن في مذهبكم حذف الجار و إبقاء عمله وهو مع ذلك حرف معنى . وأما أنا فلم أحذف حرف المعنى بل حذفتُ ما لا معنى له .

قال الإمام الشلوبين : و هذا المذهب قد وافق في حذف اللام المعرفة و بقي الترجيح بين حرف الجر و حرف الأصل فزعمنا أن المحذوف حرف الجر . و زعم المبرد أن المحذوف اللام الأصلية . و رجح مذهبه بأن حرف الجر لمعنى و فيه إبقاء عمله .

و ينبغي أن يترجح مذهبنا ، لأنه قد ثبت حرف الجر محذوفًا وعمله مبقًى في نحو "خيرٍ عافاك الله" بجرّ "خير" . و في مذهب المبرد ادّعاء فتح اللام . و نحن نبقي الكلام على ظاهره .

و أيضًا فإن الذين يفتحون اللام الجارة قوم بأعيانهم لا يفعل ذلك غيرهم . و جميع العرب يقولون "لاه أبوك" بالفتح . فدل على أنه ليست الجارة . إذ لو كانت الجارة لما فتحها إلّا مَن لغته أن يقول "المال لَزيد و لَعمرو" بفتح اللام . فهذا يؤيد ما ذهبنا إليه . انتهى ما قال الشلوبين . والتفصيل في الأشباه ج١ ص٤٣ فراجعه .

قال الإمام ابن النحاس في التعليقة : قول الشاعر " لاه ابن عمك إلخ " اختلف الناس فيه هل المحذوف اللام الأصلية و الباقية هي لام الجر . و الأظهر أن الباقية هي لام الجرّ ، لأن القول بحذفها مع بقاء عملها يؤدّي إلى أن يكون البيت ضرورة . و القول بحذف الأصلية لا يؤدّي إلى ضرورة . و ما لا يؤدّي إلى الضرورة أولى مما يؤدّي إليها . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : قال بعض العلماء : يستعمل "لاه" بدون لام التعريف في غير التعجب أيضًا كقول الشاعر و هو عبد المطلب في وقعة إغارة أصحاب الفيل على الكعبة :

لَاهُـمّ إن العبـد يمــــنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبنّ صليبُهم و محالهم غدوًا محالك

و قال آخر :

لاهمّ إن الحارث بن جبله زنا على أبيه ثم قتله

و قال آخر :

ع لاهُمّ إن كنْتَ قبلت حَجّتج

و لا يخفى عليك أنّ "لاهمّ" في هذه الأبيات مختصر "اللّٰهمّ" كما هو الظاهر لا مختصر "لِلّٰه" وكلامنا ههنا في الثاني دون الأوّل . والبعض جعلوه من قبيل "لاه" فتفكّر . وسيأتي الكلام عليه مفصّلاً في باب "اللّٰهم" .

قال العلامة السهيلي رحمه الله في روض الأنف ج١ ص٤٤ : العرب تحذف الألف و اللام من "اللّٰهم" و تكتفي بما بقي . و كذلك تقول "لاه أبوك" تريد "لِلّٰه أبوك" و قد تقدم قول في "لاهنّك" . و هذا لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة . و قد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال "أجنّك تفعل كذا" أي من أجل أنك تفعل كذا و كذا . انتهى كلامه .

و في الاقتراح ص١٢ : لا أعلم خلافًا بين النحاة بصحة الاحتجاج بالقراءة الشاذة و إن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه . و من ثم احتجّ على صحة قول من قال : إن "اللّٰه" أصله "لاه" بما قرئ شاذًا : و هو الذي في السماء لاه و في الأرض لاه . انتهى كلامه .

وجاء في القسم "لاه لا أفعل" بكسر الهاء بغير التنوين . أي والله لا أفعله . كذا نقل ابن الشجري عن الإمام قطرب في أماليه ج٢ ص١٦ .

فصل
في تفصيل بقاء الأثر و حذف العلّة المؤثّرة

قد أسلفنا في الخاصة الثانية من هذا الباب أن لام التعريف محذوفة من قولنا " لاهِ " مع بقاء أثره . و هو سقوط التنوين عنه . لكون لفظ اللام منويًّا .

و وجه ذلك أن النحاة و الأدباء صرحوا أنه إذا حذف الشيء فإمّا أن يحذف نسيًا منسيًّا ، أو ينوى معناه ففي هاتين الحالتين لا يبقى له أثر . و إمّا أن ينوى لفظه فيبقى له أثر بقدر الإمكان .

و لهذا الفصل نظائر . ولكونها من اللطائف و الحِكَمَ التي هي ضالة العلماء و بغية الفضلاء ينبغي لنا ذكر شيء من النظائر و الأمثلة لهذا الباب في هذا المقام فنقول و بالله التوفيق :

من نظائر ذلك نحو "قبل" و "بعد" من الظروف . فإنها لازمة الإضافة . فعند حذف المضاف إليه بدون نية معناه أو لفظه يعرب و ينوّن . و مع نية معناه يبنٰى . و بعد اللتيا والتي لايبقى حكم الإضافة وهو الإعراب بدون تنوين . ومع نية لفظ المضاف إليه يعرب بلا تنوين كما هو مقتضى الإضافة .

و صرّح ابن الملقن في الإشارات ناقلاً عن الإمام النحاس أنه ضبط لفظ " أمابعد" الذي يؤتى به في الخطبات بالضم مبنيًّا إذا نوٰى معنى المضاف إليه . و بالنصب معربًا بدون تنوين إذا نوٰى لفظه . كذا قال الحموي في شرح الأشباه لابن نجيم ص٦ .

و في بعض القراءات : لِلّٰه الأمر من قبلِ و من بعدِ . بالكسر من غير تنوين . أي من قبل الغلب و من بعده .

و من نظائر ذلك قول العرب "قبضت عشرة ليس غيرُ" بضم راء "غير" بلا تنوين . فالضمة عند غير الأخفش ضمة بناء مثل بناء قبل و بعد . و ضمة إعراب عند الأخفش لنية لفظ المضاف إليه . و الخبر محذوف . أي ليس غير العشرة مقبوضة .

و منها قولهم "قبضت عشرة ليس غيرَ" بفتح الراء من غير تنوين . قال ابن هشام في المغني باحثًا عليه : هو على إضمار الاسم وحذف المضاف إليه لفظًا و نية ثبوته كقراءة بعضهم : لِلّٰه الأمر من قبلِ و من

بعدِ . بالكسر من غير تنوين .

و منها قول الأعشى :

قد قلتُ لمّا جاءني فخره　　　سبحانَ من علقمة الفاخر

فقوله "سبحان" منصوب بلاتنوين بتقدير المضاف . أي سبحان الله . و له توجيهات أخر ذكرناها مع مباحث و أسرار و لطائف و بدائع تتعلق بلفظة "سبحان" في كتاب مفرد سميته "نفحة الريحانه في أسرار لفظة سبحانه" و هو كتاب بديع .

و منها ما قرئ في بعض القراءات "قل هو الله أحدُ الله الصمد" بترك تنوين "أحد" إذ أصله "الأحد" باللام إن ساغ دخول اللام على لفظ "أحد" . و قيل : حذفت لالتقاء الساكنين .

و منها قراءة بعض القراء في قوله تعالى "و لا الّيل سابقُ النهارَ" بد ون تنوين "سابق" و بنصب "النهار" لأن تقديره : ولا الّيل السابق النهارَ . و قيل : سقطت لالتقاء الساكنين .

و من نظائر اعتبار الأصل في الكلام و بقاء أثر المحذوف قول أبي طالب في مدح رسول الله ﷺ :

و إنّ عليه في العباد محبّةً　　　ولاخير ممّن خصّه الله بالحبّ

قال العلامة السهيلي رحمه الله تعالى في روض الأنف ج١ ص٢٢١ : و قوله "لا خير إلخ" مشكل جدا ، لأنّ "لا" في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلّا منوّنًا تقول : لا خيرًا من زيد في الدار ولا شرًّا من فلان . و إنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده كقوله تعالى : "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ" لأنّ "عليكم" ليس من صلة التثريب . لأنه في موضع الخبر .

فحذف التنوين في قوله "لا خير" لنية ثبوت همزة التفضيل ، لأن أصل "خير" "أخير" و أفعل لا ينصرف .

و منها ما في صحيح البخاري من حديث أسماء : قال النبي ﷺ بعد صلاة الكسوف : إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا . الحديث .

قال العيني رحمه الله تعالى في شرحه ج١ ص٤٨٧ : كذا روي في رواية بترك التنوين في "مثل" و وجهه ما قال ابن مالك رحمه الله تعالى : إن أصله "مثل فتنة الدجال" بالإضافة فحذف المضاف إليه و ترك لفظ "مثل" على هيئته قبل الحذف . قال الشاعر :

مَـهْ عاذِلِي فهائمًـا لَن أبرحـا كمثل أو أحسن من شمس الضُّحٰى

انتهى كلام الحافظ العيني رحمه الله تعالى .

و منها ما قال الإمام ابن هشام رحمه الله تعالى في المغني ج٢ ص٥٤ : و أجاز البغداديون "لا طالعَ جبلاً" بلا تنوين "طالع" أجروه في ذلك مجرى المضاف كما أجري مجراه في الإعراب . و على قولهم يتخرّج الحديث : لا مانع لما أعطيتَ و لا معطي لما منعتَ . و أما على قول البصريين فيجب تنوينه و لكن الرواية إنما جاءت بغير تنوين . انتهى .

و منها قولهم "سلامُ عليكم" بغير تنوين . قال ابن هشام في المغني ج٢ ص١٧٤ ، ص١٦٥ : وسمع ذلك فقيل على إضمار " أل" ويحتمل عندي كونه على تقدير المضاف إليه . و الأصل "سلام الله" . انتهى .

و منها ما في بعض القراءات "فلا خوفُ عليهم" فيمن ضم ولم ينوِّن . قال ابن هشام : أي فلا خوفُ شيءٍ عليهم .

قال العبدالضعيف الروحاني البازي : هذه عدّة نظائر سطرناها تذكرة لمن يتذكّر وأنموذجًا لمن يتبصّر . و هذا باب طويل الذيل فسيح الرحب و مضمار مترامية الأطراف و الأرجاء يسمى عند بعض العلماء باب الإيهام و التوهّم أي توهُّم الموجود معدوما و بالعكس و فرض المحذوف مذكورًا و بالعكس إجراءً للأحكام . و لنا فيه جزء مستقل بديع . ولله الحمد . هذا . والله أعلم وعلمه أتم .



الباب الثامن

من خصائص اسم "الله" الشريف امتناع حذف حرف النداء معه . فلا يقال "الله اغفر لي" في "يا الله اغفر لي" مع كثرة نداء اسم "الله". و الكثرة تدل على وجود الشيء و إن حذف . و لذا قالوا بجواز حذف حرف القسم الداخل على اسم "الله" و بقاء أثره ، لكثرة ما يقسم باسم الله فيسامح فيه ما لا يسامح في غيره . و يكفي لبقاء الأثر في مواضع كثرة الاستعمال بقاء المؤثّر في الذهن .

إن قلت : ما وجه لزوم ذكر حرف "يا" مع الله و امتناع حذفه ؟

قلت : ذلك لوجوه متعددة :

الوجه الأول : إنما وجب ذكر "يا" مع اسم"الله" إيماءً إلى أن جنابه تعالى مقصود على وجه الكمال و أنّ طلب إقباله شديد يهتمّ به أشدّ الاهتمام وأنّه لا ضعف فيه ولا يحتمل شيئًا من النقصان ، إذ حذف آلة الإقبال من اللفظ نوع نقص في طلب الإقبال يوهم قلة توجّه المنادِي إلى المنادٰى و قلّة اعتنائه بالنداء و بطلب إقبال المنادٰى .

ألا ترى أن دلالة اللفظ المحذوف على المعنى أضعف من دلالة اللفظ المذكور عليه . و صرح أصحاب أصول الفقه بأن اقتضاء النص دون عبارة النص . و اقتضاء النص باب من نظائر أبواب الحذف .

و ذكر النحاة عن آخرهم أن الأصل في الكلمات الذكر . و الحذف إنما هو لداعٍ عارضٍ و ضرورةٍ طارئةٍ فيجب الاحتراز عن الحذف ما أمكن . و عند الضرورة الداعية إلى الحذف يجب تقليله بقدر الاستطاعة .

و لذا رجح بعض المحققين مذهب الكوفيين في أن المقـدَّر في نحو "زيد في الدار" الاسم أي "كائن" على مذهب البصرية ، و هو أن المقدَّر في مثله هو الفعل . إذ المحذوف على القول الأول مفرد ، و على الثاني جملة . و حذف القليل أولى من حذف الكثير .

و قد ذكر السيوطي رحمه الله في الأشباه ج١ ص٧٢ قانونًا معروفًا ثم فرّع عليه فروعًا فقال : الإضمار في الكلام خلاف الأصل .

و لذلك ردّ على قول من قال : إن الاسم بعد "لولا" مرتفع بفعل لازم الإضمار . و وجه الردّ أنه لا دليل على ذلك ، مع أن الإضمار خلاف الأصل .

و ردّ على من قال في قوله تعالى "أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ" أن "يوم" ليس منصوبًا بمصروف بل بفعل دلّ الكلام عليه . تقديره : يلازمهم يوم يأتيهم ، أو يهجم عليهم . و وجه الردّ أنه لا حاجة إليه ، مع أن الإضمار خلاف الأصل . انتهى كلامه .

و صرّح الشيخ الرضي أيضًا في حروف القسم أن الحذف خلاف الأصل .

الوجه الثاني : أنه لما ثبت أن لزوم ذكر النداء لكمال طلب الإقبال وقوّته وشدّته ففيه تنبيه على أحسن طريق النداء و الدعاء إلى الله بأنه ينبغي أن يكون صدور "يا الله" من المنادِي بأتم حضور قلبه و أقوى ربط سرّه مع الله بحيث لا يخطر على باله غير المنادٰى و يستيقن إجابة دعائه ليكون أسرع قبولًا و أقرب إجابة . والله تعالى لا يقبل دعاء من قلب ساهٍ لاهٍ واهن الربط غير مستيقن بالإجابة .

الوجه الثالث : وجوب ذكر حرف النداء مع اسم "الله" في اللسان واللفظ إيماءً إلى وجوب ذكره في القلب ، إذ الظاهر عنوان الباطن و الجواد عينه فراره .

الوجه الرابع : أن "يا" في "يا الله" جنبة العبدية و اسم "الله" فيه جنبة المعبودية ولا ينفكّ لفظ العبدية عن لفظ المعبودية . فيجب أن لاينفكّ العبد عن المعبود الحق و أن لايذهب قلبه إلى غيره تعالى و أن لا يستعين بغيره تعالى . إذ القِران اللفظي يدل على القِران المعنوي بل على القِران الحكمي أيضًا كما هو مذهب الإمام مالك رحمه الله في إثبات غير واحدٍ من الأحكام . ولذا قيل في قوله تعالى "أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَ ءَاتُوا الزَّكَوٰةَ" : إن القِران اللفظي أي الاتّصال الظاهري يوجب أن لا تجب الزكاة على

الصبي و المجنون كما لا تجب عليهما الصلاة .

هذه الوجوه الأربعة من بدائع النكات المخفيّة و غرائب الدقائق العلية و لطائف الإشارات المستورة و نفائس الأسرار المكتومة ، و قد أبرزتها و سطرتها ههنا بتوفيق الله تعالى و لن تجدها في غير مؤلّفاتي . ولله الحمد و المنة .

الوجه الخامس : أن "يا" لما دخلت على اسم "الله" على خلاف القياس لكونه معرفًا باللام وجب أن لا يتسع فيها في التّصرُّف حذفًا و ذكرًا فرقًا بين محلّها المنقاس و محلّها غير المنقاس .

الوجه السادس : ما ذكره الشيخ الرضي حيث قال : إنّ ما فيه اللام حقَّ أن يتوصل إلى ندائه بأيّ أو باسم الإشارة . فلمّا حذفت الوصلة لكثرة ندائها لم يحذف حرف النداء لئلايكون إجحافًا .

الوجه السابع : ما ذكره العلامة الصبان في شرح الأشموني ج٣ ص١٠٤ . و هو أن نداءه على خلاف الأصل لوجود " أل" فيه . فلو حذف حرف النداء لم يدل عليه دليل أفاده "سم" . انتهى .

الوجه الثامن : ما في تذكرة ابن الصائغ أن حذف حرف النداء من الاسم الأعظم نصّ على منعه ابن معط في درته . و علّل منع ذلك في الدرة بالاشتباه . و قرّره ابن الخباز بأنه بعد حذف حرف النداء يشتبه المنادٰى بغير المنادٰى . انتهى .

أقول : هذا الوجه قريب من السابع . و اعترض عليه بأنك تقول "الله اغفرلي" فلا يقع فيه اشتباه و لبس . وأجابه ابن الصائغ حيث قال : و لابن معط أن يقول : لما وقع الاشتباه في بعض المواضع طرد الباب لئلا يختلف الحكم . انتهى .

الوجه التاسع : ما في الأشباه و النظائر للسيوطي ج٢ ص١٠٢ . وهو أن العلة في ذلك أنهم لما حذفوا "يا" عوّضوا الميم فصار "اللّهمّ" فكرهوا أن يقولوا "الله" بالحذف . لما فيه من حذف العوض و المعوض عنه .

قال الشيخ ابن الصائغ : يعني تعويضهم من حرف النداء دلّنا على أنهم قصدوا أن لا يحذفوا الحرف بالكلية . هذا . و الله أعلم بالصواب و علمه أتمّ و أجلّ و أعلى .

فائدة

هـذا أي امتناع حذف "يا" من "يا الله" إنما هو إذا لم يعوض في آخره الميم المشددة عن حرف النداء نحو "اللّهم" و أمّا إذا عوّض عن "يا" الميم المشدّدة في آخره فالحذف جائز بل واجب خوفًا من اجتماع العوض و المعوض عنه و سيأتي تفصيله في بعض الأبواب القادمة .

فائدة

ما ذكرنا من امتناع حذف "يا" من "يا الله" إنما هو مذهب البصريين . وأمّا الكوفيون فجوّزوا حذفها بدون تعويض . و منه عندهم "اللّهم" فإن الميم المشددة بعض الفعل المحذوف عند الكوفيّة . و أصله عندهم "يا الله أمّنا بخير" فحذفت "يا" و بعض الفعل لكثرة الاستعمال . و لذا يجوز عندهم إظهار "يا" من غير ضرورة فتقول "يا اللّهم". و قد ذكرنا توضيح هذا البحث في باب "اللّهم" كما سيأتي .

و جوّز حذف "يا" من "يا الله" بعض البصرية أيضًا كما قال الإمام ابن النحاس في صناعة الكتاب ما نصّه جواز ذلك ، فإنه قال في "سبحانك الله العظيم" : إنه لا يجوز الجرّ في اسم "الله" على البدل من الكاف و يجوز نصبه على القطع و الرفع على تقدير "يا الله" . انتهى .

و في التصريح للأزهري شرح التوضيح : و أجاز حذف "يا" بعضهم و عليه قول أمية بن أبي الصلت الثقفي :

رضيت بك اللّهم ربًّا فلن أرى أدين إلّهًا غيرك اللهُ راضيا

أي "يا الله" . و " أرى" من الرأي في الأمور . والأصل " أن أدين" فحذفت " أن" فارتفع المضارع بعدها على حد قولهم : تسمع بالمعيدي . و المعنى : رضيت رضًى بك ربًّا يا الله فلن أرى أن أتخذ إلّهًا غيرك يا الله . انتهى بتصرف . هذا .

فائدة عظيمة مهمّة

اعلم : أنه يشارك اسم "الله" في امتناع حذف "يا" عدة صور أنهاها بعض الأئمّة العظام إلى

ثمان :

فمنها المستغاث نحو : يا لزيد و يا لعمرو .

و منها المتعجّب منه نحو : يا للماء و يا للمطر . عند إظهار التعجّب من كثرة الماء أو من شدّة المطر .

و منها المندوب نحو : يا زيداه و يا أبتاه .

و منها اسم الجنس .

و منها اسم الإشارة .

و منها النكرة الغير المقصودة .

هذا مذهب البصريين . و ذهبت طائفة إلى جواز حذفها في الثلاثة الأخيرة . و عليه ابن مالك لحديث "ثوبي حجر" أي يا حجر . و قوله :

ع اشتدِّي أزمةُ تنفرجِي

أي يا أزمة . و قول ذي الرمة :

ع بمثلك هـذا لوعة و غرام

أي يا هذا . و قوله تعالى : "ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُوْنَ" أي يا هٰؤلاء . و قوله :

ع لتحسب سيدًا ضبعًا يبول

أي يا ضبعا . و الأوّلون حملوا ذلك على الشذوذ و الضرورة إلّا الآية فعلى الابتداء والخبر ولا نداء . وأما الحديث فلم يثبت كونه بلفظ الرسول ﷺ كما تقرر غير مرة . و يؤيّده وروده في بعض الطرق بلفظ "يا حجر" . كذا في الهمع .

و في الأشموني ج٣ ص١٠٤ : في التسهيل : ولا يلزم حرف النداء إلّا مع الله و المضمر والمستغاث والمتعجب منه والمندوب . و عدّ في التوضيح المناٰدى البعيد وهو ظاهر . انتهى كلامه .

و في التصريح : جوّز الكوفيون الحذف في اسم الإشارة و اسم الجنس لمعين و احتجوا بقوله تعالى "ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُوْنَ أَنْفُسَكُمْ" أي يا هٰؤلاء . و بقول ذي الرمة :

إذا هملتْ عيني لها قال صاحبي   بمثلك هذا لوعة و غـرام

أي يا هذا . و قولهم "أطرِقْ كرا" و "افتدِ مخنوق" و "أصبحْ ليل" أي يا كرا و يا مخنوق و يا ليل . و قوله :

ع   يقولون نوِّر صبحُ و الليل عاتم

أي يا صبح . و ذلك عند البصريين ضرورة في النظم و شذوذ في النثر .

قال المرادي في شرح النظم : والإنصاف القياس على اسم الجنس لكثرته نظمًا ونثرًا وقصر اسم الإشارة على السماع ، إذ لم يوجد إلّا في الشعر . و أما نحو " ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَآءِ " فمتأوّل على أن "أنتم" مبتدأ و "هٰؤلاء" خبره أو بالعكس و جملة "تقتلون" حال . انتهى .

قال ابن الحاجب رَحِمَهُ اللهُ في الكافية : و يجوز حذف حرف النداء إلّا مع اسم الجنس و الإشارة و المندوب و المستغاث نحو : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا . و أيها الرجل . و شذّ قولهم : أصبح ليل و أطرق كرا .

قال الرضي في شرحه للكافية ص١٣٨ : يعني بالجنس ما كان نكرة قبل النداء سواء كان تعرّف بالنداء كيا رجل . أو لم يتعرف كيا رجلاً . و سواء كان مفردًا أو مضافًا أو مضارعًا له .

و إنما لا تحذفه من النكرة ، لأن حرف التنبيه إنما يستغني عنه إذا كان المنادٰى مقبلاً عليك متنبها لما تقول . ولا يكون هذا إلّا في المعرفة ، لأنها مقصودة قصدها .

و إنما لاتحذفه من المعرفة المتعرّفة بحرف النداء ، إذ هي إذن حرف تعريف و حرف التعريف لا يحذف مما تعرف به حتى لا يظن بقاؤه على أصل التنكير . ألا ترى أن لام التعريف لا تحذف من المتعرف بها و حرف النداء أولٰى منها بعدم الحذف إذ هي مفيدة مع التعريف التنبيه و الخطاب .

وكان ينبغي أن لا يحذف من "أيّ" أيضًا ، إذ هو أيضًا جنس متعرف بالنداء إلّا أن المقصود بالنداء لما كان وصفه كما تقدم وهو معرفة قبل النداء باللام جاز حذفه . ألا ترى أنه لا يجوز الحذف من

"يا أيّهذا" من غير أن تصف "هذا" بذي اللام كما لا يجوز الحذف من "يا هذا".

فثبت أن الإعتبار في حذف حرف النداء من "أيّ" بوصفه نحو "أيّها الرجل" أو بوصف وصفه نحو "أيّهذا الرجل".

و إنما لم يجز الحذف عند البصريين مع اسم الإشارة وإن كان متعرّفًا قبل النداء لما ذكرنا قبل (نقل قبل هذا عن المازني أن اسم الإشارة ينكر ثم يجبر بحرف النداء الفائت من الإشارة) وأنه موضوع في الأصل لما يشار إليه للمخاطب . و بين كون الاسم مشارًا إليه و كونه منادًى أي مخاطبا تنافرٌ ظاهرٌ . فلمّا أخرج في النداء عن ذلك الأصل و جعل مخاطبا احتيج إلى علامة ظاهرة تدل على تغييره و جعله مخاطبًا وهي حرف النداء .

و الكوفيون جوّزوا حذف حرف النداء من اسم الإشارة اعتبارًا بكونه معرفة قبل النداء و استشهادًا بقوله تعالى : ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُوْنَ . وليس في الآية دليل لأن "هٰؤلاء" خبر المبتدأ كما يجيء في الحروف .

فبقي على هذا من المعارف التي يجوز حذف حرف النداء منها العَلَم و المضاف إلى أيّ معرفة كانت و الموصولات . أما المضمرات فيشذّ نداؤها نحو "يا أنت" و "يا إياك".

و من قال في ضبط ما يحذف منه الحرف : إنه يحذف مما لا يوصف به أيّ يلزمه جواز الحذف في "يا غلام رجل" و "يا خيرًا من زيد" مع تنكيرهما و ذلك مما لا يجوز .

و إنما لم يجز الحذف من المستغاث و المتعجب منه والمندوب . أمّا المستغاث به فللمبالغة في تنبيهه بإظهار حرف التنبيه لكون المستغاث له أمرًا مهمًّا . وأمّا المتعجب منه والمندوب فلأنهما منادَيان (بفتح الدال) مجازًا و لا يقصد فيهما حقيقة التنبيه و الإقبال كما في النداء المحض . فلمّا نقلا عن النداء إلى معنى آخر مع بقاء معنى النداء فيهما مجازًا ألزما لفظ عَلَم النداء تنبيهًا على الحقيقة المنقولين هما منها . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أتمّ و أوسع .

الباب التاسع

من خصائص اسم "الله" الشريف أنه أشهر ألفاظ نقلت بالتواتر . فليس في لغاتهم و كلمات لسانهم لغة و كلمة أشهر و أعرف من هـذا الاسم المبارك . فهو أشهر المتواترة و أظهرها و أجلاها لا أنه هو المتواتر دون ما سواه .

ثم اعلم : أنّ ههنا مسائل متعدّدة مهمّة هي ضالّة العلماء و بغية الفضلاء . ندرج في هذا الباب تفصيلها و توضيحها تبصرةً للإخوان و تذكرة للخلاّن .

المسألة الأولى : نذكر في المسألة الأولى بحث تواتر اللغات و آحادها و ما ينضاف إلى ذلك . فأقول و بالله التوفيق :

إن قلت : هل يجري التواتر و أخواته في اللغات ؟

قلت : نعم . اللغات كالأحاديث النبويّة يتأتى فيها المتواتر والآحاد والصحيح والمرسل والمنقطع و المجهول .

و في المحصول للإمام الرازي و شروحه : ثم الطريق إلى معرفة اللغات إمّا النقل المحض كأكثر اللغة . أوالعقل مع النقل كقولنا : الجمع المحلى باللام للعموم . لأنه يصح استثناء أيّ فرد منه . فإنّ صحة الاستثناء بالنقل و كونه معيار العلوم بالعقل . فمعرفة كون الجمع المذكور للعموم بالتركيب من النقل و العقل . وأما العقل المحض فلامجال له في ذلك . قال : فالنقل المحض إمّا تواتر أو آحاد . انتهى .

و قال ابن الأنباري أبوالبركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري رحمه الله (المتوفى سنة ٥٧٧هـ) في كتابه "لمع الأدلة" في أصول النحو : اعلم : أن النقل ينقسم إلى قسمين : تواتر و آحاد . فأما التواتر فلغة

القرآن و ما تواتر من السنة و كلام العرب . و هذا القسم دليل قطعي يفيد العلم . و اختلف العلماء في ذلك العلم فالأكثرون على أنه ضروريٌّ كالعلم الحاصل من الحواس . و قيل : نظري . انتهى باختصار .

و في الإقتراح ص٢٧ : أدلّة النحو ثلاثة : نقل وقياس واستصحاب حال . فالنقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حدّ الكثرة . و على هذا ليخرج ما جاء من كلام غير العرب من المولّدين و غيرهم وما جاء شاذًّا في كلامهم نحو الجزم بلن والنصب بلم و الجرّ بلعلّ والنصب بها و بليت . و هو ينقسم إلى تواتر و آحاد . انتهى .

قال الإمام الرازي رحمه الله في مقدمة تفسيره ص١٥ : اللغات المنقولة إلينا بعضها منقول بالتواتر . و بعضها منقول بالآحاد . و طعن بعضهم في كونها متواترة .

فقال الطاعن : أشهر الألفاظ هو لفظة "الله" و قد اختلفوا فيها فقيل : إنها ليست عربية بل عبرية . و قيل : إنها اسم عَلَم . و قيل : مشتقة . و ذكروا في اشتقاقها وجوهًا عشرة . و بقي الأمر في هذه الاختلافات موقوفًا إلى الآن .

و أيضًا فلفظة الإيمان و الكفر قد اختلفوا فيهما اختلافًا شديدًا . و كذا صيغ الأوامر و النواهي و العموم و الخصوص مع أنها أشدّ الألفاظ شهرة . و إذا كان الحال في الأظهر الأقوى كذلك فما ظنك بما سواها . و الحق أن ورود هذه الألفاظ في أصول هذه الموارد معلوم بالتواتر . فأمّا ماهياتها و اعتباراتها فهي التي اختلفوا فيها . و ذلك لا يقدح في حصول التواتر في الأصل . انتهى .

قال ابن الأنباري رحمه الله : و أما الآحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر وهو دليل مأخوذ به .

و اختلفوا في إفادته . فذهب الأكثرون إلى أنه يفيد الظنّ . و زعم بعضهم أنه يفيد العِلم . وليس بصحيح لتطرّق الاحتمال فيه . و زعم بعضهم أنه إن اتّصلت به القرائن أفاد العِلم ضرورة كخبر التواتر لوجود القرائن .

و شرط الآحاد أن يكون ناقله عدلاً رجلاً كان أو امرأة حرًّا كان أو عبدًا كما يشترط في نقل الحديث النبوي ، لأن باللغة معرفة تفسيره و تأويله فاشترط في نقلها ما اشترط في نقله . فإن كان ناقل

اللغة فاسقًا لم يقبل نقله . ويقبل نقل العدل الواحد و أهل الأهواء إلّا ان يكونوا ممن يتديّن بالكذب .

و أما المرسل و هو الذي انقطع سنده نحو أن يروِي ابن دريد عن أبي زيد . و المجهول هو الذي لم يعرف ناقله نحو أن يقول أبوبكر بن الأنباري : حدثني رجل عن ابن الأعرابي . فلا يقبلان لأن العدالة شرط في قبول النقل . و انقطاعُ السند و الجهل بالناقل يوجبان الجهل بالعدالة . فإنّ من لم يذكر اسمه أو ذكر ولم تعرف عدالته فلا يقبل نقله .

و قيل : يقبلان عند عدم التهمة . لأن التهمة لو تطرّقت إلى إرساله لتطرّقت إلى إسناده . و إذا لم يتّهم في إسناده فكذلك في إرساله . و كذلك النقل عن المجهول . و هذا القول ليس بصحيح .

و اختلف العلماء في جواز الإجازة . و الصحيح جواز ذلك . هذا حاصل ما ذكره ابن الأنباري رحمه الله تعالى في ثمانية فصول .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في المزهر ج١ ص١٢٥ : و من أمثلة ذلك ما في الجمهرة قول ابن دريد : أخبر الأصمعي عن يونس رآني أعرابي محتبيًا بطيلسان فقال : علم تفسؤه . يقال : فسأ الثوب إذا مددته حتى يتفزر . و ابن دريد لم يدرك الأصمعي .

و ما في الجمهرة أيضًا عن أبي عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية أبوزبيد الطائي وجميل بن معمر و الأخطل فقال : أيكم يصف لي الأسد في غير شعر . ثم ذكر القصة بتمامها . و أبوعبيدة لم يدرك يزيد . إذ مات أبوعبيدة سنة ٢٠٩ﻫ و يزيد بن معاوية سنة ٦٤ﻫ .

قال ابن فارس في فقه اللغة "باب القول في مأخذ اللغة" : تؤخذ اللغة اعتيادًا كالصبي العربي يسمع أبويه أو غيرهما . و تؤخذ تلقّنًا من ملقِّن . و تؤخذ سماعًا من الرواة الثقات ذوي الصدق و الأمانة و يتّقى المظنون . انتهى .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في المزهر ص٥٨ : إن ضابط الصحيح من اللغة ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه على حد الصحيح من الحديث . انتهى .

قال الزركشي في البحر : قال أبوالفضل بن عبدان في شرائط الأحكام و تبعه الجيلي في الإعجاز : لاتلزم اللغة إلّا بخمس شرائط : أحدها : ثبوت ذلك عن العرب بسند صحيح يوجب العمل . والثاني :

عدالة الناقلين . و الثالث : أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة كالعرب العاربة مثل قحطان و معدّ و عدنان . و الرابع : أن يكون الناقل قد سمع منهم حسًّا و أما بغيره فلا . و الخامس : أن يسمع من الناقل حسًّا . انتهى كلامه .

قال ابن جني في الخصائص : من قال : إن اللغة لا تعرف إلّا نقلاً فقد أخطأ . فإنها قد تعلم بالقرائن أيضًا فإن الرجل إذا سمع قول الشاعر :

قومٌ إذا الشرّ أبدٰى ناجذَيه لهم   طاروا إليه زرافاتٍ و وُحدانًا

يعلم أن الزرافات بمعنى الجماعات . انتهى .

و قال عبد اللطيف البغدادي رحمه الله تعالى في شرح الخطب النباتية : اعلم : أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه . و أما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي و يقيس عليه .

و مثالهما المحدِّث و الفقيه . فشأن المحدث نقل الحديث برمته . ثم إن الفقيه يتلقّاه و يتصرف فيه و يبسط فيه علله و يقيس عليه الأمثال والأشباه . قال أبوعلي فيما حكاه ابن جني عنه : يجوز لنا أن نقيس منثورنا على منثورهم و شعرنا على شعرهم . هذا .

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى : و على كل من النقل المتواتر و الآحاد إشكالات . أما التواتر فالإشكال عليه من وجوه :

أحدها : أنّا نجد الناس اختلفوا في معاني ألفاظ هي أكثرها دورانًا و تداوُلًا اختلافًا شديدًا بحيث لا يمكن فيه القطع بما هو الحق كاختلافهم في لفظة "اللّٰه" هل هي عربية أو عبرية علَم أو مشتقة وغير ذلك . و أدلّة كل فرقة لا تفيد الظن الغالب فضلاً عن اليقين . و إذا كان كذلك ظهر أن دعوى التواتر في اللغة و النحو متعذر .

و أجيب بأن دعوى التواتر في معانيها في الجملة ، لا على سبيل التفصيل . فنحن نعلم باليقين أنهم يطلقون لفظة "اللّٰه" على الإلٰه المعبود بحق و إن كنّا لا نعلم مسمى هذا اللفظ أهو ذاته أم كونه معبودًا أم كونه قادرًا على الاختراع أم كونه ملجأً للخلق أم كونه بحيث يتحير العقول في إدراكه إلى غير ذلك من معاني هذا اللفظ . و كذا القول في سائر الألفاظ و الكلمات .

الإشكال الثاني : أن مِن شرط التواتر استواء الطرفين و الواسطة . فعلى تقدير تسليم تواتر اللغات في زماننا كيف نعلم حصوله في سائر الأزمنة . وإذا جهلنا شرط التواتر جهلنا التواتر ضرورة . لأن الجهل بالشرط يوجب الجهل بالمشروط .

الإشكال الثالث : أنه قد اشتهر بل بلغ مبلغ التواتر أن هذه اللغات إنما أخذت عن جمع مخصوص كالخليل و أبي عمرو و الأصمعي و أقرانهم . ولا شك أن هؤلاء ما كانوا معصومين ولا بالغين حدّ التواتر .

و إذا كان كذلك لم يحصل القطع و اليقين بقولهم . أقصى ما في الباب أن يقال : نعلم قطعًا أن هـذه اللغات بأسرها غير منقولة على سبيل الكذب . و يقطع بأن فيها ما هو صدق قطعًا لكن كل لفظة عيّنّاها فإنّا لايمكننا القطع بأنّها من قبيل ما نقل صدقًا . و حينئذ لا يبقى القطع في لفظ معين أصلا . هذا هو الإشكال على من ادّعى التواتر في نقل اللغات .

و أما الآحاد فالإشكال على أمرها من جهة أن الرواة له مجروحون ليسوا سالمين عن القدح .

بيانه أن أصل الكتب المصنفة في النحو و اللغة كتاب سيبويه و كتاب العين للخليل . أما كتاب سيبويه فقدحُ الكوفيين فيه و في صاحبه أظهر من الشمس . و أيضًا فالمبرد كان من أجل البصريين و هو أفرد كتابًا في القدح فيه .

و أما كتاب العين فقد أطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه . و أورد ابن جني في كتاب الخصائص بابًا في قدح أكابر الأدباء بعضهم في بعض و تكذيب بعضهم بعضًا .

و أورد بابًا آخر في أن لغة أهل الوبر أصح من لغة أهل المدر وغرضه من ذلك القدح في الكوفيين .

و أورد بابًا آخر في كلمات من الغريب لايعلم أحد أتى بها إلاّ ابن أحمر الباهلي . و روي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظًا لم يسمعاها ولا سبقا إليها . وأيضًا فالأصمعي كان مشهورًا بالخلاعة و بأنه يزيد في اللغة ما لم يكن منها .

و العجب من الأصوليين أنهم أقاموا الدلائل على خبرالواحد أنه حجة في الشرع . و لم يقيموا الدلالة على ذلك في اللغة . وكان هذا أولى . وكان من الواجب عليهم أن يبحثوا عن أحوال اللغات و النحو

و أن يبحثوا عن جرحهم و تعديلهم كما فعلوا ذلك في رواة الأخبار لكنهم تركوا ذلك بالكلية مع شدة الحاجة إليه . فإن اللغة و النحو يجريان مجرى الأصل للاستدلال بالنصوص .

ثم قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : و الجواب عن الإشكالات كلها أن اللغـة و النحو و التصريف تنقسم إلى قسمين : قسم متواتر . و العلم الضروري حاصل بأنه كان في الأزمنة الماضية موضوعًا لهذه المعاني . فإنا نجد أنفسنا جازمة بأن السماء و الأرض كانتا مستعملتين في زمنه ﷺ في معناهما المعروف . وكذلك الماء و الهواء و النار و أمثالها . وكذلك لم يزل الفاعل مرفوعًا و المفعول منصوبًا و المضاف إليه مجرورًا .

و قسم منه مظنون . و هو الألفاظ الغريبة و الطريق إلى معرفتها الآحاد . و أكثر ألفاظ القرآن و نحوه و تصريفه من القسم الأول . و الثاني فيه قليل جدا . فلا يتمسك به في القطعيات و يتمسك به في الظنيات . هذا كلام الإمام في المحصول .

و تعقب الأصبهاني رحمه الله تعالى في شرح المحصول بعضـه فقال : أما قوله : و أورد ابن جني بابًا في كلمات من الغريب لم يأت بها إلاّ الباهلي . فاعلم : أن انفراد شخص بنقل شيء من اللغة العربية لا يقدح في عدالته . ولا يلزم من نقل الغريب أن يكون ناقله كاذبًا في نقله و لا قصد ابن جني ذلك . انتهى .

و قال القرافي أحمد بن أدريس المصري رحمه الله تعالى (المتوفى سنة ٦٨٤هـ) في شرح المحصول : إنّ الأصوليين إنما أهملوا الفحص عن حال اللغات و النحو و رواتهما دون الأخبار و رواتها . لأن الدواعي متوفرة على الكذب في الحديث لأسبابه المعروفة الحاملة للواضعين على الوضع .

و أما اللغة فالدواعي إلى الكذب عليها في غاية الضعف . وكذلك كتب الفقه لا تكاد تجد فروعًا موضوعة على الشافعي أو مالك أو غيرهما . و لذلك جمع الناس من السنة موضوعات كثيرة وجدوها ولم يجدوا من اللغة و فروع الفقه مثل ذلك ولا قريبًا منه . و لما كان الكذب والخطأ في اللغة و غيرها في غاية الندرة اكتفى العلماء فيها بالاعتماد على الكتب المشهورة المتداولة . فهذا هو الفرق . انتهى كلامه .

و أجاب الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في المزهـر ج١ ص١٢٠ بقوله : بل الجواب الحق عن هذا أنّ أهل اللغة والأخبار لم يهملوا البحث عن أحوال اللغات و رواتها جرحًا و تعديلاً بل فحصوا عن ذلك

و بينوه كما بينوا ذلك في رواة الأخبار . و من طالع الكتب المؤلفة في طبقات اللغويين و النحاة و أخبارهم وجد ذلك .

و قد ألّف أبوالطيب اللغوي كتاب"مراتب النحويين" بيّن فيه ذلك و ميّز أهل الصدق من أهل الكذب و الوضع . انتهى .

و في الملخص في أصول الفقه للقاضي عبدالوهاب المالكي رحمه الله تعالى (المتوفى بمصر سنة ٤٢٢هـ) : في ثبوت اللغة بأخبار الآحاد طريقان لأصحابنا : أحدهما أن اللغة تثبت به . لأن الدليل إذا دل على وجوب العمل به في الشرع كان في ثبوت اللغة واجبًا . لأن إثباتها إنما يراد للعمل في الشرع . و الثاني لا تثبت لغة بأخبار الآحاد . انتهى .

فائدة في ذكر الكلمات المتواترة

اعلم : أن السيوطي رحمه الله تعالى عدّ في المزهر أمثلة من المتواتر على ألسنة الناس من زمن العرب إلى اليوم و ليست في القرآن . فقال : من ذلك أسماء الأيام و الشهور و الربيع و الخريف و القمح و الشعير و الأرز و الحمص و السمسم و السماق و القرع و البطيخ و المشمش و التفّاح و الكمّثرى و العنّاب و النبق و الخَوخ و البَلَح و البُسر و الخيار و النَّعنَع . قال ابن دريد : الظاهر أنه عربي . و الكُرّاث و الخَشخاش . قال الخليل : هو عربي فصيح . و الخِربِز . قال في القاموس : و هو البطيخ عربي فصيح . و قيل : أصله فارسي . و الزبد و السمن و العسل و الدِّبس و الخَلّ و الخُبز . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و علمه أوسع و أعلى و أجلّ و أتمّ .



الباب العَاشر
وهو مشتمل على خاصّتين

من خصائص هذا الاسم الجليـل ما في حروفه رموز ربانية و آثار رحمانيّة و في عدد حروفه إشارات نورانية و إيماءات عرفانية .

تفصيل المقام بحيث ينحلّ به المرام و يطمئن به قلوب الأعلام أنّ عدد حروف اسم "الله" بعد البسط أربعة عشر حرفًا . و هذا عدد الحروف المقطعة النورانية التي في أوائل السور و هي : ا ، ه ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ص ، ق ، ر . و حروف "بسم الله الرحمن الرحيم" كلها نورانية كما صرح به أهل المعرفة و البصيرة سوٰى حرف الباء فإنه ظلماني .

هذه خاصة واحدة . و الخاصة الثانية ما في حروفه الستة من الإشارات إلى العوالم كما سيجيء . و كل ذلك من رموز العارفين أصحاب الطريقة .

قال الشيخ عبدالكريم رحمه الله تعالى في كتاب الكهف و الرقيم : جعل الحق تعالى حرف الباء أول القرآن في كل سورة . لأن أول حجاب بينك و بين ذاته سبحانه ظلمة وجودك . فإذا فنى ذلك الحجاب و لم يبق إلّا هو كانت أسماؤه و صفاته التي هي منه حجابًا عليه . فتلك جميعها نورانية . و من ثم كانت الباء ثوبًا على النقطة . لأنها فوقها . و الثوب فوق الملابس فكانت الباء ظلمة نور النقطة . انتهى .

و قال أيضًا فيه ص٣٠ : اعلم : أن الجلالة مركبة من ستة أحرف وهي : ا ، ل ، ف ، م ، ي ، ه . لأن الألف بسائطها ثلاثة "ا ل ف" . و اللام الأولىٰ بسائطها ثلاثة "ل ا م" . و الألف الثانية كالأولىٰ .

واللام المتأخرة كالمتقدمة . و الهاء بسائطها حرفان . و الجملة جميعها أربعة عشر حرفًا عدد الأحُرف النورانية . أسقطت منها المكرر . فبقي هذه الأحرف الستة "ا ل ف م ي ه " .

فالألف ثلاثة عوالم : الغيبي الذي لا يتصور شهادته و ظهوره أبدًا . والعالم الغيبي البرزخي الذي يمكن شهادته و ظهوره . و العالم الشهادي .

فهذه ثلاثة عوالم . و ليس للموجود و الوجود بأسره إلّا هذه الثلاثة العوالم . ألا ترى إلى مخرج الألف ابتداؤه الهمزة من غيب غيب الصدر الذي لا يتمكن شهادته أبدًا . و أوسطه اللام التي من شق اللهاة والفم . وهو غيب يمكن ظهوره وشهادته . و آخره "الفاء" الشفوية التي هي شهادة محضة .

فالألف بارزة من غيب الغيب إلى الشهادة . و اللام محلّها عالم الغيب و لها الولوج في عالم غيب الغيب للألفية التي في وسطها .

فكما أن له الظهور في عالم الشهادة للميمية التي في آخره و هي شفوية شهادية عالم ابتدائه غيب الغيبي عالم انتهائه . وحرف الميم شهادي الابتداء غيبي التوسط شهادي الانتهاء . وحرف الفاء أوله من عالم الغيب و آخره من عالم غيب الغيب ليس له عن محله مخرج و لا وراءه مرمى .

فانظر إلى اسم "الله" الجامع لما خرج من غيب الغيب إلى الغيب وظهر من الغيب إلى الشهادة كالألف . ولما برز من الغيب البرزخي إلى عالم الشهادة كاللام . ولما ولج من عالم الشهادة إلى الغيبة البرزخيّة و رجع إلى مركزه في عالم الشهادة كالميم . و لما نظر من عالم الغيب إلى غيب الغيب كالياء . ولم يزل في عالم الغيب كالهاء . فهذا كله هو عين ذات الله تعالى . و هو حقيقة الألوهية إذ الألوهية مرتبة الحيطة .

فافهم و انظر ما أعجب تداخل أمر هذا الاسم في العوالم بعضه ببعض و ما أعجب هيئته . ولو وسعنا الكلام فيه لضاق عنه المجال . هذا كلامه ذكرناه بلفظه . فتدبر فيه إذ فيه ما يحتاج إلى التدبر و الصحة و تفكّر فيه تفكُّرًا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الحادي عشر
وهو محتوٍ على عشر خصائص

من خصائص هذا الاسم الكريم أنه أول اسم من الأسماء الحسنى جرٰى على لسان الإنسان . و بعبارة أخرى أنه أول اسم مبارك أثنٰى به الإنسان على ربه سبحانه . هذه خاصة واحدة .

و أيضًا من خصائصه أنه آخر اسم مبارك له تعالى مفرد يجري على لسان الإنسان عند انقطاع الدنيا بأحوالها . هذه خاصة ثانية .

و أيضًا أنه أول اسم يفوه به الإنسان عند بدء دار الآخرة أي عند دخول الجنة كما نص الله تعالى في قوله "وَ ءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ" حكايةً عن أهل الجنة . فقول أهل الجنة عند دخول الجنة أو في الجنة "الحمد لله" آخر كلام نوع الإنس باعتبار الدنيا و أول كلام له بالنظر إلى العقبٰى . و هذه خاصة ثالثة .

و أيضًا الجنّ كذلك . فهم أيضًا يقولون "الحمد لله" عند دخول الجنة . لعموم الآية سياقًا و سباقًا الشامل لكل مؤمن دخل الجنة سواء كان من الإنس أو الجن . فاسم الجلالة آخر ما يتكلم به الجنّ باعتبار الدنيا و أول ذلك باعتبار دار الجنة .

و أمّا أول كلام الجنّ عند بدء نوعهم فلا يعلمه إلّا الله تعالى كما لا يعلم أحوال بدئهم إلّا هو . نعم الأحرٰى أن يكون أول كلامهم هذا الاسم اعتبارًا بآخر كلامهم و قياسًا على حال الإنس . فهما خاصتان . و مجموع هذه الخصائص المذكورة خمس .

و مصداق ذلك ما قال الله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ .

إيضاح المقام بحيث ينحلّ به المرام بتوفيق الملك المنعام أن لنا دارين دار الدنيا و دار العقبیٰ . و للدنيا مبدأ و منتهى . و أما دار العقبیٰ فلها مبدأ ولا منتهى لها . لكونها دار قرار و بقاء . و مبدأ العقبیٰ في الحقيقة من وقت دخول الجنة و النار . إذ أحوال المحشر من الحساب و غير ذلك من تتمة أحوال دار الدنيا لحساب الأعمال الدنيوية و وزنها .

وبعد هذا التمهيد نقول : المكلّف من المخلوق في الأرض نوعان : الإنس والجنّ . وهما الثقلان . و لهما خلقت دار الجنة و دار النار . و نحن لا نعلم تفصيلاً بدء الجنّ كيف كان . ولا ندري أول ما تكلم به الجن . إذ لم يخبر الله عن أحوالهم كما أخبر عن تفصيل أحوال الإنس . و كذا لم يخبر عنهم رسول الله ﷺ .

فأوّل ما تكلم به الإنسان كما في بعض الآثار "الحمد لله" . و أوّل ما يتكلم به الإنس والجن في الجنّة و عند دخولهما هو "الحمد لله" . وكذا آخر ما يتكلمان به عند انقطاع أحوال الدنيا أي عند دخول الجنة هو "الحمد لله" . صرح بذلك كثير من المحققين منهم الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره .

قال الإمام الرازي في تفسيره ج١ ص١٢٢ عند الكلام على أسرار كلمة "الحمد لله" : أول كلمة ذكرها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام هو قوله "الحمد لله" و آخر كلمة يذكرها أهل الجنة هو قولنا "الحمد لله" .

أمّا الأول فلأنه لما بلغ الروح إلى سرّته عطس فقال : الحمد لله رب العالمين . وأما الثاني فهو قوله تعالى : وَ ءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . ففاتحة العالم مبنية على الحمد ، و خاتمته مبنية على الحمد . فاجتهد حتى يكون أول أعمالك و آخرها مقرونًا بهذه الكلمة . فإن الإنسان عالم صغير فيجب أن تكون أحواله موافقة لأحوال العالم الكبير . انتهى كلامه .

قلت : حديث عطاس آدم عليه الصلاة والسلام أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل قال فيه : فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلّا

صار لحمًا و دمًا . فلما انتهت النفخة إلى سرّته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله : خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ . فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال "الحمد لله رب العالمين" بإلهام من الله . فقال الله له : يرحمك الله يا آدم ...... الحديث .

و أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم وسعيد بن منصور عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديثًا طويلاً و فيه قال : ثم نفخ فيه الروح فجرى فيه الروح من رأسه إلى صدره فأراد أن يثب . فتلا أبوهريرة : خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ . فلما جرى فيه الروح قعد جالسًا فعطس . فقال الله تعالى : قل "الحمد لله" . فقال : الحمد لله . فقال : رحمك ربك . ثم قال : انطلق إلى هؤلاء الملائكة فسلّم عليهم . فقال : السلام عليكم و رحمة الله و بركاته . فقالوا : و عليك السلام و رحمة الله و بركاته . فقال : هـذه تحيتك و تحية ذريتك يا آدم ...... الحديث .

و أخرج البيهقي في الأسماء و الصفات و ابن عساكر و ابن جرير عن ابن مسعود و ناس من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حديثًا طويلاً . قال فيه : فلما نفخ فيه الروح فدخل في رأسه عطس فقالت الملائكة : الحمد لله . فقال : الحمد لله . فقال الله له : يرحمك ربك . فلما دخلت الروح في عنقه نظر إلى ثمار الجنة . فلما دخلت إلى جوفه اشتهى الطعام . فوثب قبل أن تبلغ إلى رجليه عجلاً إلى ثمار الجنة . و ذلك قوله تعالى : خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ .

و أخرج ابن حبان عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه عطس فقال : الحمد لله رب العالمين . فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يرحمك الله .

و أخرج ابن حبان عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لما خلق الله آدم عطس فألهمه الله ربه أن قال : الحمد لله . قال له ربه : يرحمك الله . فلذلك سبقت رحمته غضبه .

و أخرج الحاكم و صححه عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : لما فرغ الله من خلق آدم و جرى فيه الروح عطس فقال : الحمد لله . فقال ربه : يرحمك ربك .

و أخرج ابن سعد و أبويعلى و ابن مردويه و البيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى إذا كان حمأً مسنونًا

خلقه وصوّره ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار جعل إبليس يمرّ به فيقول : لقد خُلِقتَ لأمر عظيم . ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره و خياشيمه . فعطس . فلقاه الله حمد ربه . فقال الرب : يرحمك ربك ...... الحديث .

و أخرج أبو الشيخ بسند صحيح كما صرح به السيوطي رحمه الله عن ابن زيد يرفعه إلى النبي ﷺ قال : إن الله لما أراد أن يخلق آدم بعث ملكا و الأرض يومئذ وافرة فقال : اقبض لي منها قبضة . آتني بها أخلق منها خلقًا . فلما أتاها قالت : فإني أعوذ بأسماء الله أن تقبض اليوم مني قبضة يخلق خلقًا يكون لجهنم منه نصيب . فعرج الملك ولم يقبض منها شيئًا . فقال له : ما لك ؟ قال : عاذت بأسمائك أن أقبض منها خلقًا يكون لجهنم منه نصيب . فلم أجد عليها مجازًا .

فبعث ملكًا آخر . فلما أتاها قالت له مثل ما قالت للأول . ثم بعث الثالث فقالت له مثل ما قالت لهما . فعرج ولم يقبض منها شيئًا . فقال له الرب تعالى مثل ما قال للذين قبله .

ثم دعا إبليس و اسمه يومئذ في الملائكة "حباب" فقال له : اذهب فاقبض لي من الأرض قبضة . فذهب حتى أتاها . فقالت له مثل ما قالت للذين من قبله من الملائكة . فقبض منها قبضة و لم يسمع لحرجها .

فلما أتاه قال الله : ما أعاذت بأسمائي منك ؟ قال : بلى . قال : فما كان في أسمائي ما يعيذها منك ؟ قال : بلى . و لكن أمرتني فأطعتك . فقال الله : لأخلقن منها خلقًا يسوء وجهك .

فألقى الله تلك القبضة في نهر من أنهار الجنة حتى صارت طينًا ، فكان أول طين . ثم تركها حتى صارحماً مسنونًا منتن الريح . ثم خلق منها آدم ثم تركه في الجنة أربعين سنة حتى صار صلصالاً كالفخار . يبس حتى كان كالفخار . ثم نفخ فيه الروح بعد ذلك .

و أوحى الله إلى ملائكته : إذا نفخت فيه من الروح فقعوا له ساجدين . وكان آدم مستلقيًا في الجنة . فجلس حين وجد مسّ الروح . فعطس . فقال الله له : احمد ربك . فحمد الله . فقال : يرحمك ربك . فمن هنالك سبقت رحمته غضبه ...... الحديث .

حصحص من البيان المذكور أن الثقلين مع العالم بقضّه و قضيضه مظهر هذا الاسم الكريم .

فمنه بدؤهم و إليه انتهاؤهم و عليه بنيت فاتحتهم و عليه دارت خاتمتهم .

و فيه إشارة إلى أن العالم كالدائرة ينتهي إلى ما ابتدأ منه انتهاء الدائرة إلى مبدئها . و لذا جرى بسهولة على لسان آدم عليه الصلاة والسلام أول مرة عند نفخ الروح فيه فقال : الحمد لله . و يجري على ألسنة الثقلين عند دخول الجنة فيقولون : الحمد لله ، لما أن لهذا الاسم الجليل أي اسم "الله" مدخلاً و تأثيرًا في نشأة العالم و فطرة الثقلين . و كل أمر جبلي و فطري يبدو على اللسان بسهولة و يجري عليه بغير معاناة تكلُّف .

و لذا قال بعض العارفين في بيان إشارات قوله تعالى "وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِنۡ ظُهُوۡرِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَ أَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُوۡا بَلَىٰ" (الأعراف ١٧٢) : إن حرف الباء أي في كلمة "بلیٰ" لكونه أول حرف فتحت الذرية به فمها حين تكلّمت بكلمة "بلیٰ" لم تزل الأطفال في هذه النشأة نشأة الدنيا ينطقون به في أول أمرهم و في بدء تكلّمهم . ولا بدع فكل مولود يولد على الفطرة . انتهى .

إن قلت : قوله تعالى "وَ ءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعٰلَمِيۡنَ" آخره "رب العٰلمين" لا الاسم "الله" فلا يصح قولك : إن اسم الجلالة آخر ما يتكلم به الثقلان عند انقطاع نشأة الدنيا .

قلت : "رب العالمين" صفة الجلالة والاعتبار إنما هو للموصوف دون الصفة التابعة للموصوف .

إن قلت : كلمة "الحمد" مقدمة على الجلالة في قول آدم عليه الصلاة والسلام "الحمد لله" حين عطس بعد نفخ الروح فيه، فكيف يصح دعواك أن اسم الجلالة أول ما تكلم به آدم عليه الصلاة والسلام ؟

قلتُ أوّلًا : "الحمد" وصف لله تعالى معنًى و مآلاً . و المراد به إثبات كونه تعالى محمودًا كاملاً . و أما تسميتهما مبتدأً و خبرًا فأمر لفظي لإصلاح الظواهر . فالانطلاق مثلاً صفة زيد سواء قلت : زيد منطلق . أو قلت : المنطلق زيد . أو قلت : الانطلاق لزيد .

و ثانيًا : المراد أن اسم الجلالة أول ما تكلم به آدم عليه الصلاة والسلام من بين الأسماء الحسنى . و إن شئت فقل : من بين أسماء الذوات و هي التي تطلق على الذات من نحو الضارب و العالم و الماشي و نحو ذلك حيث يصح حملها على زيد . و من نحو عمرو و بكر و زيد و نحو ذلك . و "الحمد" لا يطلق على الذات إلّا بعد الاشتقاق . فاندفع الإشكال .

ثم ههنا خمس خصائص أخرىٰ سوى ما ذكرنا باعتبار وقوع هذا الاسم الكريم محمودًا . فأقول

قياسًا على البيان المتقدم : إن اسم الجلالة أول اسم من الأسماء الحسنى بل من بين مطلق الأسماء وقع محمودًا . و نسب إليه الحمد على لسان آدم عليه السلام حين عطس و قال : "الحمد لله" . هذه خاصة واحدة .

و إن اسم الجلالة آخر اسم يقع محمودًا و ينسب إليه الحمد كل مؤمن من نوعي الإنس و الجن . و ذلك عند انقطاع الدنيا بما يتعلق بها . و هما خاصتان : إحدٰىهما باعتبار كون اسم "الله" آخر اسم محمود بألسنة نوع الإنس . و الأخرٰى منهما بالنظر إلى كون اسم "الله" آخر اسم محمود بألسنة نوع الجن . و المجموع ثلاث خصائص .

و أيضًا إن اسم الجلالة أول اسم يجري محمودًا على ألسنة مؤمني الإنس و مؤمني الجن عند بدء دار العقبٰى . و ذلك قولهم عند دخولهم الجنة : "الحمد لله" . كما قال الله تعالى : وَ ءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . و هما خاصتان . أي بلحاظ نوعي الإنس و الجنّ .

و مجموع الخصائص باعتبار كون هذا الاسم الجليل محمودًا خمس خصائص . و بضم هذه الخمس إلى الخمس المتقدمة صارت خصائص هذا الباب عشرًا .

فسبحان الله ثم سبحان الله ما أعظم شان هذا الاسم الأكرم و ما أجلّ مقام هذا الاسم الأعظم . فقد أسّست عليه دارا الدنيا والعقبٰى . فبنيت فاتحة الدنيا على نسبة الحمد إلى هذا الاسم الأعظم . و بنيت خاتمة الدنيا على حمد هذا الاسم الأفخم . وكذا بنيت فاتحة الآخرة بنسبة الحمد إلى هذا الاسم الجليل و تخصيصه بذلك . هذا . و الله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الثاني عشر
و فيه خمس خصائص

من خواص اسم "الله" الشريف إسقاط همزته في الدرج مع كون الهمزة ههنا جزءً من العَلَم. فهي بمنزلة الهمزة القطعيّة مثل همزة أحمد و إستبرق و جيم جعفر. نحو "بسم الله الرحمن الرحيم" حيث تسقط همزة الجلالة في البسملة.

إذ قالوا : إنّ همزة الوصل تقطع عند التسمية في الفعل إجماعًا مثل "أصمت" و "إنطلق" و "إنقلب" إذا سمي بهذه الأفعال. و تقطع همزة الوصل في الاسم أيضًا على مذهب ابن الطراوة. هذه خاصة واحدة مترتبة على كون اسم الله عربيًا.

ولو كان عجميًا كما ادّعى بعض الأئمة فالهمزة من تمام اسم "الله" مثل همزة "إصطبل" فحذفها على هذا التقدير خاصة ثانية.

توضيح المرام بتوفيق الملهم المنعام أن اسم "الله" إما أن يكون عربيًا و عليه عامة العلماء و الأئمة. و إما أن يكون عجميًا كما ذهب إليه أبو زيد البلخي حيث قال : إنه عبري أو سرياني.

فعلى الثاني الألف و اللام فيه من تمام الاسم. و ليستا للتعريف. فالهمزة قطعية فوجب أن لا تسقط وصلاً كما لا تسقط همزة سائر الأسماء العجمية كإستبرق، فإنه عجمي. صرح به السيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان. لكن همزة "الله" هذه تسقط في الدرج لكثرة الاستعمال. ولا نظير له في الأسماء المعربة. و هذه إحدى خواص هذا الباب.

وعلى تقدير كون اسم "الله" عربيًّا فإما أن يكون علميته بالغلبة مثل النجم للثريا والصعق لرجل فلا شك في وصل هذه الهمزة و في كون إسقاطها في الدرج منقاسًا ولا كلام لنا عليه في هذا الباب .

أو يكون علميته بوضع شخصي بالارتجال بلا اعتبار أصل له واشتقاقه منه . وهو مختار أبي حنيفة و الشافعي و الخليل و الغزالي رحمهم الله . "فأل" حينئذ من أجزاء لفظ "الله" كما في " ألم" و "إلانة" و "إلباب" . ولا تكون للتعريف . فهمزتها على هذا التقدير تكون قطعية .

فإسقاط هذه الهمزة في الدرج إحدى خواص اسم الله . و لا نظير له في الأعلام المرتجلة . ثم اطّراد ذلك الإسقاط خاصة أخرى لهذا الاسم . و لك أن تجعلهما واحدة . و لكلّ وجهة هو مولّيها .

أو يكون علميّة اسم "الله" بوضع شخصي بالنقل واعتبار أصل له و اشتقاقه من نحو " أله يأله" أو نحو ذلك . كما هو مذهب البعض .

"فأل" فيه على هذا التقدير حرف على حدة زائدة على مادته . و همزة " أل" همزة وصل . و همز الوصل في الأسماء كانطلاق تصير بعد التسمية بها و بعد العلمية قطعًا على ما هو مذهب بعض الأئمة كابن الطراوة و أحزابه ، كما اتفقوا على أنها تقطع في الأفعال نحو "إنطلق" إذا سمي به .

فإسقاطها في الدرج من خواص اسم "الله" على هذا القول . و هذه خاصة ثالثة . و اطراد هذا الإسقاط خاصة رابعة . و لك أن تعدّهما واحدة .

ولايبعد أن يقال : إن " أل" على تقدير الغلبة عوض كما هو أحد قولي سيبويه . و هذا يستدعي أن تقطع الهمزة و لا تسقط درجًا كي لا يلزم المحال أي حذف العوض أو شيء منه لكنها تسقط في الدرج . فهذه خاصة خامسة .

ثم اعلم : أن تعدّد هذه الخواص الخمس و مغايرة بعضها من بعض إنما هو بالاعتبارات ولا بدع في ذلك . إذ لولا الاعتبارات لبطلت الحكمة وكثير من أحكام الشريعة .

قال العلامة الشيخ الصبان رحمه الله في شرح الأشموني ج٣ ص١١١ : تقول : يا ألمنطلق زيد . فيمن سمي بذلك بقطع الهمزة لأن المبدوء بهمزة الوصل فعلًا كان أو غيره إذا سمي به يجب قطع همزته كما أفاده في التصريح . انتهى .

و في الهمع ج٢ ص١٥٥ : و يردّ همز الوصل في فعل قطعًا . فإذا سميتَ بنحو "إنطلق" الماضي قلتَ "إنطلق" بقطع الهمزة . لقلة ما جاء من الأسماء بهمزة الوصل فلا يقاس عليه بخلافها في الاسم نحو "إنطلاق" إذا سمي به . فلا تقطع . لأنها ثبتت فيه و هو اسم ولم يخرج عن الاسمية . قيل : أو اسم أيضًا و عليه ابن الطراوة فقال : تقطع الهمزة في "إنطلاق" إذا سمي به . انتهى بزيادة .

قال الرضي في شرح بحث معرفة الكافية ج٢ ص١١٥ : و لأن تحقق همزة الوصل في الأسماء الصرفة قليل . و إنما تكون في الفعل و الاسم الجاري مجراه أعني المصدر و في الحرف . فلهذا إذا سميتَ بفعل فيه همزة الوصل قطعتَها كقولك بوحش "أصمت" علم مفازة . و أما إن سميت باسم فيه همزة الوصل كابن و اسم أبقيتها على حالها و لا تقطعها لعدم نقل كلمة من قبيل إلى قبيل . انتهى .

و في توضيح ابن هشام و شرحه التصريح ج٢ ص١٧٢ : تقول في نداء اسم الله "يا أللّٰه" بإثبات الألفين ألف ياء وألف الله . و علل سيبويه نداء الجلالة بأن " أل" لا تفارقها . و هي عوض من همزة "إلٰه" فصارت بذلك كأنها من نفس الكلمة . انتهى .

و هذا التعليل يناسب إثبات ألف الجلالة في النداء كما أن الفعل المبدو بهمزة الوصل إذا سمي به قطعت همزته تقول : جاءني " أنصر" و "إضرب" بضم الهمزة في الأول وكسرها في الثاني . و وجه حذفها في الوصل النظر إلى أصلها . انتهى . هذا . و الله أعلم بالصواب و علمه أوسع و أجلّ .



الباب الثالث عشر
وفيه خاصتان

من خصائص هذا الاسم الكريم أنه هيولى الكمالات و مصدرها . فلا يبدو كمال إلّا و هذا الاسم منبعه . و الوصول إلى كمالات الله تعالى كلها متعسر .

و هذا يدل على أن الإحاطة بأسرار هذا الاسم عسير . إذ كل ما يدركه العقل فهو متناه و الذي هو تحت حيطة هذا الاسم الأعظم غير متناه . هذه خاصة واحدة .

و أيضًا هذا الاسم نور الظلمة المحضة التي تسمى بطون الذات في الذات . هذه خاصة ثانية .

قال في الإنسان الكامل : اعلم : أن هذا الاسم هيولى الكمالات كلها ولا يوجد كمال إلّا وهو تحت فلك هذا الاسم . و لهذا ليس لكمال الله من نهاية . لأن كل كمال يظهره الحق من نفسه فإن له في غيبه من الكمالات ما هو أعظم من ذلك و أكمل .

فلاسبيل إلى الوقوف على نهاية الكمال من الحق بحيث أن لايبقى مستأثرًا عنده . و كذلك الهيولى المعقولة أيضًا لا سبيل إلى بروز جميع صورها بحيث أن لا يبقى فيها قابلية صورة أخرى . هذا لا يمكن البتة البتة . فلايدرك لما في الهيولى من الصور غاية . و إذا كان هذا في المخلوق (أي في الهيولى) فكيف في الحق الكبير المتعال .

و من حصل من تجليات الحق في هذا التجلّي قال : بأن درك العجز عن الإدراك إدراك . و من تجلى له الحق في تجلّي معناه عين الله حيث علمه و تحققه حيث عينه . فهو لا يقول بالعجز عن الإدراك .

و لا بما ينافي ذلك . بل يتداعاه الطرفان فيكون مقامه المقام الذي لا يمكن عنه تعبير . و هو أعلى مشهد في الله فاطلبه ولا تكن عنه لاهيًا . و قال فيه :

الله أكبر هـذا البحر قد زخـرا و هيّج الريح موجًـا يقذف الدررا
فاخلع ثيابك واغرق فيه عنك و دع عنك السباحة ليس السبح مفتخرا
و متْ فميّتُ بحـر الله في رغد حياته بحياة الله قد عمـرا

و اعلم : أن الحق سبحانه وتعالى جعل هذا الاسم هيولى كمال صور المعاني الإلٰهية و كان كل من تجليات الحق التي لنفسه في نفسه داخلًا تحت حيطة هذا الاسم و ما بعده إلّا الظلمة المحضة التي تسمى بطون الذات في الذات . و هذا الاسم نور تلك الظلمة فيه يبصر الحق نفسه و به يتصل الخلق إلى معرفة الحق . و هو باصطلاح المتكلمين علم على ذات استحقت الألوهية .

و قد اختلف العلماء في هذا الاسم فمن قائل يقول : إنه جامد غير مشتق و هو مذهبنا لتسمِّي الحق به قبل خلق المشتق و المشتق منه . انتهى .

قلت : هذه الأبحاث من غوامض إشارات أهل الطريقة وخفايا إيماءات المكاشفين . ولا يفهمها حقّ الفهم إلّا من يكون مثلهم . فخذ ما وافق السنة و الكتاب و دع ما خالفهما في الظاهر أو المآب . هذا . و علم الله أتم و أجلّ و أوسع .

الله أكبر

الباب الرابع عشر
و فيه ثلاث و عشرون خاصة

من خصائص هذا الاسم الكريم انجراره بكلمة "ها" النائبة مناب حرف القسم فيقال : "ها الله ذا" أي والله هذا . فحذف حرف القسم و أقيمت كلمة "ها" مقامه . ولذا يجب جر لفظ "اللّٰه" ولا يجوز نصبه . بخلاف "الله لأفعلن كذا" بحذف حرف الجر أي "والله" حيث يجوز جر لفظ "الله" و نصبه كما أوضحنا في باب آخر من هذا الكتاب . و هذه خاصية واحدة .

ثم اعلم : أنّ في النطق بقولنا "ها الله ذا" وجوه متعددة .

الوجه الأول : "ها الله" باجتماع الساكنين على غير حده بين ألف "ها" و اللام المدغمة . و هذه خاصة ثانية .

إذ اجتماع الساكنين على غير حده ممتنع . و جوز ههنا إشارة إلى حذف حرف القسم و إلى أنّ كلمة "ها" عوض عنه . و لكثرة دوران هذا الاسم المبارك على الألسنة المقتضية لكثرة التصرف .

و أما اجتماع الساكنين على حده فسائغ شائع . و هو ما يكون أول الساكنين مدًّا والثاني مدغمًا بعد كونهما في كلمة واحدة مثل دابّة . و ههنا كلمتان : إحداهما "ها" و الثانية "الله" .

و الوجه الثاني : قطع همزة "الله" الوصلية كما في "يا الله" . هذه خاصة ثالثة .

و الوجه الثالث : ما حكاه أبوعلي الفارسي "هأ الله ذا" بحذف ألف الوصل من الجلالة و إبدال ألف كلمة "ها" همزةً مفتوحةً كقراءة "ولا الضألين" .

و هذه خاصة رابعة . حيث لم يعهد في كلامهم قلب ألف "ها" التنبيهية همزة فيما سوى هذا الموضع .

ثم اعلم : أن أصل "ها الله ذا" "والله هذا" فكلمة "ها" متصلة باسم الإشارة ثم فصل بينهما باسم "الله" . والفصل بينهما بغير الضمائر لايجوز أو قليل .

هذه خاصية خامسة . و اطّرد هذا الفصل . و هذه خاصة سادسة . و لك أن تجعل الخاصة الخامسة و السادسة واحدة .

ولا نظير للفظة "الله" في هذا الفصل إلّا لفظ واحد و هو "لعمرالله" أي لفظ "عمر" المضاف إلى لفظة "الله" فيقال : "ها لعمرالله ذا" كما حكاه الإمام الرضي . و ما سوى ذلك شاذّ أو قليل .

ثم هذا البيان السابق متفرع على أن "ها" حرف تنبيه . و قال الشيخ خالد في شرح الآجرومية : إن "الهاء" حرف قسم خص بلفظة "الله" و إنها بدل من التاء . فعلى ما قرر هذه خاصة سابعة . إذ لم يتحقق في موضع آخر كون حرف الهاء حرف قسم جار . و نسب هذا القول إلى الزمخشري .

و في صحيح مسلم ج١ ص٤٩٤ في حديث ولاء بريرة رضي الله عنها : قالت أي عائشة : لاها الله ذلك . قالت : فسمع رسول الله ﷺ . الحديث . ففي هذا الحديث جمع بين "ها" و "ذلك" و فصل بينهما بلفظ "الله" الشريف . و هذه خاصة ثامنة مترتبة على كون الهاء تنبيهية .

و توضيح هذه الخاصة أن كلمة "ها" لحقت اسم الإشارة للبعيد و هو "ذلك" و جمع بينها و بين اللام في كلمة "ذلك" و النحاة كلهم صرحوا أن "الهاء" لا تلحق اسم الإشارة للبعيد و لا يجمع بين اللام و بين الهاء إلّا أن كثرة دور هذا الاسم الجليل سهّلتْ ذلك .

إن قلت : تحقق الفصل مسوِّغ و إنما الممتنع الاتصال بينهما .

قلت : علة منع الاجتماع بين "ها" و "ذلك" تباين معنييهما و مفهومَيهما لأن "ها" تدل على الحضور المنافي للبعد . و لا أثر للفصل في دفع هذا التناقض لبقائه بعد . فالممتنع إنما هو جمعهما في كلام واحد في المشار إليه الواحد .

و إذ قد سنح لك أن كلمتي "ذلك" و "هذا" متغايرتان ههنا حكمًا . و وجه التغاير هو لحوق الهاء "بهذا" دون "ذلك" . وقد مضت خواصّ سبع بالنظر إلى وقوع كلمة "ذا" بعد لفظة "الله" . فلا جناح عليك أن تعتبر هذه الخواصّ السبع مرةً ثانيةً مع كلمة "ذلك" فتضحى الخصائص خمس عشرة بضم السبع إلى ثمان .

ثم اعلم : أنه ثبت في بعض روايات الحديث السابق " لاها الله إذا " بالألف في "إذا" . قال النووي رحمه الله تعالى : هكذا في رواية المحدثين . و قال النحاة و أهل العربية : هذا لحنٌ . و الصحيح : "ذا" اسم الإشارة .

قال العبد الضعيف : هذا كلامهم و قد وقفتَ عليه . ونحن نحسبه بفضل الله تعالى و إرشاده و توفيقه من خصائص اسم "الله" . لأنّ الرواية صحيحة رواها البخاري و مسلم . و مثلها لا يردّ . و من ردّ هذه الرواية فقد أخطأ . و الاستدلال بالأحاديث صحيح . كما هو مذهب الإمام محمد بن مالك و عامة أهل العربية . فصارت الخواص ست عشرة .

و لك أن تعود و تعدّ مرّةً ثالثةً الخصائص السبع السابقة بالنظر إلى ورود لفظة "إذا" بعد كلمة "الله" ما عدا الخاصة الخامسة و السادسة . حيث لا يجوز اعتبارهما مع كلمة "إذا" كما لا يخفى . فأصبحت الخصائص إحدى و عشرين . و حسبك من القلادة ما أحاط بالجيد . و حق ما قيل ، و الحقّ أحقّ أن يتبع : تحت الرغوة اللبن الصريح و عند المخض يبدو الزبد عن المخيض .

و هنا خاصة أخرى . وهي الجمع بين "ها" و الكاف في "ذلك" نحو "لاها الله ذلك" .

و خاصّة أخرى . وهي مبنية على كون "ها" عوضًا من الواو ، كما أن الخاصة السابعة كانت مبنية على أن "ها" بدل من التاء . وسيجيء بيان هاتين الخاصتين . ومجموع ذلك ثلاث وعشرون خاصة .

فصل

ثم اعلم : أن البحث المذكور إنما هو فذلكة المرام و جملة الكلام . و توضيح ذلك أن ههنا مباحث

عديدة : الأول في كلمة "ها" . والثاني في انجرار كلمة "الله". و الثالث في تلفظ "لاها الله". والرابع في تركيب "ذا" و "ذلك" و "إذا" بعد لفظ "الله". و الخامس في حكم الشرع و أنه يمين أم لا .

المبحث الأول في كلمة "ها". و فيها مسائل متعددة .

المسألة الأولى : قال الجمهور : إنها للتنبيه . ثم اختلف فيها هل هي مفصولة من اسم الإشارة أو لا .

قال ابن هشام رحمه الله تعالى في المغني ج٢ ص٢٨ : "ها" على ثلاثة أوجه . فذكر الوجهين ثم قال في بيان الوجه الثالث :

الثالث : أن تكون للتنبيه فتدخل على أربعة ألفاظ : أحدها الإشارة غير المختصة بالبعيد . نحو "هذا" بخلاف "ثم" و "هنا" و "هنالك" .

و اللفظ الثاني : ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة نحو "ها أنتم أولاء".

و اللفظ الثالث : نعت " أيّ " في النداء نحو " يا أيها الرجل " . وقال الأخفش : الرجل ليس نعتًا لأيّ بل هو خبر لمحذوف . و عن الكوفيين و ابن كيسان أن اسم الإشارة مقدر بعد "الهاء" . قيل : و للتعويض عما تضاف إليه كلمة " أيّ" . و يجوز في هذه في لغة بني أسد أن تحذف ألفها و أن تضم هاؤها اتباعًا . و عليه قراءة ابن عامر : " أيّهُ المؤمنون" " أيّهُ الثقلان" " أيّهُ الساحر" بضم الهاء .

و اللفظ الرابع : اسم "الله" في القسم عند حذف الحرف يقال : "ها الله" بقطع الهمزة و وصلها . انتهى كلام ابن هشام بزيادة و حذف .

و يعلم من كلام ابن هشام هذا أن "ها" في القسم ليست ما هو داخل على "ذا" اسم الإشارة . و أنّ إيراد كلمة "ذا" بعد اسم "الله" ليس بواجب .

قال الشيخ نجم الأئمة الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٥ ، بحث أسماء الإشارات : و يلحق بها حرف التنبيه يعني "ها" وهي كما يجيء في الحروف تلحق الجمل أيضًا في نحو "ها أن تا عذرة" على خلاف فيها هل هي مفصولة من اسم الإشارة أو لا كما يجيء .

و يلحق من المفردات أسماء الإشارات كثيرًا . لأن تعريف اسم الإشارة في أصل الوضع ما يقترن إليها من إشارة المتكلم باليد أو بجارحة أخرىٰ إلى المشار اليه . فجيء في أوائلها بحروف ينبه بها المتكلم المخاطب حتى يلتفت إليه و ينظر إلى أيّ شيء يشير من الأشياء الحاضرة . فلا جرم لم يؤت بها إلّا فيما يمكن مشاهدته و إبصاره من الحاضر والمتوسط لا في البعيد الغائب . وكان مجيئها في الحاضر أكثر منه في المتوسط .

"فهذا" أكثر استعمالاً من "هذاك". لأن تنبيه المخاطب لإبصار الحاضر الذي يسهل إبصاره أولى من تنبيهه لإبصار المتوسط الذي ربما يحول بينه و بينه حائل . ولم يدخل في البعيد الذي لا يمكن إبصاره . إذ لا ينبه العاقل أحدًا ليُري ما ليس في مرأًى . فلذلك قالوا : لا يجتمع "ها" مع اللام . انتهى كلام الرضي .

ثم قال الرضي في موضع آخر من شرح الكافية : و يفصل "ها" التنبيه عن اسم الإشارة المجرد عن اللام و الكاف تعويلا على العلم باتصالها به لكثرة استعمالها معه . و ذلك بأنا و أخواتها كثير نحو "ها أنا ذا" و "ها أنتم أولاء" و "ها هو ذا" كما يجيء في حروف التنبيه . و بغيرها قليل . و ذلك إما قسم نحو قوله "تعلمن ها لعمر الله ذا قسمًا" و قولهم "لاها الله ذا ما فعلت" كما يجيء في باب القسم . أو غير قسم كقوله :

ع هَا إِنَّ تَا عِذْرَةٌ إِن لَّمْ تَكُنْ نَفَعَتْ

و قوله :

ونحن اقتسمنا المال نصفَين بيننا فقلتُ لهم هـذا لَها ها و ذا ليا

ففصل بين "ها" و "ذا" بحرف العطف . انتهى كلام الرضي .

و أيضًا قال الرضي فيه ص٢٧٩ : فإذا جئت بها التنبيه بدلاً فلابد أن يجيء بلفظة "ذا" بعد المقسم به نحو "لاها الله ذا" وقوله "تعلمن ها لعمر الله ذا قسمًا". و الظاهر أن حرف التنبيه من تمام اسم الإشارة كما يأتي في حروف التنبيه . قدم على لفظ المقسم به عند حذف حرف الجـر ليكون عوضًا منها . انتهى .

و أيضًا قال الرضي فيه ص٣٢١ : و أما "ها" فتدخل من جميع المفردات على أسماء الإشارة كثيرًا لما ذكرنا في بابها . و يفصل كثيرًا بين اسم الإشارة و بينها إمّا بالقسم نحو "ها الله ذا" و "تعلمنّ ها لعمر الله ذا قسمًا" فاقدر بذرعك و انظر أين تنسلك . و إمّا بالضمير المرفوع المنفصل نحو "ها أنتم أولاء" و هو أكثر و بغيرهما قليلا نحو قول النابغة الشاعر المشهور :

ها إنّ تا عذْرةٌ إن لم تكن قُبِلت فإنّ صاحبها قد تاه في البلد

و قولهم :

ع فقلت لهم هذا لها ها و ذا ليا

أي "و هذا لي" . مذهب الخليل أن "ها" المقدمة في جميع ذلك كانت متصلة باسم الإشارة . أي كان القياس "الله هذا" و "لعمرالله هذا قسمًا" و "أنتم هؤلاء" و "إن هاتا عذرة" (يقال عذرتُه أي قبلتُ عذرَه . و الاسم المعذرة و العذرى و كذلك العذرة مثل الركبة و الجلسة) .

و الدليل على أنه فصِل حرف التنبيه عن اسم الإشارة ما حكى أبوالخطاب عمن يوثق به "هذا أنا أفعل" و "أنا هذا أفعل" في موضع "ها أنا ذا أفعل" و حدث يونس "هذا أنت تقول ذا" . انتهى كلام الشيخ الرضي . لآء

قال ابن هشام رحمه الله بعد ذكر "ها أنتم أولاء" : و قيل : إنما كانت داخلة على الإشارة فقدمت . فردّ بنحو "هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ" فأجيب بأنها أعيدت توكيدًا . انتهى .

و جوز بعضهم أن يكون "ها" المقدمة في نحو "ها أنت ذا تفعل" غير منوي دخولها على "ذا" استدلالًا بقوله تعالى "هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ" و لو كانت هي التي كانت مع اسم الإشارة لم تعد بعد "أنتم" .

و يجوز أن يعتذر للخليل بأنّ تلك الإعادة للبعد بينهما كما أعيد "فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم" بعد "وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ" . و أيضًا قوله تعالى "ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ" دليل على أن المتقدم في "هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ" هو الذي كان مع اسم الإشارة . ولو كان في صدر الجملة من الأصل لجاز من غير اسم إشارة "ها أنت زيد" .

و ما حكى الزمخشري من قولهم "ها إن زيدًا منطلق" و "ها أفعل كذا" مما لم أعثر له على شاهد .

فالأولى أن تقول : إن "ها" التنبيه مختص باسم الإشارة . و قد يفصل منه كما مر . ولم يثبت دخوله في غيره من الجمل و المفردات . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : لاح من كلام الرضي المذكور آنفًا قبل كلام ابن هشام أمور :

الأول : المختار عند الرضي مذهب الخليل رحمه الله تعالى وهو أن "ها" في نحو "لاها الله ذا" للتنبيه . وهذا هومختار الإمام المحدّث أبي حاتم السجستاني رحمه الله تعالى كما في شرح البخاري للحافظ العيني رحمه الله تعالى ج١٥ ص٦٨ كما سيأتي تفصيله في المبحث الرابع من هذا الباب . و اختاره الجوهري .

و الثاني : اختصاص "ها" التنبيه مطلقًا باسم الإشارة . فالهاء في " أيّها الرجل" داخلة على "ذا" مقدرة كما سبق منا .

و الثالث : أن الفصل بين "ها" و "ذا" بما سوى اسم "الله" و "لعمرالله" قليل شاذّ .

و الرابع : أن الجمع بين اللام و الهاء لا يجوز لاختصاص "ها" بالقريب و المتوسط . فيمتنع "ها ذلك" .

و الخامس : وجوب "ذا" بعد اسم "الله" إذا قدم "ها" عليه . فلايسوغ "ها الله" بدون "ذا". و هذا خلاف ما يفهم من كلام ابن هشام المذكور آنفًا بعد كلام الرضي .

و في الخضري شرح ابن عقيل ما محصوله : إن تقدمت هاء التنبيه على اسم الإشارة أتيت بالكاف . ولا يجوز الإتيان بالكاف واللام . فلا تقول : "ها ذٰلك" و يقلّ الجمع بين "ها" و بين "الكاف" حتى في المثنى و الجمع ، كما اختاره أبوحيان و إن منعه المصنف فيهما إلّا أن يحكم المصنف بشذوذ ذلك .

و تمتنع الكاف إن فصل بين هاء التنبيه و اسم الإشارة . لأنّ جمعهما بدون فصل قليل . فلم يحتمل معه كما في التسهيل . و الإخبار عن الضمير بعد "هاء" التنبيه بغير اسم الإشارة شاذّ ، كما صرح به ابن هشام في حاشية التسهيل . و إن وقع في ديباجة المغني حيث قال : "و ها أنا بائح بما أسررته" . انتهى .

قلت : فعلى هذا في قول عائشة رضي الله عنها السابق المروي في صحيح مسلم "لاها الله ذلك" خاصّة

أخرى . و هي الجمع بين "ها" و "الكاف" في كلام مع فصل سوى ما فيه الجمع بينها و بين اللام . فمجموع الخواص في هذا الباب ثنتان و عشرون خاصة .

ثم قال العلامة الخضري رحمه الله تعالى : و قد تعاد "ها" توكيدًا نحو "ها أنتم هؤلاء" . انتهى كلامه .

قلت : هذا بحث لطيف شريف ممدود الجدوٰى و مرام منيف محمود الرُجعٰى فلا جناح علينا أن نخوض فيه بعض الخوض و أن نغوص في توضيحه غوصًا بعد غوص تاييدًا لمذهب الخليل رحمه الله تعالى القائل بأنّ "ها" في القول المبحوث عنه للتنبيه و المجوّزِ لاجتماع كلمتي التنبيه في نحو "هٰٓأَنْتُمْ هٰٓؤُلَآءِ" . فأقول و بالله التوفيق و منه التوقيف :

من نظائر اجتماع حرفي التنبيه هو اجتماع كلمتي التشبيه في الكلام الذي هو أشهر من قفا نبك . وهو ما يقال : "كما أن في الخارج موجودًا كذلك في الذهن موجود" و يقال : "كما فعلت كذلك فعلت" و يقال : "كما تدين كذلك تدان" و نحو ذلك حيث جمع بين الكاف و كذلك و هما للتشبيه ، لبعد الكاف التشبيهية و للتاكيد . صرح به الشيخ الصبان وغيره .

و في هذا الكلام و التركيب نكات بديعة و تحقيقات رفيعة سمحنا بها في كتابنا البديع "بغية الكامل السامي شرح المحصول و الحاصل للجامي " و هو كتاب إلهاميّ لا نظير له في الدنيا في فن النحو . فمن فاز به فقد فاز في علم النحو فوزًا عظيمًا .

و من نظائر اجتماع حرفي التنبيه اجتماع الفائين في قول الله تعالى : "فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوْا" قال الواحدي : الفاء الثانية زائدة كما في قول الشاعر :

ع فَإِذا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذٰلِك فاجْزَعي

فالفاء في "فاجزعي " زائدة . و قوله تعالى : لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِيْنَ يَفْرَحُوْنَ بِمَآ أَتَوْا وَّ يُحِبُّوْنَ أَنْ يُّحْمَدُوْا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوْا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ .

قال العلامة الآلوسي و الإمام الرازي رحمهما الله تعالى : قوله "فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ" تاكيد "لتحسبن" الأول . و العرب كما قال الزجاج : إذا أطالت القصة تعيد "حسبت" و ما أشبهها . إعلامًا بأنّ الذي جرى متصل بما قبله و توكيد له فتقول : "لا تظنن زيدًا إذا جاءك و كلمك بكذا و كذا فلا تظنه صادقًا"

توكيدًا و توضيحا .

هذا ما أردت إيراده هنا توكيدًا للمرام و توضيحًا للكلام . و الكلامُ يجرّ كلامًا كما أنّ المرام يسحب مرامًا . ثم أعود إلى ما كنت بصدده ، و العود أحمد .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في الهمع ج١ ص٧٦ : تفصل "ها" التنبيه من أمر الإشارة بأنا و أخواته كثيرًا و بغير الضمائر المذكورة قليلاً كقوله : "تعلمن ها لعمرالله ذا قسمًا" . وقد تعاد "ها" بعد الفصل توكيدًا . ذكره ابن مالك رحمه الله و مثّله بقوله تعالى "هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ". قال أبوحيان : و هذا مخالف لظاهر كلام سيبويه . فإنه جعل "ها" السابقة في الآية في منزلتها للتنبيه المجرد غير مصحوبة لاسم الإشارة . لا أنها مقدمة على الضمير من الإشارة . ولا تدخل كلمة "ها" مع اللام بحال . فلا يقال "هٰذلك". و علله ابن مالك رحمه الله بأن العرب كرهت كثرة الزوائد . و قال غيره : الهاء تنبيه و اللام تنبيه فلا يجتمعان .

و قال السهيلي : اللام تدل على بُعـد المشار إليه و أكثر ما يقال للغائب و ما ليس بحضرة المخاطب . و " ها " تنبيه للمخاطب لينظر و إنما ينظر إلى ما بحضرته ، لا إلى الغائب عن نظره . فلذلك لم يجتمعا . انتهى بتصرف .

المسألة الثانية : الثانية في بيان أن كلمة "ها" على تقدير كونها للتنبيه و نائبة عن حرف القسم المحذوف . فهل حرف القسم المحذوف واو أو باء . وكلام البعض يدل على أن حرف القسم المحذوف ههنا واو .

قال الإمام ابن الشجري رحمه الله في أماليه ج١ ص١٤٣ : عملت همزة الاستفهام و حرف التنبيه الجرّ في القسم بحكم النيابة عن واوه نحو " آللّٰه لتنطلقن " " و لاها اللّٰه ذا". انتهى كلامه .

و أيضًا قال ابن الشجري فيها ص٣٦٥ : و إنما يكثر في كلامهم الخفض في هـذا الاسم (اللّٰه) بهمزة الاستفهام نائبة عن الواو في قولهم " آللّٰه لتفعلن" أصله " أواللّٰه" فحذفوا الواو و أنابوا الهمزة عنها فأعملوها عملها . و كذلك أنابوا حرف التنبيه أي الهاء عن الواو . فجرّوا بها في قولهم "لاها اللّٰه ذا" يريدون "لا واللّٰه ذا قسمي ". انتهى .

و يعلم من كلام الشيخ عبدالقاهر أن المحذوف "الباء" حيث قال في كتابه المقتصد : و أمّا حذف حرف الجر الذي هو "الباء" فعلى وجهين . إلى آخر كلامه .

و كذا يفهم من عبارة السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع و الهمع ج٢ ص٣٩ حيث قال : فإن كان المقسم به "الله" و عوض عن حذف الباء "ها" كما في "ها الله ذا".

قال الخطابي رحمه الله تعالى : إن المحذوف "الواو" . و قال الجوهري رحمه الله تعالى : أصل "لاها الله ذا" "لا والله" . كذا في العمدة شرح البخاري جزء ١٥ ص٦٨ .

و قال الإمام أبوحاتم السجستاني رحمه الله تعالى : معناه "لا والله هذا ما أقسم به" . كذا في شرح مسلم للنووي رحمه الله تعالى .

المسألة الثالثة : قال بعض الأدباء و النحاة : إن "ها" في "ها الله ذا" حرف قسم جارّ . فعلى هذا لا يحتاج إلى حذف الجار و إبقاء عمله . و به قال الزمخشري .

كما قال الشيخ خالد رحمه الله تعالى في شرح الآجرومية : إن الهاء حرف قسم مختص باسم "الله" و إنها بدل من التاء .

قال خاتمة المحققين الشيخ محمد أمير رحمه الله تعالى في حواشي المغني : و هو أولى من حيث سلامته من حذف الجار و إبقاء عمله و إن كان ما ذكره المصنف ابن هشام و غيره أولى . لأنّ الأليق بالحروف عدم التصرف . انتهى .

و في الرضي شرح الكافية ج٢ ص٢٨١ : أن كلمة "ها" في "ها الله ذا" بدل من الواو ، مثل كون التاء بدلاً من الواو . و لعل هذا لاختصاصها بلفظة "الله" كالتاء . انتهى كلامه بإيضاح .

هذا البيان متفرع على أحد محتملي كلام الرضي . و المحتمل الثاني أن يكون مراده منه أن الهاء مع كونها تنبيهًا عوض من "الواو" لا من "الباء" كما سطرنا في المسألة الثانية قبيل هذه .

فصل

المبحث الثاني في انجرار اسم "الله" في "ها الله ذا" : أقول : قد علم مما سبق أن اسم "الله" مجرور بهاء التنبيه بناء على أنها حرف قسم كما هو مذهب البعض . و عند الجمهور مجرور بالواو أو بالباء المقدرة .

قال الحافظ العيني رحمه الله تعالى في شرح البخاري : قالوا : و يلزم الجر بعد "ها" كما يلزم الجرّ بعد "الواو" و قالوا : ولا يجوز الجمع بينهما فلا يقال "لاها والله" . انتهى .

و في شرح النووي لمسلم ج٢ ص٨٧ : قالوا : و "ها" بمعنى الواو التي تقسم بها فكأنه قال "لا والله ذا". انتهى .

و قال الجاربردي رحمه الله تعالى : و في "لاها الله" لا يجوز إلّا الجرّ . لأنّ "ها" عوض عن حرف القسم ، فكأنّه باق . فلذا لا يجامعها . انتهى .

و قال السهيلي رحمه الله تعالى : وخفض اسم "الله" بحرف القسم أضمره ، و قام التنبيه مقامه كما يقوم الاستفهام مقامه . انتهى .

و نظير ما حذفوه من الحروف الجارة و عوّضوا منه "رب" .

قال الإمام ابن الشجري رحمه الله تعالى : ومما حذفوه من الحروف الجارة وعوضوه منه كما حذفوا واو القسم و عوضوا منها الهمزة الاستفهامية و حرف التنبيه و ربّ . حذفوها و عوضوا منها الواو كقول القائل :

ع وقرنٍ قد دلفت إليه في المصاغ

أراد : ربّ قرنٍ . فحذف ربّ و أدخل الواو . فمن النحويين من قال : إن الواو هي الجارة على طريق النيابة . و منهم من قال : إن الجر برب مقدرة . و القول الأول عند بعض النحويين أجود . قال : لأنها لو كانت عاطفة و العاطف لايقع أوّلاً و إنما يجيء بعد معطوف عليه . و هذه الواو كثيرًا ما تقع مبتدأ بها في الشعر كقول رؤبة :

و بلدٍ عاميـة أعماؤُهُ كأنّ لون أرضه سماؤُهُ

و عند آخرين من أئمة النحويين منهم أبوعلي أن الجر برُبّ . و استدل أبوعلي بقول الهذلي :

فإمّا تعرضنّ أميم عنّي و تنزعك الوشاة أولو النياط

فحورٌ قد لهوت بهنّ عين نَواعِمِ في البرود و في الرياط

فالفاء جواب الشرط . و إذا كانت الفاء جوابًا للشرط حصل انجرار الاسم المضمر . و من الدليل أيضًا قوله :

ع بل بلدٍ مِلء الفجاج قتمه

فلو كان الجر بالواو دون "رب" المضمرة لكان الجر في قوله "بل بلد" ببل . قال : و هذا لا نعلم أحدا به اعتداد يقوله . قوله "أولو النياط" جمع نوطة و هو الحقد . و "الريطة" الملاءة . انتهى .

و قال أيضًا ابن الشجري رحمه الله في موضع آخر من أماليه ج١ ص١٤٣ في تفسير بيت ابن أحمر الباهلي وهو عمرو بن أحمر :

وبيضٍ لم يخالطهنّ فحش نسين وصالنا إلّا سؤالاً

قوله "وبيض" اختلف النحاة في هذه الواو فذهبت طائفة من المحققين منهم أبو علي و عثمان ابن جني إلى أنها عاطفة جملة على جملة . و "رُبّ" هي الجارة مضمرة بعـدها . و جاز إعمال الجار مضمرًا ، لأن اللفظ بالواو سد مسده . و قال من خالفهم : بل الواو هي الجارة ، لأنها صارت عوضًا من "رُبّ" فعملت عملها بحكم نيابتها عنها . و لو كانت عاطفة لم تقع في أول الكلام .

و من زعم أنها عاطفة عطفوا بها على كلام مقدر إذا وقعت في صدر الكلام . و احتجوا بأن العرب قد أضمرت "رُبّ" بعد الفاء في جواب الشرط كقول ربيعة بن مقروم الضبي :

فإن أهلك فذي حنق لظاه تكاد عليّ تلتهب التهـابا

و قال تأبط شرًّا :

فإمّا تعرضنّ أميم عنّي و ينزعك الوشاة أولو النياط

فحور قد لهوت . إلى آخره . فالفاء جواب الشرط كما ترى . فلابد أن يكون التقدير : فربّ ذي حنق و فربّ حور . لأن الفاء لم توجد جارة في شيء من كلامهم . انتهى .

قال ابن جني في سر الصناعة : أما قولهم "لاها الله" فإن "ها" صارت عندهم عوضًا من الواو . ألا تراها لاتجتمع معها . كما صارت همزة الاستفهام في " آلله إنك لقائم" عوضًا من الواو .

و **قال** الشلوبين في شرح الجزولية : أمّا " آلله " بالمد فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضًا من حرف القسم . و دليل كونها عوضًا أنه لا يجمع بينها و بين حرف القسم . لا تقول : أوالله لأفعلن . انتهى . أشباه ج١ ص١٣٢ .

فصل

المبحث الثالث في التلفظ بقولهم "لاها الله ذا".

قال الإمام الفيومي رحمه الله في المصباح : و في "لاها الله" ثلاث لغات : إحداها : المد مع الهمزة الوصلية لأنها نائبة عن حرف القسم فيجب إثبات الألف كما لو قيل "ها والله" . و الثانية و الثالثة : حذف الهمزة مع المد و القصر بجعلها كأنها عوض عن حرف القسم . انتهى .

و **قال** الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٨١ : و إذا دخلت "ها" على "الله" ففيه أربعة أوجه ، أكثرها إثبات ألفها و حذف همزة الوصل من "الله" فيلتقي ساكنان أحدهما ألف "ها" و الثاني اللام . وكان القياس حذف الألف . لأن مثل ذلك إنما يغتفر في كلمة واحدة كالضالّين . أما في كلمتين فالواجب الحذف نحو "ذا الله" و "ما الله" إلاّ أنه لم يحذف في الأغلب ههنا ليكون كالتنبيه على كون "ها" من تمام "ذا" فإن "ها الله ذا" بحذف ألف "ها" يوهم أن الهاء عوض عن همزة "الله" كهرقتُ في " أرقتُ" و هياك في "إياك" .

و **الثانية :** وهي المتوسطة في القلة و الكثرة "ها الله ذا" بحذف ألف "ها" للساكنين كما في "ذا الله" و "ما الله" .

و **الثالثة** ، و هي دون الثانية في الكثرة : إثبات ألف "ها" و قطع همزة "الله" مع كونها في

الدرج . تنبيهًا على أن حق "ها" أن يكون مع "ذا" بعد "اللّٰه" فكأن الهمزة لم تقع في الدرج .

و الرابعة : حكاها أبوعلي و هي أقلّ الجميع "هأ الله" بحذف همزة الوصل و فتح ألف "ها" للساكنين بعد قلبها همزة كما في "الضألين" و "دأبة". انتهى كلام الرضي .

و عقد ابن جني رحمه الله في الخصائص بابًا لإجراء المتّصل مجرٰى المنفصل و إجراء المنفصل مجرٰى المتصل فقال : و من الأول باب قولهم : هم يضربونني و هما يضربانني . بغير إدغام أجري و إن كان متصلًا مجرى "يضربان نعم" و "يشتمان نافعًا" بغير إدغام لكون النونين في كلمتين . فهما منفصلتان .

ثم قال : و من الثاني قولهم "ها الله" باجتماع الساكنين مع عدم جواز ذلك لكونهما منفصلين أجري مجرٰى "دابّة" و "شابّة" و كذلك قراءة من قرأ : ولا تناجّوا . و حتى إذا ادّاركوا فيها . كذا في الأشباه ج١ ص٢٦ .

و هذا نص ابن جني في الخصائص ج٣ ص٩٣ . قال : و من الأول أي إجراء المتصل مجرٰى المنفصل قولهم : اقتتل القوم و اشتتموا . فهذا بيانه (أراد بالبيان ترك الإدغام) . شئت تلك . و جعل لك . إلّا أنه أحسن من قوله "الحمد لله العلي الأجلل" . و هذا لأن هذا إنما يظهر مثله ضرورة . و إظهار نحو "اقتتل" و "اشتتم" مستحسن و عن غير ضرورة .

و كذلك باب قولهم : هم يضربونني و هما يضربانني (بالإظهار) أجري و إن كان متصلًا مجرٰى "يضربان نُعْمَ" و "يضربون نافعًا" و وجه الشبه بينهما أن نون الإعراب هذه لا يلزم أن يكون بعدها نون . ألا ترى أنك تقول : يضربان زيدًا و يكرمونك . ولا تلزم هي أيضًا نحو لم يضرباني . و من أدغم نحو هذا و احتج بأن المثلين في كلمة واحدة فقال : يضرباني . و قل أتحاجّونا . فإنه يدغم أيضًا نحو "اقتتل" فيقول قَتَّل . و منهم من يقول : قِتَّل . و منهم من يقول : قِتِّل . و منهم من يقول : إقَتَّل . فيثبت همزة الوصل مع حركة "القاف" لما كانت الحركة عارضة للنقل أو لالتقاء الساكنين . و هذا مبيَّن في فصل الإدغام .

و من ضد ذلك قولهم "ها الله ذا" أي بإثبات ألف "ها" و التقاء الساكنين أجري مجرٰى "دابّة" و "شابّة".

و كذلك قراءة من قرأ " فلا تَّناجوا " يريد القراءة بإدغام التائين في تتناجوا . و هي قراءة ابن محيصن . (و انظر البحر المحيط ج٨ ص٢٣٦) .

و كذلك قراءة من قرأ "حتى إذا ادّاركوا فيها" بإثبات ألف "إذا" و تشديد الدال على الجمع بين الساكنين . وهي قراءة عصمة عن أبي عمرو . (راجع تفسير القرطبي ج٧ ص٢٠٤) .

و منه عندي قول الراجز فيما أنشده أبوزيد . و في العقد الفريد و غيره أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تمثل به أي يوم صفين :

مِن أيّ يومَيّ من الموت أفِرّ أيومَ لم يُقدَرَ أمْ يومَ قُدِرْ

كذا أنشده أبوزيد "لم يقدر" بفتح الراء . و قال : أراد النون الخفيفة فحذفها . و حذف نون التوكيد وغيرها من علاماته جار عندنا مجرى إدغام الملحق في أنه نقض الغرض . إذ كان التوكيد من أماكن الإسهاب و الإطناب . و الحذف من مظانّ الاختصار و الإيجاز .

لكن القول فيه عندي أنه أراد " أيوم لم يقدر أم يوم قدر" ثم خفف همزة " أم" فحذفها و ألقى حركتها على راء "يقدر" فصار تقديره " أيوم لم يقدرم" ثم أشبع فتحة الراء فصار تقديره " أيوم لم يقدرام" فحرك الألف لالتقاء الساكنين فانقلبت همزةً فصار تقديره "يقدرَ أَم" . واختار الفتحة اتباعًا لفتحة الراء . انتهى كلام ابن جني .

و أيضًا تكلم ابن جني على هذا المبحث البديع النافع في باب الجوار من الخصائص ج٣ ص٢٢١ . إن شئت التفصيل فراجعه .

فصل

المبحث الرابع في البحث على كلمة تقع بعد لفظة "الله" و بيان وجه إعرابها و تركيبها فأقول و بالله التوفيق :

ثبت بعد لفظة "الله" في هذا الكلام المتقدم ثلاثة ألفاظ : الأول "ذا" اسم الإشارة . و الثاني

"ذلك" و هو أيضًا اسم الإشارة . و الثالث "إذًا" الاسم المتضمن لمعنى الشرطية .

و الأول أكثر استعمالاً . و الثاني و الثالث جاءا في بعض الأحاديث . والثالث أكثر رواية من الأولين . و النحاة يلحنون الثاني و الثالث و قالوا : الصحيح الأول .

لكن الحق أن يقال : الكل صوابٌ و حقٌّ لاختصاص لفظة "الله" بخواص كثيرة . فالأولى أن يجعل كل ذلك صوابًا صحيحًا بليغًا ، و يُعدّكلّه في سلسلة خصائص اسم الجلالة ، لثبوت الثاني و الثالث في رواية مسلم و البخاري . ففي البخاري حديث أبي قتادة رضي الله عنه و قد قتل رجلاً من المشركين يوم حنين قال :

ثم رجعوا و جلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه . فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلستُ فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثله . قال : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقمت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست قال : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقمت فقال : ما لك يا أباقتادة ؟ فأخبرته فقال رجلٌ : صدق و سلبه عندي فأرضِه منه فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : لاها الله إذًا لا يعمد إلى أَسَد من أُسد الله يقاتل عن الله و رسوله فيعطيك سلبه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق ، فأعطه . فأعطانيه . الحديث . و رواه مسلم أيضًا بألفاظ متقاربة . صحيح مسلم ج٢ ص٨٧ .

و روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها في حديث شراء بريرة رضي الله عنها ج١ ص٤٩٤ : قالت : دخلتْ عليّ بريرة فقالت : إن أهلي كاتبوني على تسع أواقٍ في تسع سنين كل سنة أوقية فأعينيني . فقلت لها : إن شاء أهلك أن أعدّها لهم عدّة واحدة و أعتقك و يكون الولاء لي . فذكرتْ ذلك لأهلها فأبوا إلّا أن يكون الولاء لهم . فأتتني فذكرتْ ذلك . قالت : فانتهرتُها فقالت : لاها الله ذلك . قالت : فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث .

قال النووي رحمه الله تعالى : و في بعض النسخ "لاها الله إذًا" هكذا هو في النسخ . وفي رواية المحدثين "لاها الله إذا" بمد قوله "ها" و بالألف في "إذًا" . قال المازري و غيره من أهل العربية : هذان لحنان و صوابه "لاها الله ذا" بالقصر في "ها" و حذف الألف من أوّل "إذا" قالوا : و ما سواه خطأ . قالوا : و معناه "ذا يميني" . وكذا قال الخطابي و غيره : إن الصواب "لاها ذا" بحذف الألف قبل الذال . و قال

أبو زيد النحوي وغيره : يجوز القصر و المد في "ها" . و كلهم ينكرون الألف في "ذا" و يقولون : صوابه "ذا" بحذف الألف قبل الذال . قالوا : و ليست الألف من كلام العرب . انتهى .

و **قال** النووي رحمه الله تعالى تحت قول الصديق رضي الله عنه "لاها الله إذا" : هكذا هو في جميع روايات المحدثين في الصحيحين وغيرهما "لاها الله إذا" بالألف قبل الذال . و أنكر الخطابي رحمه الله تعالى هذا و أهل العربية و قالوا : هو تغيير من الرواة . و صوابه "لاها الله ذا" بغير ألف في أوله . و قالوا : و "ها" بمعنى الواو التي تقسم بها فكأنه قال : "لا والله ذا" . انتهى .

قال الحافظ العيني رحمه الله تعالى في شرح البخاري جزء١٥ ص٦٨ في شرح قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه "لاها الله إذًا" : كذا الرواية بالتنوين . قال الخطابي رحمه الله تعالى : والصواب فيه "لاها الله ذا" بغير الألف قبل الذال . و معناه "لا والله" يجعلون الهاء مكان الواو بمعنى "والله لايكون ذا". وقال أبوعثمان المازني : من قال "لاها الله إذا" فقد أخطأ . إنما هو "لاها الله ذا". و قال المازري في وجه تركيبه : معناه "لاها الله ذا يميني او قسمي" . و قال أبوزيد : "ذا" زائدة . و قال الجوهري : فرقت بين "ها" و "ذا" و تقديره "لا والله ما فعلت هذا" . و قال النووي رحمه الله تعالى : قال أبوحاتم السجستاني : معناه "لا والله هذا ما أقسم به" فأدخل اسم "الله" بين "ها" و "ذا" . انتهى كلام العيني .

و **قال** الرضي : إذا جئت بهاء التنبيه بدلا فلابد أن تجيء بلفظة "ذا" بعد المقسم به . انتهى . و ظاهر كلامه يدل على عدم جواز إيراد "إذا" بعده .

قال الحافظ العيني رحمه الله تعالى في شرح البخاري : قال الكرماني رحمه الله تعالى : المعنى صحيح على لفظ "إذًا" يعني بالتنوين جوابًا و جزاءً . و تقديره : لا والله إذا صدق لايكون أو لايعمد . و يروى برفع "الله" مبتدأ و "ها" تنبيه و "لايعمد" خبره . انتهى .

و **تكلّم** الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح ج٨ ص٣٠ على حديث أبي قتادة رضي الله عنه و هو : فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : لاها الله إذًا . لايعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله و رسوله فيعطيك سلبه . فقال : هكذا ضبطناه في الأصول المعتمدة من الصحيحين وغيرهما بهذه الأحرف "لاها الله إذًا". فأمّا "لاها الله" فقال الجوهري : "ها" للتنبيه . و قد يقسم بها يقال : "لاها الله ما فعلتُ كذا" .

قال ابن مالك رحمه الله تعالى : فيه شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التنبيه . قال : و لا يكون ذلك إلّا مع اسم "الله" أي لم يسمع "لاها الرحمن" كما سمع "لا والرحمن" . قال : و في النطق بها أربعة أوجه : أحدها : "ها الله" باللام بعد الهاء بغير إظهار شيء من الألفين . ثانيها : مثله لكن بإظهار ألف واحدة بغير همز كقولهم : التقت حلقتا البطان . ثالثها : ثبوت الألفين بهمزة قطع . رابعها : بحذف الألف و ثبوت همزة القطع . انتهى كلامه .

و المشهور في الرواية من هذه الأوجه هو الثالثُ ثم الأولُ .

و قال أبوحاتم السجستاني رحمه الله تعالى : العرب تقول "لاها ألله ذا" بالهمز . و القياس ترك الهمز . و حكى ابن التين عن الداودي أنه روي برفع "الله" قال : والمعنى : يأبى الله . وقال غيره : إن ثبتت الرواية بالرفع فتكون "ها" للتنبيه و "الله" مبتدأ و "لايعمد" خبره . انتهى . و لا يخفى تكلفه .

و قد نقل الأئمة الاتفاق على الجر فلا يلتفت إلى غيره . و أمّا "إذا" فثبتت في جميع الروايات المعتمدة و الأصول المحققة من الصحيحين و غيرهما بكسر "الألف" ثم "ذال" معجمة منونة .

و قال الخطابي رحمه الله تعالى : هكذا يروونه و إنما هو في كلامهم أي العرب "لاها الله ذا" والهاء فيه بمنزلة الواو . و المعنى : لا والله يكون ذا . و نقل عياض رحمه الله تعالى في المشارق عن إسماعيل القاضي أن المازني قال : قول الرواة "لاها الله إذًا" خطأ ، و الصواب "لاها الله ذا" أي "ذا يميني و قسمي" .

و قال أبوزيد : ليس في كلامهم "لاها الله إذًا" وإنما هو "لاها الله ذا" و "ذا" صلة في الكلام . و المعنى : لا والله هذا ما أقسم به .

و منه أخذ الجوهري رحمه الله تعالى فقال : قولهم "لاها الله ذا" معناه : لا والله هـذا . ففرقوا بين حرف التنبيه والصلة . و التقدير : لا والله ما فعلت ذا .

و توارد كثير ممن تكلم على هذا الحديث أن الذي وقع في الخبر بلفظ "إذا" خطأ ، و إنما هو "ذا" . تبعًا لأهل العربية . و من زعم أنه ورد في شيء من الروايات بخلاف ذلك فلم يصب بل يكون ذلك من إصلاح بعض من قلد أهل العربية في ذلك .

و اختلف في كتابة "إذا" هذه . هل تكتب بألف أو بنون ؟ و هذا الخلاف مبني على أنها اسم أو حرف . فمن قال : هي اسم قال : الأصل فيمن قيل له : سأجيء إليك . فأجاب : إذا أكرمك . أي إذا جئتني أكرمك . ثم حذف "جئتني" و عوض عنها التنوين و أضمرت "إن" . فعلى هذا يكتب بالنون .

و من قال : هي حرف ، و هم الجمهور اختلفوا . فمنهم من قال : هي بسيطة و هو الراجح . و منهم من قال : مركبة من "إذا" و "إن" . فعلى الأول تكتب بألف وهو الراجح و به وقع رسم المصاحف . و على الثاني تكتب بنون .

و اختلف في معناها فقال سيبويه : معناها الجواب و الجزاء . و تبعه جماعة فقالوا : هي حرف جواب يقتضي التعليل .

و أفاد أبوعلي الفارسي أنها قد تتمحض للجواب و أكثر ما تجيء جوابا "للو" و "إن" ظاهرا أو مقدرا .

فعلى هـذا لو ثبتت الرواية بلفظ "إذا" لاختل نظم الكلام . لأنه يصير هكذا : لا والله إذا لايعمد إلى أسد إلخ . وكان حق السياق أن يقول : إذا يعمد . أي لو أجابك إلى ما طلبت لعمد إلى أسد إلخ . وقد ثبتت الرواية بلفظ "لايعمد" إلخ . فمن ثم ادعى أنها تغيير .

و لكن قال ابن مالك رحمه الله : وقع في الرواية "إذا" بألف و تنوين و ليس ببعيد . وقال أبوالبقاء : هو بعيد و لكن يمكن أن يوجه بأن التقدير : لا والله لايعطي إذا . يعني و يكون "لايعمد" إلى آخره تأكيدًا للنفي المذكور و موضحًا للسبب فيه .

و قال الطيبي رحمه الله : ثبت في الرواية "لاها الله إذا" فحمله بعض النحويين على أنه من تغيير بعض الرواة . لأن العرب لا تستعمل "لاها الله" بدون "ذا" و إن سلم استعماله بدون "ذا" فليس هذا موضع "إذا" لأنها حرف جـزاء . و الكلام هنا على نقيضه . فإن مقتضى الجزاء أن لا يذكر "لا" في قوله "لايعمد" بل كان يقول "إذا يعمد إلى أسد" إلى آخره . ليصح جوابا لطلب السلب .

قال : و الحديث صحيح و المعنى صحيح . و هو كقولك لمن قال لك : افعل كذا . فقلت له : والله إذا لا أفعل . فالتقدير "إذا والله لا يعمد إلى أسد" إلى آخره .

قال : و يحتمل أن تكون "إذا" زائدة كما قال أبوالبقاء رَحِمَهُ اللهُ : إنها زائدة في قول الحماسي : إذًا لقام بنصري معشر خشن . في جواب قوله : لو كنت من مازن لم تستبح إبلي .

قال : و العجب ممن يعتني بشرح الحديث و يقدم نقل بعض الأدباء على أئمة الحديث و جهابذته و ينسبون إليهم الخطأ و التصحيف ، ولا أقول : إن جهابذة المحدثين أعدل و أتقن في النقل ، إذ هـذا يقتضي المشاركة بينهم . بل أقول : لا يجوز العدول عنهم في النقل إلى غيرهم .

قلت : وقد سبقه إلى تقرير ما وقع في الرواية و ردّ ما خالفها العلامة أبوالعباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في المفهم ، فنقل ما تقدم عن أئمة العربية ثم قال : وقع في رواية العذري و الهوزني في مسلم "لاها الله ذا" بغير ألف في أوله و لا تنوين في آخره . و هو الذي جزم به من ذكرناه .

قال : و الذي يظهر لي أن الرواية المشهورة صواب و ليست بخطأ ، و ذلك أن هذا الكلام وقع على جواب إحدى الكلمتين للأخرى . و الهاء هي التي عوض بها عن واو القسم .

و ذلك أن العرب تقول في القسم "آلله لأفعلنّ" بمد الهمزة و بقصرها . فكأنّهم عوّضوا عن الهمزة "ها" فقالوا "ها الله" لتقارب مخرجيهما . وكذلك قالوا بالمد و القصر .

و تحقيقه أن الذي مدّ مع "الهاء" كأنه نطق بهمزتين أبدل من إحداهما ألفا استثقالاً . لاجتماعهما كما تقول : آلله . والذي قصر كأنه نطق بهمزة واحدة كما تقول : الله .

و أمّا "إذا" فهي بلا شك حرف جواب و تعليل . وهي مثل التي وقعت في قوله ﷺ وقد سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال : أينقص الرطب إذا جفّ ؟ قالوا : نعم . قال : فلا إذًا . فلو قال : فلا والله إذا . لكان مساويًا لما وقع هنا . و هو قوله "لاها الله إذا" من كل وجـه . لكنه لم يحتج هناك إلى القسم فتركه .

قال : فقد وضح تقرير الكلام و مناسبته و استقامته معنًى و وضعًا من غير حاجة إلى تكلف بعيد يخرج عن البلاغة . ولاسيما من ارتكب أبعد و أفسد فجعل "الهاء" للتنبيه و "ذا" للإشارة . و فصل بينهما بالمقسم به . قال : و ليس هـذا قياسًا فيطّرد و لا فصيحا فيحمل عليه الكلام النبوي ولا مرويًّا برواية ثابتة .

قال : و ما وجد للعذري و غيره فإصلاح من اغتر بما حكي عن أهل العربية . و الحق أحق أن يتبع .

و قال بعض من أدركناه و هو أبوجعفر الغرناطي نزيل حلب رحمه الله في حاشية نسخته من البخاري : استرسل جماعة من القدماء في هذا الإشكال إلى أن جعلوا المخلص منه أن اتّهموا الإثبات بالتصحيف فقالوا : و الصواب "لاها الله ذا" باسم الإشارة .

قال : و يا عجبا من قوم يقبلون التشكيك على الروايات الثابتة و يطلبون لها تأويلا . **جوابهم** أن "ها الله" لا يستلزم اسم الإشارة كما قال ابن مالك رحمه الله . و أمّا جعل "لايعمد" جواب "فأرضه" فهو سبب الغلط . و ليس بصحيح ممن زعمه . و إنما هو جواب شرط مقدر يدل عليه قوله : صدق فأرضه . فكأن أبابكر رضي الله عنه قال : إذا صدق في أنه صاحب السلب ، إذا لايعمد إلى السلب فيعطيك حقه . فالجزاء على هذا صحيح . لأن صدقه سبب أن لا يفعل ذلك . قال : و هذا واضح لا تكلف فيه . انتهى .

وهو توجيه حسن و الذي قبله أقعد . ويؤيد ما رجحه من الاعتماد على ما ثبتت به الرواية كثرة وقوع هذه الجملة في كثير من الأحاديث :

منها ما وقع في حديث عائشة رضي الله عنها في قصة بريرة رضي الله عنها لما ذكرتُ أن أهلها يشترطون الولاء . قالت : فانتهرتها فقلت : لاها الله إذا .

و منها ما وقع في قصة جليبيب بالجيم والموحدتين مصغرًا : أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب عليه امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال : حتى استأمر أمها . قال : فنعم إذا . قال : فذهب إلى امرأته فذكر لها فقالت : لاها الله إذا . و قد منعناها فلانا . الحديث . صححه ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه .

و منها ما أخرجه أحمد في الزهد قال : قال مالك بن دينار للحسن : يا أباسعيد ! لو لبست مثل عباءتي هذه ؟ قال : لاها الله إذا ، لا ألبس مثل عباءتك هذه .

و منها ما في تهذيب الكمال في ترجمة ابن أبي عتيق : أنه دخل على عائشة رضي الله عنها في مرضها فقال : كيف أصبحت جعلني الله فداك ؟ قالت : أصبحت ذاهبة . قال : فلا إذا . و كان فيه دعابة .

و وقع في كثير من الأحاديث في سياق الإثبات بقسم و بغير قسم .

فمن ذلك في قصة جليبيب .

و منها حديث عائشة رضي الله عنها في قصة صفية رضي الله عنها لما قال ﷺ : أحابستنا هي ؟ وقال : إنها طافت بعد ما أفاضت . فقال رسول الله ﷺ : فلتنفر إذا . و في رواية : فلا إذا .

و منها حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وغيره في سؤاله عن أحب الناس . فقال عليه الصلاة والسلام : عائشة . فقال : لم أعن النساء . قال عليه الصلاة والسلام : فأبوها إذا .

و منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الأعرابي الذي أصابته الحمّى فقال : بل حمّى تفور على شيخ كبير ، تزيره القبور . قال : فنعم إذا .

و منها ما أخرجه الفاكهي من طريق سفيان قال : لقيت لبطة بن الفرزدق فقلت : أسمعت هذا الحديث من أبيك ؟ قال : إي ها الله إذًا . سمعت أبي يقوله ، فذكر القصة .

و منها ما أخرجه عبدالرزاق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أرأيت لو أني فرغت من صلاتي فلم أرض كمالها . أفلا أعود لها ؟ قال : بلى ها الله إذا .

و الذي يظهر من تقدير الكلام بعد أن تقرر أن "إذا" حرف جواب و جزاء أنه كأنه قال : إذا والله أقول لك نعم . وكذا في النفي كأنه أجابه بقوله : إذا والله لا يعطيك ، إذا والله لا أشترط ، إذا والله لا ألبس . وأخّر حرف الجواب في الأمثلة كلها .

و قد قال ابن جريج رحمه الله في قوله تعالى "أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا" : أفلا يؤتون الناس إذا . و جعل ذلك جوابا عن عدم النصب بها مع أن الفعل مستقبل .

و ذكر أبوموسى المديني في المغيث له في قوله تعالى "وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلفَكَ إِلَّا قَلِيلًا" : "إذا" قيل : هو اسم بمعنى الحروف الناصبة ، و قيل : أصله "إذا" الذي هو من ظروف الزمان . و إنما نوّن للفرق ، ومعناه : حينئذ . أي أخرجوك من مكة ، فحينئذ لا يلبثون خلافك إلّا قليلا .

و إذا تقرر ذلك أمكن حمل ما ورد من هذه الأحاديث عليه فيكون التقدير : لا والله حينئذ . ثم أراد بيان السبب في ذلك فقال : لايعمد إلى آخره . و الله أعلم .

و إنما أطلت في هذا الموضع لأنّني منذ طلبتُ الحديث و وقفتُ على كلام الخطابي وقعت عندي منه نفرة للإقدام على تخطئة الروايات الثابتة ، خصوصًا ما في الصحيحين . فما زلت أتطلب المخلص من ذلك إلى أن ظفرت بما ذكرته . فرأيتُ إثباته كله هنا . و الله الموفق . انتهى .

هذا كلام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ ذكرناه بلفظه مع طوله لكونه كلامًا جامعًا نافعًا جدًّا مستمرّ الآثار و مستقرّ الأنوار طيّب الأثمار و فائح الأزهار لا تغيب فوائده و لا تغبّ عوائده لاحتوائه تدقيق لطيف و تحقيق شريف . و لتعلم أن تخطية الروايات الصحيحة خطأ فاحش .

قال العبد الضعيف البازي : يقشعرّ جلدي فزعًا و خوفًا من جرءة بعض النحاة و ردّهم الأحاديث الصحيحة و الأخبار القويّة . و في كلام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : هـذا سلوة لأمثالي و ضالة سنية بهية لنظرائي .

و لي كتاب مفرد كبير في صحة الاحتجاج بالأحاديث النبوية في القواعد النحوية و الضوابط العربية ذكرت فيه مفصّلاً ما يشفي العلماء المنصفين و يكفي للفضلاء الغير المتعسّفين . وهو كتاب بهيّ دقيق ، و سِفر سنيّ بالقبول حقيق . أتينا فيه ببدائع النفائس ونفائس البدائع ، و روائع اللطائف و لطائف الروائع . و أدرجنا في تضاعيف عباراته و طيّ إشاراته علومًا عاطرة ، و فنونًا ناضرة ، و أسرارًا هامرة ، و معارف زاهرة ، و عوارف وافرة . صنّفته حميّة للأخبار النبويّة و غيرة للآثار المصطفويّة حميةً علميّة و غيرة إيمانيّةً . فالحمد لِلّٰه على أن وفّقني لتصنيفه بعد ما ألهمني الرغبة في تاليفه . ولله الحمد و المنّة .

و قال الحافظ العيني رَحِمَهُ اللهُ في شرح حديث أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقول أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "لا ها الله إذًا" : قوله "إذًا" بكسر الهمزة و بالذال المعجمة المنونة . و قال الخطابي : هكذا نرويه . و إنما هو في كلامهم أي العرب "لاها الله ذا" يعني بدون الهمزة في أوله . و الهاء فيه بمنزلة الواو . و المعنى "لا والله لا يكون ذا" .

و قال عياض رَحِمَهُ اللهُ في المشارق عن إسماعيل القاضي : إن المازني قال : قول الرواة "لاها الله إذًا" خطأ ، و الصواب "لاها الله ذا" أي ذا يميني وقسمي . و قال أبوزيد : ليس في كلامهم "لاها الله إذًا" و إنما هو "لاها الله ذا" و "ذا" صلة في الكلام . و المعنى : لا و الله هذا ما أقسم به .

و **قال** الطيبي رحمه الله تعالى : ثبت في الرواية "لاها الله إذا" فحمله بعض النحويين على أنه من تعبير بعض الرواة لأن العرب لاتستعمل "لاها الله" بدون "ذا" . و إن سلم استعماله بدون "ذا" فليس هذا موضع "إذا" لأنها حرف جزاء . و مقتضى الجزاء أن لا يذكر "لا" في قوله "لا يعمد" بل كان يقول "إذا يعمد إلى أسد" ليصح جوابًا لطالب السلب . انتهى كلام الطيبي .

و **قد قال** أطال بعضهم (أراد به ابن حجر رحمه الله تعالى) الكلام في هذا جدًّا مختلطًا بعضه ببعض من غير ترتيب . فالناظر فيه إن كان له يد يشمئز خاطره من ذلك . و إلّا فلا يفهم شيئًا أصلا .

و الذي يقال بما يجدي الناظر : إنه إن كان "إذًا" على ما وجد في الأصول يكون معناه "حينئذ" و إن كان "ذا" بدون الهمزة فوجهه ما تقدم . فلا يحتاج إلى الإطالة الغير الطائلة . انتهى كلام الحافظ العيني .

قال العبد الضعيف البازي : ثبت "إذًا" بالهمزة و التنوين في كلام العرب . فمنها ما في سيرة ابن هشام على هامش الروض ج۲ ص۸۱ : أن قريشا قالت لأبي العاص : فارق صاحبتك . أي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي طلّقها . ونحن نزوّجك أيّ امرأة من قريش شئت . قال : لاها الله إذًا ، لا أفارق صاحبتي . انتهى .

و **قال** الرضي في شرح الكافية في بحث حروف الجر : قال الخليل : "ذا" من جواب القسم و هو خبر لمبتدأ محذوف ، أي للأمر ذا . أو فاعل ، أي "ليكونن ذا" أو "لا يكون ذا" . و الجواب الذي يأتي بعده نفيًا أو إثباتًا نحو "ها الله ذا لأفعلن" أو "لا أفعل" بدل من الأول ولا يقاس عليه ، فلا يقال "ها الله أخوك" أي لأنا أخوك ، و نحوه . و قال الأخفش : "ذا" من تمام القسم إمّا صفة لله أي الله الحاضر الناظر ، أو مبتدأ محذوف الخبر أي ذا قسمي . فبعد هذا إما أن يجيء الجواب أو يحذف مع القرينة . انتهى .

فصل

المبحث الخامس في الحكم الشرعي لقولهم "ها الله".

فاعلم : أن ما يعلم من كتب الفقهاء الأحناف أن قول الرجل "ها الله ذا" يمين لاتحتاج إلى النية نحو "والله و بالله و تالله" . و عند الشوافع إن نوٰى به اليمين فيمين و إلّا فلا .

قال ابن نجيم في البحر الرائق تحت عبارة صاحب الكنز "وحروفه أي القسم الباء و الواو و التاء" : لم يذكر المصنف كغيره أكثر من الثلاثة . و ذكر في التبيين أن له حروفًا أخر و هي لام القسم و حرف التنبيه و همزة الاستفهام و قطع ألف الوصل و الميم المكسورة و المضمومة في القسم و من . انتهى .

في هذا الكلام تصريح بأن حرف "ها" في "ها الله ذا" حرف قسم فهي يمين لا تحتاج إلى النية مثل سائر حروف الأيمان .

و قال الإمام النووي رحمه الله في شرح قول الصديق رضي الله عنه "لاها الله إذًا لايعمد إلى أسد من أسد الله" : و في هذا الحديث دليل على أن هذه اللفظة تكون يمينًا . قال أصحابنا : إن نوي بها اليمين كانت يمينًا و إلّا فلا ، لأنها ليست متعارفة في الأيمان . انتهى كلامه .

و في الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام ج٢ ص٧١ : وقول عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لأميّة بن خلف يوم بدر "ها الله ذا" ، "ها" تنبيه و "ذا" إشارة إلى نفسه . و قال بعضهم : إلى القسم . أي هذا قسمي . و أراها إشارة إلى المقسم و خفض اسم "الله" بحرف القسم أضمره ، وقام التنبيه مقامه كما يقوم الاستفهام مقامه . فكأنه قال : "ها أنا ذا مقسِم". و فصل بين "ها" و "ذا" بالاسم المقسم به فعلم أنه هو المقسم فاستغنى عن " أنا" . وكذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه "لاها الله ذا" و قول زهير :

تعلمنّ ها لعمرالله ذا قسمًا ع

أكّد بالمصدر قسمه الذي دل عليه لفظه المتقدم . انتهى كلامه بلفظه . هذا . و الله أعلم بالصَّواب و إليه المرجع و المآب و هو المستعان نعم المولى و نعم النصير و علمه أوسع و أتم و أعلى .

الباب الخامس عشر
و فيه ذكر خاصّتين

من خصائص هـذا الاسم الشريف جواز نصب اسمين اثنين من بين جميع الأسماء أضيفا إلى هذا الاسم الشريف . و ذلك في القَسَم بعد إضمار الجارّ . و هما "كعبة" و "قضاء". و هذا من لطائف الخصائص و نفائس المزايا . تقول عند إرادة القسم : "قضاءَ اللّٰه" و "كعبةَ الله" بنصب المضاف فيهما . أي بقضاء الله و بكعبة الله .

و هذه الخاصة متفرعة على مذهب بعض الكوفيين . و عند الجمهور يجوز النصب فيما سوى هذين اللفظين أيضًا .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع و شرحه الهمع ج٢ ص٣٨ ، ما حاصله : بعد إضمار حرف الباء القسمية يرفع تاليها و ينصب . خلافًا لمن منع النصب إلّا في حرفين "قضاءَ اللّٰه" و "كعبةَ اللّٰه" وهو أي القائل بتخصيص النصب بهذين الحرفين بعض أئمة الكوفية .

قال : لأن فعل القسم لا يعمل ظاهرًا إلّا بحرف فكيف يكون مضمرًا أقوى منه مظهرًا . و أجيب باتّساعهم في هذا الباب كثيرًا . أما الحرفان المذكوران فيجوز نصبهما . و أنشد :

لا كعبةَ الله ما هجرتكمْ   إلّا و في النفس منكمْ أرب

وفي المزهر للسيوطي رحمه الله تعالى ج٢ ص١٠٢ : قال الإمام ثعلب رحمه الله تعالى في أماليه : كل الأسماء يدخل فيها واو القسم فتخفض ، و تخرج الواو فترفع و تخفض . و لا يجوز النصب إلّا في حرفين . و أنشد :

لا كعبةَ الله ما هجرتكمْ إلّا و في النفس منكمْ أربُ

و الحرف الآخر :

ع قضاءَ الله قد سفعوا القبورا

انتهى كلامه . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أتم و أجلّ و أعلى .

الله أكبر

الباب السادس عشر
و فيه من الخصائص احدى عشرة

من خصائص الجلالة تعويض همزة الاستفهام من حرف القسم فيقال " آللّٰه" بجر "الهاء" والمدّ في أول الجلالة مثل " آلحسنُ" بالمدّ . ولم يثبت في كلامهم مثل هذا التعويض فيما عدا الجلالة . و هذه خاصة واحدة .

ثم اختلفوا في عامل الجر حينئذ فقيل : الهمزة . و قيل : حرف القسم المحذوف .

قال في الجمع و الهمع ج٢ ص٣٩ : فالأخفش و جماعة من المحققين على الأول كما في شرح الكافية . و هو قويٌّ لأنه شبيه بتعويض الواو من الباء و التاء من الواو ، لا خلاف في كون الجر بهما . فكذا ينبغي في "ها" و "الهمزة" .

و صحح في التسهيل و شرحه الثاني و إن كان لا يلفظ به كما كان النصب بعد الفاء و الواو و أو و كي و اللام بأن المحذوفة و إن كانت لازمة الحذف . و عزاه في البسيط إلى الكوفيين . و مقتضى كلام شرح الكافية تضعيفه . ولم يصرح أبوحيان بترجيح واحد من القولين . انتهى ما في الجمع و الهمع للسيوطي رحمه الله تعالى .

فالهمزة عند الأخفش حرف جرّ مختصة بالله . و هذه خاصّة ثانية . و يعلم من كلام ابن الشجري رحمه الله تعالى أن المختار عنده مسلك الأخفش .

و في سيرة ابن هشام ج٢ ص٧٢ : عن ابن مسعود رضي الله عنه احتززت رأس أبي جهل ثم جئت

به إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : " آللّٰهِ الذي لا إله غيره" . قال : وكانت يمين رسول الله ﷺ . قال : قلت : نعم . والله الذي لا إله غيره . انتهى .

قال الإمام السهيلي رحمه الله شارح السيرة في الروض الأنف : و قول النبي ﷺ " آللّٰهِ الذي لا إله غيره " بالخفض عند سيبويه و غيره . لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده . و إذا كنتَ مخبرًا قلت "الله" بالنصب . لا يجيز المبرد غيره ، و أجاز سيبويه الخفض أيضًا . لأنه قسم . و قد عرف أنّ المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو . و لا يجوز إضمار حروف الجرّ إلاّ في مثل هذا الموضع ، أو ما كثر استعماله جدًّا . كما روي أنّ رؤبة كان يقول إذا قيل له "كيف أصبحت" : خيرٍ ، عافاك الله . انتهى .

فائدة

اختلفوا في أن هذه الهمزة عوض عن الباء أو الواو . فعند الجمهور أنه لا يحذف من حروف القسم إلاّ الباء لأنها أصل حروفه . فالهمزة عوض منها . و عند ابن الشجري و الزمخشري من الواو .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٨١ ، ما حاصله : و يختص لفظة "الله" بتعويض "هاء" و همزة الاستفهام من "الباء" المحذوفة . و جار الله جعل هذه الأحرف بدلًا من الواو . و لعل ذلك لاختصاص "ها" بلفظة "الله" كالتاء . انتهى .

و في حواشي المغني للمدقق محمد الأمير ج١ ص١٨ في بحث " آ " بالمد : أن المصنف لم يذكر من معاني الهمزة القسم نحو " آللّٰه لأفعلن كذا" نظرًا إلى أنها الهاء المبدلة عن التاء أبدلت . انتهى .

و في أمالي ابن الشجري ج١ ص٣٦٥ : و إنما يكثر في كلامهم الخفض في هذا الاسم بهمزة الاستفهام نائبة عن الواو في قولهم " آللّٰهِ لتفعلن كذا" أصله " أواللّٰهِ" فحذفوا الواو و أنابوا الهمزة عنها فأعملوها عملها . انتهى .

قلت : حاصل الكلام أن ههنا احتمالات متعددة :

الأول : أن الهمزة حرف جر .

و الثاني : أنها عوض عن الباء .

و الثالث : أنها عوض عن الواو .

و الرابع : أنها مبدلة من الهاء المبدلة عن التاء ، كما نقلنا عن حواشي المغني . فهذه أربعة احتمالات . و هي أربع خصائص لاسم "الله" الكريم .

ثم في قولنا "آلله" بالمدّ اجتماع الساكنين و الثاني منهما مدغم . و هو إنما يجوز في كلمة واحدة نحو "دابّة" ولا يجوز في كلمتين كما فيما نحن فيه ، لأن الهمزة الاستفهامية والجلالة كلمتان . وجواز اجتماعهما واطّراد ذلك ههنا من مناقب الجلالة و خصائصها . وهذه خاصة أخرى . فانتهت الخصائص إلى خمس .

ثم إثبات همزة الوصل للجلالة والمعاملة معها معاملة همزة القطع حيث أبدلت همزة الوصل ألفا خاصة سادسة .

و أيضًا إنك تسأل فيقال لك : "آلله" بالمد و الجر كما أسلفنا . فتجيب و تقول "آللهِ" بالقصر و جر الجلالة مع قطع الهمزة كما هو الشائع في الجواب . فجرّ الجلالة في الجواب خاصة سابعة ، حيث جُرّت الجلالة مع حذف الهمزة . أي بقيت مجرورة مع حذف الجارّ . وقطع همزة الجلالة خاصة ثامنة .

ثم إن الجلالة جاز نصبها أيضًا في الجواب كما جاز جرها . والنصب في مثل هذا الموضع خاصة تاسعة .

و أخرج مالك في المؤطأ في باب ما جاء في المتحابّين في الله عن أبي إدريس الخولاني ، و فيه ذكر لقائه مع معاذ بن جبل رضي الله عنه في مسجد دمشق فذكر و قال : ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه . ثم قلت : و الله إني لأحبّك لِلّه . فقال : آللهِ . فقلت : آللهِ . فقال : آللهِ . فقلت : آللهِ . فقال : آللهِ . فقلت : آللهِ . الحديث .

و أخرج مسلم قصة أبي اليسر الصحابي رضي الله عنه و دينه على رجل و فيه ذكر قول المديون له : و كنت والله معسرًا . قال أي أبو اليسر : قلت : آلله . قال : آلله . قلت : آلله . قال : آلله . قال : قلت : آلله . قال : آلله . الحديث .

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه : الأول بهمزة ممدودة على الاستفهام . والثاني بلا مدّ . و "الهاء" فيهما مكسورة . هذا هو المشهور . قال القاضي : رويناها بكسرها وفتحها معًا . قال : و أكثر أهل العربية

لا يجيزون غير كسرها . انتهى .

قلت : ففتحة " آللّٰه " في السؤال كما روى القاضي رحمه الله تعالى مع تحقق همزة الاستفهام التي هي حرف جر أو عوض عنه مما نظير له . فهي خاصة عاشرة .

ثم ظاهر الرواية و ظاهر مقتضى الكتابة أن الجواب أيضًا مثل السؤال . أي " آللّٰه " بالمدّ مع اجتماع الساكنين المبني على إثبات همزة الاستفهام و قلب الهمزة الثانية ألفًا . و ليس هـذا موضع الاستفهام . فالنطق بها في الجواب على وفق النطق بها في السؤال خاصة أخرٰى .

فمجموع خصائص هذا الباب إحدٰى عشرة خاصة . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أعلى .



الباب السابع عشر
و فيه ذكر خاصّتين

من خصائص هذا الاسم الكريم أنه طريق مستقيم لوصول الخلق إلى الله ﷻ . هذه خاصّة واحدة .

و أيضًا أن جميع أسماء الله تعالى وصفاته تحت حيطة هذا الاسم . فلا يمكن الوصول إلى الاسم "الله" و كنهه إلاّ بطريق أسمائه تعالى و صفاته . هذه خاصة ثانية .

قال بعض العارفين بالله تعالى : الاسم ما يعيّن المسمّى في الفهم و يصوّره في الخيال و يحضره في الوهم و يدبره في الفكر و يحفظه في الذكر و يوجده في العقل سواء كان المسمّى موجودًا أو معدومًا حاضرًا أو غائبًا .

فأوّل كمال تعرف المسمى نفسه إلى من يجهله بالاسم . فنسبته من المسمّى نسبة الظاهر من الباطن . فهو بهذا الاعتبار عين المسمّى . و من المسميات ما تكون معدومة في نفسها موجودة في اسمها .

كعنقاء مغرب في الاصطلاح فإنها لا وجود لها إلاّ في الاسم . و هو الذي أكسبها هذا الوجود . و منه علمت صفاتها التي تقتضيها لذات هذا الاسم . وهو أعني الاسم غير المسمى باعتبار أن مفهوم عنقاء مغرب في الاصطلاح هو الشيء الذي يعزب عن العقول والأفكار . وكان بنقشه على هيئة مخصوصة غير موجودة المثال لعظمها . وليس هذا الاسم بنفسه على هذا الحكم . فكأنه ما وضع على هذا المعنى إلاّ وضعًا كليًّا على معقول معنًى ليحفظ رتبته في الوجود كيلا ينعدم . فتحسب أن الوجود في ذاته ماهو بهذا الحكم .

فهو السبيل إلى معرفة مسماه . و منه يصل الفكر إلى تعقل معناه . فألق الألف من الكلام و استخرج الورد من الكمام . و عنقاء مغرب في الخلق مضادّ لاسمه "الله" في الحق . فكما أن مسمى عنقاء في نفسه عدم محض فكذلك مسمى الله تعالى في نفسه وجود محض .

فهو مقابل لاسم "الله" باعتبار أن لا وصول إلى مسماه إلّا به . فهو أي عنقاء مغرب بهذا الاعتبار موجود .

فكذلك الحق سبحانه وتعالى لا سبيل إلى معرفته إلّا من طريق أسمائه و صفاته . إذ كل من الأسماء و الصفات تحت هذا الاسم . ولا يمكن الوصول إليه إلّا بذريعة أسمائه و صفاته . فحصل من هذا أن لا سبيل إلى الوصول إلى الله إلّا من طريق هذا الاسم .

و اعلم : أن هذا الاسم هو الذي اكتسب الوجود بتحققه بحقيقته . و به اتّضحت له سبيل طريقته . فكان ختما على المعنى الكامل في الإنسان . و به اتصل المرحوم بالرحمن .

فمن نظر نقش الختم فهو مع الله تعالى بالاسم . ومن عبر المنقوشات فهو مع الله تعالى بالصفات . و من فكّ الختم فقد جاوز الوصف و الاسم . فهو مع الله بذاته غير محجوب عن صفاته .

فإن أقام الجدار الذي يريد أن ينقضّ و أحكم الختم الذي يريد أن ينفضّ بلغ يتيما حقه و خلقه أشُدَّهما و استخرجا كنزهما . كذا في الإنسان الكامل . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أعلى .



الباب الثامن عشر

من خصائص هذا الاسم الجليل أن حروفها و هي " ا ، ل ، ل ، ا ، ه ، و " متضمنة لسرّ رباني تضمّنًا روحانيًّا لا لغويًّا ، إذ لكل آية ظهر و بطن و لكل حد مطلع . و هذا الاسم الجليل جزء من عدة آيات القرآن . و حكم الكل قد يسري إلى الجزء و بالعكس .

خلاصة هذا السرّ أن الألف الأولى لتعلق العبد المضطر باسم الله تعالى . و اللام الأولى سبب ظهوره و نجاته من العدم . و اللام الثانية سبب فناء العبد بشهود الألف التي بعدها . والهاء إشارة إلى وجوده آخرًا عند فناء الناس . و جاءت الواو بعد "الهاء" المشبعة لتمكن المراد . ففي هذا الاسم رمز خفي إلى المقام الذي تنعدم فيه مقامات السالكين . و في هذا المقام يقول العارف إذا عطس : الحمد لله . و لايرى العالم حتى يقول بعده : رب العالمين . و هذا مقام غلبة فناء النفس و فناء كل ما سوى الله . و في هذا المقام يرى آثار قدرة الله غالبة محيطة على كل شيء .

قال الشيخ الأكبر رحمه الله في الباب الخامس من فتوحاته ج١ ص١٠١ في بيان معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم و الفاتحة : قوله "الله" من بسم الله ، ينبغي لك أيها المسترشد ! أن تعرف أوّلًا ما تحصل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف . وحينئذ يقع الكلام عليها إن شاء الله تعالى .

و حروفها "ا ، ل ، ل ، ا ، ه ، و". فأوّل ما أقول كلامًا مجملًا مرموزًا ، ثم نأخذ في تبيينه ليسهل قبوله على عالم التركيب .

و ذلك أن العبد تعلق بالألف تعلق من اضطر والتجأ . فأظهرته اللام الأولى ظهورًا ورّثه الفوز من العدم و النجاة . فلما صح ظهوره و انتشر في الوجود نوره و صح تعلقه بالمسمى و بطل تخلقه بالأسماء

أفنته اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها فناءً لم تبق منه باقية . و ذلك عسى ينكشف له المعمى .

ثم جاءت "الواو" بعد الهاء لتمكن المراد ، و بقيت الهاء لوجوده آخرًا عند محو العباد من أجل العناد . فذلك أوان الأجل المسمى . و هذا هو المقام الذي تضمحل فيه أحوال السائرين و تنعدم فيه مقامات السالكين حتى يفني من لم يكن ويبقى من لم يزل . لا غير يثبت لظهوره ولا ظلام يبقى لنوره . فإن لم تكن تره أعرف حقيقة إن لم تكن تكن أنت . إذكانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات و هي العبودية . يقول بعض السادة و قد سمع عاطسًا يقول : الحمد لله . فقال له ذلك السيد : أتمها كما قال الله : رب العالمين . فقال العاطس : يا سيدنا ! و من العالم حتى يذكر مع الله . فقال له : الآن قله يا أخي . فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر . و هذا هو مقام الوصلة و حال و له أهل الفناء عن أنفسهم . و أما لو فنى عن فنائه لما قال : الحمد لله . لأن في قوله "الحمد" أثبت العبد الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم و بالثوب عند آخرين . و لو قال "رب العالمين" لكان أرفع من المقام الذي كان فيه . فذلك مقام الوارثين . ولا مقام أعلى منه لأنه شهود لا يتحرك معه لسان و لا يضطرب معه جنان .

أهل هذا المقام في أحوالهم فاغرة أفواههم استولت عليهم أنوار الذات و بدت عليهم رسوم الصفات . هم عرائس الله المخبأون عنده المحجوبون لديه ، الذين لا يعرفهم سواه كما لايعرفون سواه . تَوَّجهم بتاج البهاء و إكليل السباء . و أقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الأنس و مناجاة الديمومية بلسان القومية . أورثهم ذلك قوله "عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآيِمُوْنَ" و "بِشَهٰدٰتِهِمْ قَآيِمُوْنَ". فلم تزل القوة الإلهية تمدهم بالمشاهدة فيبرزون بالصفات في موضع القدمين فلا وَلَه إلّا من حيث الاقتداء . ولا ذكر إلّا إقامة سنة أو فرض . لا يحيدون عن سواء السبيل فهم بالحق . و إن خاطبوا الخلق و عاشروهم فليسوا معهم . و إن رأوهم لم يروهم إذ لا يرون منهم إلّا كونهم من جملة أفعال الله . فهم يشاهدون الصنعة و الصانع مقامًا عمريًّا كما يعقد أحدكم مع نجار يصنع تابوتًا فيشاهد الصنعة و الصانع . و لا تحجبه الصنعة عن الصانع إلّا أن شغل قلبه حسن الصنعة . فإن الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام : حلوة خضرة . و هي من خضراء الدمن جارية حسناء في منبت سوء . من أحسن إليها و أحبها أساءت إليه و حرمت عليه أُخراه . و لقد أحسن القائل :

إذا امتحن الدنيا طبيبٌ تكشّفت له عن عدوّ في ثياب صديق

فهذه الطائفة الأمناء الصديقون إذا أيدهم الله بالقوة الإلهية و أمدّهم . فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال . و هذا أعلى مقام يرقى فيه و أشرف غاية ينتهى إليها . هذه الغاية القصوٰى ، إذ لا غاية إلّا من حيث التوحيد لا من حيث الموارد و الواردات . و هو المستوي ، إذ لا استواء إلّا الرفيق الأعلى .

فهنيئًا لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة ، و هنيئًا لنا على التصديق و التسليم لهم بالموافقة و المساعدة . انتهى كلامه بلفظه .

هـذا كلام لا يفهم حقيقة مغزاه إلّا من هو مثل هذا الشيخ صاحب هذه المقامات . و علينا أن نؤمن بما يوافق الشرع ولا نؤمن بما يخالفه . فافهم أنت و خذ ما صفا و دع ما كدر . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أعلى .



الباب التاسع عشر
وهو محتوٍ على ست عشرة خاصة

من خواص اسم "الله" الشريف اجتماع أمرين في لامه المعرِّفة :

الأول لزوم هذه اللام مع الاسم "الله" .

و الثاني كونها عوضًا من الهمزة . إذ أصله "إله" فحذفت الهمزة تخفيفًا و عوّضت عنها اللام و أدغمت في اللام الثانية فصار "الله" . و لزمت معه هذه اللام فلا يقال "لاه" إلّا في الضرورة . و لا تجتمع اللام و الهمزة فلا يقال "الإله" إلّا على قلة . و لا نظير لاسم "الله" في ذلك .

ثم اعلم : أن هذه الخاصة متفرعة على أن أصله "إله" وهو أحد قولي سيبويه . و له قول آخر في ذلك . و هو أن أصله " لاهٌ " بدليل قوله :

لاه ابن عمِّك لا أفضلت في حسب مني و لا أنت ديّاني فتخزوني

إذ حذف العوض و المعوض عنه لا يسوغ .

قال الرضي في شرح الكافية ، ما محصوله : اجتمع شيئان في لام لفظة "الله" : الأوّل لزومها للكلمة فلا يقال "لاه" إلّا نادرًا . قال :

ع يسمعها لاهُه الكبار

و الثاني كونها بدلًا من همزة "إله" فلا يجمع بينهما إلّا قليلًا . قال :

معاذ الإلاه أن تكون كظبية و لا دُمية و لا عقيلة ربرب

و أما النجم و الصعق و الذي و بابه فإن لامها لازمة ، لكنها ليست بدلاً من الفاء . و أمّا لفظ "الناس" فإن اللام فيه عوض من الفاء . و أصله "أناس" لا يجتمعان إلاّ في الشعر كقوله :

ع إن المنايا يطّلعن على الأناس الآمنينا

إلا إنها ليست لازمة ، إذ يقال في السعة : ناس .

قالوا : أصله "الإله" فِعال بمعنى المفعول . و الإلاهة العبادة . و أله يأله بابه فتح أي عبد . فإله بمعنى مألوه أي معبود . فالله في الأصل من الأعلام الغالبة كالصعق . كأنّه كان عامًّا في كل معبود . ثم اختص بالمعبود بالحق ، لأنه أولى من يؤله أي يعبد . و صار مع لام العهد علَمًا له .

فلكثرة استعمال هذه اللفظة صار تخفيف همزتها أغلب من تركه . و صار الألف و اللام كالعوض من الهمزة ، لقلّة اجتماعهما .

ولا نقول : اجتماعهما يختص بحال الضرورة كما قلنا في "الأناس" . و ذلك أنه قد يجيء "الإله" في السعة . أورد أبوالفرج الأصفهاني أن أمية بن خلف كان يسمّي عبدالرحمن بن عوف عبد الإله .

فلما خففت الهمزة نقلت حركتها إلى ما قبلها كما هو القياس و حذفت . فصار "ألِلاه". ثم أسكنوا اللام الأولى ، و أدغموها في الثانية . ولا تدغم لو خفّف نحو "الإلاهة" بمعنى العبادة . لأن التخفيف مع عروضه غير غالب كما غلب في "الله" فكأن اللامين لم تلتقيا . انتهى كلام الرضي .

قال العبد الضعيف البازي : بناءً على قول الرضي فيه خاصّة ثانية . وهي إدغام اللام الأولى بعد إسكانها في اللام الثانية في "الله". ولا يجوز مثل هذا الإدغام في نظائره نحو "الإلاهة" بعد نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وحذف الهمزة حيث يقال : "ألِلاهة" بدون الإدغام مثل "ألِقامة" في الإقامة .

قال ابن الشجري في أماليه ج٢ ص١٤ : فأصل هذا الاسم أي "الله" تعالى مسماه "إله" في أحد قولي سيبويه بوزن فِعال . ثم " لاهٌ " بوزن عال . و لما حذفوا فاءه عوضوا منها لام التعريف فصادفتْ هذه اللام ، وهي ساكنة ، اللامَ التي هي عين ، وهي متحركة ، فأدغمت فيها . و بعض العرب يقطعون همزة

لام التعريف منه في النداء فيقولون : "يا أللّٰه" ليدلوا بقطعها على أن الألف و اللام فيه عوض من همزة قطع . و خصوا هذا الاسم الشريف بشيء لم يسمع في غيره . انتهى كلامه .

فائدة

قلت : ههنا خاصة ثالثة . وهو تعويض ألف "فِعال" الزائدة عن همزته التي هي فاءالكلمة . فاسم "الله" أصله "إله" ثم حذفت الهمزة تخفيفًا و عوّض عنها ألف "فِعال" فبقي "لاه" بوزن عال . صرح به في الأشباه و النظائر ج١ ص١١٠ حيث قال : و قد حذفت الفاء همزة و جعلت ألف "فعال" بدلًا منها . و ذلك قولهم :

ع لاهِ ابن عمِّكِ لا أفضلت في حَسَبٍ

في أحد قولي سيبويه . انتهى كلام صاحب الأشباه .

ولا يشارك اسم "الله" الشريف في هذا الباب إلّا لفظ "الناس" حيث كان أصله "أناس" على قول سيبويه . فحذفت همزته التي هي فاء الكلمة و جعلت ألف "فعال" بدلًا منها فقيل "ناس" بوزن عال .

قال ابن جني في الخصائص : وقد حذفت الفاء في "أناس" و جعلت ألف "فعال" بدلًا منها فقيل : ناس . و وزنها عال كما أن وزن" عدة" علة بحذف الفاء . و حذفت الفاء و جعلت تاء "افتعل" عوضًا منها . و ذلك قولهم : تَقٰى يَتَّقِي . و الأصل : اتّقٰى يتّقي . فحذفت الفاء فصار تَقٰى . و وزنه "تَعل" و يَتَّقِي "يتعل" قال أوس :

تقاك بكعبٍ واحدٍ و تلذه يداك إذا ما هزّ بالكف يعسل

انتهى ما ذكره ابن جني في الخصائص .

و بالنظر إلى أن "أناس" بضم الفاء و "إله" بكسرها ، و المكسور يغاير المضموم ، لا يبعد أن يدعى أنه لا نظير للفظ "اللّٰه" في ذلك .

فائدة

ثم على تعويض اللام المعرِّفة من الفاء في اسم "الله" لايبعد أن يقال فيه بتحقّق خاصّة رابعة . و هي أن العوض ثبت ههنا في موضع المعوّض عنه . و جمهور الأدباء و النحاة اتفقوا على أن العوض لا يكون في موضع المعوّض عنه . و سنوضح هاتين الخاصتين في الفصل الآتي فتلوَّم . فهذه أربع خصائص لاسم "الله" .

ثم هٰهنا خاصّة أخرى خامسة و هي الجمع بين العوض و هو اللام و المعوض عنه و هو الهمزة في "إله". فيقال : الإله شائعًا . و يجمع بين العوض و ما عوض عنه .

و خاصة أخرى سادسة وهي حذف العوض والمعوض عنه فيقال "لاه"بحذف اللام و الهمزة معًا . و سيجيء بيانهما في هذا الباب . فمجموع الخصائص في هذا الباب ستٌّ .

ثم اعلم : أن ههنا خاصة سابعة . و هي لزوم حذف الهمزة من "إلاه". فقد بدا لك من البيان المتقدم أن أصل هذا الاسم الكريم "إلاه". و في حذف الهمزة ههنا قولان :

القول الأول : حذفها اعتباطًا على غير قياس ، فلذا لم يمنع الإدغام ، و عوض عنها "أل" . فهذا الحذف للهمزة و لزومه خاصة لاسم "الله" لا نظير له إلّا لفظ "الناس" عند البعض . لكن المختار و هو قول الكسائي في "الناس" أن أصله "ناس" لا "أناس" فليس "الناس" مما حذفت فيه الهمزة .

ثم على هذا القول إدغام اللام في اللام في اسم "الله" منقاس لا خاصة فيه . لكون اللام الأولى ساكنة و الثانية متحركة و الإدغام في مثله لازم و شائع . نعم التعويض خاصة أخرى ثامنة . إذ التعويض في مثل هذا غير معهود في كلامهم . فانتهت الخصائص في هذا الباب إلى ثمان .

و القول الثاني : أن حذف الهمزة في هذا الاسم الشريف قياس ، بأن نقلت حركتها إلى ما قبلها ، و حذفت هي كما في "يسل" أصله "يسأل". و العمل بهذا القانون جائز لا لازم . لكن ههنا حذفُ همزة "الإلاه" لازم . فلزوم حذفها خاصة أخرى تاسعة . فانتهت الخصائص إلى تسع .

ثم إنّ هذا الاسم الشريف صار بعد العمل المذكور على وفق هذا القول "أَلِلاه" بكسر اللام الأولى و فتح اللام الثانية . فنظرًا إلى هذا القول الثاني يجب حذف همزة الوصل من هذا الاسم الشريف ،

و يمنع الإدغام فيه بين اللامين لتحرك اللامين . و لأن المحذوف لعلة منقاسة يعدّ كالموجود . لكن لم تحذف ههنا همزة الوصل .

و هذه خاصة عاشرة . و أدغمت اللام في اللام . و هذه خاصة أخرى . و لزوم هذا الإدغام خاصة أخرى . فهنّ ثلاث خصائص . و بضمهن إلى ما تقدمت من الخصائص تنتهي الخصائص إلى ثنتي عشرة خاصّةً .

قال العلامة الشهاب رحمه الله تعالى في شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٥٠ : و هل حذف همزة "الإلاه" اعتباط على غير قياس ، فلذا لم يمنع الإدغام ، و عوض عنها "أل"، أو هو قياس بأن نقلت حركتها إلى ما قبلها ، ثم حذفت ، فلزوم الحذف والتعويض و عدم منع الإدغام مع أن المحذوف لعلة كالموجود من الأمور الشاذة التي اختص بها هذا الاسم الأعظم قولان . أظهرهما الأول . انتهى .

و ههنا خاصة أخرى . فإن الزمخشري و غيره صرحوا بأن أصل اسم "الله" "الإلاه" أي المعرف باللام هو أصله ، فحذفت اللام و عوض عنها الألف و اللام . فلا يجتمعان إلّا ضرورة .

و اعترض على الزمخشري بأن اللام في الأصل أي في "الإلاه" موجودة قبل حذف الهمزة . فكيف يصح قوله : إنها عوض عن الهمزة . و للاجتناب عن ورود هذا الاشكال قال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسيره المشهور الذي هو مأخوذ من الكشاف على ما صرّح به العلماء : إن "الله" أصله "إلاه" أي منكرًا . فحذفت الهمزة و عِوّض عنها الألف و اللام .

و أجيب عن الاعتراض المذكور الوارد على الزمخشري بوجوه متعددة . منها ما نقله الشيخ العلامة الخفاجي رحمه الله تعالى عن البعض أن "أل" نفسها ليست عوضًا عن الهمزة حتى يرد ما ورد ، بل لزوم اللام هو العوض عن الهمزة . فاندفع الاعتراض .

قال العبد الضعيف البازي : إنّ اللزوم أمر معنوي . و تعويض الأمر المعنوي عما حذف من اللفظ لم يعهد في اللغة . لكن تأتّى ههنا و ساغ و شاع . لأن لاسم "الله" خصائص كثيرة ، فلتكن هذه منهن ، إذ الجنس يأنس بالجنس و يميل إليه . فمجموع هذه الخصائص المذكورة من قبل ثلاث عشرة خاصة .

قال العلامة الشهاب رحمه الله تعالى في عناية القاضي و كفاية الراضي ج١ ص٥١ ، ما حاصله : إنهم أجابوا عن الزمخشري أن "أل" من الحكاية لا من المحكي . و زعم البعض أن المعوّض اللزوم ، أي الأمر المعنوي عما حذف .

ثم رده الشهاب فقال : هذا القول مع كونه خلاف الظاهر يرد عليه أن تعويض الأمور المعنوية عما حذف لم يعهد . انتهى .

قلت : الجواب عندي عما أورد الشهاب أن لهذا الاسم الشريف خصائص بديعة كثيرة و خواصّ رفيعة غير قليلة و مزايا غريبة لا تعهد في غيره من الأسماء . فليكن جعل الزمخشري لزوم الأمر المعنوي عوضًا عن اللفظ المحذوف ههنا معدودًا من تلك الخصائص . فلا إشكال .

ثم اعلم : أن هنا خاصة أخرى . و هي أن على القول الثاني حذف الهمزة من "إلاه" بعد نقل حركة الهمزة إلى اللام قبلها منقاس . و الحذف المنقاس لا يحتاج إلى التعويض . ولا يعهد عند العمل على هذه الضابطة أي ضابطة "يسل" التعويض مطلقًا فضلاً عن تعويض "أل" ، لكن عوِّضت "أل" في الجلالة عن حذف الهمزة . فالتعويض ههنا من خصائص الجلالة . و لذا اختار كثير من العلماء أن حذف الهمزة من "إلاه" غير قياس ، ليصح القول بتعويض "أل" .

قال العلامة ا لقنوي رحمه الله تعالى في حواشي شرح تفسيرالبيضاوي ج١ ص٥٣ : فحذفت الهمزة من "إلاه" و عوض عنها الألف و اللام ، أي حذفت حذفًا غير قياس ، يدل عليه وجود الإدغام و التعويض . فإن المحذوف قياسًا في حكم المثبت لا يحتاج إلى التعويض و لا يجب إدغامه . انتهى كلام القنوي .

و ههنا خاصة أخرى . و هي أن في التعويض في هذا المقام قولان :

القول الأول : أنّ العوض من الهمزة المحذوفة لام "أل" وحدها . فالهمزة في "أل" للوصل فلابد من سقوطها في "يا الله" لأن العوض هو اللام لا الهمزة . و الممنوع حذف العوض لا حذف همزة الوصل . مع أن الهمزة لا تحذف في "يا الله" كما تقدم في بعض الأبواب المذكورة . و هذا من خصائص اسم "الله" .

و القول الثاني : أنّ العوض مجموع الألف و اللام من "أل" على ما هو مذهب الخليل ، أن

مجموع "أل" للتعريف ، لا اللام فقط كما هو مسلك سيبويه .

و فيه خاصة أخرى . إذ الواجب على مسلك الخليل رحمه الله تعالى أن لا تسقط همزة "أل" من أول الجلالة في الدرج لأنها حينئذ همزة واصل ، لا همزة وصل ، مع أنها تسقط في الدرج في غير النداء كما لا يخفى . و هذا من جملة خصائص الجلالة .

ففي كلا القولين تحقق أمر محظور ممنوع الاستعمال مطلقًا فضلاً عن اطّراده حسب البيان المتقدّم .

لكنّا نرى أنّ الشائع الواقع خلاف ذلك . حيث نرى كل واحد من المحظورَين مستفيض الاستعمال سائرًا متداولاً بليغًا مقبولاً بقبول حسن . فلابد من توجيهه و تعليله ، إذ الممنوع و المحظور لا يطّرد استعماله إلّا لوجه خاصّ و علّة قوية داعية إلى الاطّراد .

والأولى عندي أن يقال في توجيهه وتعليله إنّا نحمل استعمال كل محظور على خاصية الجلالة . و بعد الحمل على الخاصية لا حرج في تحقق المحظور .

فلا يرد ما قدح بعض شراح تفسير البيضاوي و الكشاف لأجل هذين المحظورين ، كما ذكر العلامة القنوي في هامش شرح تفسير البيضاوي حيث قال :

و أورد على عبارة الكشاف و هي "فحذفت الهمزة و عوّض منها حرف التعريف" أنه إن أراد بحرف التعريف "اللام" وحدها كما هو مذهب سيبويه لا يكون للهمزة دخل في التعريف . فيكون همزة وصل . فلابد من سقوطها في "يا الله" لأن العوض هو "اللام" لا "الهمزة" . و إن أراد بها مجموع الألف واللام على ما هو مذهب الخليل ، فالواجب أن لا تسقط الهمزة في الدرج أصلا . لأنها حينئذ تكون همزة واصل لا همزة وصل ، مع أنها تسقط في الدرج في غير النداء . انتهى .

و وجه عدم الورود ما حصحص لك أن ذلك من خصائص الجلالة . فإن الجلالة بحرٌ و حدّث عن البحر و لا حرج .

فهذه ثلاث خصائص . و بضمها و جمعها مع ما تقدم يكون مجموع خصائص هذا الباب

ست عشرة خاصة .

فصل

قال العبد الضعيف البازي : ههنا أبحاث مفيدة جدًّا يجدر بنا أن ندرجها ههنا . فأَلقِ سمعك و أنت شهيد فإنها تنفعك نفعًا عند الأوام في محافل الأنام ، و يزينك تزيينًا عند الكلام مع الأعلام .

البحث الأوّل

إذ قد غُصنا في مسائل التعويض ينبغي لنا أن ننبئك توضيحها كي تقرّ عينك و يطمئنّ قلبك و ينكشف الحجاب عن الصواب في أمر تعويض اللام و ألف "فعال" . فأقول و على الله التكلان و منه الفيض و الإحسان :

قال ابن جني في الخصائص ما محصوله : اعلم : أن الحرف الذي يحذف فيجاء بآخر زائدًا عوضًا منه على ضربين : أحدهما أصلي و الآخر زائد .

فالأول على ثلاثة أضرب : فاء و عين و لام .

فأما ماحذفت فاؤه و جيء بزائد عوضًا منها فباب "فِعلة" في المصدر نحو "عِدة" و الأصل "وِعدة" حذفت الفاء و جعلت التاء عوضًا منها .

و يدل على أن أصله ذلك قوله تعالى : وَلِكُلٍّ وِّجْهَـةٌ . و منه "ناس" وزنه عال . أصله "أناس" و قد ذكرناه .

و منه حذف الفاء وجعلُ تاء "افتعل" عوضًا منها نحو "تقى يتقي" وقد فصّلناه . و "تَجَه يتجه" و الأصل "اتّجه يتّجه" وزنه "تَعَل" . فأمّا ما رواه أبو زيد من قولهم "تجه يتجه" فهذا من لفظ آخر . و فاؤه تاءٌ . و أما قولهم "اتّخذت" فليست تاؤه بدلاً من شيء بل هي فاء أصلية بمنزلة "اتّبعت" من تبع . و يدل عليه ما أنشد الأصمعي رحمه الله تعالى :

وقد تَخَذَتْ رِجلي إلى جنب غرزها نسيفًا كأفحوص القطاة المطرق

وعليه قوله تعالى : لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا . و ذهب أبو إسحاق إلى أن "اتخذت" كاتقيت واتزنت . و أن الهمزة أجريت مجرى الواو . و هذا ضعيف إنما جاء منه شيء شاذ . و أنشد ابن الأعرابي :

في داره تقسم الأزواد بينهم كأنّما أهله منها الذي اتّهلا

و روى لنا أبو علي عن أبي الحسن علي بن سليمان "متّمن" و أنشد : و مبيض اتمن إلخ . و الصواب خلاف أبي إسحاق بدليل "لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" .

فكما أن "تجه" ليس من الوجه كذلك "تخذ" ليس من الأخذ . و عذر من قال : اتّمن و اتّهل من الأهل . أن لفظ هذا إذا لم يدغم يصير إلى صورة ما أصله حرف لين . و كذلك قولهم في "افتعل" من الأكل : ايتكل . فأشبه حينئذ "أيتعد" في لغة من لم يبدل الفاء تاء فقال : اتّهل و اتّمن . لقول غيره : ايتهل و ايتمن . و أجود اللغتين إقرار الهمزة . و كذلك جعلت ألف "فِعال" بدلًا من الفاء في "لاه" و قد سبق منا بيانه .

و أما ما حذفت عينه و زيد هناك حرف عوضًا منها "فأينق" في أحد قولي سيبويه . لأن اصلها "أنوُق" حذفت الواو و عوضت منها ياء . و وزنه "أيفُل" . و قوله الآخر : أن العين نقلت إلى الفاء فأبدلت ياء . و وزنه "أعفُل" .

و في رجل خافٍ و مالٍ و هاعٍ و لاعٍ حذفت العين و عوّضت منها ألف "فاعل" إذ أصلها خائف و مائل و هائع و لائع . و مثله لاثٌ أي لائثٌ .

و منه سيد و ميت و هين . فأصلها "فيعل" حذفت العين و جعلت ياء "فيعل" عوضًا منها .

و منه باب قيدودة و كينونة . أصلها "فيعلولة" حذفت عينها و صارت الياء عوضًا منها .

و أما ما حذفت لامه و صار الزائد عوضًا منها فكثير . منه باب سنة و مئة و فئة و رئة و ضعة و عضة . فهذا و نحوه مما حذفت لامه و عوّض منها تاء التأنيث . و أمّا بنت و أخت فالتاء عندنا بدل من لامي الفعل ، و ليست عوضًا .

و أما ما حذف لالتقاء الساكنين من هذا النحو فليس الساكن الثاني عنه بدلاً ولا عوضًا لأنه ليس لازمًا نحو : هذه عصًا و رحًى . وكذلك ما لحقه عَلَم الجمع نحو : القاضون و القاضين . فعلَم الجمع ليس عوضًا و لا بدلاً لأنه ليس لازمًا .

و أما الحرف الزائد عوضًا من حرف زائد فكثير . منه "التاء" في فرازنة و زنادقة عوضًا من ياء المد في فرازين و زناديق .

و منه ياء نحو "دحيريج" في التحقير عوضًا من ميم مدحرج .

وكذلك "الهاء" في تفعلة في المصادر عوضًا من ياء "تفعيل" أو ألف "فعال" و ذلك نحو تسلية و تربية .

و من ذلك تاء "فعللة" في الرباعي نحو الهملجة . وكأنها عوض من ألف "فعلال" نحو هملاج . وكذا دحرجة و دحراج .

و منه ما قال سيبويه في ميم مفاعلة المصدر : إنها عوض من ألف "فاعلتُه" .

و منع ذلك المبرد فقال : ألف "فاعلتُه" موجودة في "المفاعلة" فكيف يعوض من حرف هو موجود غير معدوم .

قال ابن جني : و قد ذكرنا ما في هذا . و وجه سقوطه عن سيبويه في موضع آخر يعني في كتاب التعاقب . و فيه : أن أباعلي ردّ قول المبرد في الجزء الستين من التذكرة . و حاصله : أن تلك الألف ذهبتْ . و هذه غيرها . و هي زيادة لحقت المصدر كما تلحق المصادر . و أصناف زيادتها بين ألف "الإفعال" و ياء "التفعيل" . قال : لكن الألف في "المفاعِل" بغير هاء هي ألف "فاعلتُه" لا محالة نحو : قاتلته مقاتلاً .

فأما نحو "إقامة" فالهاء على مذهب سيبويه و الخليل عوض من ألف "إفعال" الزائدة . و هي في قول أبي الحسن عوض من عين "إفعال" على مذهبهما في باب "مفعول" من نحو : مبيع و مقول . و الخلاف في ذلك قد عرف .

و من ذلك ألف "يمان" و "تهام" و "شآم" فإنها عوض من أحد يائي النسبة في "يمنيّ" و "تهاميّ" و "شاميّ".

و كذلك تاء "التفعيل" بدل من ألف "الفعال"، كما أن التاء في أوله عوض من إحدى عينيه. هذا ما قاله ابن جني.

و من ذلك ما قال ابن خالويه رحمه الله تعالى: من العرب مَن إذا حذف عوَّض. فمنه تشديد الميم في الفمّ في بعض اللغات عوضًا من لامه، و تشديد "أبّ" و "أخّ" عوضًا من لاميهما. وهي لغة. و كذا تشديد نون "هنّ" و تشديد ميم "دمّ" عوضًا من لامه. و هي لغة.

و ذهب قوم إلى أن "النون" في المثنى والمجموع عوض من حركة المفرد. وآخرون إلى أنها عوض من تنوينه. و آخرون إلى أنها عوض منهما معًا.

و من ذلك تعويض التنوين من المضاف إليه في "أيٍّ" و "إذٍ" و من حرف العلة المحذوفة في نحو: جوارٍ و قاضٍ.

و قال ابن النحاس رحمه الله تعالى في التعليقة: و اختلف في تنوين "كلٍّ" و "بعضٍ" فقيل: عوض عن المضاف إليه كإذٍ.

فصل

البحث الثاني في الفرق بين العوض و البدل

قد لاح لك مما نمقنا في بيان الخاصة الرابعة من هذا الباب أن اللام عوضٌ من الهمزة في موضع الهمزة في اسم "الله". و العوض لا يكون في موضع المعوض عنه. و هذا موضوع نفيس حريّ بالتوضيح و جدير بالتفصيل ولا مندوحة عن ذكر أقوال الأئمة فيه.

فأقول: تحقيق هذا المقام على وجه ينفضّ عنه غبار الأوهام و ينحلّ به المرام أنّ لعلماء العربية في هذا الموضوع كلامًا وافيًا و بيانًا شافيًا.

قال أبوالبقاء رحمه الله في كتابه التبيين : عرفنا من طريقة العرب أنهم إذا حذفوا من الأول عوّضوا أخيرًا مثل عدة و زنة . و إذا حذفوا من الآخر عوضوا في الأول مثل "ابن" و قد عوّضوا في "الاسم" همزة الوصل في أوله . فكان المحذوف من آخره .

و العوض مخالف للبدل . فبدل الشيء يكون في موضعه . و العوض لا يكون في موضع المعوض عنه .

فإن قيل : التعويض في موضع لايوثق بأن المعوض عنه في غيره . لأن القصد منه تكميل الكلمة . فأين كملت حصل غرض التعويض . ألا ترى أن همزة الوصل في "اضرب" و بابه عوض من حركة أول الكلمة . وقد وقعت في موضع الحركة .

فالجواب : أن التعويض على ما ذكرنا يغلب على الظنّ أن موضعه مخالف لموضع المعوض عنه ، لما ذكرنا من الوجهين .

قولهم : "الغرض تكميل الكلمة" ليس كذلك . و إنما الغرض العدول عن أصل إلى ما هو أخفّ منه . و الخفّة تحصل بمخالفة الموضع . فأما تعويضه في موضع محذوف فلا يحصل منه خفّة ، لأن الحرف قد يثقل بموضعه . فإذا أزيل عنه حصل التخفيف . انتهى كلامه . أشباه ج١ ص١٢٢ .

قال الزمخشري في الأحاجي : معنى العوض أن يقع في الكلمة انتقاص فيتدارك بزيادة شيء ليس في أخواتها كما انتقص التثنية و الجمع السالم بقطع الحركة و التنوين عنهما فتدارك ذلك بزيادة النون .

و الفرق بين العوض و البدل أن البدل يقع حيث يقع المبدل منه ، و العوض لا يراعى فيه ذلك . ألا ترى أن العوض في "اللّهم" في آخر الاسم و المعوض عنه في أوله . انتهى كلامه .

و قد ألّف ابن جني كتاب التعاقب في أقسام البدل و المبدل منه و العوض و المعوض عنه . و قال في أوله : اعلم أن كل واحد من ضربي التعاقب ، و هما البدل و العوض ، قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه . و ربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله . إلاّ أن البدل أعم استعمالاً من العوض . و ذلك أنا نقول : إن ألف "قام" بدل من الواو . ولا نقول : إنها عوض منها . و نقول : إن الميم في آخر "اللّهم" بدل من "يا" في أوله كما تقول : إنها عوض منها .

أولا ترى إلى سعة "البدل" و ضيق "العوض". و كذلك جميع ما استقريته تجد "البدل" فيه شائعًا و "العوض" ضيقا. فكل عوض بدل و ليس كل بدل عوضًا. كذا وضع هذين اللفظين أهل هذا العلم فاستعملوهما. و هذا الذي رأوه في هذا هو القياس.

و ذلك أن تصرف "ع، و، ض" في كلام العرب أين وقعت إنما هو لأن يأتي مستقبل ثانٍ مخالفًا لمنقضٍ. و من ذلك تسميتهم الدهر "عوض" لأنه موضوع على أن ينقضي الجزء منه و يخلفه جزء آخر من بعده. و معلوم أن ما يمضي من الدهر فانٍ لايعاد. و معاد لا يرتجع. فهذا حال تصرف "ع" و "ض".

و ليس كذلك تصرف "ب، د، ل" لأن البدل من الشيء قد يكون والشيئان جميعًا موجودان. ألا ترى قول النحويين في "مررت بأخيك زيد" أن زيدًا بدل من "أخيك" و إن كانا جميعًا موجودَين.

ثم قال ابن جني: و مما ينبغي أن تعرف فرقًا بين البدل و العوض أن من حكم البدل أن يكون في موضع المبدل منه. و العوض ليس بابه أن يكون في موضع المعاض منه. ألا ترى أن ياء "ميزان" بدل من "الواو" أصله موزان. و هي مع ذلك واقعة موقعها. و كذلك واو "موسر" بدل من "الياء" و هي في مكانها.

و ليس أحد يقول: إن ياء " ميزان " عوض من واوه ولا ألف "قام" عوض من واوه. و سبب ذلك ما قدمنا من أن "ع، و، ض" إنما هي لعدم الأوّل و تعويض الثاني منه. و ليس كذلك الألف في "قام" و "باع" لأنهما فيهما كأنهما الواو و الياء. و متى نطقتَ بواحد من هذه الأحرف فكأنك نطقت بالآخر.

و كذلك الألف التي هي بدل من التنوين. حتى أنهم إذا نطقوا بالألف فكأنهم قد نطقوا بالنون. فالألف "إذًا" كأنها هي النون.

و على هذا ساق سيبويه رحمه الله تعالى حروف البدل الأحد عشر. لأن كل واحد منها وقع موقع المبدل منه. ولم يسم شيئا من ذلك عوضًا. هذا كلام ابن جني اختصرناه.

قال أبوحيان: قد يكون التعويض مكان المعوض كما قالوا: يا أبت. فالتاء عوض من ياء المتكلم. و قد يكون العوض في الآخر من محذوف كان في الأول كعدة و زنة. و عكسه كاسم و إست.

لمّا حذفوا من آخره لام الكلمة عوّضوا في أوله همزة الوصل . و قد يكون التعويض من حرف ليس أوّلًا ولا آخرًا فيعوض منه حرف آخر نحو "زنادقة" في زناديق . انتهى كلامه . هذا . وقد سبق أن تاء مثل "يا أبت" بدل لا عوض .

و قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة : الفرق بين البدل و العوض أن العوض لا يحلّ محلّ المعوض منه ، و البدل إنما يكون في محل المبدل منه .

و قال أبوحيان في تذكرته : البدل لغة العوض . و يفترقان في الاصطلاح . و البدل أحد التوابع يجتمع مع المبدل منه و بدل الحرف من غيره لا يجتمعان أصلاً . و لا يكون إلّا في موضع المبدل منه . و العوض لا يكون في موضعه . و ربما اجتمعا ضرورة . و ربما استعملوا العوض مرادفًا للبدل في الاصطلاح . انتهى .

و قال ابن يعيش : البدل على ضربين : بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره نحو تاء "تخمة". و بدل هو قلب الحرف بنفسه إلى حرف غيره على أنه إحالته إليه . و هذا إنما يكون في حروف العلة و الهمزة نحو "قام" أصله قوم . و "موسر" أصله ميسر . و "راس" أصله همزة أي رأس . فكل قلب بدل ولا عكس . انتهى .

و قال ابن جني في الخصائص ، باب في فرق بين العوض و البدل : جماع ما في هذا أن البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض منه . و إنما يقع البدل في موضع المبدل منه ، و العوض لا يلزم فيه ذلك . فالبدل أعم تصرفًا من العوض . فكل عوضٍ بدلٌ و ليس كل بدلٍ عوضًا .

و العوض مأخوذ من لفظ "عوض" و هو الدهر . و ذلك أن الدهر إنما هو مرور الليالي و الأيام و تصرم أجزائهما . فكلما مضٰى جزء منه خلفه جزء آخر يكون عوضًا منه . فالوقت الكائن الثاني غير الوقت الماضي الأول . فلهذا كان العوض أشد مخالفًا للمعوض عنه من البدل . انتهى بحذف . كذا في الأشباه ج١ ص٩١ .

فصل

البحث الثالث

نقول و بالله التوفيق : إن العوض لا يجتمع مع المعوض عنه فلايقال "الإله" لكون اللام عوضًا من الهمزة . فلا تجتمعان إلّا في الضرورة أي في النظم و على قلة في النثر . و صرح الرضي أنه يجيء "الإله" في السعة . ولم يقيده بالقلة . فعلم أنه يجيء كثيرًا بدون استكراه و استنكار و إن كان قليلا بل أقل بالنسبة إلى حذف المعوض منه و هي الهمزة .

فهذه خاصة خامسة لاسم "الله" حيث لم يتأتَّ اجتماع العوض و المعوّض منه في السعة بدون شذوذ إلّا في اسم "الله" فيقال "الإله" . و كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يسميه أمية بن خلف "عبد الإله" . و لهما قصة لطيفة ذات عبرة مذكورة في سيرة ابن هشام نذكرها ههنا .

قال ابن هشام : قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : كان أمية بن خلف لي صديقًا بمكة . و كان اسمي عبد عمرو . فتسمّيتُ حين أسلمتُ عبد الرحمن . و نحن بمكة فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ! أرغبتَ عن اسم سمّاكه أبواك ؟ فأقول : نعم . فيقول : فإني لا أعرف الرحمن . فاجعل بيني و بينك شيئًا أدعوك به . أمّا أنت فلا تجيبني باسمك الأول . و أما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف .

قال : فكان إذا دعاني "يا عبد عمرو" لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا علي ! اجعل ماشئت . قال : فأنت عبد الإله . قلت : نعم . فكنت إذا مررت به ، قال : يا عبد الإله . فأجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يوم بدر مررت به و هو واقف مع ابنه عليّ بن أمية آخذًا بيده . و معي أدراع لي قد استلبتها فأنا أحملها . فلما رآني قال لي : يا عبد عمرو . فلم أجبه . فقال : يا عبد الإله . فقلت : نعم . قال : هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك . قال : قلت : نعم والله إذًا . فطرحتُ الأدراع من يدي و أخذت بيده و يد ابنه . و هو يقول : ما رأيت كاليوم قط . أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن . قال عبد الرحمن : قال لي أمية بن خلف و أنا بينه و بين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ! مَن الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذي فعل بنا أفاعيل .

قال عبد الرحمن : فإني لأقودهما إذ رآه بلال معي . و كان هو الذي يعذّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد (ﷺ) . فيقول بلال : أحد أحد .

قال : فلما رآه بلال قال : رأس الكفر أمية بن خلف . لا نجوتُ إن نجا اليوم . قال : قلت : أي بلال ! أسيري . قال : لا نجوت إن نجا . قال : قلت : أتسمع يا ابن السوداء . قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ! رأس الكفر أمية بن خلف . لا نجوت إن نجا .

قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا مثل المسكة . و أنا أذب عنه . فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع . و صاح أمية صيحةً ما سمعت مثلها قط . قال : فقلت : انج بنفسك . ولا نجاء بك . فوالله ما أغني عنك شيئًا . فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذهبتْ أدراعي و فجعني بأسيري هذا .

فقد لاح من هذه القصة و تسمية عبد الرحمن بعبد الإله أن اجتماع العوض و المعوض منه في "الإله" ليس مما يندر و يقل و يشذّ . لأن الاسم يكثر دوره على اللسان .

و أيضًا لو كان مستكرهًا غير فصيح ماسمّاه به أمية بن خلف ، و لا قبله عبد الرحمن . و هما من قريش الذين هم أفصح الناس . قال عليه الصلاة والسلام و عليه أفضل البركات و التحيات : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش . و ذكر ابن جني و غيره أن أفصح القبائل قريش ، كما في الاقتراح . و الفصيح البليغ من العرب الأقحاح لايرضى بلغة منبوذة مخسولة مستنفرة . و قد علم من القصة أنهما رضيا "بعبد الإله" بعد تدبر عدة أيام و بعد الرد و القدح . و ليس وضعه ارتجالاً بدون رويّ . فعلم أن "الإله" مما كان مستعملاً عندهم .

و يؤيد ذلك ما تحقق أن أمية كان مشهورًا بالفصاحة والبلاغة إلى غاية . قال العلاّمة

السهيلي رَحِمَهُ اللهُ في الروض ج٢ ص٨٤ : ذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن حماد بن سلمة أن أمية حين أحاطت به الأنصار قال : يا أحد رأى أما لكم باللبن حاجة ؟ قال : وكان أمية يذكر بفصاحة . و معنى هذا الكلام : هل رأى أحد مثل هذا .

ثم ذكر السهيلي لبيان فصاحته و معرفته بطرق البلاغة مناظرته مع النضر حيث قال : ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مقاتل بن سليمان قال : قال النضر بن الحارث حين نزلت "قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ" الآية . وكان النضر قد قال : الملائكة بنات الرحمن . فلما سمع الآية قال : ألا تراه قد صدقني . فقال له أمية بن خلف وكان أفصح منه : لا والله كذبك . فقال : ما كان للرحمن من ولد . انتهى بلفظه .

فصل

البحث الرابع

اعلم : أن للنحاة قاعدة معروفة مسلّمة ، و هي أنّ العوض و المعوض عنه لا يجتمعان . و من ثم ردّ أبوحيان قولي شيخيه ابن عصفور و الآمدي : إنه لا يجوز حذف فعل الشرط في الكلام ، أو حذفه و حذف الجواب معًا إلّا بشرط تعويض "لا" من المحذوف نحو "اضرب زيدًا إن أساء و إلّا فلا". فقال أي أبوحيّان في ردّ هما : ليس بشيء . بل لا نائبة و ليست عوضًا من الفعل . لأنه يجوز الجمع بينهما . تقول : اضرب زيدًا إن أساء و إن لا يسيء فلا تضربه . و لو كان تعويضًا لما جاز الجمع بينهما .

و ردّ أبو حيّان أيضًا قول أبي موسى الجزولي : إن " ما " اللاحقة لأيّ الشرطية عوضٌ من المضاف إليه المحذوف الذي تطلبه من جهة المعنى . فقال أي أبوحيّان : لو كان عوضًا لم تجتمع مع الإضافة في قوله تعالى "أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ" . بل الصواب أنها زائدة لمجرد التوكيد ، و لذلك لم تلزم . و لو كانت عوضًا للزمت .

ثم اعلم : أنّ لهذه القاعدة الشريفة فروعًا نذكر نبذًا منها تكميلًا للفائدة .

أحدها : قولهم : اللّهم . الميم فيه عوض من حرف النداء . و لذا لا يجتمع بينهما .

الثاني : قولهم في النداء : يا أبتِ و يا أمّتِ . التاء فيهما عوض من ياء الإضافة ، ولذا لا يجمع بينهما .

الثالث : قولهم : يماني و شآمي و تهامي . الألف فيه عوضٌ من إحدٰى يائي النسب . و لذا لا يجمع بينهما .

الرابع : قولهم : عِدة و زِنة و نحو ذلك . الهاء فيه عوض من الواو المحذوفة التي هي فاء الكلمة . و الأصل : وِعد و وِزن . و لذلك لا يجتمعان .

الخامس : قولهم : زنادقة . الهاء فيه عوض من الياء في "زناديق" و لذلك لا يجتمعان . و مثله "دجاجلة" و "جبابرة" و ما أشبه ذلك .

السادس : قال أبوحيان : يختص " كاف " ضمير الخطاب في المؤنث بلحوق "شين" عند بعض العرب . و يقال لهذه اللغة : لغة الكشكشة . و "سين" عند بعضهم في الوقف و يقال لها : لغة الكسكسة . و ذلك عوضٌ من الهاء . فلذلك لا يجتمعان .

السابع : قال أبوحيان : قد نابت الألف عن "هاء" السكت في الوقف في بعض المواضع . وذلك في حيهل ، وإن قالوا "حيهله" و "حيّهل" و "حيهلا" والهاء الأصل والألف كأنها عوض منها . و أما "أنَ" فسمع فيه "أنه" بالهاء ، و وقف عليه أيضًا بالألف فقالوا : أنا . و ليست الألف من الضمير . خلافًا للكوفيين . إذ لو كانت منه لقلت في الوقف عليه : أناه . كما قلت في الوقف على "هذا" : هذاه .

الثامن : باب جوارٍ و غواشٍ يقال فيه حالة النصب : رأيت جواريَ . بمنع الصرف بلا خلاف لخفة الفتحة على الياء . و في حالة الرفع و الجر تحذف ياؤه و يلحقه التنوين . و الأصح أنه عوض من الياء . و لذا لا يجتمعان .

قال في البسيط : و هذه المسألة مما يعايا بها . و يقال : أيّ اسمٍ إذا تمّ لفظه نقص حكمه و إذا نقص لفظه تمّ حكمه . و نقصان لفظه بحذف يائه ، و إتمام حكمه بلحوق التنوين به .

التاسع : قال الكوفيون : "لولا" في قولك : لولا زيد لأكرمتك . أصلها : "لو" و الفعل ، و التقدير : لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك . إلاّ أنهم حذفوا الفعل تخفيفًا و زادوا "لا" عوضًا

فصار بمنزلة حرف واحد . و صار هذا بمنزلة قولك : أمّا أنت منطلقا . فحذفوا الفعل و زادوا "أمّا" عوضًا من الفعل . قالوا : و الذي يدل على أنها عوض أنهم لا يجمعون بينها و بين الفعل لئلا يجمع بين العوض و المعوض منه .

العاشر : قال أبوحيان في شرح التسهيل : لا يجوز أن يجمع بين "إذا" الفجائية و "الفاء" الرابطة للجواب نحو : إن تقم فإذا زيد قائم . لأنها عوض منها فلا يجتمعان .

الحادي عشر : قال في البسيط : تصحب اللام اسم الإشارة فيقال : ذلك . و هي عوض من حرف التنبيه للدلالة على تحقق المشار إليه . و لذلك لا يجوز الجمع بينهما فيقال : هذالك . لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه . بخلاف "الكاف" فإنه يجوز الجمع بينهما لعدم العوض .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : و لذا قلنا في باب آخر من هذا الكتاب و هو الباب الرابع عشر : إن الجمع بين "ها" التنبيهية و "ذلك" في حديث "ها الله ذلك" كما رواه مسلم من خواص اسم الله تعالى .

الثاني عشر : قال الزمخشري في الأحاجي : نحو قولهم "سنون" و "قلون" و "أرضون" و "حرون" جمع حرة ، جعلوا الجمع بالواو و النون عوضًا من المحذوف فيها من لام أو حرف تأنيث .

و قال في البسيط : "سَنة" حذف لامها و جعل جمعها بالواو و النون عوضًا من عود لامها فيقال : سنون . فإذا جمعت على "سنوات" عادت اللام لأنه قياس جمعها ، و ليس عوضًا . و أمّا "قُلة" فتجمع على "قلون" و "قلات" . ولاتعود لامها في الجمعين لأن علامتها كالعوض من لامها . بخلاف جمعها على "قلى". و كذا "هنة" تجمع على "هنات" و لا تعود اللام . لأن الألف و التاء صارتا كالعوض . وكذا "فئة" و "فئات" و "شية" و "شيات" و "رئة" و "رئون" و "رئات" و "مئة"و "مئون" و "مئات" و نحو ذلك . انتهى .

و قال ابن فلاح في المغني : سمعتُ ألفاظًا مجموعة جمع التصحيح جبرًا لما دخلها من الوهن بحذف لام أو تاء تانيث أو إدغام . قالوا : سَنة و سنون . و قُلة و قلون . و برة و برون . و ثبة و ثبون . و كُرة و كرون . و رئة و رئون . و مئة و مئون . و أرض و أرضون . و حرة و حرون . و هذا يتوقف على

السماع لا مجال للقياس فيه .

و قد غيّروا بِنية بعضه إشعارًا بعدم إصالته في هذا الجمع فكسروا أول "سنين" و ضموا أول "ثبين" و "كرين" . و قيل : إن جمعها ليس عوضًا عن تاء التانيث ، بل لأنها عندهم جارية مجرى من يعقل .

و قد كثر التعويض من محذوف اللام ، لقوّة طلب الكلمة للامها الذي هو من سنخها . ولم يوجد التعويض في محذوف التاء إلّا في "أرض" ليكون الزائد في قوة الأصلي في المراعاة و الطلب . انتهى .

الثالث عشر : الأسماء الستة حذف لاماتها في حال إفرادها ، و جعل إعرابها بالحروف كالعوض من لاماتها . ذكره ابن يعيش في شرح المفصل .

الرابع عشر : قال ابن يعيش : الناصب للمنادى فعل مضمر . تقديره : أنادي زيدًا أو أدعو و نحو ذلك . ولايجوز إظهار ذلك ولا التلفظ به ، لأن "يا" قد نابت عنه .

الخامس عشر : قال ابن يعيش : قال الخليل : اللام في المستغاث بدل من الزيادة اللاحقة في الندبة آخر الاسم من نحو "يا زيداه" و لذلك يتعاقبان . فلا تدخل اللام مع ألف الندبة و مجراهما واحد . لأنك لا تدعو واحدًا منهما ليستجيب في الحال كما في النداء .

السادس عشر : قال ابن يعيش : هاء التنبيه في "أيّها الرجل" زيدت لازمة عوضًا مما حذف منها و الذي حذف منها الإضافة في قولك : أيّ الرجلين ، و "الصلة" التي في نظيرها و هي "مَن" . ألا ترى أنك إذا ناديت "من" قلت : يا مَن أبوه قائم ، و يا مَن في الدار .

السابع عشر : قال ابن يعيش : "الناس" أصله "أناس" حذفوا الهمزة و صارت الألف و اللام في "الناس" عوضًا منها . ولذلك لايجتمعان . فأما قوله "إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا" فمردود لا يعرف قائله .

الثامن عشر : قال ابن يعيش : لا يجوز إظهار الفعل في التحذير إذا كرّر الاسم نحو "الأسد الأسد" لأن أحد الاسمين كالعوض من الفعل فلم يجمع بينهما .

التاسع عشر : قال ابن يعيش : قولهم " عذيرَك من فلان " مصدر بمعنى العذر ورد منصوبًا بفعل مقدر كأنه قال : هات عذيرك أو أحضره . وضع موضع الفعل فصار كالعوض من اللفظ به . فلذلك لايجوز إظهار الفعل لأنه أقيم مقام الفعل .

العشرون : قال ابن يعيش : الخفض في المضاف إليه بالحرف المقدر الذي هو "اللام" أو "مِن" و حسن حذفه لنيابة المضاف عنه و صيرورته عوضًا عنه في اللفظ . و ليس بمنزلته في العمل . و نظير ذلك واو "رُبّ" الخفض في الحقيقة ليس بها بل "بربّ" المقدرة لأن الواو حرف عطف و حرف العطف لا يخفض . و إنما هي نائبة في اللفظ عن "ربّ" .

الحادي و العشرون : قال ابن هشام في المغني : لايجوز حذف خبر "كان" لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها . و من ثم لا يجتمعان . و قال ابن القواس في شرح الدرة : "كان" من حيث أنها فعل لها مصدر في الأصل إلاّ أنه لا يستعمل مع خبرها . لأن الخبر عوض منه ولا يجمع بين العوض و المعوض عنه .

الثاني و العشرون : قال السخاوي في تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي : "ما" في قولك "أمّا أنت منطلقًا انطلقت" عوض من "كان" إذ الأصل : لأن كنت منطلقا . و لهذا لا يجوز إظهار الفعل معها عند سيبويه . و إن جعلت "ما" توكيدًا لم يمتنع إظهار الفعل . و هو قول المبرد .

الثالث و العشرون : "أمّا" في قولهم "أمّا زيد فمنطلق" جعلت عوضًا من "مهما يكن من شيء" و لهذا لا يذكر الفعل بعدها . ذكره السخاوي .

الرابع و العشرون : "ما" في قولهم "افعل هذا إمّا لا" عوض من جملة . إذ الأصل : إن كنت لا تفعل غيره . حذفت الجملة و صارت "ما" عوضًا منها فلا يجمع بينهما . ذكره السخاوي .

الخامس و العشرون : "قد" و "سوف" و "السين" و "حرف النفي" جعلت عوضًا مما سقط من "أن" المفتوحة المخففة إذا دخلت على الفعل . فإذا عاد الساقط زال العوض . ذكره الزمخشري في الأحاجي .

السادس و العشرون : قولهم : زرني أزرك . حقيقته : زرني فإنك إن تزرني أزرك . فحذفت

جملة الشرط و جعل الأمر عوضًا منها . ذكره ابن جني في كتاب التعاقب .

قال : و مثل ذلك أيضًا الفعل المجزوم في جواب النهي والاستفهام والتمني والدعاء و العرض . وجميع ذلك الجمل الظاهرة فيه أعواض من الجمل المحذوفة المقدرة و تقدير الشرط نحو : لا تشتمه يكن خيرًا لك . أين بيتك أزره ، أي إن أعرفه أزره . ليت لي مالاً أتصدق به . اللّٰهم ارزقني بعيرًا أحج عليه . ألا تنزل عندنا تصب خيرًا . فكل ذلك محذوفة منه جملة الشرط معوّضًا منها الجمل المذكورة .

السابع و العشرون : قولهم : أنت ظالم إن فعلت . تقديره : إن فعلت ظلمت . حذف جواب الشرط و جعلت الجملة المتقدمة فيه عوضًا من المحذوف . ولا يجوز جعل الجملة المذكورة هي الجواب . لأن جواب الشرط لا يتقدم . ذكره ابن جني .

الثامن و العشرون : "ما" في حيثما و إذما . جيء بها عوضًا من إضافتهما إلى الجملة . ذكره ابن جني .

التاسع و العشرون : الجملة التي هي جواب القسم . جعلت عوضًا من خبر المبتدأ في نحو "لعمرك لأفعلن" و "أيمن الله لأفعلن" فوجب حذفه ولم يجز ذكره . ذكره ابن جني .

الثلاثون : جواب "لولا" في قولك : لولا زيد لقمت . جعل عوضًا من خبر المبتدأ أو معًا قباله . فوجب حذفه . ذكره ابن جني .

الحادي و الثلاثون : قال ابن يعيش : إذا قلت : رأيت القوم أجمعين . كان في تقدير "رأيت القوم جميعهم" وكان يجب أن تقول : جاء القوم كلهم أجمعهم أكتعهم أبصعهم . فحذفوا المضاف إليه و عوضوا من ذلك الجمع بالواو و النون . فصارت الكلمة بذلك الجمع يراد بها المضاف و المضاف إليه . و لهذا لم يجرين على نكرة . و صار ذلك لجمعهم "أرضًا" على "أرضين" عوضًا من تاء التانيث .

فإن قيل : تاء التانيث تتنزّل من الاسم منزلة جزء منه . و لذلك كانت حروف الإعراب منه فقالوا : قائمة و قاعدة ، عوضوا منها كما عوضوا مما حذف من نفس الكلمة نحو : مائة و مئين و قلة و قلين و ثبة و ثبين . و المضاف إليه كلمة قائمة بنفسها . و حرف الإعراب ما قبلها .

فالجواب : أن المضاف إليه أيضًا يتنزل من المضاف منزلة ما هو من نفس الاسم و لذلك

لا يفصل بينهما . و إذا صغرت نحو "عبد الله" و "امرئ القيس" فإنّما يصغر الاسم المضاف دون المضاف إليه . كما تفعل ذلك في علَم التانيث نحو "طليحة" و "حميراء" يصغر الصدر و يبقى عَلَم التانيث بحاله . فلما تنزّل المضاف إليه من المضاف منزلة الجزء من الكلمة جاز أن يعوض منه إذا حذف و أريد معناه .

الثاني و الثلاثون : قولك : ليت شعرِي هل قام زيد . فهل قام زيد جملة منصوبة المحل "بشعري" لأنه مصدر "شعرت" و "شعرت" فعل متعد . فمصدره متعد مثله . و هذه الجملة نابت عن خبر "ليت" و صارت عوضًا منه . فلا تظهر في هذا الموضع اكتفاء بها . ذكره ابن جني .

الثالث و الثلاثون : "يد" و "غد" أصلهما "يدي" و "غدو" بسكون العين . حذفت اللام و عوِّض منها حركة العين . ذكره ابن جني .

الرابع و الثلاثون : قال ابن هشام في المغني : لكون الباء و الهمزة متعاقبتين لم يجز "أقمت بزيد" . و كذا قال الحريري في درة الغواص : الجمع بينهما ممتنع كما لا يجمع بين حرفي الاستفهام .

الخامس و الثلاثون و السادس و الثلاثون : قال ابن جني في سر الصناعة : أما قولهم "لاها الله" فإن "ها" صارت عندهم عوضًا من الواو . ألا تراها لا تجتمع معها كما صارت همزة الاستفهام في "آلله إنك قائم" عوضًا من الواو . و قال الشلوبين في شرح الجزولية : أما " آلله" بالمد فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضًا من حرف القسم . و دليل كونها عوضًا أنه لا يجمع بينها و بين حرف القسم . لا تقول : أوالله لأفعلن .

السابع و الثلاثون : قال الأندلسي في شرح المفصل : يقال : إن واو القسم عوض من الفعل . بخلاف الباء فإنها ليست عوضًا منه . و من ثم جاز "أقسمت بالله" ولم يجز "أقسمت والله" .

الثامن و الثلاثون : قال ابن إياز : لا يجوز إظهار "أن" الناصبة بعد "حتى" لأن "حتى" عوض منها . فلا يجوز إظهارها لئلا يكون جمعًا بين العوض و المعوض منه .

التاسع و الثلاثون : قال ابن عصفور في شرح الجمل : المنصوب على إضمار فعل تارةً يجعل عوضًا من الفعل المحذوف وتارةً لا . فإن لم يجعل عوضًا منه جاز إضماره وإظهاره كقولك لمن تأهّب للحج : مكة . أي تريد مكّة . و لمن سدد سهمًا : القرطاس . أي أصبت . و إن شئت أظهرته . و إن جعل عوضًا

منه لم يجز إظهاره لئلا يجمع بين العوض و المعوض منه إلّا أنّ جعل الاسم المنصوب عوضًا من الفعل المحذوف لا يطرد .

و إنما جاء ذلك في مواضع تحفظ ولا يقاس عليها . فمن ذلك قولهم : مرحبًا و أهلًا و سهلًا و سعةً و رحبًا . فإنما جعلت العرب هذه الأسماء عوضًا من الأفعال لكثرة الاستعمال .

و من ذلك : هنيئًا مريئًا و كرامةً و مسرةً و نعمةَ عيش و سقيًا و رعيًا و سحقًا و بعدًا و تعسًا و نكسًا و بهرًا . و ما أشبه ذلك من المصادر التي استعملت في الدعاء للإنسان أو عليه أو هي حاكية لذلك . كلها منصوبة بإضمار فعل لا يظهر . لأنها صارت عوضًا من الفعل الناصب لها . انتهى .

الأربعون : قال ابن الدهان في الغرة : قال قوم : إنما امتنع دخول الجر في الفعل لأن الجزم في الفعل عوض من الجر في الاسم فيستحيل الجمع بين العوض و المعوض منه .

الحادي و الأربعون : قال ابن الصائغ في تذكرته : نقلت من مجموع بخط علي بن عبد الصمد ابن محمد بن الرماع قال : الفرق بين "حسن وجهه" و "عبد بطنه" و "واحد أمّه" حيث يتعدى الأول ، لأن فيه جمعًا بين العوض و المعوض منه . إذ إثبات الهاء في وجهه يقتضي أن يكون الوجه فاعلًا بالصفة دون الثاني . لأنه لا يصح رفع البطن بعبد و الأم بواحد . ثم ينقل كما في حسن نحو : حسن أبوه . ثم : حسن الأب .

الثاني و الأربعون : قال ابن القواس في شرح الدرة : قد عوّضوا عن الواو في القسم ثلاثة أحرف "هاء" التنبيه و "ألف" الاستفهام و قطع همزة الوصل . فجرّوا بها لنيابتها عنها ، بدليل امتناع الجمع بين هذه الأحرف و بينها . كذا في الأشباه .

قال العبد الضعيف البازي : قد أطنبنا الكلام بذكر نقول العلماء المحقّقين في هذا الموضوع ، و أسهبنا البحث بإدراج أقاويل الفضلاء المدقّقين في هذا المطلوب ، كي تستحصف وثائق عراه فلا تنفصم ، و تتشيّد وطائد رباه فلا تنهدم ، و تتأيّد قواعده فلا تنثلم ، و تشتدّ مرائره فلا تنحذق ، و تزكو نوامي فروعه فلا تنمحق ، و تثبت ثبوتًا مراسي أعراقه ، و تتوطّد توطّدًا قواعد رواقه .

و بالجملة هذا الإسهاب و التفصيل تايید سديد و تاكيد أكيد لما تصدَّينا له . و هو أنّ جمع

العوض و المعوض عنه لا يجوز عند أهل العربيّة . فجمعهما في لفظ "الإله" من بدائع خصائص اسم "الله" فتفكّر و تذكّر ولا تكن من الغافلين .

فصل

البحث الخامس

العوض و المعوض منه لا يحذفان معًا كما لا يجتمعان لئلا يكون إجحافًا . و جاز في اسم "الله" حذف العوض و المعوّض منه حيث يحذف اللام و الهمزة فيبقى "لاه" . و هذه خاصية سادسة لاسم "الله" في هذا الباب .

قال في الأشباه ج١ ص١٣٤ : ما كان عوضًا لا يحذف . فلا تحذف "ما" في "أمّا أنت منطلقًا انطلقت" و لا كلمة "لا" من قولهم : افعل هذا إمَّا لا . ولا "التاء" من عدة و إقامة و استقامة . فأمّا قوله تعالى : "وَ إِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ" فمما يجب الوقوف عنده . و من هنا قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن العرب لم تقدر أحرف النداء عوضًا من "أدعو" أو "أنادي" لإجازتهم حذفها . انتهى .

قال العلامة الشيخ الصبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الأشموني ج٣ ص١٠٣ تحت قوله "وقد يعرى المنادى من حرف النداء لفظًا" : و إن لزم عليه حذف النائب و المنوب عنه فقد قال الدماميني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا نسلم أن العوضية تنافي الحذف بدليل "إقام" . انتهى .

و قال بعضهم : "يا" للتنبيه لا عوض عن الفعل . لكن لما وقعت في محله أشبهت العوض . انتهى كلام الصبان .

لا يقال : إن حذف العوض و المعوض عنه من اسم "الله" للضرورة ، لوقوعه في النثر كثيرًا كما ذكرناه في باب آخر من هذا الكتاب . قال :

ع لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب

و قرئ : "هو الذي في السماء لاه و في الارض لاه" . و الضرورة تختصّ بالشعر .

فصل

البحث السادس

لمّا غصنا في مباحث اللام اللازمة لاسم "الله" توخّيتُ أن أزف إلى معشر الإخوان و حزب الخلان أمورًا مهمة لا غنًى عنها لكل نحوي أديب و عالم أريب . و هذه الأمور المهمّة قد استفتانيها كثير من الفضلاء و العلماء .

فمن تلك الأمور المهمّة تفصيل الأعلام الغالبة اللازمة لها الألف و اللام . و منها بيان الأعلام التي تدخلها اللام بلا لزوم و التي لا تدخلها . ومنها توضيح معنى اللام في الأعلام مع أنها معارف لا معنى لتعرّفها بها .

فأقول و على الله التكلان و هو المستعان و منه التوفيق و التوقيف : الأعلام بالنظر إلى دخول اللام عليها و عدم دخولها ثلاثة أنحاء :

القسم الأول : ما لزمته اللام نحو "الله" و "النجم" و "الصعق" .

و القسم الثاني : ما تكون اللام فيه عارضة غير لازمة نحو "العباس" و "الحسن" و "الحسين" و "الفضل" .

و القسم الثالث : ما امتنع دخول اللام عليه نحو "محمد" و "علي" و "زيد" و "عمر" .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص١٠٩ : قد تكون بعض الأعلام اتفاقيًّا أي يصير علمًا بلا وضع واضع معين بل لأجل الغلبة و كثرة استعماله في فرد من أفراد جنسه .

ثم اعلم : أن اسم الجنس إنما يطلق على بعض أفراده المعين بأداتي التعريف . وهما اللام والإضافة . فالعَلَم الغالب إما مضاف أو ذواللام . فالمضاف نحو : ابن عباس . غلب بالإضافة على "عبد الله" من بين إخوته . و كذلك "ابن عمر" و غير ذلك . و ذو اللام "كالنجم" و "الصعق" عَلَم لخويلد بن نفيل .

و اللام في الأصل لتعريف العهد . و قد تقدم أن العهد قد يكون بجري ذكر المعهود قبل . و قد

يكون بعلم المخاطب به قبل الذكر لشهرته .

فاللام التي في الأعلام الغالبة من القسم الثاني . فإنّ معنى النجم قبل العلمية الذي هو المشهور المعلوم للسامعين من النجوم . لكونه أليق بهذا الاسم من بين أمثاله . وكذلك "البيت" في "بيت الله" لأن غيره بالنسبة إليه ليس بيتًا .

قال : وكذا المضاف نحو "ابن عباس" لأن التعريف الحاصل بالإضافة كالتعريف الحاصل بلام العهد المشار به إلى ما علمه المخاطب من دون تقدم ذكره سواء . فلا يقال : غلام زيد . إلّا لأليق غلمانه بهذا الاسم بكونه أعظمهم و أخصهم به . و بالجملة لأشهرهم بغلاميته حتى كأنّ غيره ليس غلامًا له بالنسبة إليه .

فالحاصل أن المضاف و ذا اللام الغالبين في العلمية يجب كونهما أشهر فيما غلبا فيه منهما في سائر الأفراد التي شاعا فيها قبل العلمية . فإذا صارا علَمين اتفاقيًا لزم الإضافة فيما كان مضافًا فلا يجوز تجريده عنها .

و أما ذواللام فالأكثر فيه أيضًا لزوم اللام و قد يجوز تجريده عنها كما قيل في النابغة : نابغة . و ذلك قليل . قال سيبويه : يكون اثنان علمًا لليوم المعين بلا لام . تقول : هذا يوم اثنين مباركا فيه . و ردّه المبرد و قال : هو حال من النكرة . قال : ولا يكون علمًا إلّا مع اللام لكونه من الغالبة . انتهى .

و أيضًا قال الشيخ الرضي في باب النداء ج١ ص١٢٠ : يحتاج ههنا إلى معرفة لزوم اللام في الأعلام و عروضها . و ذلك بأن ينظر إلى العَلَم فإن كان غالبًا أي كان في الأصل للجنس ثم كثر استعماله لواحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين ذلك الجنس . و لابد أن يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد . ليفيد الاختصاص به . و صار لكثرة الاستعمال علمًا له . و يسمى ذلك العلم الإضافي كانت اللام في مثله لازمة . لأنه لم يصر علمًا إلّا مع اللام . فصارت كبعض حروف ذلك العلم . و ذلك إمّا في الاسم "كالبيت" و "النجم" و "الكتاب" و إمّا في الصفة "كالصعق" ومن الأعلام الاتفاقية ما يكون بالإضافة نحو "ابن عباس" و "ابن الزبير" .

و إن لم يكن غالبًا فإمّا أن يكون منقولاً من الصفة أو المصدر أو لا . و المنقول من أحدهما

"كالعباس" و "الحسن" و "الحسين" و "الفضل" و "العلاء" و "النضر" تكون اللام فيه عارضة غير لازمة . لأنها لم تصر مع اللام أعلامًا حتى تكون كأحد أجزائها . بل إنما دخلت اللام في مثلها بعد العلمية و إن لم يكن العلم محتاجًا إلى التعريف . و ذلك للمح الوصفية الأصلية و مدح المسمى بها إن كانت متضمنة للمدح كالحسن والحسين و ذمّه إن كانت متضمنة للذمّ كالقبيح و الجهم لو سمي بهما .

فكأنك أخرجتها عن العلمية و أطلقتها على المسمّين بها أوصافًا . و من ثم قيل في المثل : إنما سميت هانئًا لتهنأ . و الصفات قبل العلمية إذا استعملت في بعض ما تصلح له كانت مع اللام "كالضارب" لبعض الموصوفين بالضرب . و كذا المصادر أجريت مجرى الصفات . لأنه قد يوصف بها أيضًا نحو "صوم" و "زور" و "عدل" .

و ليس جواز دخول اللام في الأعلام المنقولة عن الوصف و المصدر مطردًا . ألا ترىٰ أنك لا تقول في "محمد" و "علي" : "المحمد" و "العلي" بل يجوز دخول اللام في أكثرها .

و ما ليس منقولاً من الوصف و المصدر فإن كان في الأصل المنقول منه معنى المدح أو الذم فالأولىٰ جواز لمح الأصل نحو "الأسد" في المسمى بأسد و "الكلب" في المسمى بكلب . قالوا : بنوالليث . في بني الليث بن بكر بن مناة .

و إن لم يكن في الأصل المنقول منه ذلك لم يدخله اللام إلّا إذا وقع اشتراك اتفاقي . فحينئذ إما أن تضيف العَلَم أو تعرّفِه باللام و إن كان في الأصل فعلاً أيضًا و ليسا بمطردين . قال :

علا زيدُنا يوم النّقا رأسَ زيدِكم بأبيض ماضي الشفرتين يمان

و قال :

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا شديدًا بأحناء الخلافة كاهله

و أما أعلام أيام الأسبوع كالأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، و الخميس فمن الغوالب فيلزمها اللام . و قد تجرد "اثنان" من اللام دون أخواته نحو قولهم : هذا يوم اثنين مباركًا فيه .

و إنما حكمنا بكونها غالبة وإن لم يثبت "الثلاثاء" و "الأربعاء" و "الخميس" أجناسًا بمعنى

الثالث و الرابع و الخامس محافظةً على القاعدة الممهّدة في كون الأعلام اللازمة لامها في الأصل أجناسًا صارت بالغلبة أعلامًا مع لام العهد . فيقدر كونها أجناسا .

وكذا في نحو "الثريا" و "العيّوق" و "السماك" لم يثبت ألفاظها أجناسًا . و إن لم تثبت ألفاظها أجناسًا ولم نعرف في بعضها أيضًا معنى شاملاً للمسمّى المعين و لأخواته كما عرفنا في الثلاثاء و الأربعاء .

و ربما يكون في هذه الأعلام ما ثبت لفظه جنسًا . لكن لا نعرف كيفية غلبته في واحد من جنسه "كالمشتري" في الكوكب المعين فإنّا لا ندري ما معنى الاشتراء فيه . و لذا قال سيبويه رحمه الله : و ما لم يعرف من هذا الجنس أصله فملحق بما عرف .

و عند المصنف أي ابن الحاجب رحمه الله ما لزمته اللام من الأعلام التي لم يثبت استعمال ألفاظها في الجنس الشامل لذلك المعين و لغيره كالثلاثاء و الأربعاء و الدبران و المشتري ليس من الغوالب . لأن العلَم الغالب ما كان جنسًا ثم صار بالغلبة علمًا . قال : هي أسماء موضوعة لمسمياتها .

وإنما ارتكب سيبويه رحمه الله تلك الطريقة إجراء للازم لامها مجرى واحدًا في التقدير لَمّا أمكن . وكان الأكثر ما ثبت جنسيته . ثم اختص بواحد من الجنس فألحق القليل بالأعم الأغلب .

فالغوالب عند سيبويه على أربعة أقسام .

أحدها : ما ثبت جنسيته لفظًا و يعرف فيه المعنى العام الشامل للمسمى المعين و لأخواته "كالنجم" و "الصعق" و "ابن عباس" .

و ثانيها : ما يعرف فيه ذلك المعنى ولم يثبت جنسية لفظه "كالثلاثاء" .

و ثالثها : ما لا يعرف فيه ذلك المعنى و ثبت جنسية لفظه "كالمشتري" .

و رابعها : ما لم يعرف فيه ذلك المعنى ولم يثبت جنسية لفظه "كالدبران" و "العيّوق" لكوكبين لمن لا يعرف معنى العوق و الدبور فيهما . انتهى كلام الشيخ الرضي .

و في التوضيح لابن هشام وشرحه التصريح ، ما حاصله : أن العلَم نوعان :

النوع الأوّل : ما لايقبل "أل" المؤثرة ألبتة ولايقع موقع ما يقبلها نحو زيد وعمرو . فأمّا قوله :

ع باعد أمّ العمرو من أسيرها

فمن قبيل الضرورة الشعريّة .

و النوع الثاني : ما يقبل "أل" و لكنها غير مؤثرة للتعريف نحو "حارث" و "عباس" و "ضحاك". فإن "أل" الداخلة عليها غير مؤثرة للتعريف . لأنها معارف بالعلميّة . و إنما دخلت عليها "أل" للمح الأصل بها و هو التنكير .

و في بعض النسخ : للمح الوصف . والأول أولى . لأن مدخولها قد يكون غير وصف كالنعمان . فإنه في الأصل اسم عين للدم بالدال المهملة و تخفيف الميم .

و ظاهر كلامه أن "أل" في هـذه الأمثلة دخلت عليها . و هي أعلام . و قال الشاطبي رحمه الله تعالى : لم تدخل عليها وهي أعلام . بل على تقدير تنكيرها . لتكون "أل" مشعرة بأصلها من الصفـة . فدخولها عليها كدخولها على القائم و القاعد و بابه . و هذا معنى ما ذكره سيبويه .

ثم قال : فإذا ثبت أنها قد أثّرت معنى التعريف تقديرًا و لمح الصفة صار التعريف مشكلاً . و أجاب عنه بما حاصله : أنها لم تؤثّر تعريفًا فيما لم يكن فيه تعريف . وفيه نظر يظهر بالتأمل . انتهى كلامه .

قال الشيخ يس رحمه الله تعالى في حواشي التصريح ج١ ص٩٤ : و قوله : و هذا معنى ما ذكره سيبويه . قال الشاطبي : و زعم الخليل رحمه الله تعالى : أن الذين قالوا : الحارث و العباس و الحسن ، إنما أرادوا أن يجعلوا الرجل هو الشيء بعينه يعني أن يكون لفظه موافقًا لمعنى الصفة فيه . ولم يجعلوه سمي به . و لكنهم جعلوه كله وصف له غلب عليه . و من قال : حارث و عباس ، فهو يجريه مجرى "زيد" هذا نصه .

و قوله : فيه نظر يظهر بالتأمل . لعل وجهه أن مقتضى قوله : إنها دخلت على تقدير التنكير . أنها أثرت تعريفًا فيما ليس فيه تعريف . إذ التعريف زال بقصد التنكير . انتهى كلام يس .

و قال الرضي في بيان المعرفة قبيل بحث العلَم ج٢ ص١٠٥ : قال الكوفيون : قد يكون اللام للتعظيم كما في "الله" و في الأعلام . و لا يعرفها البصريون . انتهى كلامه .

قال العبد الضعيف البازي : قد أطلنا البحث في شرح هـذا الموضوع بذكر أطرافه كلّها . ولم آل جهدًا في توضيح شعبه بأسرها بسرد أقاويل الأئمّة ، لكون الموضوع من المهمّات البدائع والضرورات الروائع . فأردنا أن يصير قويّ العروة و شديد القوّة ، مأمون الوَصمة و وثيق العصمة ، متمكن الأركان و مشزور الأشطان ، ثابت الأوتاد و رفيع العماد . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب العشرون

من خصائص الجلالة ما ذكره غير واحد من الأدباء الكبار و أئمّة النحو . وهو كتابة هذا الاسم الشريف بلامين مع أن مقتضى الوجه الذي نمقوه لكتابة نحو كلمة "الذي" بلام واحدة أن تكتب بلام واحدة . و ذلك الوجه الذي نمقوه لكلمة "الذي" هو اللزوم و كثرة الدوران .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٥٨ :كتبوا لفظة "الله" بلامين . و كتبوا لفظة "الذي" بلام واحدة مع استوائهما في اللفظ و في كثرة الدوران على الألسنة و في لزوم التعريف .

و الفرق بينهما من وجوه متعددة :

الأوّل : أن اسم "الله" معرب متصرف تصرف الأسماء . فأبقوا كتابته على الأصل . أما لفظ "الذي" فهو مبني لأجل أنه ناقص . لأنه لا يفيد إلّا مع صلته . فهو كبعض الكلمة . و معلوم أن بعض الكلمة يكون مبنيًا . فأدخلوا فيه النقصان لهذا السبب . ألا ترى أنهم كتبوا "اللذان" بلامين ، لأن التثنية أخرجته عن مشابهة الحروف . فإنّ الحرف لا يثنّى .

الثاني : أن اسم "الله" لو كتب بلام واحدة لالتبس بقوله "إله". و هذا الالتباس غير حاصل في قولنا "الذي" .

الثالث : أن تفخيم ذكر الله في اللفظ واجب . فكذا في الخط . و الحذف ينافي التفخيم . و أمّا قولنا "الذي" فلا تفخيم له في المعنى . فتركوا أيضًا تفخيمه في الخط . انتهى كلامه .

و في الهمع ج٢ ص٢٤٠ : النوع الرابع أحكام الحذف رسمًا . فتحذف لام التعريف من "الذي"

و جمعه ، و هو "الذين" و من "التي" و فروعه ، و هي التثنية و الجمع نحو "الّتان" و "الّتين" و "الّاتي" و "الّائي" كراهة اجتماع مثلين في الخط . و تثبت في مثنّى "الذي" خاصة ، و هو "اللذان" فرقًا بينه و بين الجمع . ولم تثبت في مثنّى "التي" لأنه لا يلتبس بجمعه .

و قال أحمد بن يحيي رحمه الله : كتبوا "اللاتي" و "اللائي" "الّئي" و "الّتي" و اسقطوا لامًا من أوّلها و ألفًا من آخرها . و هذا للاستعمال لأنه نقل في الكلام مثله و يدل عليه ما قبله و ما بعده . و لو كتب على لفظه لكان أوثق . انتهى .

قال أبوحيان : وكلامه يدل على حذف اللام من أوله و الألف من آخره معًا . و الذي عهدناه في الكتاب أنه لا تحذف الألف لئلا يلتبس بالمفرد . قال :

فإن قلت : اللام ألزم في "الله" فهلّا حذفت ؟

قيل : لما حذفت الألف منه خطًّا كرهوا حذف اللام مع أنها لو حذفت لالتبس " بإله " لأن ألفه تحذف . و في "الليل" و "الليلة" وجهان : الحذف و الإثبات . والقياس كتبه بلامين . و الحذف أجود ، لأنّ فيه اتّباع خط المصحف .

قال أبوحيان : و زاد أحمد بن يحيي "اللطيف" فعدّه مع "الليل" و "الليلة" فيما كتب بلام واحدة . قال : لأنه عرف فاستخفّ . قال : و كتبوا "اللهو" و "اللعب" و "اللخم" بلامين . ولو كتب بلام واحدة لجاز . و تحذف لام التعريف أيضًا مما اجتمع فيه ثلاث لامات كراهة اجتماع الأمثال نحو "لله" و "للّسان" و "للدار" . انتهى .

قال المجد الفيروزآبادي رحمه الله في بصائر ذوي التمييز ج٢ ص١٩ : و كتبوا "الله" بلامين و "الذي" و "التي" بواحدة . قيل : تفرقةً بين المعرب والمبني . ويشكل بأنهم قالوا : الأجود كَتْب "الليل" و "الليلة" بلام واحدة . و قيل : لئلا يلتبس بلفظ "إله" خطًّا . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم .

الباب الحادي و العشرون
وفيه أربع خصائص

من خصائص الاسم "الله" الكريم جواز الفصل به بين الجارّ و المجرور في النثر كما حكى الإمام الكسائي رحمه الله تعالى عن العرب : اشتريتُه بوالله درهمٍ . أي اشتريتُه والله بدرهمٍ . هذا . وقد أطبقوا على أن الفصل بين الجار و المجرور لا يجوز إلّا في الشعر ضرورة أو بما هو زائد نحو : جئت بلا زادٍ .

و كذا من خصائص الاسم "الله" الفصل بالقسم به بين "قد" ومدخولها . مع أن حرف "قد" مع الفعل كالجزء فلا تفصل منها بشيء نحو : قد والله فعلتُ كذا . أي والله قد فعلت كذا .

صرح به ابن هشام في المغني ج١ ص١٤٨ قال فيه : وأما "قد" الحرفية فمختصّة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم و ناصب و حرف تنفيس . و هي معه كالجزء . فلا تفصل منه بشيء . اللّهم إلّا بالقسم كقوله :

أخالد قد والله أوطأت عشوة   وما قائل المعروف فينا يعنّف

و كقول آخر :

فقد والله بيّن لي عنائي   بوشك فراقهم صرد يصيح

و سمع "قد لعمري بت ساهرًا" و "قد والله أحسنت" . انتهى .

فالفصل بالاسم "الله" بين "قد" و مدخولها خاصّة واحدة . و اطّراد ذلك خاصّة أخرى . فهما خاصّتان .

ثم في الفصل بين الجار و المجرور خاصتان : الأولىٰ سماعية غير منقاسة و هي الفصـل بالقسم بالجلالة بين مطلق الجار والمجرور . والثانية قياسية يجوز العمل بها لكل شخص من غيرسماع وهي الفصل به بين "رُبّ" و مجرورها نحو : رب والله عالمٍ صحبتُه .

قالوا : إنّ عليّ بن المباركـ الأحمر تلميذ الإمام الكسائي رحمه الله ادّعى أن هذا الفصل منقاس . و أقره أبوحيان إلّا أنه قال : الاحتياط في اتّباع السماع . صرح بذلك في الهمع . فمجموع خصائص هذا الباب أربع .

قال في الهمع : فصل الجار من مجروره و تاخيره عنه كلاهما ضرورة . أما الأول فيكون بظرف كقوله :

ع إن عَمرًا لا خير في اليومَ عمرٍو

و بجار و مجرور كقوله :

رُبّ في الناس موسرٍ كعديم و عديم يخال ذا أيسار

و مفعول كقوله :

ع و أقطع بالخرقَ الهبوعِ المراجم

أي و أقطع الخرقَ بالهبوع . و سمع في النثر بقسم . حكى الكسائي رحمه الله : اشتريته بوالله درهمٍ . و قاسه تلميذه علي بن المبارك الأحمر في "رُبَّ" نحو : رُبّ والله رجلٍ عالم لقيته . قال أبوحيان : ولايبعد ذلك إلّا أن الاحتياط أن لا يقدم عليه إلّا لسماع . انتهى .

وفي الأشباه ج٢ ص١١٣ : الجازم أضعف من الجارّ . قاله ابن الخباز . و فرع عليه أنه لايضمر ألبتة . ولهذا أفسد قول الكوفيين أن فعـل الأمر مجزوم بلام الأمر المضمرة . و ذكره أبوحيان رحمه الله في شرح التسهيل . و فرع عليه أنه لا يجوز الفصل بين لام الأمر و الفعل لا بمعمول الفعل و لا بغيره و إن روي عنهم الفصل بين الجار و المجرور بالقسم نحو قولهم : اشتريته بوالله ألف درهمٍ . فإن ذلك لا يجوز في اللام لأن عامل الجزم أضعف من عامل الجر . انتهى .

اعلم : أن المراد من القسم في هذه الأقوال المذكورة القسم بالجلالة . إذ لم ينقل عن أحد جواز الفصل بمطلق القسم . يدل على ذلك حكاية الإمام الكسائي المذكورة سابقًا وتمثيله لذلك بالقسم بالجلالة أي قوله : اشتريت بوالله درهمٍ . فتدبر ولا تغفل .

و هذا من نفائس خصائص الجلالة . فلا يفصل بين الجارّ والمجرور إلّا بالقسم باسم "الله" . إلّا إذا امتزج بعض الكلمات بالمجرور حتى صار كبعض حروفها . فحينئذ تخطاها الجار .

ولذلك تخطّى لام التعريف و هاء التنبيهية في قولك : مررت بهذا . و "ما" المزيدة في قوله تعالى : "فَبِمَا رَحْمَةٍ" "عَمَّا قَلِيْلٍ" و "لا" في نحو "جئت بلا زاد" و "غضبت من لا شيء" و "لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ" و "إِلَّا تَفْعَلُوْهُ" . كذا في الأشباه النحوية ج١ ص٢٥٢ .

قال ابن هشام رَحِمَهُ اللهُ في المغني في بيان كلمة "لا" ج١ ص١٩٨ : من أقسام "لا" النافية المعترضة بين الخافض و المخفوض نحو "جئت بلا زاد" و "غضبت من لا شيء" . و عن الكوفيين : أنها اسم . وأن الجار دخل عليها نفسها . وأن ما بعدها خفض بالإضافة . و غيرهم يراها حرفا . و يسمّيها زائدة كما يسمّون "كان" في نحو "زيد كان فاضل" زائدة و إن كانت مفيدة لمعنى و هو المضي و الانقطاع . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتمّ و أوسع و أعلى .



الباب الثاني و العشرون

من بدائع خصائص الاسم "الله" حذف بعض حروفه مع بقاء دلالته على مدلوله . فيحذف منه الألف التي هي بين الهاء و اللام فيقال "اللَّه" بدون الألف .

ثم هل حذف هذه الألف لضرورة الشعر أو هو لغة ؟ قولان . و لكل وجهة هو مولّيها . فمال الإمام قطرب و ابن الصلاح و صاحب التيسير إلى أنه لغة ثابتة . و ذهب ابن الشجري في أماليه و الرازي في تفسيره إلى أنه ضرورة .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٥٥ : و حذف ألف الاسم "الله" لغة ، حكاها ابن الصلاح . و في التيسير : أنها لغة ثابتة في الوقف دون الوصل ، والأفصح الإثبات حتى قال بعضهم : إن الحذف لحنٌ تفسد به الصلاة و لا ينعقد به صريح اليمين و لا يرتكب إلاّ في الضرورة كقوله :

ألا لا بارك اللَّه في سهيل　　　إذا ما بارك الله في الرجال

قال الرازي في تفسيره ج١ ص٥٧ : لا يجوز حذف الألف من قولنا "الله" في اللفظ ، و جاز ذلك في ضرورة الشعر عند الوقف عليه . قال بعضهم :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاء من عندِ اللَّهْ　　　يَحْرِدُ حَرِدَ الجَنَّة المُغِلَّهْ

انتهى كلام الرازي .

و في أمالي ابن الشجري ج٢ ص١٦ : و قال قطرب وغيره من العلماء بالعربية : إن هذا الاسم لكثرة دوره في الكلام كثرت فيه اللغات . فمن العرب من يقول : والله لا أفعل . و منهم من يقول : لاهِ

أفعل . و منهم من يقول : اللَّه . بحذف ألفه قبل الهاء و إسكان هائه و ترك تفخيم لامه . و أنشدوا :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاء مِن أمرِ اللَّهْ يَحْرِدُ حَرِدَ الحَيَّة المُغِلَّهْ

و يحرد : يقصد . و أقول : حذف ألفه إنما هو للضرورة ، أسكن آخره للوقف عليه و رقق لامه لانكسار ما قبلها ولو لم يأت في قافية البيت الثاني "المغلّه" لأمكن أن يقول : جاء من أمر اللاه . فيثبت ألفه و يقف على الهاء بالسكون . انتهى .

قال الإمام الرازي رحمه الله : ويتفرع على هذا البحث مسائل في الشريعة :

إحداها : أنه عند الحلف لو قال "بِلَّه" بدون الألف فهل ينعقد يمينه أم لا ؟ قال بعضهم : لا . لأن قوله "بِلَّه" اسم للرطوبة فلا ينعقد اليمين . و قال آخرون : ينعقد اليمين به . لأنه بحسب أصل اللغة جائز و قد نوىٰ به الحلف فوجب أن تنعقد .

و ثانيتها : لو ذكره على هذه الصفة عند الذبيحة هل يصح ذلك أم لا ؟

و ثالثتها : لوذكر قوله "اللّٰه" بدون الألف في قوله "اللّٰه أكبر" هل تنعقد الصلاة به أم لا ؟ انتهى .

أقول : قال الفقيه الكبير العلامة الشرنبلالي رحمه الله : لصحة التحريمة شروط . منها : أن يأتي بالألف في اللام الثانية قبل الهاء من الجلالة . انتهى . كذا في السعاية ج٢ ص١٤٨ .

قلت : فهذا الكلام يدل على أنه لا تنعقد الصلاة إلّا بأن يأتي بالألف . وفيه نظر لأنه لو كان حذفها لغة كما حكاه البعض فلا يبعد أن يقال : إن الصلاة تنعقد به . و هكذا حال الذبيحة .

ثم اعلم : أن إشكال الذبيحة لا يصح على مذهب الشافعي . فإن النية تكفي عنده و إن ترك التكبير عمدًا . و أنت خبير بأن من قال "اللّٰه أكبر" سواء حذف الألف أو لا كان ناويًا لاسم "اللّٰه" .

قلت : و لاعتبار أن حذف ألفه لغة فيه حذفت هذه الألف خطًّا . كذا قيل .

قال المجد الفيروزآبادي رحمه الله في بصائر ذوي التمييز ج٢ ص١٩ : وقيل : تحذف الألف الأخيرة من الجلالة تخفيفًا . و قيل : هي لغة في الممدودة . و ممن حكاه أبوالقاسم الزجاجي فاستعملت خطًّا . أي

حذفت خطًّا نظرًا إلى هذه اللغة . و منها قول الشاعر :

ع أقبل سيل جاء من عند اللَّهْ

و قول الشاعر :

ع ألا لا بارك اللَّهُ في سُهيل

والمشهور أنه من باب الضرورة . انتهى كلامه بتصرف قليل . هذا ما عند هذا العبد الضعيف البازي الفقير إلى الله تعالى و سبحانه . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع و المتاب و علمه أجلّ و أعلى .



الباب الثالث و العشرون
و فيه ثلاث خصائص

من خصائص الاسم "الله" الكريم أسرار ثلاثة مكنونة فيه لايعلمها إلاّ العارفون بالله ولا يطّلع عليها إلاّ أهل العلوم الباطنة و أرباب البصيرة .

منها : سرّ أحديته تعالى في ذاته و تصرفه تعالى وحده في المخلوقات و إحاطته بها . والله من ورائها محيط .

و منها : سرّ تصرفه تعالى فيها حسب ما يشاء و لا يشغله شأن عن شأن . و يبني على هذا السر إطلاق إرادته و مشيئته بدون تقييد ، فهو فعال لما يريد .

و منها : سر تقدسه و تنزهه عن الأشباه كما قال : لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ .

قال بعض العارفين من الأولياء الكرام : إن في اسم الجلالة ثلاثة أسرار .

الأوّل : أن مخلوقاته تعالى لا حدّ لها و أنها مختلفة فتنقسم إلى إنس و جن و حيوان و غير ذلك من الأنواع التي لا يعلمها أكثر الخلق . و مع هذه الكثرة فهو تعالى واحد في مُلكه لا مدبر معه و لا وزير له . فهو وحده تعالى يتصرف فيها بجملتها . و لا يفوته منها شيء ، و لا يخرج عن قدرته تعالى منها واحد . فهو قاهر للكل محيط به . كما قال تعالى : وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ .

الثاني : أنه يتصرف فيها كيف شاء . فيغني هذا و يفقر هذا . و يعزّ هذا و يذلّ هذا . و يجعل هذا أبيض و هذا أسود . و يجيب سوال هذا و يمنع هذا . و يفرق بينهما في الأزمنة و الأمكنة . و بالجملة

فهو في كل يوم في شأن و لا يشغله شأن عن شأن . و الاختيار له لا للمخلوقات . فهو يفعل ما يشاء لا ما تشاء هي . سبحانه لا إله إلّا هو .

الثالث : أنه تعالى مقدس منزه . لايكيف ولا يشبه بشيء من المخلوقات . و مع ذلك فله السطوة والقهر حتى أنه لولا الحجاب الذي حجب به المخلوقات لرجعوا هباء منثورًا و لتهافتوا و صاروا دكًّا رميمًا عند تجلّيه تعالى لهم ، بل لا يبقى لهم أثر . حتى يقول القائل : ما كان في هذا العالم شيء من المخلوقات أصلاً إلّا أنه تعالى برحمته و عظيم حكمته لما سبق في قضائه أن يوصل أهل كل دار إليها إذا أراد أن يخلق مخلوقًا أيّ مخلوق كان لا يخلقه حتى يخلق حجابه قبله . قاله الشيخ عبدالعزيز الدباغ رحمه الله تعالى .

و قال أيضًا الشيخ الدباغ رحمه الله تعالى : و هذه الأسرار يعلمها أرباب البصيرة من مجرد النطق باسم الجلالة من غير احتياج إلى مشاهدة شيء من المخلوقات .

قال تلميذه الشيخ أحمد بن المبارك : فقلت : و من أين ذلك ؟ فضرب رحمه الله تعالى لنا مثلاً فهمنا من معناه أنه إنما كان ذلك من حيث أنه اسم جامع لجميع الأسماء .

و قال ابن المبارك : وسمعته رحمه الله تعالى يقول : إن الله مقدس منزه لا يشبه بشيء من المخلوقات . و كل ما يصوره الفكر فالله تعالى بخلاف ذلك . لأنّ كل ما يصوره الفكر فهو موجود في مخلوقات ربنا سبحانه و تعالى . لأن الفكر لا يفكر إلّا ما هو مخلوق . فكل ما في الفكر له مثل و الله لا مثل له .

فقلت : فإن الفكر يتصور إنسانا مقلوبًا يمشي على رأسه . فقال رحمه الله تعالى : والله لقد شاهدته يمشي كما تصوره الفكر و يده ساترًا بها فرجه . فهي بمنزلة الحجاب له . و لا يزيلها إلّا إذا أراد قضاء حاجته من حدث أو جماع .

و قال رحمه الله تعالى : و لقد جالست ذات يوم مع سيدي محمد بن عبدالكريم البصراوي رحمه الله تعالى فقال لي : تعال حتى نصوّر في أفكارنا أغرب صورة ، ثم ننظر في مخلوقات الله تعالى أهي موجودة أم لا ؟

فقلت له : صوّرِ ما شئت . فقال : نصوّر مخلوقًا يمشي على أربع و هو على صورة جمل . و ظهره كله أفواه كأفواه العكروشة التي في جنبها . و على ظهره صومعة على لون مخالف للونه صاعدة إلى فوق . و في رأسها شرافات . من شرافة منها يبول و يتغوط . و من شرافة أخرى يشرب . و بين الشرافات صورة

إنسان برأسه و وجهه و جميع جوارحه .

فما فرغ من تصويره حتى رأينا هذا المخلوق وله عدد كثير . و إذا بالذكر منه ينزو على الأنثى فتحمل منه . و في عام آخر ينزو عليه الأنثى بأن ينقلب الحال فيرجع الذكر أنثى والأنثى ذكرًا .

قلت : و هذا من أغرب ما يسمع و يحكى . هذا . والله أعلم بالصواب من العلوم الظاهرة و الباطنة و علمه أجلّ و أعلى .



الباب الرابع و العشرون
و فيه أربع خصائص

من خصائص اسم الجلالة كونها فاتحة وخاتمة للصلوات كلها من النوافل والسُّنن والواجبات و الفرائض . سواء كانت فرض عَين كالصلوات الخمس أو فرض كفاية كصلاة الجنازة .

ثم الصلاة نوعان : النوع الأوّل مايكون فيها ركوع و سجود كالنوافل و المكتوبات الخمس و السنن المؤكدة و الواجبات كالوتر و صلاة العيدين عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى . و يشترط لها الطهارة لقوله عليه الصلاة والسلام : مفتاح الصلاة الطهور .

و النوع الثاني ما لا يكون فيها ركوع و سجود كصلاة الجنازة . و يشترط لهذا النوع أيضًا الطهارة عند جمهور الأئمة . و قال بعض الأئمة : لا يشترط لها الطهارة ، فإنها دعاء . و الدعاء لا يشترط له الوضوء . و التفصيل في كتب الفقه و شروح الحديث .

و اسم الجلالة فاتحة لكل واحد من نوعي الصلاة كما أنه خاتمة لكل واحدٍ من نوعيها .

فهذه أربع خصائص . إذ كون الاسم "الله" فاتحة للنوع الأوّل من الصلاة خاصّة واحدة ، وكونه خاتمة لهذا النوع خاصة ثانية .

ثم كون الاسم "الله" فاتحة و خاتمة للنوع الثاني خاصتان أخريان . و مجموع ذلك أربع خصائص . و هذه الخصائص من لطائف البدائع و بدائع اللطائف و روائع الخصائص .

إن قلت : ما تفصيل هذه الخصائص البديعة ؟

قلت : تفصيل المقام على وجه ينحلّ به المرام و ينكشف الغبار عن الأوهام أن تحريم الصلاة هو "الله أكبر" . و التحريمة ركن للصلاة عند بعض الأئمّة كالإمام الشافعي وغيره رحمهم الله ، و شرط متصل بها اتصال الركن والجزء عند أبي حنيفة رحمه الله . و اسم الجلالة كائن ثابت في أوّل التكبير . هذه خاصة واحدة .

و **تحليل** الصلاة التسليم ، و هو "السلام عليكم و رحمة الله" . و آخره اسم الجلالة . هذه خاصة ثانية . و في حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا : تحريمها التكبير و تحليلها التسليم . أخرجه الترمذي .

إن قلت : ما وجه جعل الجلالة فاتحة الصّلاة و خاتمتها ، و ما سبب هذا التخصيص و ما الحكمة في ذلك ؟

قلت والله المستعان و عليه الاعتماد و التكلان و به التوفيق و منه التوقيف : إن هذا التخصيص لوجوه متعددة .

الوجه الأوّل : الصلاة أعظم العبادات كما أن اسم الجلالة أعظم الأسماء . والأحرى أن يبتدأ و يختم أعظم العبادات بأعظم الأسماء الحسنى تنويهًا بشان الصلاة و ترغيبًا للمكلف إليها و تزيينًا لفاتحتها و خاتمتها .

الوجه الثاني : إشارة إلى سر كمال مقام الصلاة ما لا يحيط به عقول . فكما أن اسم الجلالة من بين الأسماء الحسنى لا يدرك أسراره تفصيلاً ولا يدري حقيقته و مأخذه الجامع للأسرار إلّا الله تعالى و رسوله و من أطلعهم الله من كمّل الأولياء ، كذلك الصلاة لا يدري كنهها الفخيم و حقيقة مرتبتها الشريفة و علوّ مقامه المنيف إلّا الله تعالى و رسوله و المقربون من الأولياء .

هيهات عنقاء أَن يّصطادَهُ أَحَد   فاترُكْ عناكَ و كُن مِن ذاكَ في دعة

ألا ترى إلى ما ورد في الحديث المرفوع : إن الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين و من تركها فقد هدم الدين . ففي هذا الحديث تنويهٌ بعظيم شان الصلاة و بيان فضيلتها الفاضلة و ذكر مكانتها الكبيرة في الإسلام .

نعم لايعلم أحدٌ علم اليقين كُنه هذه المزيّة ولا يدري حق دراية أن الصلاة لِمَ كانت عمادًا و ما

كيفية ذلك و كيف اقتضى تركها هدم الدين كله ؟

و ألا ترى إلى ما قال الله تعالى : إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ . فمن عرف الصلاة كما هي و حافظ على حقوقها الظاهرة و الباطنة ثم أقامها كذلك و واظب عليها فقد وصل إلى كنه الصلاة و أدرك حقيقتها . فهذه الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر .

لكنّ هـذه الصّلاة التامّة الجامعة وعر المرام و صعب الملتمس و صعب المقتبس قد عزّت وتعسّرت فيما بين المصلّين و اعتاصت و توعّرت على المحاولين و تصعّبت و تعذّرت على المزاولين وأعيت أكثر المكلّفين و أعوزت عامّة المسلمين و دونها خرط القتاد .

إذ لايقدر قدرها ولا يؤدّي حقوقها كلّها إلّا الكاملون من المؤمنين الصالحين و المتقين العارفين . ولذا ترى كثيرًا من المصلين يرتكبون ذنوبًا ولا تردّهم صلاتهم عن الذنوب . فصلاتهم صلاةٌ صورة فقط ، و هم بمعزل عن حقيقتها الفائقة و كنهها العالى ، ولم يؤدّوها بأتمّ وجه ولم يقيموا الحقيقة كما هي هي ، و إلّا نهتهم عن المعاصي و منعتهم عن كل فحشاء و منكر .

الوجه الثالث : الصلاة جامعة لأنواع العبادات القولية والفعلية كالتسبيح و ثناء الله تعالى و تلاوة القرآن و ذكر الله تعالى و الركوع و السجود و الدعاء و القيام و استقبال القبلة و الطهارة و الصبر و الشكر و التفكر في آلاء الله تعالى و في ذاته .

فكما أن اسم الجلالة جامع لجميع الأسماء الحسنى كذلك الصلاة جامعة لما ذكرنا . فناسب أن يجعل أجمع أسماء الله الحسنى وأعظمها مفتتحًا و مبتدأً لأجمع العبادات و أعلاها . و إن شئت فقل : افتتحت و ختمت بأجمع الأسماء و أعظمها إشارة إلى أن الصلاة أجمع العبادات و أفخمها .

الوجه الرابع : الصلاة متّصفة بالأوّليّة في الدنيا و فيما بعد الدنيا من موطن البرزخ و موطن الحساب و الحشر ، و اسم " الجلالة " أيضًا موصوف بالأوّلية في الدنيا و في الآخرة . فبينهما ربط قوي لهذا الوجه و مناسبة تامة من هذه الجهة ، فيجدر أن يجعل اسم الجلالة مفتتحها و خاتمتها .

إيضاح ذلك أن اسم "الله" أوّل ما تكلم به الإنسان ، فإن آدم عليه الصلاة والسلام بعد ما نفخ الله تعالى فيه الروح عطس فقال : الحمد لله .

و أن اسم "الله" أوّل ما يفوه به الإنسان عند بدء دار الآخرة أي عند دخول الجنة و انقطاع الدنيا . فإن أحوال المحشر تتمة لأحوال دار الدنيا . فابتداء دار الآخرة في الحقيقة من وقت دخول الجنة و النار .

فالمؤمنون إذا دخلوا الجنة قالوا : الحمد لله . قال الله تعالى : **وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** . فاسم الله تعالى آخر اسم يجري على ألسنة المؤمنين عند انقطاع أحوال الدنيا ، وكذا هو أوّل اسم من الأسماء الحسنى يجري على ألسنتهم عند بدء دار الآخرة .

فظهر من هذا البيان أن فاتحة هذا العالم عالم الدنيا و فاتحة عالم الآخرة و كذا خاتمة هذا العالم عالم الدنيا مبنية على اسم "الله" الكريم .

و الصلاة أوّل ما يفترض من الأعمال على المكلف بعد الإيمان . ولذا جعل فعلها علامة الإيمان و تركها أمارة الكفر . هذا حكم الصلاة في هذه الحياة .

ثم القبر أوّل منزل من منازل الآخرة . و قد تحقّق فيه للصلاة تقدم و أوّليّة ولو من وجـه . ولذا ورد مرفوعًا : اتقوا البول فانه أوّل ما يحاسب به العبد في القبر . رواه الطبراني بإسناد حسن . و في حديث آخر مرفوعًا : استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه .

و هــذا الحكم يؤول إلى الصلاة . لأن الطهارة شرط للصلاة ، فإذا لم يستنزه المصلي من البول لم يحصل الطهارة ، و بدون الطهارة لا تجوز الصلاة فلم تصح صلاته ، فيعذب في القبر بترك الاستنزاه من البول المخلّ بالصلاة . هذا في البرزخ .

و أيضًا للصلاة أوّلية وتقدم في المحشر باعتبار المحاسبة كما صح عن النبي ﷺ : أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته .

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته . فإن صلحت فقد أفلح و أنجح و إن فسدت فقد خاب و خسر .

إن قلت : يعارضه ما أخرجه الترمذي عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أوّل ما يحكم بين العباد في الدماء .

قلت : يدفع التعارض بأن هذا فيما بين حقوق العباد ، و قوله "أول ما يحاسب به العبد صلاته" في حق الله . قاله الطيبي رحمه الله تعالى .

و في رد المحتار ج١ ص٢٥٦ : و في قوله عليه الصلاة والسلام "أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته" قال العراقي رحمه الله تعالى في شرح الترمذي : و لا يعارضه الحديث الصحيح "إن أوّل ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" لحمل الأوّل على حق الله تعالى على العبد ، و الثاني على حقوق الآدميين فيما بينهم .

فإن قيل : أيهما يقدم ؟

فالجواب : أن هذا أمر توقيفي . و ظواهر الأحاديث دالة على أن الذي يقع أوّلاً المحاسبة على حقوق الله تعالى قبل حقوق العباد . كذا في شرح العلقمي على الجامع الصغير . انتهى ما في ردّ المحتار . هذا .

الوجه الخامس : الصلاة أفضل العبادات بعد الإيمان و أعلاها و أجلاها كما أن اسم "الله" أفضل الأسماء الحسنى و أعلاها و أجلاها . فاقتضت هذه المناسبة العليّة و الرابطة الجليّة أن يكون اسم "الله" الذي هو أفضل الأسماء الحسنى فاتحة أفضل العبادات و خاتمتها .

الوجه السادس : الصلاة اسم أفضل العبادات و أجلاها ، و الجلالة اسم أعلى المسميات و أسناها . و بين هذين الاسمين ربطًا لطيفًا و مناسبة غريبة .

إن قلتَ : ما هذه المناسبة بين هذين الاسمين للمسمَّين الأفضلَين ؟

قلت : هذه المناسبة بينهما باعتبار إبهام مأخذ الاشتقاق . إذ في وجه اشتقاق كل واحد من هذين الاسمين و في وجه التسمية بكل واحد منهما أقوال كثيرة للأئمة . و كثرة الأقوال تورث الإبهام .

إن قلت : ما تفصيل وجوه الاشتقاق للاسم "الله" ؟

قلتُ : قد سطرنا بالتفصيل تلك الوجوه في باب آخر من هذا الكتاب فارجع إليه .

إن قلتَ : ما تفصيل وجوه اشتقاق اسم الصلاة و وجوه التسمية به ؟

قلت : اختلفوا في وجه تسمية العبادة المعروفة بالصلاة . و للأئمّة في ذلك أقوال كثيرة نذكر هٰهنا ملخّصها .

القول الأوّل : هي مأخوذة من الصلاة بمعنى الدعاء لغةً . و وجه التسمية أن الصلاة مشتملة على الدعاء .

القول الثاني : هي مشتقّة من "صليت العود على النار" إذا قوَّمتَه بها . و وجه التسمية أنّ اعوجاج العبد بسبب ترغيب النفس الأمّارة بالسوء يقوَّم بالصلاة .

القول الثالث : هي مشتقّة من الصّلوَين تثنية الصلا . و هو ما عن يمين الذنب و شماله . و ذلك لأن المصلي يحرّك صلوَيه في الركوع و السجود .

القول الرابع : هي مشتقّة من المصلّي . و هو الفرس الثاني من خيل السباق . و المجلّي هو الفرس الأوّل منها . و وجه التسمية أنّ للصلاة مرتبة ثانية في الإسلام . و المرتبة الأولى للإيمان .

القول الخامس : قيل : أصلها من التعظيم . سميت بذلك لما فيها من تعظيم الربّ .

القول السادس : قيل : هي من الرحمة . سمّيت بذلك لكونها تستنزل بها رحمة الله تعالى .

القول السابع : قيل : هي من التقرُّب من قولهم "شاة مصليّة" و هي التي قربت إلى النار . و الصلاة مما يتقرّب به إلى الله تعالى .

القول الثامن : هي من اللزوم . قاله الزجاج . و وجه التسمية ظاهر .

القول التاسع : قيل : هي الإقبال على الشيء . و وجه التسمية غير مخفيّ . ذكر هذه الأقوال التسعة الحافظ العيني رحمه الله تعالى .

قال العبد الضعيف البازي : كتبت هذه السطور و أنا بمكة المكرّمة جالس في المسجد الحرام تجاه بيت الله ليلة الاثنين ليلة سابع شوال و أذان صلاة العشاء في أذني . و أسأل الله تعالى أن يغفر جميع ذنوبي و ذنوب والديَّ و أن يجعل قبري و قبرهما روضة من رياض الجنة و أن يدخلنا الجنة و يجيرنا من النار . آمين .

الباب الخامس و العشرون
وهو مشتمل على خمس خصائص

من أهمّ خصائص الاسم "الله" الشريف و نفائسها دخول حرف النداء عليه مع كونه معرفًا بلام التعريف . فيقال : "يا الله" . وامتنع أن يقال : "يا الرجل" "يا الحارث" لامتناع اجتماع المثلَين أي آلتي التعريف و هما "أل" و "حرف النداء" .

و لذا يتوسّل إلى نداء المعرف باللام بكلمة "أيّ" مع "الهاء" فقط أو مع الهاء و اسم الإشارة . نحو "يا أيها الرجل" و "يا أيهذا الرجل" . هذه خاصة واحدة .

ثم إنّ علماء النحو و الأدب صرّحوا بأنّ في النطق بقولنا "يا الله" صورًا أربعًا :

الصورة الأولى : "يا ألله" بإثبات الألفين ألف "يا" و ألف "الله" التي هي همزة وصل ، قطعت هنا و أبقيت ، و المنقاس حذفها . و هذه خاصة ثانية . و سنفصلها في باب آخر إن شاء الله تعالى .

و الصورة الثانية : "يا الله" بحذف الألفين معًا .

و الصورة الثالثة : "يا الله" بحذف الألف الثانية أي بحذف ألف الوصل فقط و إبقاء الألف الأولى . و في هذه الصورة اجتماع الساكنين ألف "يا" و اللام المدغمة . و ذلك مغتفر في كلمة واحدة نحو "مادّة" بتشديد الدال . و ههنا اجتمعا في كلمتين وهما حرف النداء و اسم الجلالة . و هذه خاصة الثالثة . و هذه الخاصّة الثالثة متفرعة على أنهما كلمتان متغايرتان غيرمنزّلتين منزلة كلمة واحدة .

و لا يستبعد أن يقال : إن حرف "يا" ههنا نزِّل منزلة الجزء من اسم الجلالة . و ذلك لكثرة نداء الله تعالى و كونه تعالى قبلة الحاجات . و ليس في العالَم ذات يناديها كل ذي حاجة و يطلب إقبالها كل سائل غير ذات الله سبحانه . فكثرة ندائه تعالى صيَّرت حرف "يا" كأنه جزء من الجلالة أو بمثابة الجزء لا مطلقًا بل عند النداء فقط .

فعلى هذا لا إشكال في اجتماع الساكنين في قولنا "يا الله" في الصورة الثالثة ، لصيرورتهما بمنزلة كلمة واحدة المغتفر فيها اجتماع الساكنين إذا كان الثاني منهما مدغما . نعم جعل حرف "يا" بمنزلة جزء الجلالة حكمًا خاصة رابعة .

و الصورة الرابعة عكس الثالثة . أي حذف ألف "يا" و إثبات ألف "الله" . و هذه خاصة خامسة . و هذه الصورة منعها البعض و منهم العلامة الدنوشري رحمه الله تعالى ، و جوّزها البعض و منهم الشيخ يٰس رحمه الله تعالى ، صرح به و فصَّله في حواشي التصريح ج٢ ص١٧٢ ، فراجعها .

ثم في الصورة الرابعة احتمالان :

الاحتمال الأوّل : أن يقال : إن الهمزة الملفوظة الباقية همزة اسم الجلالة التي هي وصل ، قطعت ههنا و أبقيت . و هذا الاحتمال هو الذي قلت فيه : إنه خاصة خامسة .

و الاحتمال الثاني : أن يقال : إن همزة الجلالة حذفت ، و الهمزة الباقية الملفوظة إنما هي ألف "يا" أبدلت همزة مفتوحة للفرار من اجتماع الساكنين كما في "ولا الضألّين" بهمزة مفتوحة بعد الضاد على ما هو قراءة البعض . و قد مرّ البحث عليه فيما سبق من الأبواب .

وكلا الاحتمالين سيّان تلفظًا كما لا يخفى . والاختلاف إنما هو في توجيههما . و في الاحتمال الثاني خاصة سادسة . فمجموع خصائص هذا الباب ست . و الخاصة الثانية سطرناها و فصلناها في باب آخر من الكتاب ، فبقيت خمس خصائص .

و بالجملة دخول " يا " على " الجلالة " المعرَّفة "بأل" من أجلّ بدائع خصائصها وأعظم مزاياها و أمثل فضائلها و أجلب مناقبها لقلوب المعلّمين و المتعلّمين .

إن قلت : الجملة المبتدأة "بأل" مثل "المنطلق زيد" إذا سمّي بها جاز دخول "يا" عليها مثل الجلالة كما صرح به سيبويه .

قلت أوّلًا : كلامنا في المعربات . و الجملة و إن سمي بها فهي من المبنيات . فلا يقدح بها على خاصة اسم الجلالة الذي هو معرب .

و ثانيًا : أن كلامنا في المفردات . فالقدح بالجملة في غير محله .

و ثالثًا : أن التسمّي بالجملة المبتدأة بالهمزة شاذ و نادر . بل ليس له مثال في كلامهم القديم .

و إنما ذكر سيبويه جواز دخول حرف النداء على الجملة المذكورة بطريق الفرض و القياس لا بطريق النقل و السماع من العرب . فسيبويه أراد أنه لو فرض فرضًا أن شخصًا اسمه "المنطلق زيد" أي الجملة المبدوأة "بأل" فالقياس جواز دخول حرف النداء عليها . و لذا لم يذكروا لذلك مثالًا واحدًا محكيًّا عن العرب فضلًا عن الأمثلة . بل قالوا : لو سمي رجل "بالمنطلق زيد" فحكمه كذا .

و رابعًا : أن بحثنا في الاسم المعرف "بأل" الذي أبقيت فيه "أل" على أصلها و عومل معها في الاستعمال معاملة "أل" المعرِّفة بإسقاط همزتها درجًا . مثل "الرجل" و "الغلام" . فمثل هذا المعرف يمتنع عليه دخول حرف النداء . و خصّ منه اسم الجلالة .

ولا يخفى أن "أل" في الاسم "الله" يعامل معها في الاستعمال معاملة "أل" التعريفية حيث يسقط همزتها في الدرج نحو "خلق الله" "غفر الله" . بخلاف الجملة المبدوأة "بأل" إذا سمي بها . فإن "أل" فيها تخرج عن أصلها . و لذا صرّحوا بقطع همزتها استعمالًا . صرّح بقطع همزتها الشيخ الصبان رحمه الله تعالى في شرح الأشموني ج٣ ص١١١ .

إن قلت : جاز عند الإمام ابن سعدان رحمه الله تعالى نحو "يا الأسد شدة أقبِل" و "يا الخليفة هيبةً" فعنده يجوز دخول حرف النداء على الاسم الجنس المعرف "بأل" المشبه به .

قلت أوّلًا : هذا مذهب ابن سعدان ، وكلامنا في مسلك جمهور النحاة ، و مسلك الجمهور منع ذلك كما صرح به العلامة الأشموني في شرح الألفية ج٣ ص١١١ .

و ثانيًا : قال ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ في شرح التسهيل : وهو ، أي ما قال ابن سعدان ، قياس صحيح . لأن تقديره : يا مثل الأسد أقبل . انتهى .

قال الشيخ الصبان : أي فالمنادٰى في الحقيقة لم تدخل عليه "أل" . انتهى . و إنما المنادٰى لفظ "مثل" المضاف إلى المعرّف "بأل" فلا إشكال .

قال ابن الحاجب رَحِمَهُ اللهُ : و إذا نودي المعرّف باللام قيل : "يا أيها الرجل" و "يا هذا الرجل" و "يا أيهذا الرجل" . و التزموا رفع الرجل ، لأنه المقصود و توابعه لأنها توابع معرب . و قالوا : "يا الله" خاصة . انتهى .

قال الرضي في شرح الكافية ج١ ص١٤٥ : يعني لم يدخل حرف النداء من جملة ما فيه اللام إلّا لفظة "الله". قيل : إنما جاز ذلك لاجتماع شيئين في هذه اللام لزومها للكلمة . فلايقال "لاه" إلّا نادرًا . قال : "يسمعها لاهُه الكبار" وكونها بدلًا من همزة إله ، فلا يجمع بينهما إلّا قليلًا . قال :

معاذ الإله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربرب

و أما "النجم" و "الصعق" و "الذي" و بابه فإن لامها لازمة لكنها ليست بدلًا من الفاء . و أما "الناس" فإن اللام فيه عوض من الفاء ، و أصله "أناس" و لا يجتمعان إلّا في الشعر كقوله :

إنّ المنايا يطّلِعْــــــنَ على الأُناس الآمنينا

إلّا أنها ليست لازمة إذ يقال في السعة "ناس" .

ثم قال : و الأكثر في "يا الله" قطع الهمزة . و ذلك للإيذان من أوّل الأمر أن الألف و اللام خرجا عما كانا عليه في الأصل ، و صارا كجزء الكلمة حتى لا يستكره اجتماع "يا" و "اللام" . فلو كانا بقيا على أصلهما لسقطت الهمزة في الدرج . إذ همزة اللام المعرفة همزة وصل . و حكى أبوعلي "يا الله" بالوصل على الأصل . و جوّز سيبويه أن يكون "الله" من "لاه يليه ليهًا" أي استتر . فيقال في قطع همزته و اجتماع اللام و "يا" : إن هذا اللفظ اختص بأشياء لا تجوز في غيره كاختصاص مسمّاه تعالى وخواصه في "اللّهم" و "تالله" و "آ الله" و "ها اللهِ ذا" و "اللهِ" مجرورًا بحرف مقدر في السعة .

و "أفأ اللّٰه" بقطع الهمزة . كما يجيء في باب القسم . انتهى .

و في التوضيح لابن هشام رحمه الله تعالى وشرحه التصريح للازهري رحمه الله تعالى ج٢ ص١٧٢ : ولايجوز نداء ما فيه "أل" لأن نداءه يفيد التعريف و "أل" تفيد التعريف ولا يجمع بين معرِّفين . فلا يقال "يا الرجل" عند البصريين إلّا في أربع صور :

إحداها : اسم "اللّٰه" تعالى مسمّاه . أجمعوا على ذلك . تقول : "يا أللّٰه" بإثبات الألفين و "يا اللّٰه" بحذفهما معًا و "يا اللّٰه" بحذف الثانية فقط و إبقاء الأولىٰ . و علل سيبويه جواز نداء الجلالة بأن "أل" لا تفارقها . و هي عوض من همزة "إله" فصارت بذلك كأنها من نفس الكلمة .

و هذا التعليل يناسب إثبات ألف الجلالة في النداء ، كما أن الفعل المبدوء بهمزة الوصل إذا سمّي به قطعت همزته ، تقول "جاءني أنصر" و "إضرب" بضم الهمزة في الأوّل و كسرها في الثاني .

و وجه حذفها في الوصل النظر إلى أصلها . و وجه حذف ألف "يا" أن إثباتها يؤدي إلى اجتماع الساكنين على غيرحدّه لكونهما من كلمتين . و وجه إثباتها مع حذف الثانية إجراء المنفصل من كلمتين مجرىٰ المتصل في كلمة واحدة .

و الثانية : الجملة المحكية المبدوءة "بأل" نحو : يا المنطلق زيد . فيمن سمي بذلك . نص على ذلك سيبويه و قال : لأنه بمنزلة "تأبّط شرًّا" لأنه لا يتغير عن حاله إذ قد عمل بعضه في بعض . انتهى .

و الثالثة : اسم الجنس المشبه به كقولك : يا الخليفة هيبةً . نص على ذلك ابن سعدان . قال ابن مالك في شرح التسهيل : تقديره : يا مثل الخليفة . فلذلك حسن دخول "يا" عليه . لأنها في التقدير داخلة على غير "أل" .

و الرابعة : ضرورة الشعر . ولايجوز ذلك في النثر . خلافًا للبغداديين و الكوفيين في إجازتهم ذلك . انتهى بتصرف ما في التوضيح و التصريح .

فصل

إن قلتَ : دخول "يا" على الاسم المعرف باللام ممتنع في كلام العرب كما صرّح به النحاة . و استثنى من ذلك الاسم "الله" حيث يجوز دخول حرف النداء عليه مع كونه معرّفًا باللام . فما وجه دخول "يا" على اسم "الله" و ما السرّ في ذلك ؟

قلتُ و بالله التوفيق و بيده أعنّة التحقيق : إنما ساغ دخول حرف النداء في اسم "الله" المعرف باللام لوجوه بديعة مكتومة و أسرار رفيعة مختومة ، بعضها نحوية و بعضها غير نحوية ، لا يعرفها إلّا أصحاب الأسرار من الأذكياء و أهل النكات من الفضلاء و أرباب البصائر من الأولياء و ذَوُوالألباب من الأتقياء الأصفياء .

السرّ الأوّل : أن ذلك لسرّ مصون محفوظ في اللوح المحفوظ لا يعلمه إلّا الله . و الراسخون في العلم يقولون : كل من عند الله . خص الله به اسمه بحكمه و هو يفعل ما يريد . و أجرى "يا الله" هكذا على ألسنة خلقه و هم لا يشعرون . فلا يُسئل عما يفعل و هم يُسئلون . إنما إذا أراد شيئًا أن يقول له كُن فيكون .

و الله هو الواضع للكلمات و الأسماء . و هو الذي علّم آدم الأسماء كلها . وله تعالى أحكام لفظية و عملية و معقولة المعنى وغير معقولة المعنى وهي التعبّدية . فكما أن خطاب عدد الركعات في الصلوات تعبديّ كذلك إطلاق "يا الله" و استعماله تعبّدي و غير معقول المعنى .

السرّ الثاني : أن لاسم "الله" الكريم خواص . فخص بهذه الخاصة ، لأن الخاصة تأنس بالخاصة . و أتت في هذا الاسم الكريم تغييرات لا تحصى . فوقع فيه هذا التغيير أيضًا ، لأن التغيير يألف التغيير و يجرّه إليه ، و الجنس إلى الجنس يميل . و هذا باب طويل الذيل جمّ الفوائد .

فائدة

قالوا : التغيير يأنس بالتغيير . فمن ذلك ما قال أبوحيان : باب النسب بني على ثلاث تغييرات :

لفظي : و هو كسر ما قبل الياء و انتقال الإعراب إليها .

ومعنوي : و هو صيرورته اسمًا لما لم يكن له . ألا ترى أن عليًّا مثلاً ينطلق على رجل اسمه "علي" فإذا نسب إليه صار ينطلق على رجل ينسب إلى "علي" .

وحكمي : وهو رفعه لما بعده على الفاعلية كالصفة المشتقة نحو : مررت برجل قرشيّ أبوه . كأنك قلت : منتسب إلى قريش أبوه . و يطرد ذلك فيه و إن لم يكن مشتقًا . و إن لم يرفع الظاهر رفع الضمير مستكنًّا فيه كما يرفعه اسم الفاعل المشتق . فهذه ثلاث تغييرات . و لما كان فيه هذه التغييرات كثر فيه التغيير و الخروج عن القياس . إذ التغيير يأنس بالتغيير .

و قال غيره : النسب يغير الاسم تغييرات :

منها : أنه ينقله من التعريف إلى التنكير ، تقول في تميم : تميمي . و الإضافة في غير هذا الباب حكمها في الأكثر أن تعرّف .

و منها : أنه ينقله من الجمود إلى الاشتقاق ، و إلّا لما جاز وصف المؤنث به و لحاق التاء به ، و لما عمل الرفع فيما بعد من ظاهر أو ضمير .

و من ذلك ما قال ابن يعيش : إنما اختصت الأعلام بالحكاية دون سائر المعارف لكثرة دورها و سعة استعمالها في باب الإخبارات و العلامات و نحوها . و لأن الحكاية ضرب من التغيير ، إذ كان فيه عدول عن مقتضى عمل العامل ، و الأعلام مخصوصة بالتغيير .

ألا ترى أنهم قالوا : "حبوة" و "محبب" و "مكره" . و شاع فيها الترخيم دون غيرها من الأسماء لأنها في أصلها مغيرة بنقلها إلى العلمية . و التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك ما قال السخاوي رَحِمَهُ اللهُ في تنوير الدياجي : دخلت تاء التانيث في "أمّ" و "أب" في حال النداء عوضًا من ياء الإضافة نحو "يا أمت" و "يا أبت" و الأصل "يا أمّي" و "يا أبي" . والدليل على أنها تاء التانيث قولهم في الوقف : يا أبه و يا أمّه . و إنما اختص ذلك بالنداء لأنه من باب تغيير .

و من ذلك ما قال ابن يعيش : يجوز ترخيم ما فيه تاء التانيث و إن لم يكن علمًا نحو "يا ثبـ"

و"يا عض" في "ثبة" و "عضة" . لأنها تبدل "هاء" في الوقف إبدالاً مطردًا ، فساغ حذفها ، لأن التغيير اللازم لها من نقلها من التاء إلى الهاء يسهّل تغييرها بالحذف . لأن التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك ما قال ابن النحاس في التعليقة : لايرخّم المتعجب منه ، لأنا لانرخّم إلّا ما أحدث فيه النداء البناء و ليس بمندوب ، لأنه لما تطرَّق إليه التغيير بالبناء جاز أن يتطرَّق إليه تغيير آخر بالترخيم . لأن التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك ما قال ابن فلاح في المغني : إنما اتّبعت حركة المنادى لحركة الصفة إذا كانت "ابنًا" بين علَمين ، لكثرة تغيير الأعلام بالنقل . و التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك ما قال السخاوي : باب فعيلة إذا نسب إليه يحذف منه التاء ثم الياء ، فيقال في حنيفة : حنفي . لأن ياء النسبة لما تسلّطت على حذف التاء تسلّطت على حذف الزائد الآخر . والتغيير يأنس بالتغيير . بخلاف باب فعيل فلا يحذف منه الياء نحو "تميم" و "تميمي" لفقد العلة المذكورة .

و كذا قال ابن النحاس : لما تطرّق إليه التغيير بحذف تاء التانيث جاز أن يتطرّق إليه تغيير آخر . لأن التغيير يأنس بالتغيير .

و قال ابن فلاح في المغني : إنما اختص العلَم بالترخيم لوجهين :

أحدهما : أن الأعلام منقولة في الأغلب عن وضعها الأوّل إلى وضع ثان . والنقل تغيير ، والترخيم تغيير . و التغيير يأنس بالتغيير . كما قلنا في حذف الياء في النسب إلى حنيفة تبعًا لحذف التاء دون حذفها من حنيف .

و الثاني : أن النداء أثّر فيها التغيير بالبناء . و التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك ما قال ابن عصفور في شرح الجمل : والذي خرج عن نظائره "أيّ" من الموصولات . و ذلك أن كل موصول إذا وصل بالمبتدأ والخبر ولم يكن في الصلة طول و كان المبتدأ مضمرًا لم يجز حذف المبتدأ و إبقاء الخبر إلّا في ضرورة شعر . و يجوز حذف المبتدأ في "أيّ" في فصيح الكلام نحو : يعجبني أيّهم هو قائم . و إن شئت قلت : أيّهم قائم . فلما غيّروها بالخروج عن نظائرها غيّروها أيضًا بالبناء . لأن التغيير يأنس بالتغيير . هذا .

و نظير ذلك في المشروع ما قالوا : إن العام قطعي الدلالة . و إذا خصّ أضحى ظنيًّا في الشمول لما تحته . واحتمل تخصيصًا بعد تخصيص إذ لما تطرّق إليه تغيير واحد احتمل أن يتطرق إليه تغيير ثانٍ . لأن التغيير يأنس بالتغيير و يجرّه إليه . و قال عليه الصلاة والسلام ما حاصله : اقتراف الذنب يوقع في ذنب آخر . و هكذا .

فلما ثبت أن لاسم الله خواص كثيرة جارية فيه ممتنعة في غيره سهل فيه مجيء هذه الخاصة و تطرّقت إليه هذه المزيّة . و هو اجتماع حرف النداء و لام التعريف . لأن الخاصة تأنس بالخاصة .

قال الإمام ابن الشجري رحمه الله تعالى في أماليه ج٢ ص١٤ ما حاصله : قالوا "يا الله" و خصّوا اسم الله بشيء لم يسمع في غيره ، و هو تفخيم لامه تعظيمًا له و تنويهًا به . و ذلك إذا وقعت بعد ضمة أو بعد فتحة . انتهى .

و قال فيه ج١ ص٣٦٤ : مثل ذلك حذف الباء من اسم "الله" في القسم في لغة من قال "الله لتفعلن" . و هو قليل ولم يستعملوه في غير هذا الاسم تعالى مسماه . فهو ما اختص به كاختصاصه بالتاء في القسم ، و بقطع همزته في النداء في إحدى اللغتين ، و بتفخيم لامه ، و بإلحاق آخره ميمًا عوضًا من حرف النداء قبله في قولهم "اللّهم" . انتهى كلامه .

و قال الرضي : و جوّز سيبويه أن يكون "الله" من "لاه يليه ليهًا" أي تستر . فيقال في قطع همزته و اجتماع اللام و "يا" : إن هذا اللفظ اختص بأشياء لا تجوز في غيره كاختصاص مسماه تعالى و خواصه ما في "اللّهم" و "تالله" و " آلله" و "ها الله ذا" و "أللهِ" مجرورًا بحرف مقدر في السعة و "أفَا ألله" بقطع الهمزة كما يجيء في باب القسم . انتهى .

السرّ الثالث : اسم "الله" علم شخص وضع لذات معينة بوضع شخصي مع اللام مثل وضع اسم "زيد" لمسماه . و ليس هو مثل "النجم" و "الصعق" و غير ذلك من الأسماء الغالبة . فاللام فيه جزء العلم مثل همزة "أحمد" و جيم "جعفر" .

قال العلامة الشيخ عبدالعلي المدراسي رحمه الله تعالى في شرح الجامي : وما أحسن ما ذهب إليه خير التابعين و أفضل المجتهدين الإمام الأعظم أبوحنيفة النعمان عليه الرحمة و الرضوان من أن لفظ "الله"

ليس فيه تبديل و لا تغيير بل هو الآن كما كان . لأنه اسم الذات . فكما أنه تعالى لا يتغير كذلك اسم ذاته تعالى . فافهم . انتهى .

قال ابن الأنباري رحمه الله تعالى في الإنصاف ج١ ص٣٤٠ عند ذكر وجوه ثلاثة لدخول "يا" على الجلالة فذكر وجهين ، ثم قال : و الوجه الثالث أن هذا الاسم عَلَم غير مشتق أتي به على هذا المثال من البناء من غير أصل يردّ إليه . فينزل منزلة سائر الأسماء الأعلام . و كما يجوز دخول حرف النداء على سائر الأعلام فكذلك ههنا . انتهى كلامه .

السرّ الرابع : هذا سرّ بديع و رمز لطيف ، و هو أن في دخول "يا" عليه بدون التغير الواجب في غيره ، وهو حذف اللام ، إشارة إلى امتناع اتصاف مسماه بتغيرات ثابتة في غيره تعالى فرقًا بين اسمي الخالق والمخلوق الدال على فرق ذاتيهما .

السرّ الخامس : لا يحذف اللام من لفظة "الله" عند دخول "يا" عليها . بخلاف سائر أسمائه الحسنى حيث تحذف فيها فيقال : يا رحمن ، يا غفار . بدون اللام فرقًا بين اسم الذات و غيره و هدايةً لقلوب الناس بدليل لفظي إلى أنه اسم للذات العليّة .

فكما أن ذاته تعالى لاتتغير كذلك اسم "الله" لايتغير عند النداء . فدلّنا هذا على أنه اسم الذات العليّة و علم الذات السنيّة . كأنّ أشعة من ذاته تعالى انعكست في اسمه . فسبحانه بديع الأسماء .

و قد تحقق عند المحققين من المحدثين أن بين الاسم والمسمى ارتباطًا قويًا . بل ثبت ذلك بالأحاديث . ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام على ما رواه مسلم : عصية عصت الله . و غفار غفر الله لها . و قد ذكرنا هذا البحث مع ما له و ما عليه بحذافيره في موضع آخر من هذا الكتاب .

السرّ السادس : للإشارة إلى الفرق بين نداء الخالق و نداء المخلوق . فيتوسل في الثاني بنحو "أيّها" و "أيّهذا" دون الأول .

السرّ السابع : إن "يا" في "يا ألله" ليست للنداء بل هي حرف تنبيه في صورة حرف النداء . و "يا" إذا كانت للتنبيه تدخل على الحروف و الأفعال و الجمل فضلًا عن الاسم المعرف باللام .

كما قال في المغني ج٢ ص٤١ : و إذا ولي "يا" ما ليس بمنادًى كالفعل في "ألا يا اسجدوا" ،

و الحرف في نحو "يٰلَيْتَنِيْ كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوْزَ" "يا رُبّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة"، و الجملة الاسمية كقوله :

يا لعنةُ اللّٰهِ و الأقوامِ كلّهم والصالحين على سمعانَ من جار

فقيل : هي للنداء . و المناٰدى محذوف . و قيل : هي لمجرد التنبيه . لئلاّ يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلّها . انتهى .

و قال ابن مالك في شرح صحيح البخاري المسمى بشواهد التوضيح و التصحيح ص٣ : فمنها قول ورقة بن نوفل : يا ليتني أكون حيًّا .

قلت : يظن أكثر الناس أن "يا" التي تليها "ليت" حرف نداء ، و المناٰدى محذوف . فتقدير قول ورقة على هذا : يا محمد ليتني كنت حيًّا . و تقدير قوله تعالى "يٰلَيْتَنِيْ كُنْتُ مَعَهُمْ" : ياقوم ليتني كنت معهم .

و هذا الرأي عندي ضعيف . لأن قائل "يا ليتني" قد يكون وحده ، فلا يكون معه منادًى ثابت ولا محذوف ، كقول مريم عليها السلام : يٰلَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هٰذَا .

و لأن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذي ادعي فيه حذفه مستعملاً فيه ثبوته كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء . بخلاف "ليت" فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتًا . فادّعاء حذفه باطل لخلوه . فهذه "يا" لمجرد التنبيه مثل "ألا" و مثل "ها" . انتهى باختصار .

السرّ الثامن : هب أنها حرف نداء لكنها ليست لتأدية معنى النداء و طلب الإقبال . بل هي لبحت تحسين الدعاء و تزيين المرام و الكلام حسب ما اعتاده الإنسان من النداء عند الخطاب مع المحتاج إليه .

و وجه ذلك أن النداء لطلب الإقبال حقيقة . و هذا مفقود في "اللّٰه" إذ هو مقبل علينا آناء الليل والنهار لا تأخذه سنة ولا نوم . أو حكمًا بأن يجعل المقبل بمنزلة غير المقبل . ولا يخفى أن هذا لا يخلو عن سوء أدب في جنابه المقدس و حضرته العليا .

فالموجود هنا صورة النداء لا معناه ، و المتحقق ظاهره لا حقيقته . فاسم الله في "يا الله" ليس منادًى إلّا لفظًا . و المنافاة إنما هو بين حرف النداء و ما هو المنادى المعنوي الحقيقي المعرف باللام و إذ لا فلا . فلا ورود للإشكال .

و نظير هذا أوّلًا : ما أقسم رسول الله ﷺ بغير اسم الله تعالى كما في صحيح مسلم في حديث الأعرابي : أفلح و أبيه إن صدق . و قال شيخ مشايخنا مولانا محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى : قد تحقق نحو أربعة أو خمسة مواضع حلف فيها رسول الله ﷺ بغير اسم الله تعالى منها "و أبيه" في الحديث المذكور . انتهى .

و منه قول العلماء : لعَمري ، لعَمرك ، و نحو ذلك . وهو شائع عندهم بلا كراهة مع أن الحلف بغير اسم الله ممنوع . قال عليه الصلاة والسلام : من كان حالفًا منكم فليحلف بالله . و قال عليه الصلاة والسلام : لا تحلفوا بأسماء آباءكم . و قال عليه الصلاة والسلام : من حلف بغير اسم الله فقد أشرك .

و أجابه العلماء بعدة أجوبة . منها : ما ذكره الجلبي رحمه الله تعالى في شرح المطول و اختاره الشيخ الأنور رحمه الله تعالى أن الممنوع إنما هو الحلف الذي فيه تعظيم المقسم به غير الله . ومثل هذه الأيمان يذكر في العبارات والمحاورات لا لقصد تعظيم المقسم به وتبجيله بل المقصود منه محض تاكيد المرام وتزيين الكلام . و لذا قد يحلف باسم العدو أو بعُمره عند المجادلة و المحاربة . فكما أن الحلف بغير اسم الله ممنوع شرعًا بل هو إشراك و ساغ بغيره عند إرادة صورة القسم لا معنى القسم كذلك دخول حرف النداء على المعرف باللام . فساغ "يا الله" لقصد صورة النداء لا لقصد النداء الحقيقي و معناه .

و ثانيًا : ما اختاره ابن مالك رحمه الله تعالى في شرح التسهيل و تبعه الإمام أبوحيان ، وهو أن الإسناد لفظي و معنوي . و من خواص الاسم المعنوي فقط .

و أجابا بهذا من الإشكال المشهور و هو قولهم : "ضَرَبَ" فعلٌ ، و "مِنْ" حرف جر . حيث وقع فيه كل واحد من الفعل و الحرف محكومًا عليه و مسندًا إليه مع أن ذلك من خواص الاسم .

و حاصل جوابهما أن المتحقق في قولهم : "ضرب" فعلٌ ، و "مِن" حرف جر ، الإسناد اللفظي دون المعنوي . و المختص بالاسم الثاني دون الأوّل . و التفصيل في كتابي بغية الكامل شرح المحصول

و الحاصل . و راجع المغني لابن هشام ج٢ ص١٨٤ .

و ثالثًا : ما قالوا : إن لام التعريف لاتدخل على المضاف . ثم قالوا : ساغ دخولها على المضاف في الإضافة اللفظية . و منافاة لام التعريف إنما هي مع الإضافة المعنوية فقط دون الإضافة اللفظية ، لأن الإضافة اللفظية أمر غير معتدّ به .

السرّ التاسع : على تسليم أنها حرف نداء لطلب الإقبال نقول : امتناع دخول حرف النداء على المعرف إنما هو عند إمكان انفكاك اللام عنه . و الانفكاك في اسم "الله" غير ممكن إذ لايبقى عندئذ معناه . لأنه فرق بين "الله" و "إله" حيث يطلق الثاني على غير الله تعالى أيضا بخلاف الأوّل .

و لذا أنكر بعض الأئمة أن يكون "الله" أصله "إله" كما حكى أبوالقاسم الزجاجي عن الزجاج عن المبرد قال : سمعت المازني يقول : سألني الرياشي فقال : لم نهيتَ أن يكون الله تعالى أصله الإله ، ثم خفف بحذف الهمزة كما يقول أصحابك .

فقلت : لو كان مخففا منه لكان معناه في حال تخفيف الهمزة كمعناه في حال تحقيقها لا يتغير المعنى . ألا ترى أن "الناس" و "الأناس" بمعنى واحد . و لما كنت أعقل لقولي "الله" فضل مزية على قولي "الإله" و رأيته قد استعمل لغير الله في قوله "وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا" . كذا في الأشباه ج٣ ص٢٣٣ . فاخترنا إحدى البليتين ، وهي دخول "يا" على المعرف باللام ، لكونها أهونهما ، كما هو شان المرء العاقل عند الابتلاء ببليّتين .

السرّ العاشر : إنا مفتقرون أن نناد‌ي الله باسمه الذاتي عند الشدائد . و هو معرف باللام . والمعرف باللام يقع منادى بوسيلة "أيّها" و "أيّهذا" نحو "أيها الرجل" . ولايخفى أن "أيّها الله" أو "أيّهذا الله" سوء أدب . و هذا أمر ذوقي يعقله صاحب الذوق السليم و الفهم المستقيم . و لا يخفى على الذي ألقى السمع و هو شهيد .

السرّ الحادي عشر : لم يتوسّل إليه بنحو "أيّ" و "ها" للتبرك باسمه بالابتداء به من أوّل وهلة .

السرّ الثاني عشر : لم يتوسّل إلى نداء اسم "الله" بنحو "أيّها" . بل قيل "يا الله" إشارة إلى

أن الله عزّوجلّ يسمع لمن ناداه ، و يصل إليه صوت النائي و القريب ، لا يفتقر الله تعالى في سماعه إلى وسيلة كما هو شان ملوك الدنيا حيث حجبوا أنفسهم عن رعاياهم فلا تصل إليهم أصواتهم إلّا بوسيلة نحو الوزير . والله تعالى لا وزير له ولا نظير له .

فرفعت الوسيلة و هي "أيّها" في اللفظ إشارة إلى هذا السر في المعنى و المسمى . لأن الألفاظ قوالب المعاني .

و أيضًا إيماء إلى شدة المقاربة و الاتصال بين الله و عبده عند النداء . فالعبد إن قرب منه شبرًا قرب الله منه ذراعًا ، و إن مشى إليه تهرول إليه .

و محصله : أن للاتصال بين ذات المنادِي (بكسر الدال) و المنادٰى (بفتح الدال) و ارتفاع الوسائل بينهما اتصل حرف النداء باسم المنادى و ارتفعت الوسائل بينهما . إذ الظاهر عنوان الباطن و الألفاظ قوالب المعاني . و هذه النكتة إنما تتأتى عند دخول "يا" على ما يمتنع دخولها عليه ظاهرًا و هو "الله" لأن النكتة للفار لا للقار .

السرّ الثالث عشر : لم يتوسل إليه "بأيّها" لكثرة ندائه . و الكثرة تقتضي التخفيف . هذا ما قلته أنا . ثم رأيت بعد تحرير هذا السرّ الإمام ابن الأنباري ذكره في الإنصاف ج١ ص٣٤٠ ، حيث قال موجِّهًا لدخول "يا" على الجلالة : إن هذه الكلمة كثر استعمالها في كلامهم فلا يقاس عليها غيرها . انتهى لفظ كلامه .

السرّ الرابع عشر : إنما لا تدخل حرف النداء على المعرف باللام لئلا يجتمع آلتا التعريف واللام في اسم "الله" ليست لتعريف مدخوله . لأن مسماه أعرف المعارف . فهي فيه زائدة لا تورث إلّا تزيين اللفظ و تحسينه . فوجودها كعدمها . فدخلت على مدخولها "يا" و قيل "يا الله" كما وصفت بالنكرة المعرف باللام الزائدة في قوله :

و لقد أمُرّ على اللئيم يسُبُّني فمضيتُ ثُمَّت قلتُ لا يعنيني

و كقراءة بعضهم "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" بفتح ياء ليخرجن . و "الأذل" حال و الحال واجبة التنكير ، "فأل" فيه زائدة لا معرفة . و التقدير : ليخرجن الأعزّ منها

ذليلا . صرّح به ابن هشام في شرح شذور الذهب . و قال الرضي : إن اللام في "اللّٰه" للتعظيم لا للتعريف عند الكوفيين .

السرّ الخامس عشر : لزوم اللام لاسم "اللّٰه" سوَّغ و سهَّل دخول "يا" عليه . و في الأشباه للسيوطي رحمه الله : قال في المفصل : لا ينادى ما فيه الألف و اللام إلاّ الله وحده لأنهما لا يفارقانه . انتهى .

و في الهمع ج١ ص١٧٤ : ولا ينادى المعرف "بأل" فلا يقال "يا الرجل" إلاّ في ضرورة . لأن في ذلك جمعًا بين أداتي التعريف . و استثنى البصريون شيئين . أحدهما اسم الله فيقال "يا الله" لأن "أل" للزومها فيه كأنها من بنية الكلمة . انتهى .

و في الأشموني ، ما حاصله : أنه لا يجوز جمع "يا" و "أل" إلاّ مع "اللّٰه" فيجوز "يا الله" بالاتفاق للزوم "أل" له حتى صارت كالجزء منه . انتهى .

السرّ السادس عشر : جاز دخول "يا" على "اللّٰه" للزوم اللام فيه و كونها عوضًا عن الهمزة . و الفرق بين هذا السرّ و السرّ المتقدم أن الملحوظ في السرّ المتقدّم أمر واحد وهو لزوم اللام . و أمّا السرّالسادس عشر فالملحوظ فيه أمران : لزوم اللام و كونها عوضًا .

و في التوضيح و شرحه التصريح ج٢ ص١٧٢ : ولا يجوز نداء ما فيه "أل" لأن نداءه يفيد التعريف و "أل" تفيد التعريف . ولا يجمع بين معرفين فلايقال "يا الرجل" عند البصريين إلاّ في اسم "اللّٰه" أجمعوا على ذلك . و علل سيبويه جواز نداء الجلالة بأن "أل" لا تفارقها ، وهي عوض من همزة "إله" فصارت بذلك كأنها من نفس الكلمة . انتهى بتصرف .

و قال الرضي تحت قول ابن الحاجب : و قالوا "يا الله" خاصة . يعني لم يدخل حرف النداء من جملة ما فيه اللام إلاّ لفظة "اللّٰه" . قيل : إنما جاز ذلك لاجتماع شيئين في هذه اللام لزومها للكلمة فلا يقال "لاه" إلاّ نادرًا ، و كونها بدلاً من همزة "إله" فلا يجمع بينهما إلاّ قليلاً .

و أما "النجم" و "الصعق" و "الذي" و بابه فإن لامها لازمة لكنها ليست بدلاً من الفاء . و أما "الناس" فإن اللام فيه عوض من الفاء و أصله "أناس" . لا يجتمعان إلاّ في الشعر . إلاّ إنها

ليست بلازمة إذ يقال في السعة "ناس".

قالوا: وأصله "الإله" بمعنى المعبود. فالله في الأصل من الأعلام الغالبة كان عامًّا في كلّ معبود، ثم اختص بالمعبود بالحق و صار مع اللام علمًا له، و خفّفت همزتها وحذفت لكثرة الاستعمال، و صار الألف و اللام كالعوض من الهمزة. انتهى بحذف. وقد تقدم ذكر شيء من كلام الرضي في أوّل هذا الباب.

قلت: صحة هذا الوجه متفرعة على كون أصله "إله" مهموز الفاء على وزن فِعال. و هو أحد قولي سيبويه. وأما على قوله الآخر و هو أن أصله "لاه" فلا مجال لهذا الوجه كما لايخفى. فلابد من المصير إلى أحد الوجوه السابقة عليه. و أكثر ما يعتمد عليه هو الوجه الخامس عشر وهو لزوم اللام له من غير لحاظ العوضيّة.

لكن يرد على الوجه الخامس عشر اعتراض بمثل "النجم" و باب "الذي" و "التي" لتحقّق لزوم اللام فيها.

يقول العبد الضعيف الروحاني البازي: يدفع هذا الاعتراض القويّ بأجوبة متعددة نذكرها في السطور القادمة. فألقِ سمعك و أنت شهيد.

الجواب الأوّل: أن المراد من لزوم اللام مع الكلمة أن لا تنفك عنها، و أن يتغير و يزول دلالتها على معناها الأوّل إن انفكت. كما في اسم "الله" حيث لايبقى علمًا للمعبود بالحق بعد حذف لامه. بخلاف غيره حيث يجوز في "النجم" و "الأعشى" و "النابغة" حذف لامها مع بقاء معناه السابق و هو العلمية. وكذا يقال في "الذي" و "التي": لذي. و تي.

كما قال الرضي: وقد يقال: "لذي" و "لتي" و "لتان" و "لذان" و "لاتي" بلا لام.

و في الهمع: و حذف "أل" من "الذي" و "التي" و "اللذان" و "اللتان" و "الذين" و "اللاتي" لغة حكاها ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ. و قرئ: صراط لَذين انعمت عليهم. هذا.

و قال في بحث المعرفة: و أما ذواللام فالأكثر فيه أيضًا لزوم اللام. و قد يجوز تجريده عنها كما

قيل في النابغة "نابغة" و ذلك قليل . قال سيبويه : يكون "اثنان" علمًا لليوم المعين بلا لام . تقول : هذا يوم اثنين مباركًا فيه . و ردّه المبرد و قال : لا يكون علمًا إلّا مع اللام ، لكونه من الغالبة . انتهى .

و في التصريح شرح التوضيح ج١ ص١٥٤ : و في غير النداء و الإضافة قد تحذف "أل" هـذه فقد سمع " هذا عيوق طالعًا " . حكاه ابن الأعرابي . أي العيوق علم كوكب . و سمع "هذا يوم اثنين مباركا فيه" . حكاه سيبويه .

الجواب الثاني : أنّ المراد اللزوم مطلقًا . و مثل هـذا اللزوم لا يتأتّى إلّا في اسم "الله" . أما لام نحو "النجم" و "الأعشى" فيستثنى من لزومها وقت النداء و الإضافة كما يلوح من فحوى كلامهم بعد الاستقراء و التفتيش .

قال ابن هشام في التوضيح : و "أل" هـذه أي ما هو في نحو "النجم" و "الصعق" لازمة دائمًا إلّا في نداء أو إضافة . فيجب حذفها نحو "يا أعشى باهلة" و هي قبيلة ، و "أعشى تغلب" . انتهى .

فكأنّ هذين الموضعين أي النداء و الإضافة مستثنيان من لزوم اللام بعد الغلبة على طبق الاستعمال قبلها . بخلاف اسم "الله" فإنّ اللام تلزمه مطلقا أي في جميع الأحوال .

الجواب الثالث : هو أسلم الأجوبة وحاصله أن دخول "يا" على اسم "الله" سماعي غير قياسي فلا يحتاج إلى استدلال و بيان علّة له . و نظيره في الفقه الحكم التعبُّدي كما فصلناه من قبل .

ولا حاجة إلى وضع قانون مستقلّ لا ينطبق إلّا على أمر واحد . و لو انفتح هذا الباب لسدّ باب الشواذّ و النوادر الخارجة عن القوانين مع أنه مفتوح قال بها العلماء إجماعًا في أكثر القوانين اللفظية .

و لكان لكل أحد أن يضع قانونًا منفردًا لا يلج فيه إلّا تلك الشواذ . فتنقاس تلك الشواذ بأن يضع مثلاً لما قالوا : إن حذف نون "يكون" في الجزم شاذ غير منقاس قانونًا كما وضعه صاحب علم الصيغة في الصرف ، حيث قال : إن كل ما هو فعل ناقص و في آخره نون فلامه تحذف في الجزم . فلا يرد نحو : ركن يركن . لأنه فعل تام . ولا سائر الأفعال الناقصة لفقد النون في لامها .

ثم إنّ عدم تعرض النحاة وأهل العربية لهذا القانون الذي ذكره مؤلّف علم الصيغة مع ظهوره من مخايل عدم ارتضائهم بمثله ، مع أن هذا القانون ليس بدون مما احتالوه لجواز "يا الله" من لزوم اللام فقط . أو ذلك أي لزوم اللام مع كونها عوضًا . و صرح كثير من الأئمة أنه لا ينبغي أن يفرد ما هو النادر بحكم و قانون .

ففي الأشباه ج١ ص٢٩٥ : النادر لا حكم له . قال الأندلسي في شرح المفصل : يعنون أنه لا يفرد بحكم يصير به أصلا بل ينبغي أن يرد إلى أحد الأصول المعلومة محافظة على تقريرها و احتراسًا من نقضها . قال : و ما من علم إلاّ و قد شذّت منه جزئيات مشكلة فتردّ إلى القواعد الكلية و الضوابط الجملية . انتهى . هذا ما عندي . ولله الحمد و المنة وهو الموفِّق والملهِم .

السرّ السابع عشر : أن المعظم الجليل القدر يعدّ نداؤه باسمه من سوء الأدب ، فهٰهنا أي في قولنا "يا الله" جعل النداء كالمنقطع عما بعده . و الاسم الكريم كأنه غيرمنادًى . فلا وصمة في كونه معرفا باللام .

قلت : هذا الوجه المذكور هنا نظير ما قال الشهاب رحمه الله تعالى في شرح تفسير البيضاوي ناقلاً عن البعض في توجيه قطع همزة الجلالة عند النداء . قال فيه ج١ ص٥١ : قال المحقق التفتازاني رحمه الله تعالى : قد يقال في قطع الهمزة : إنه نوي فيه الوقف على حرف النداء تفخيمًا للاسم الشريف . و نقله البعض عن سيبويه . و قيل في توجيهه : إن المعظم الجليل القدر يعدّ نداؤه باسمه من سوء الأدب . فلذا جعل النداء كالمنقطع عما بعده . و الاسم الكريم كأنه غير منادى . انتهى .

السرّ الثامن عشر : يتوسل إلى نداء المعرف باللام بنحو "أيّها" مثل "أيّها الرجل" . و قد صرّح الأئمة بأنّ ما بعد كلمة "أيّ" صفة لكلمة "أيّ" . ولا يخفى على ذوي العلم أنّ اسم "الله" يوصف ولا يوصف به . ولذا يجب تقديمه عند ذكر عدة أسماء الله الحسنى كما في "بسم الله الرحمن الرحيم" .

و نحو "النجم" و "الصعق" دون اسم "الله" في العلمية و دونه في لزوم اللام . و هذا ظاهر . ولا يصحّ التوسل بنحو "أيها" في نداء نحو "النجم" و "الثريا" فلا يجوز أن يقال فيما هو دون الجلالة : "أيها النجم" و "أيها الصعق" و "أيها الأعشى" . كما صرح به الفاضل عبد الحكيم رحمه الله تعالى في حواشيه على

حواشي الفاضل عبدالغفور اللاري على شرح الجامي للكافية ، و الأزهري رحمه الله تعالى في التصريح . فما ظنك باسم "الله" الذي هو عَلَم بحت و أقوى و أشدّ من النجم و الثريا و الأعشى في الأمرين : العلمية و لزوم اللام .

قال العبد الفقير البازي : قد حصحص لك من البيان المذكور أن هذا الطريق أي طريق التوسُّل إلى نداء الله بنحو "أيّها" مسدود وممنوع . ولا يخفى على ذوي الألباب أن الطرق المحتملة العقليّة في نداء "الله" ليست إلّا ثلاثة :

الطريق الأوّل : هو ما سمعته الآن و عرفت أنه مسدود وممنوع وهو النداء إليه بتوسّل نحو "أيها" . فلم يبق إلّا طريقان .

الطريق الثاني : أن لا ينادٰى اسم "الله" و هو باطل ، إذ اختيار هذا الطريق لا طريق إليه عقلاً فإنه صعب و متعسّر و وعر و متعذّر . والميل إلى هذا السبيل لا سبيل إليه عرفاً و إسلامًا لكونه مرتقًى كؤودًا و مطلبًا شرودًا . و الركون إلى هذا الصراط لا صراط إليه دينًا ، إذ هو صراط غير مستقيم لايرضى به ذوطبع سليم و عقل مستقيم . فهو مسلك عزيز الملتمس و مذهب بعيد المقتبس . دونه خرط القتاد بل دونه الموت الصئاب .

فهذا الطريق كالممتنع و المستحيل مطلقًا عند عباد الله الصالحين . كيف والله تعالى مرجع الآمال للأنام ، و إليه يصعد الكلم الطيب للخواص و العوام . و هذا الطريق إن هي إلّا آفة عمياء و داهية دهياء القتل دونها خير و ضغث على إبالة .

الطريق الثالث : أن يقال "يا الله" بإدخال "يا" عليه ، مع كونه معرفًا بأل . و هذا محظور نحويّ إلّا أن ارتكابه أهون البلايا فاخترناه . و العاقل إذا ابتلي بالبلايا يختار أهونها وقرًا و أقلّها آفة و نكرًا . لاسيما و قد ثبت أن لاسم "الله" خواص كثيرة فليكن هذا منها .

السرّ التاسع عشر : اللام في الجلالة عوض عن همزة "إله" فصارت كأنها جزء من نفسها فدخلت عليها حرف النداء لهذا . ذكر هذا الوجه الإمام ابن الأنباري رحمه الله تعالى نقلاً عن البصريين ، حيث قال في توجيه دخول "يا" على الجلالة :

إن الألف و اللام عوض عن همزة "إله" فتنزلت منزلة حرف من نفس الكلمة . و إذا تنزلت منزلة حرف من نفس الكلمة جاز أن يدخل حرف النداء عليه . و الذي يدل على أنها بمنزلة حرف من نفس الكلمة أنه يجوز أن يقال في النداء "يا ألله" بقطع الهمزة . قال الشاعر :

مباركٌ هو و مَن سماه على اسمك اللّهم يا أللهْ

ولو كانت كالهمزة التي تدخل مع لام التعريف لوجب أن تكون موصولة . فلما جاز فيها ههنا القطع دل على أنها نزلت منزلة حرف من نفس الكلمة .

كما أن الفعل إذا سمي به فإنه تقطع همزة الوصل منه نحو "إضرب" و "أقتل" . تقول : جاءني إضرب . و رأيت إضرب . و مررت بإضرب . و جاءني أقتل . و رأيت أقتل . و مررت بأقتل . بقطع الهمزة ليدل على أنها ليست كالهمزة التي كانت في الفعل قبل التسمية ، و أنها بمنزلة حرف من نفس الكلمة . فكذلك ههنا .

و الذي يدل على ذلك أنهم لو أجروا هذا الاسم مجرٰى غيره مما فيه ألف ولام لكانوا يقولون "يا أيّها الله" كما يقولون "يا أيّها الرجل" . إما على طريق الوجوب عندنا أو على طريق الجواز عندكم . فلما لم يجز أن يقال ذلك على كل حال دلّ على صحة ما ذهبنا إليه . انتهى لفظ كلامه في كتابه الإنصاف ج١ ص٣٣٩ .

هذا الذي اطلعنا عليه في كتب القوم و الذي خطر ببالنا بإلهام الله سبحانه . ولله الحمد و المنة . و لا تجده عند غيرنا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم .

فصل

في ذكر وجوه يمتنع لأجلها دخول "يا" على الاسم المعرّف باللام

إن قلتَ : لم لا يدخل حرف النداء على الاسم المعرف "بأل" ؟

قلت : ذلك لوجوه أربعة :

الوجه الأوّل : قال بعض محشِّي المتن المتين : إن "يا" مثلاً نائبة عن اللام في التعريف لاسيما في اسم الجنس نحو "يا رجل" فلا تدخل على مدخول "أل" لئلا يجتمع العوض و المعوض عنه و النائب و المنوب عنه .

أقول : لايخفى على المتفطن أنّ هذا الوجه لا يجري في نحو "يا هذا" حيث لا تدخل اللام على أسماء الإشارات . اللّهم إلاّ أن يدعى أنها نائبة عنها فيما يحتمل "أل" و يتأتّى التعريف بها .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الأشباه ج٢ ص٤١ : و نظير ذلك المنادٰى نحو "يا رجل" قيل : يعرف بالخطاب . و قيل : باللام المحذوفة . وكأنّ "يا" أنيبت منابها .

قال الأبذي في شرح الجزولية : و هو الصحيح . ألا ترى أنك تقول : أنت رجل قائم . ولا يتعرف رجل بالخطاب . فكأنّ "يا رجل" في الأصل يجتلب له "أل" التي للحضور، ثم اختصرت . و لذا ألزمت "يا" ولم تحذف لئلا يتوالى الحذف ، و لأنها صارت عوضًا . انتهى .

الوجه الثاني : لايدخل حرف "يا" مدخول "أل" لئلا يجتمع التعريفان . لأن حرف النداء مثل "أل" حرف تعريف . كذا في التصريح ج٢ ص١٧٢ .

و في حواشي المتن المتين ص١١٨ : و ما قال ابن الحاجب : إنّ حرف النداء آلة التعريف يرد عليه قول الأعمى "يا رجلاً" لغير معين . قلت في الجواب : أصل "يا" للتعين . وأما في "يا رجلاً" فتجرد عن معنى التعريف و انسلخ لعدم معرفة الأعمى مثلاً . ألا ترى أنك إذا ناديت رجلا معينًا فتصوّره كالمشار إليه . فافهم . انتهى .

و في شرح شرح شذور الذهب للشيخ محمد عبادة رحمه الله تعالى ج١ ص١٦١ : و إنما وجب حذف "أل" من المنادى لئلا يجتمع معرفان في السعة ، و احترز بالسعة من الضرورة نحو :

ع فَيَا الغُلامان اللذان فَرّا

و وجب حذفها من المضاف أيضًا لئلا يجتمع معرفان . انتهى بتصرف .

ولا يرد على ما قلنا "يا زيد" حيث اجتمع فيه معرفان : العلمية و حرف النداء . لأن تعريف العلمية قد زال .

قال ابن يعيش ذلك الإمام البارع : فإن قيل : هل التعريف الذي في "يا زيد" في النداء تعريف العلمية بقي على حاله بعد النداء كما كان قبل النداء أم تعريف جديد حدث فيه غير تعريف العلمية ؟

فالجواب : أن المعارف كلها إذا نوديت تنكّرت ، ثم تكون معارف بالنداء . هذا قول المبرد ، وهو الصواب كإضافة الأعلام . و خالفه ابن السراج . انتهى .

ولا يرد باب "الذي" و "التي" لأن تعريفه بالموصولية ، واللام فيه زائدة لتحسين اللفظ . صرح به الرضي . و لذا لا ينادى الضمير و الموصول .

قال العبد الضعيف البازي : و يرد على ما ذكر نحو "يا فلان" حيث دخلت كلمة "يا" على لفظ "فلان" و لا يجوز تنكير لفظ "فلان" . صرح به الشيخ الرضي .

و كذا يرد قولنا "يا الله" إذ اسم الجلالة لا ينكّر ، و تنكيره سوء أدب بل موهم الشرك . وهو تعدّد ذوات يسمّى كل واحد منها بالاسم "الله" . هذا . والله أعلم .

الوجه الثالث : ما ذكره الشيخ الرضي أن المنادٰى لا يكون معرفًا "بأل" و إلّا فإمّا أن يبنى معها و هو بعيد لكون اللام معاقبة للتنوين فهي كالتنوين ، فمن ثم قلّ بناء الاسم معها كالخمسة عشر و أخواته و الآن ، فاستكره دخولها مطّردا في المنادى المبني . و إمّا أن يعرب وهو أيضًا بعيد لحصول علة البناء و هي وقوع المنادى موقع الكاف و كونه مثلها في الإفراد و التعريف . انتهى بزيادة .

و ما لايبنى و لايعرب فلا يقع منادًى لأنه لا يخلو من أن يكون معربًا أو مبنيًا .

الوجه الرابع : "يا" آلة التعريف كما أنّ "أل" آلة التعريف . و اجتماع آلتي التعريف ممنوع و محظور .

اعلم : أنّ بين هذا الوجه و الوجه الثاني فرقًا لطيفًا ، و هو أن الوجه الثاني متفرع على اجتماع

التعريفين ، و هذا الوجه الرابع مترتّب على اجتماع آلتي التعريف . و التعريف يكون بأمور كثيرة . و أمّا آلة التعريف فاثنتان : "أل" و حرف النداء .

قال الرضي : وقال بعضهم : إنما لم يجمعوا بين اللام وحرف النداء كراهة اجتماع حرفي التعريف .

و فيه نظر لأن اجتماع حرفين في أحدهما من الفائدة ما في الآخر و زيادة لا يستنكر كما في "لقد" و "ألا أن" على ما يجيء في موضعهما . قالوا : و ليس المحظور اجتماع التعريفين المتغايرين بدليل قولك "يا هذا" و "يا عبد الله" و "يا أنت" . بل الممتنع اجتماع أداتي التعريف مع حصول الاستغناء بأحدهما .

و قال المبرد رحمه الله تعالى في الأعلام : إنها تنكر ثم تعرف بحرف النداء . ولا يتم ما قال في "يا الله" و "يا عبد الله" .

و قال المازني رحمه الله تعالى في اسم الإشارة : ينكّر ثم يجبر بحرف النداء الفائت من الإشارة .

و ردّ الرضي قول المبرد و المازني حيث قال : و لا حاجة إلى ما ارتكبا ، إذ لا منع من كون الشيء المعين مواجهًا مقصودًا بالنداء . و "أيّ" محظور في اجتماع مثل هذين التعريفين . هذا . انتهى ما ذكره الرضي .

فصل

اعلم : أن الكلام يجرّ كلامًا و المرام يسحب مرامًا . و لذا لمّا استوعبنا في الفصل المتقدم البحث على اجتماع آلتي التعريف و سببيه جوازًا ومنعًا ناسب لنا أن نفصّل مسألة اجتماع آلتين و سببين لمطلق حكم من الأحكام النحويّة في كلمة واحدة .

ولا مندوحة عن إيضاح هذه المسألة لكونها نافعة فيما تصدَّينا لبيانه و في غير ما موضع . فأقول و من الله التوفيق و إيّاه أستعين : لا يجمع بين حرفين أو سببين لحكم . و لذا قالوا : إنه لا يجمع بين "كي" إذا كانت ناصبة و "أن" فلا يقال : جئت كي أن أزورك . خلافًا للكوفيين . ولا بين أداتي استثناء ، لايقال : قام القوم إلّا خلا زيدًا . ولا : إلّا حاشا زيدًا . قاله ابن السراج في الأصول . قال : إلّا

أن يكون الثاني اسمًا نحو : إلّا ما خلا زيدًا . و إلّا ما عدا . فإنه يجوز .

و في الأشباه ج١ ص٣٢١ : لا يجتمع أداتان لمعنًى . و من ثم لا يجتمع "أل" و "الإضافة" لأنهما أداتا تعريف ، و لا يجمع بين "أل" و حروف النداء أيضًا لذلك ، و لا بين حرف من نواصب الفعل المضارع و بين حرف تنفيس ، لأن الجميع أدوات استقبال ، و لا بين "كي" إذا كانت جارة و "اللام" . بخلاف ما إذا كانت ناصبة .

و في بعض حواشي الكشاف : لا يجمع بين أداتي تعدية فلا يقال : أذهبت بزيد . بل إما الهمزة أو الباء . و من ثم أيضًا ردّ قول الأخفش في نحو "حواء" إن الألف و الهمزة معًا للتانيث ، لأنه لا يوجد في كلامهم ما أنّث بحرفين . و إذا دخلت الواو على "لكن" انتقل العطف إليها وتجردت "لكن" للاستدراك ، كما أن حرف الاستفهام إذا دخل على ما يدل على الاستفهام خلع من دلالة الاستفهام كما في قوله :

ع أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

فإن "هل" بمعنى "قد" . و كما في قوله :

ع أم كيف ينفع ما يُعطى العلوقُ به

فإن "أم" خلعت من دلالة الاستفهام و تجردت للعطف بمعنى "بل" . ولا يجوز تجريد "كيف" دون "أم" لأن تجريدها عن الاستفهام يزيل عنها علة البناء ، فيجب إعرابها . ذكره في البسيط .

و قال ابن يعيش : الدليل على أن ألف "أرطى" للإلحاق لا للتانيث ، أنه سمع عنهم "أرطاة" بإلحاق تاء التانيث . ولو كانت للتانيث لم يدخلها تاء التانيث لأنه لا يجمع بين علامتي تانيث . انتهى كلام السيوطي في الأشباه .

و من ثم لا يضاف المضمرات . قال في البسيط : ما لا يمكن تنكيره من المعارف كالمضمرات و أسماء الإشارة لا تجوز إضافته لملازمة القرينة الدالة على تعريفه وضعًا . و أما الأعلام فالقياس عدم إضافتها و عدم دخول اللام عليها لاستغنائها بالتعريف الوضعي عن التعريف بالقرينة الزائدة .

والاشتراك الاتفاقي فيها لايلحقها باشتراك النكرات الذي هو مقصود الواضع . وليس الاشتراك في الأعلام مقصودًا للواضع . فإن النكرات تشترك في حقيقة واحدة ، و الأعلام تشترك في اللفظ دون الحقيقة . و كل حقيقة تتميز بوضع غير الوضع للحقيقة الأخرى . بخلاف وضع اللفظ على النكرات .

و لذلك كان "الزيدان" يدل على الاشتراك في الاسم دون الحقيقة ، و "الرجلان" يدل على الاشتراك في الاسم و الحقيقة . و قد جاء إدخال اللام عليها و إضافتها إلحاقًا للاشتراك الاتفاقي بالاشتراك الوضعي . كذا في الأشباه ج٢ ص٨٦ .

و قال ابن الدهان في الغرة : ثلاثة أشياء تتعاقب على المفرد . ولايوجد فيه منها اثنان . و هي : التنوين ، و الألف و اللام ، و الإضافة . انتهى .

و في الأشباه ج٢ ص٦ : قال ابن القواس في شرح الدرة : كل خاصتي نوع إما أن يتفقا أو يختلفا . فإن اتفقا امتنع اجتماعهما "كالألف و اللام" و "الإضافة" في الاسم ، و "السين" و "سوف" في الفعل . و إن اختلفا فإن تضادا لم يجتمعا "كالتنوين" و "الإضافة" في الاسم ، و "سوف" و "تاء التانيث" في الفعل . لأن "سوف" تقتضي المستقبل والتاء تقتضي الماضي . وإن لم يتضادا جاز اجتماعهما كالألف و اللام و التصغير و "قد" و تاء التانيث . انتهى .

و أما باب "الذي" و "التي" فالتعريف فيه إما بالصلة أو باللام لا بهما . و هما قولان . ذهب إلى كل واحد منهما قوم .

ففي الأشباه ج٢ ص٤١ : ذهب قوم إلى أن تعريف الموصولات بالألف و اللام ظاهرة في "الذي" و "التي" وتثنيتهما وجمعهما ، و منوية في "مَن" و "ما" و نحوهما . والصحيح أن تعريف الجميع بالصلة . انتهى .

و قال الرضي : و إنما أدخلوا على "الذي" اللام الزائدة تحسينًا للفظ . و إنما قلنا : إن اللام زائدة ، لما مر أن الموصولات معارف وضعًا بدليل كون "ما" و "مَن" معرفتين بغير اللام . و إنما ألزموها اللام الزائدة لأنها لو نزعت تارةً و أدخلت أخرىٰ لأوهم كونها للتعريف كما في نحو "الرجل" و "رجل" . انتهى .

و من ذلك ما في الهمع ج١ ص٧٦ : أنـ هاء التنبيه تصحب اسم الإشارة المجرد من اللام . ولا تصحب ما يكون معها بحال ، فلا يقال : هـذا لكـ . لأن الهاء تنبيه و اللام تنبيه ، فلا يجتمعان . انتهى بتصرف .

و قال ابن مالك في تعليقاته على البخاري المسماة شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص٤ : إن كلمة "يا" في نحو "يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ" لمجرد التنبيه مثل "ألا" في "ألا ليت شعري" . وقد يجمع بين "ألا" و "يا" توكيدًا للتنبيه كما جمع بين "كي" و "اللام" و معناهما واحد في قول الشاعر :

أردْتَّ لِكَيما أن تطير بِقِربتي فتتركها شنًّا بِبَيـداءَ بَلْقَعِ

"فكي" هنا إن جعلت جارة فقد جمع بينها و بين اللام مع توافقهما وهو الأظهر . و إن جعلت ناصبة فقد جمع بينها و بين "أن" مع توافقهما أيضًا معنًى و عملاً . و سهّـل ذلك اختلافـ اللفظين . فلو اتفق الحرفان لفظًا ولم يكونا حرفي جواب لم يجز اجتماعهما إلّا بفصل كقوله تعالىـ : هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ . و قد يغني عن الفصل انفصالهما بالوقف على أولهما كقول الراجز :

لا يُنْسِك الأسٰى تأَسِّيًا فما ما من حِمامٍ أحدٌ معتصما

انتهى كلام ابن مالك .

و يقرب من هذا البابـ استبشاعهم تكرار كلمة و إن تغاير معناها في كل موضـع و استحبوا الاجتناب عنه في بعض المواضع عند الإمكان ، كما قال الزمخشري في الكشاف . ولقد أغـثّ أبوالطيب المتنبي في قوله :

لعمرك ما ما بان منك لضارب بأقتل مما بانـ منك لعائبـ

أغـثّـ أي أتى بكلام غث . لأن تكرار كلمة "ما" مستبشع . ألا ترى أن الأصـل في "مهما" "ماما" فقلبوا الألف هاء للتكرار . قاله في قوله تعالى : وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ . "إن" نافية وعدل عن إيراد "ما" للتكرار . قال : وما ضره لو اقتدى بالكتاب في اللفظ . و قال "لعمرك ما إن بان منك لضارب" . انتهى .

و من هذا الباب ما في الأشباه ج١ ص٢٥٤ : لايجوز اجتماع عاملين على معمول واحد . ولهذا ردّ قول من قال : إن الابتداء و المبتدأ معًا عاملان في الخبر ، و قول من قال : إن المتبوع و عامله معًا عاملان في التابع ، و قول من قال : إن "إن" و فعل الشرط معًا عاملان في الجزاء ، و قول من قال : إن الفعل و الفاعل معًا عاملان في المفعول . حكاه أبوالبقاء في التبيين عن بعض الكوفية ، و ابن فلاح في المغني عن الفراء . انتهى .

و فيه ج١ ص٣٢٢ : قال يونس و ابن كيسان و الزجاج والفارسي : "إمّا" ليست عاطفة لأنها تقترن بالواو و هي حرف عطف ولا يجتمع حرفا عطف . و اختاره أبوالبقاء و ابن مالك و الشلوبين و ابن عصفور و الأندلسي و السخاوي و الرضي رحمهم الله تعالى .

و قال ابن الحاجب رحمه الله تعالى في شرح المفصل : لم يعد الفارسي "إمّا" من حروف العطف لدخول العاطف عليها . وقد ثبت أنهم لا يجمعون بين حرفي عطف .

و قال ابن السراج : ليس "إمّا" بحرف عطف لأن حروف العطف لايدخل بعضها على بعض . فإن وجدت شيئًا من ذلك في كلامهم فقد خرج أحدهما عن أن يكون حرف عطف نحو قولك : ما زيد ، ولا عمرو . "فلا" في هذه المسألة ليست عاطفة ، إنما هي نافية .

و قال الشلوبين : إنما حذفت تاء التانيث من نحو " مسلمة " في الجمع بالألف و التاء نحو "مسلمات" لأنها لو لم تحذف لاجتمع في الاسم علامتا تانيث و هم يكرهون ذلك .

و قال ابن هشام في تذكرته : لا يجوز "كسرت لزيد رباعيتين علياتين و سفلاتين" لأن فيهما الجمع بين الألف و التاء ، و اجتماع علامتي التانيث لا يجوز . انتهى .

وقد استشكل اجتماع علامتي تانيث في " إحدٰى عشرة " و " ثنتي عشرة " . قال في البسيط : و جواب الإشكال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهما اسمان في الأصل فانفرد كل واحد منهما بما يستحقه في الأصل . و إنما الممتنع اجتماع علامتي تانيث في كلمة واحدة .

الثاني : أن ألف "إحدٰى" للإلحاق كألف "معزى" إلاّ أن التركيب منع تنوينها . والتاء في "ثنتين" للإلحاق بجنديح . وحمل "اثنتان" عليهما لكونهما بمعنى واحد .

الثالث : أن علامتي التانيث في "إحدٰى عشرة" مختلفتان لفظًا ، و إنما الممتنع اتفاق لفظهما . و التاء في " اثنتين " بدل من لام الكلمة ، فلم تتمحض للتانيث حتى يحصل بذلك الجمع بين علامتي تانيث .

و من فروع القاعدة أيضًا تأخيرهم "لام" الابتداء إلى خبر "إنّ" و كان حقها أن تكون في أوّل الجملة و صدرها . لكنهم كرهوا توالي حرفين لمعنى واحد و هو التاكيد . ذكره ابن جني . انتهى .

و قال الرضي في بحث الحروف ج٢ ص٢٩٩ : اعلم : أن هذه اللام لام الابتداء المذكورة في جواب القسم . و كان حقها أن تدخل أوّل الكلام . ولكن لما كان معناها و معنى "إنّ" سواء أعني التوكيد و التحقيق ، وكلاهما حرفا ابتداء كرهوا اجتماعهما . فأخّروا اللام و صدروا "إنّ" لكونها عاملة ، و العامل حريٌّ بالتقديم على معموله و خاصة إذا كان حرفًا ، إذ هو ضعيف العمل .

و راعوا مع تاخير اللام شيئين . أحدهما : أن يقع بينهما فصل نحو "إنّ زيدًا لقائم" لأن المكروه هو الاجتماع . ثم ذكر الشيء الثاني . انتهى كلامه .

و قال ابن جني : ليس في الكلام اجتماع حرفين لمعنى واحد لأن في ذلك نقضًا لما اعتزم عليه من الاختصار في استعمال الحروف ، إلاّ في التاكيد كقوله :

ع و ما إنْ لا تحاك لهم ثياب

فإن "ما" وحدها للنفي و "إن" و "لا" معًا للتوكيد . قال : ولا ينكر اجتماع حرفين للتاكيد لجملة الكلام لأنهم أكّدوا بأكثر من الحرف الواحد في قولهم : لتقومن . فاللام و النون جميعًا للتاكيد . و قوله تعالى : فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا . فما و النون جميعًا للتوكيد . انتهى كلامه .

و قال ابن الحاجب في شرح المفصل : قول الفراء في "إنْ" الواقعة بعد "ما" النافية : إنهما حرفا نفي ترادفا كترادف حرفي التوكيد في قولك : إنّ زيدًا لقائم . ليس بالجيد . لأنه لم يعهد اجتماع حرفين

لمعنى واحد . و مثل "إن زيدًا لقائم" قد فصل بينهما لذلك . انتهى كلامه .

و قال ابن قواس في شرح الكافية : لم يعهد اجتماع حرفين لمعنى واحد من غير فصل . و لذلك جاز "إنّ زيدًا لقائم" و امتنع "إنّ لزيدًا قائم" .

و قال ابن إياز : إنما لم تعمل "لا" في المعرف بلام الجنس وإن كان في المعنى نكرة لأن لام الجنس تقبل الاستغراق ، وكذلك " لا " . فلو اعملوها في المعرف بها لجمعوا بين حرفين متفقين في المعنى . و ذلك ممنوع عندهم .

و قال الشلوبين : النحويون يقولون : إن حروف المعاني إنما هي مختصرة من الأفعال ، فهي نائبة مناب الأفعال تعطى من المعنى ما تعطيه الأفعال إلاّ أن الأفعال اختصرت بالحروف . فإن الأفعال تقتضي أزمنة و أمكنة و أحداثا و مفعولين و فاعلين و محالاً لأفعالهم و غير ذلك من المعمولات . فاختصر ذلك كله بأن جعل في مواضعها ما لايقتضي شيئًا من ذلك . و لذلك كرهوا أن يجمعوا حرفين لمعنى واحد ولم يكرهوا ذلك في الأسماء و الأفعال .

لأن ذلك نقيض ما وضعت عليه من الاختصار . قال : وبهذا يبطل قول من قال : إن الأسماء الستة و" امرأً " و"ابنمًا" معربة بشيئين من مكانين . لأن العرب لا تجمع بين حرفين لمعنى واحد لكونه نقيض موضوعها من الاختصار . فلأن لا تفعل ذلك في الحركة أحق و أولى لأن الحركة أخصر من الحرف . انتهى .

و قال ابن الدهان رحمه الله في الغرة : فإن قيل : فهلا جاز "إنّ لزيدًا قائم" بالجمع بينهما لأنهما للتاكيد كما جمع بين تاكيدين في أجمع و أكتع ؟

فالجواب : أن الغرض في هذه الحروف الدوال على المعاني إنما هي التخفيف والاختصار . فلا وجه للجمع بين حرفين لمعنى ، إذ فيه نقض الغرض . و إذا تباعد عنه استجيز الجمع بينهما كما جمع بين حرف النداء و الإضافة . و يمتنع الجمع بينه و بين لام التعريف . انتهى .

و من هذا الباب ما ذكروه في ردّ مذهب الفراء في التنازع حيث يجوّز في مثل "ضرب و أكرم زيد" أن تُعمِل العاملين في المتنازع ، فيكون الاسم الواحد فاعلاً للفعلين .

قال الرضي في رده : لكن اجتماع المؤثّرين التامّين على أثر واحد مدلول على فساده في علم الأصول . و هم يجرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية . انتهى .

قال الفاضل اللاري : ويلزم حينئذ توارد العلتين المستقلتين على معمول واحد وهو غير جائز .

و **قال** في الأشباه ج١ ص١٣٤ : قال الآمدي في شرح الجزولية : إن قال قائل : لم جاز دخول "يا" على "هذا" ولا تدخل على الألف و اللام ؟

فالجواب ما قال المازني : إن التعريف بالإشارة انتزع من اسم الإشارة عند النداء . انتهى بحذف . هذا .

فصل

اعلم : أن الممنوع إنما هو اجتماع حرف النداء و "أل" لفظًا لاتقديرًا . فلذا جاز "يا زيد والحارث" بالعطف كما جاز "رُبّ شاة و سخلتها" .

وأما باب الاختصاص فقالوا : إنه منقول من باب النداء ، ولايجوز إظهار "يا" فيه . والاختصاص إنما يكون فيما يلي ضمير المتكلم نحو : أنا أدخل أيّها الرجل . و له صور عديدة . منها : إيراد الاسم المعرف باللام بعد الضمير نحو "نحن العربَ" بالنصب ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام "نحن معاشر الأنبياء" بالنصب للاختصاص . و في هذه الصورة إشكال لايخفى . فقال ابن الحاجب : هذه الصورة ليست منقولة من باب النداء . لأن المنادى لا يكون ذا لام .

و **قال** صاحب التصريح : فيه فرق بين المنادٰى والمختص . لأن المختص لا يكون فيه حرف النداء لا لفظًا ولا تقديرًا .

و **قال** الرضي : و الأولى أن يقال : الجميع منقول عن النداء . لكنهم جوزوا النصب و دخول اللام في نحو "نحن العربَ" لأنه ليس منادى حقيقة ، و لأنه لايظهر فيه حرف النداء المكروه مجامعته اللام . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل

إعلم : أن منع اجتماع حرف النداء و "أل" هو مذهب البصريين . و استثنوا منه أمرين : أحدهما "يا الله" . والثاني الجملة المسمى بها كأن تسمى "بالرجل قائم" فإذا ناديت قلت : يا أَلرجل قائم . لأنه سمي بها على طريق الحكاية .

و استثنى المبرد ثالثًا ، و هو الموصول إذا سمي به نحو " يا أَلذي قام " لمسمًّى به . و وافقه ابن مالك .

قال أبوحيان : و الذي نص عليه سيبويه المنع و فرق بينه و بين الجملة أنها سمي فيها بشيئين . كل واحد منهما اسم تام . و الذي بصلته بمنزلة اسم واحد كالحارث فلا يجوز فيه النداء . كذا في الهمع .

و قال الصبان في حواشي الأشموني ج٣ ص١١١ : إن التسمية "بالذي" و "التي" مع الصلة هو محل الخلاف . و أمّا مجرد الموصول المعرف باللام المسمى به فوفاق . قاله في التصريح . أي متفق على منع ندائه . انتهى .

و في التصريح ج٢ ص١٧٢ : الثانية الجملة المحكية المبدوّ "بأل" نحو "يا أَلمنطلق زيد" فيمن سمي بذلك . نص عليه سيبويه و قال : لأنه بمنزلة "تأبط شرا" لأنه لا يتغير حاله ، إذ قد عمل بعضه في بعض . وزاد المبرد عليه نحو "يا أَلّذي قام" و "يا أَلّتي قامت" و صوَّبه الناظم في شرح التسهيل و مع تصويبه له لم يستثنه في بقية كتبه .

فإن قلتَ : لم خالفه سيبويه في الموصول إذا سمي به مع أنه أيضًا محكي ؟

قلتُ : الفرق بينهما أن "الذي قام" محكي بحالته التي ثبتت له قبل التسمية و هو قبلها لا ينادى لوجود "أل" . و ذلك المانع باق . ونحو "المنطلق زيد" ليس المانع من ندائه وجود "أل" بل كونه جملة . و ذلك المانع قد زال بالتسمية .

فإن قلت : المانع شيئان : الجملة و "أل" . و أحدهما باق .

قلت : لو صح هذا امتنع نداؤه ، و أنت تسلم الجواز . نوجِه أن المنادٰى هو المجموع . و "أل"

ليست داخلة على المجموع ، بل على جزء منه . فأشبه ما لو سميت بقولك "عبدنا المنطلق" . وأما "الذي" و صلته فإنما يحكي حكاية المفردات لا حكاية الجمل . فالمناذى إنما هو "الذي" دون صلته . و الإعراب يقدر في آخر "الذي" . و لهذا إذا سميت "بأيّهم ضربته" ، و "أيّ" موصولة لم تحك إعراب الرفع في "أي" بل تعربها بحسب العوامل . كما أنك إذا سميت باسم مفرد عامل فيما بعده حكيت الاسم المفرد العامل فيما بعد . فتقول : رأيت ضاربًا زيدًا . و مررت بضارب زيدًا . انتهى بتصرف .

و يستثنى أيضًا حالة الاضطرار . قال ابن مالك :

ع و باضطرارٍ خُصّ جمع "يا" و "أل"

كما في قوله :

عباس يا الملك المتوج والذي عرفت له بيت العلا عدنان

و قوله :

فيا الغلامان اللذان فرّا إيّاكما أن تعقبانا شرا

و قوله :

من أجلك يا التي تيمت قلبي و أنت بخيلة بالوصل عنّي

هذا ما عليه الجمهور من النحاة و أهل العربيّة .

و في الأشباه ج٢ ص٢٩٢ في باب الألغاز : ما لام لا تجامع النداء في النثر ولا في الضرورة ؟ و الجواب : أنها اللام التي للعهد . استثناها ابن النحاس في التعليقة من إطلاقهم أن اللام تجامع حرف النداء في الضرورة . انتهى .

فصل

ثم اعلم : أن الكوفيين والبغداديين جوّزوا اجتماع حرف النداء و"أل" في النثر و الاختيار بلا كراهة و شذوذ . و يعلم من كلام الرضي أن قولهم مختص بدخول "يا" عليها دون سائر حروف النداء ،

حيث قال : بعض الكوفيين يجيز دخول "يا" على ذي اللام مطلقا في السعة . انتهى .

قال في التصريح : واحتجوا في ذلك بالقياس والسماع . أما القياس فقد جاز "يا الله" بالإجماع . فيجوز "يا الرجل" قياسًا عليه بجامع أن كلا منهما فيه "أل" و ليست من أصل الكلمة . و أما السماع فقد أنشدوا : فيا الغلامان اللذان فرّا . و هذا لا ضرورة فيه لتمكن قائله من أن يقول : فيا غلامان إلخ . و أجاب المانعون عن القياس بالفرق بكثرة الاستعمال و عن السماع بالشذوذ . انتهى .

قلت : قال الدنوشري : قولهم " و هـذا لا ضرورة " مبني على تفسير الضرورة بما لا مندوحة عنه . و هو ضعيف .

قال العلامة الصبان رحمه الله في حواشي الأشموني ج٣ ص١١١ : و في الحفيد أنّ النحاة مختلفون في نداء العلَم الذي فيه "أل" كالحارث . و أن ابن هشام اختار المنع . ثم بحث أنه لا مانع من ندائه لأنهم إنما منعوا نداء ما فيه "أل" لئلا يجتمع معرفان . و ذلك غير ذلك هنا ، لأن "أل" هنا غير معرفة . إلّا أن يكون المنع لأجل الصورة اللفظية . إلّا أنه ينتقض بنحو "يا المنطلق زيد" . انتهى .

قال سم : و يؤيد الجواز ما يأتي عن المبرد فيما سمي به من موصول مبدوّ "بأل" نحو "الذي" و "التي" . إلّا أن يفرق بتأتّي اسقاط "أل" في العلم لكونها زائدة عليه . بخلاف نحو "الذي" و "التي" إذا سمي بهما . و فيه تأمل . انتهى .

و بحث على هذه المسألة الإمام ابن الأنباري في كتابه الإنصاف ج١ ص٢٣٥ حيث قال : ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نداء ما فيه الألف و اللام نحو "يا الرجل" و "يا الغلام" . و ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز . و احتج الكوفيون بقول الشاعر :

ع فيا الغلامان اللذان فرّا

و بجواز "يا الله" في الدعاء بالاتفاق . وأجاب البصريون عن الشعر بأنه ضرورة أو مأوّل ، و عن قولهم "يا الله" أن ذلك من خصائص هذا الاسم . هذا حاصله . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أعلى .

الباب السادس و العشرون

من خصائص اسم "اللّٰه" الكريم الوقف على حرف النداء الداخل عليه وقفًا لطيفًا ، تفخيمًا لشان هذا الاسم و تبجيلاً لمسمّاه تعالى جده و عظم مجده . فيقال : يا اللّٰه . و لذا يقطع همزتها الوصلية في النداء كما تقطع عند الابتداء .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى عند البحث على أسباب قطع الهمزة في "يا اللّٰه" : و قال السعد : قد يقال فيه : إنه نوي الوقف على حرف النداء تفخيمًا للاسم الشريف . و نقل ذلك عن سيبويه . وقيل في توجيهه : إن المعظم الجليل المقدم يعدّ نداؤه باسمه من سوء الأدب . فلذا جعل النداء كالمنقطع عما بعده . و الاسم الكريم كأنه غير منادى . و فرق بين النداء بالعلم المجرد و النداء بالوصف المادح . فلا يرد "يا رحمن الدنيا والآخرة" . فتدبر . انتهى ما في روح المعاني ج١ ص٥٢ .

و قال الشهاب رحمه الله تعالى في عناية القاضي شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٥١ بعد ذكر عبارة السعد المذكورة : لايقال : إنه قد ورد نداء اللّٰه تعالى في الحديث الشريف كثيرًا ، وفي المأثور "يا رحمن الدنيا والآخرة" ، لأن النداء بالوصف المادح ليس كالنداء بالعلَم المجرد . و المقصود من النداء كالخطاب التوجّه إلى اللّٰه بقلبه و قالبه ليقبل عليه بإحسانه و لطفه . فالمراد بالتفخيم إما تعظيم مسماه بالتأنّي في دعائه ، أو تعظيم اسمه بإثبات حرف المد و تفخيم لامه و إبقاء حروفه . ولو وصل أي حذفت همزة الوصل لفات بعض هذا . و الثاني هو المراد . و الأمر فيه يختلف باختلاف المقام . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : من ههنا استنبطتُّ وجهًا جيدًا مؤيَّدًا بقول سيبويه لتخريج مذهب الكوفية و ترجيحه على مذهب سيبويه في "اللّٰهم" حيث قلت :

إن أصل "اللّهم" "يا الله أمّ" عند الكوفيين بالوقف على الجلالة لأن المفخم الكبير الجليل يحسب الكلام معه مسلسلا عيبًا و سوء أدب ، بل يخاطب بذلك رويدًا رويدًا و كلمة كلمة . فأسكنت "الهاء" للوقف ، ثم نقل إليها حركة همزة "أمّ" كما في "يسل" أصله "يسأل" و "قد فلح" أصله "قد أفلح" ثم قلبت الهمزة واوًا لصيرورة ما قبلها مضمومًا كما هي القاعدة . ثم حذفت الواو لاجتماع الساكنين .

و هذا تخريج حسن لا تكلف فيه . و على التسليم فليس بأبعد من توجيه سيبويه لقطع همزة الجلالة في "يا الله" بالوقف على حرف النداء . و قد فصّلنا أسرار "اللّهم" و مباحثه في باب آخر من هذا الكتاب فارجع إليه . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أوسع .



الباب السابع و العشرون
و فيه خاصتان

من خواص الجلالة أنه يصح أن يضاف إليها فاعل "نِعْم" و "بِئْس" مع كينونتها علمًا . ولا يصح إضافة فاعلهما إلى علَم آخر سوى الجلالة . و ذلك لوجوب أن يكون فاعلهما مبهما ضميرًا كان أو لا مرفوعًا إبهامه بالمخصوص بعده نحو "نِعم الرجل زيد" و "نِعم رجلاً زيد" و "بِئس الرجل زيد" "و بِئس رجلاً زيد" . فهما خاصتان : الأولى باعتبار "نِعم" و الثانية باعتبار "بِئس" .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع و شرحه : و شذّ كون الفاعل إشارة متبوعًا بذي "أل" كقوله :

ع   و بئس هذا الحيّ حيًّا ناصِرًا

و علَمًا كقول سهل بن حنيف :

ع   شهدت صفّين و بئست صفون

و كذا شذ كونه مضافًا إلى اسم "الله" علمًا أو غيره و إن كانت فيه "أل" لأنه من الأعلام . كقوله صلى الله عليه وسلم : نعم عبد الله خالد بن الوليد . و كقول الشاعر :

ع   بئس قومُ الله قومٌ طُرِقوا

خلافًا للجرمي في قوله : باطراده . و غيره يتأول ما ورد منه و من العلَم على أنه المخصوص . و الفاعل مضمر حذف مفسره . انتهى .

و تأوّله الرضي بأن المضاف إلى الجلالة محمول على أنها نكرة بناء على توهّم انقطاع المضاف عن

الإضافة ، كما هو مذهب ابن كيسان في نحو ذلك ، حيث قال في شرح الكافية ج٢ ص٢٦٦ : و قال أبوعلي : إنه سمع "نعم عبد الله زيد" و "بئس عبد الله أنا إن كان كذا" . و هو شاذ ، إذ الفاعل ليس بمضاف إلى المعرف الجنسي . و ينبغي أن يكون هذا على ما أجاز ابن كيسان من تنكير المضاف الذي لا مانع فيه من التعريف لنية الانفصال ، كما مر في باب الإضافة . انتهى .

قال : و قد روي : شهدت صفين و بئست الصفون . والأولى أن يكون هذا و إن كان أيضًا خلاف الأصل مما ترك تمييز ضميره . أي بئست بقعة الصفون . فالصفون مخصوص لا فاعل . انتهى .

و أيضًا قال الرضي في بحث إفادة الإضافة للتعريف ج١ ص٢٤٦ : و أجاز ابن كيسان تنكير المضاف الذي لا مانع فيه من التعريف لنية الانفصال نحو : جاءني غلام زيد ظريفٌ . أي غلام لزيد . كما يجوز مثل ذلك في المعرف باللام كقوله :

ع و لقد أمرّ على اللئيم يسبّني

و أيضًا قال فيه ص٢٤٤ : فلا تظنن من إطلاق قولهم في مثل "غلام زيد" : أنه بمعنى اللام أن معناه و معنى "غلام لزيد" سواء . بل معنى "غلام لزيد" واحد من غلمانه غير معين . و معنى "غلام زيد" الغلام المعين من غلمانه إن كان له غلمانٌ جماعةٌ ، أو ذلك الغلام المعلوم لزيد إن لم يكن له إلّا واحد . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أتمّ.



الباب الثامن و العشرون
و فيه أربع خصائص

و من خصائص لفظ الجلالة اختصاص تاء القسم به . فيقال : تالله لأفعلن . ولا يصح "تالرحيم" كما يقال : و الرحيم لأفعلنّ كذا ، و بالرحيم لأفعلن كذا . ولا يشاركه في هذه الخاصة اسم . و قيل : بل يشاركه " رَبّ " بفتح الراء من أسماء الله ، و المضاف إلى الكعبة . و قيل : بل اسم الرحمن أيضًا .

هذه خاصة لفظية لهذا الاسم الكريم حيث اختص حرف التاء بالاسم "الله" .

و ههنا خاصة أخرى معنوية و هي إفادة التاء التعجب . أي مع إفادة القسم عند الدخول على الاسم "الله" . فهما خاصتان .

و ههنا خاصة ثالثة و هي كون التاء بدلًا من الواو مع كون التاء حرفًا مفردًا . و لا يتأتى مثل هـذا الإبدال في مثلها أو قلّما يتأتى . و إنما تبدل في مثل تكلان و تراث في "وكلان" و "وراث" أي فيما يكون الحرف جزء من كلمة . و سيأتي إيضاح ذلك في كلام ابن هشام و الرضي .

و ههنا خاصة رابعة و هي وجوب حذف فعل القسم مع التاء كما هو مصرح في الهمع والجمع . و سيأتي بيانه في باب يليه . فلا يقال : أقسم تالله . كما يقال : أقسم بالله .

قال ابن هشام في شرح القطر ص٩٤ في بحث حروف الجر : وما لا يجر إلّا لفظ الجلالة . وقد يجر لفظ "الرب" مضافًا إلى الكعبة . وقد يجر لفظ "الرحمن" وهو التاء . قال الله : تَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم . تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا . وهو كثير . وقالوا : تربّ الكعبة لأفعلنّ كذا . وهو قليل .

وقالوا : تالرحمن لأفعلنّ كذا . و هو أقل . انتهى .

و قال في المغني : التاء المفردة المحركة في أوائل الأسماء حرف جر معناها القسم . و تختص بالتعجب و باسم الله تعالى . و ربما قالوا "تربّي" و "تربّ الكعبة" و"تالرحمن" . قال الزمخشري في "وَ تَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُمْ" : الباء أصل حروف القسم ، و الواو بدل منها ، و التاء بدل من الواو ، و فيها زيادة معنى التعجب كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده ، و تأتّيه مع عتو نمروذ و قهره . انتهى ما في المغني .

و قال محمد عبادة رحمه الله في شرح شذورالذهب ج٢ ص١٠٢ : و ندر "تالرحمن" و "تالحياة" فيما حكاه سيبويه . أي دخول التاء على الرحمن و الحياة نادر . فلذا تركهما المصنف . انتهى كلامه .

و في التوضيح و شرحه التصريح ج٢ ص٤ : وما يختص "بالله" و "رَبّ" بفتح الراء حال كونه مضافاً للكعبة أو لياء المتكلم . و هو "التاء" في القسم . و إليه أشار الناظم بقوله : و التاء لله و رَبّ نحو "تَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُمْ" و "تربّ الكعبة" و "تربِّي لأفعلن كذا" . حكاه الأخفش . و ندر "تالرحمن" و "تحياتك" . حكاه سيبويه . انتهى كلامه .

فصل
في فائدة شريفة

نفصل في هذه الفائدة أمورًا ثلاثة مهمّة : الأوّل أن الباء أصل أحرف القسم . و الثاني أن الواو فرع لها . و الثالث أن التاء بدل من الواو .

قال السيوطي رحمه الله في الهمع و الجمع : الباء و هي الأصل أي أصل أحرفه و إن كانت الواو أكثر استعمالاً منها . لأنها للإلصاق فهي تلصق فعل القسم بالمقسم به . و من ثم اختص بها الطلب و الاستعطاف . فلا يقسم فيهما بغيرها نحو "بالله استخبرين" و "بالله هل قام زيد" . و جاز إظهار فعل القسم معها كما يجوز إضماره بخلاف غيرها . و جاز حذفها لا غيرها من أحرفه فينصب تاليها بإضمار فعل القسم . انتهى كلامه .

قال الرضي : اعلم : أن واو القسم لها ثلاثة شروط :

أحدها : حذف فعل القسم معها فلا يقال : أقسم والله . و ذلك لكثرة استعمالها في القسم . فهي أكثر استعمالاً من الأصل أي الباء .

و الثاني : أن لا تستعمل في قسم السؤال فلا يقال : و الله أخبِرني . كما يقال : بالله أخبِرني .

و الثالث : أنهما لا تدخل على الضمير .

و اختصاصها بالحكمين الأخيرين لكونها فرع الباء و بدلاً منها . و إنما حكم بإصالتها لأن أصلها الإلصاق . فهي تلصق فعل القسم بالمقسم به . و أبدلت الواو منها لأن بينهما تناسبًا لفظيًّا لكونهما شفويتين ، و معنويًّا ألا ترى أن في واو الصرف و واو العطف معنى الجمعية القريبة من معنى الإلصاق . و "التاء" بدل من الواو كما في "وراث" و "تراث" و "وكلة" و "تكلة" . فلهذا قصرت عن الواو ، فلم تدخل إلّا على لفظة "الله" . و فيها الخصائص الثلاث التي في الواو . و حكى الأخفش "ترِبّي" و "تربِّ الكعبة" و هو شاذّ . انتهى .

اعلم : أنهم اختلفوا في أن "التاء" بدل من "الواو" مثل الألف في "قام" منها ، أو حرف مستقل غير بدل منها إلّا أنها فرع لها . قولان .

و كذا اختلفوا في أن "الواو" عاطفة أو بدل من "الباء" فجزم الزمخشري و ابن مالك في شرحي الكافية و التسهيل ، و نقله أبوحيان عن الجمهور أن الواو بدل من الباء لتقارب معناهما . لأن الواو للجمع و الباء للإلصاق و هو جمع في المعنى . و لأنهما من حروف مقدم و القسم أن "التاء" بدل من الواو كما أبدلت منها في نحو "اتّصل" و "اتّصف" و "تراث" و "تجاه" .

و **قال** السهيلي و غيره : بل الواو هي العاطفة كواو "رب" عطفت على مقدّر . و يقويه أنها لا تدخل على مضمر . وكذلك العاطفة . و أنها لوكانت بدلاً من الباء لم يختلفا في الحركة كما لم تختلف حركة الهمزة المبدلة من الواو في "وِشاح" و "إِشاح" و أنها لم توجد قط بدلاً منها لأنها ليست من مخرجها و لما بينهما من المضادة إذ في الواو لين و في الباء شدة .

قال : و يضعف عندي أن تكون التاء بدلاً من الواو لما فيها من معنى العطف . و ليس ذلك في

التاء . ولأن التاء إنما أبدلت منها حيث كثرت زيادتها في تضاعيف الكلمة .

قال أبوحيان : ولا يقوم دليل على صحة شيء من هذه المذاهب . ولو كان أصلها العطف لم تدخل عليها حرف العطف في قوله :

أرقتُ ولم تهجَع لِعيني هَجْعَـةٌ و والله ما دهري بعُسر ولا سقم

قال : و ممن ذهب إلى أن التاء حرف مستقل غير بدل من الواو قطرب و غيره . كذا في الهمع ج٢ ص٣٩ .

و يعلم من كلام الرضي السابق أن التاء ليست حرفًا مستقلاً بل هي بدل من الواو . حيث قال : إن التاء بدل من الواو كما في "وُراث" و "تُراث" و "وُكلة" و "تُكلة" .

قال ابن القواس في شرح الدرة : قد عوّضوا عن الواو في القسم ثلاثة أحرف : هاء التنبيه و ألف الاستفهام و قطع همزة الوصل . فجرّوا بها لنيابتها عنها بدليل امتناع الجمع بين هذه الأحرف و بينها .

قلت : و يزاد الحرف الرابع نظرًا إلى ما قال الشيخ الرضي و هو التاء .

قال الأندلسي في شرح المفصل : يقال : إن واو القسم عوض من الفعل بخلاف الباء فإنها ليست عوضًا منه . و من ثم جاز "أقسمتُ بالله" ولم يجز "أقسمت والله" . انتهى . أشباه ج١ ص١٣٢ .

قلت : كلام الأندلسي هذا يدلّ على وجه آخر غير ما ذكر لكون الباء أصلاً . و هو أن الباء ليست بعوض عن شيء فهي أصل في الباب و الواو عوض عن الفعل و العوض فرع المعوض عنه .

فصل
في ذكر فائدة شريفة

إنما اختصت "التاء" باسم "الله" الكريم لكونها فرعًا و في الدرجة الثالثة . و الفروع تنحط رتبةً عن الأصول فيختص عملها . صرح به أئمة الفن .

قال أبوالحسين بن أبي الربيع في شرح الإيضاح : إنما لم تعمل "ما" عمل "ليس" مطلقًا بل بالشروط المعروفة . و هي أن يكون الخبر مؤخَّرًا و أن يكون منفيًّا و أن لا يقع بعد "ما" "إن" فإنّ "إن" تكف "ما" عن العمل كما تكف "ما" "إن" عن العمل لأنها في الدرجة الثالثة في العمل . لأن "ما" مشبهة بليس ، و "ليس" مشبهة بالفعـل . وكل ما هو في الدرجة الثالثة فلا تجده يعمل أبدًا إلاّ مختصًا ليفرق بينهما .

ألا ترى أن تاء القسم اختصت باسم "الله" و إن كانت بدلاً من الواو و الواو تخفض في القسم كل ظاهـر . و إنما كان الاختصاص باسم "الله" في التاء لأنها مبدلة من الواو . و الواو بدل من الباء . فهي في الدرجة الثالثة . فلذا اختصت .

و كذلك الصفـة المشبهة باسم الفاعل عملت تشبيهًا باسم الفاعل . و اسم الفاعل عمل لشبهه بالفعل . فالصفة في عملها في الدرجة الثالثة . فكان عملها مختصًا لأنها لا تعمل إلاّ ما كان من سبب الأوّل . و لهذا نظائر .

و قال ابن إياز : لما كانت " لا " فرعًا في العمل عن " إنّ " و مشبهة بها وجب أن تنحط عنها . فلذلك اشترط في إعمالها شروط كتنكير معمولها و عدم فصلها .

و قال ابن النحاس في التعليقة : إنما اختص الجر بالأسماء لأنه لو دخل الأفعال و قد دخلها الرفع و النصب و الجزم و هي فرع في الإعراب على الأسماء لكان الفرع أكثر تصرفًا في الإعراب من الأصل . و الفروع أبدًا تنحط عن الأصول في التصرف لا تزيد عليها . فمنع الجر من الأفعال لذلك .

و قال ابن عصفور في شرح الجمل : لما كان جعل الواو بمعنى "مع" في المفعول معه فرعًا عن كونها عاطفة لم يتصرفوا في الاسم الذي بعدها . فلم يقدموه على العامل وإن كان متصرفًا ، ولا على الفاعل . لا يقولون : و الطيالسةَ جاء البرد . ولا : جاء و الطيالسةَ البردُ . لأن الفروع لا تحتمل من التصرف ما تحتمله الأصول . انتهى .

و قال السخاوي في تنوير الدياجي : انحط اسم الفاعل عن منزلة الفعل في أشياء لأنه فرع عنه في العمل و الفرع لا يساوي بالأصل . فمما انحط فيه عن الفعل أبرز ضميره إذا جرى على غير من هو له

نحو : هند زيد ضاربته هي . و لو كان في مكان ضاربته "تضربه" لم يبرز الضمير .

و قال أبوالبقاء : لا فرع على "أنّ" و أنّ فرع على "كان" والفروع تنقص على الأصول . فلذلك لا تقوي على العمل في الخبر إذا كانت فرعَ فرع .

و قال ابن إياز : لما كان الفعل فرعًا على الاسم في الإعراب لم تكثر عوامله كثرة عوامل الاسم . إذ من عادتهم التصرف في الأصول دون الفروع . و قال أيضًا : "أن" الناصبة للمضارع فرع "أنّ" المشدودة . لأن كلًا منهما حرف مصدري . و لما كانت فرعًا عليها نصبت فقط . و "أنّ" الثقيلة لإصالتها نصبت و رفعت .

و قال أيضًا : "أنْ" أصل نواصب المضارع و "لن" و "إذن" و "كي" فروع عنها و محمولة عليها لكونها تخلص الفعل للاستقبال مثلها . و لهذا عملت ظاهرة و مقدرة . و أخواتها لا تعمل إلّا في حال الظهور دون التقدير .

و قال ابن قواس : قيل : إن تنوين عرفات مثل تنوين الصرف لفظًا وصورةً . والجر فيها دخل تبعًا للتنوين . ولو كانت لا تنصرف لامتنع دخول الجر عليها . و أجيب : بأن الجر دخلها تبعًا لتنوين المقابلة . و قيل : التنوين عوض عن الفتحة في حالة النصب . و أبطل بأنه عوض عنها لما حصل انحطاط الفرع عن رتبة الأصل .

و قال أيضًا : إنما امتنع إضافة العدد إلى المميز لأنه فرع عن اسم الفاعل و الصفة المشبهة في العمل . فلو تصرف فيه بالإضافة تصرفهما للزم مساوات الفرع الأصلَ و هو محال .

و قال ابن هشام في تذكرته : نص العبدي على أن "إمّا" لا تستعمل في الإباحة لأنها دخيلة على "أو" و فرع لها . و الفرع ينقص عن درجة الأصل . قال ابن هشام : كأن العبدي لما لم يسمعه لم يجز قياسه و هو متّجه . انتهى .

تنبيه شريف

قال الأندلسي رحمه الله تعالى في شرح المفصل : فإن قيل : "الواو" أكثر استعمالًا في القسم من "الباء"

فكيف جعلتم القليل الاستعمال هو الأصل ؟ قيل : لا يبعد أن يكثر الفرع و يقلّ الأصل بضرب من التأويل . ألاترى أن "نِعْم الرجل" أكثر من "نعِم" بالكسر . انتهى كلامه .

و قد بيّن السيوطي رحمه الله لهذا الأصل و هو "أن الفرع أحطّ رتبة من الأصل" فروعًا كثيرة ، حيث قال في الأشباه النحوية ج١ ص٢٦٠ : الفرع أحط رتبة من الأصل . و من ثم لم يجز إعمال اسم الفاعل عند البصريين من غير اعتماد .

قال في البسيط : لأنه فرع عن الفعل في العمل . و القاعدة حطّ الفروع من رتب الأصول . فاشتراط اعتماده على أحد الأمور الستة ليقوي بذلك على العمل .

و قال ابن يعيش : قال الكسائي في قوله تعالى "كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ" : إنه نصب بعليكم على الإغراء كأنه قال : عليكم كتاب الله . فقدم المنصوب . قال : و مثله :

ع يا أيها المائح دلوي دونكا

أي دونك دلوي .

قال : وما قاله ضعيف . لأن هذه الظروف ليست أفعالاً و إنما هي نائبة عن الأفعال و في معناها . فهي فروع في العمل على الأفعال . و الفروع أبدًا منحطّة عن درجات الأصول . فإعمالها فيما تقدم عليها تسوية بين الأصل و الفرع . و ذلك لا يجوز .

و قال أيضًا : إذا قلت : عندي راقودٌ خلًّا ، و رطل زيتًا . فلا يحسن أن يجري وصفًا على ما قبله . لأنه اسم جامد غير مشتق . ولا إضافته لأجل التنوين . فنصب على الفضلة تشبيهًا بالمفعول و تنزيلاً للاسم الجامد منزلة اسم الفاعل من جهة أنه إذا نون نصب . فعمل النصب و انحط عن درجة اسم الفاعل فاختص عمله في النكرة دون المعرفة ، كما انحط اسم الفاعل عندنا عن درجة الفعل . حتى إذا أجري على غير من هو له وجب إبراز ضميره نحو قولك : زيد هند ضاربها هو .

و قال أبوالبقاء في التبيين : اسم الفاعل و الصفة المشبهة إذا أجريا على غير من هما له وجب إبراز الضمير فيهما . لأنهما فرعان على الفعل في العمل . و تحمل الضمير . و قد انضم إلى ذلك جريانه

على غير من هو له . فقد انضم فرع إلى فرع و الفرع يقصر عن الأصل . فيجب أن يبرز الضمير ليظهر أثر القصور و يمتاز الفرع عن الأصل .

و قال ابن يعيش : لا يجوز تقديم خبر "إنّ" و أخواتها ولا اسمها عليها . ولا تقديم الخبر فيها على الاسم . لكونها فروعًا على الأفعال في العمل . فانحطّت عن درجة الأفعال .

و قال ابن فلاح في المغني : إنما حمل نصب جمع المؤنث السالم على جرّه مع إمكان دخول النصب فيه لئلايكون الفرع أوسع مجالاً من الأصل . مع أن الحكمة تقتضي انحطاط الفروع عن رتب الأصول . و لأنه يشارك المذكر في التصحيح فشاركه في الإعراب . والمذكر معرب بحرفين . فأعرب هذا بحركتين . و خص بالحركة لانحطاطه عن رتبة الأصل . انتهى كلامه .

فائدة مهمّة

اعلم : أن لواو القسم نظائر كثيرة تكون لها عمل في حال و لايكون في حال أخرٰى . فأقول وبالله التوفيق : قد ظهر لك من البيان المفصّل المذكور أن الواو تعمل في الجلالة و تفيد حينئذ معنى القسم دون غيرها .

قال ابن يعيش : و فيه نظائر : الأوّل : لولا . تعمل الجر في المضمر ، و لا تعمله في المظهر . الثاني : لدن . تنصب "غدوة" ولا تنصب غيرها . الثالث : عسى . تنصب المضمر نحو : عساك . و عساي . و عملها مع الظاهر الرفع . الرابع : لات . تعمل عمل "ليس" في "الأحيان" و مع غيرها لا يكون لها عمل . هذا ما ذكره ابن يعيش .

و ذكر أبوالحسين بن أبي الربيع في شرح الإيضاح مثله . و زاد في النظائر : تاء القسم ، تختص باسم الله . و "كاف" التشبيه ، تختص بالظاهر . وكذا واو القسم و مذ و منذ .

و قال أبوالبقاء في التبيين : من الحروف ما يعمل في موضع و لا يعمل في موضع آخر . ألا ترى أن واو القسم تجرّ في القسم و لا تجر في موضع آخر ، و "ما" النافية تعمل في موضع و لا تعمل في موضع آخر ، وكذلك "حتى" تجر في موضع و لا تجر في موضع آخر ، و ذلك كثير .

و لما ذكر سيبويه "لولا" و أنها تجر المضمر دون غيره و استأنس لها بنظائر : منها "لدن" و "لات" . قال : و لا ينبغي لك أن تكسر الباب و هو مطرد ، و أنت تجد له نظائر . كذا في كتاب الأشباه ج١ ص٢٥٤ . هذا . والله أعلم بالحقائق و الأسرار و علمه أعلى و أتمّ .

الله جلّ جلاله

الباب التاسع و العشرون
و هو محتو على أربع خصائص

من خواص اسم "الله" الكريم اختصاص لام القسم به . فيقال : لله لأفعلنّ كذا . و لا يقال : للرحمن لأفعلنّ كذا .

قال ابن هشام في المغني : من معاني اللام القسم و التعجب معًا . و تختص باسم "الله" تعالى مسمّاه كقوله :

ع لله يبقى على الأيام ذوحيد

انتهى ما في المغني .

و في حواشيه : قد يدعى أن التعجب من الكلام برمّته كما تعجبوا بنحو "سبحان الله" و اللام لمجرد القسم . و قوله "يبقى" أى لا يبقى . و يحذف نافٍ مع شروط ثلاثة إذا كان "لا" قبل المضارع في قسم . انتهى .

فاختصاص اللام بالاسم "الله" خاصة واحدة لفظية .

و ههنا خاصة ثانية لفظية مثل الأولى وهي وجوب إضمار فعل القسم مع اللام . و يشاركها في هذه الخاصة التاء كما بدا لك في الباب المتقدم . فلا يصح أن يقال : أقسم لله . كما يقال : أقسم بالله . صرح بذلك في الهمع و الجمع و غير ذلك .

و ههنا خاصّة ثالثة أيضًا معنوية و هي إفادة اللام عند الدخول على اسم "الله" التعجب ، أي

التعجب مع القسم . و اختلفوا في ذلك فقيل : التعجب معنى اللام . و قيل : هو معنى مجموع "تالله" أي الكلام برمّته .

و أيضًا ههنا خاصة رابعة معنوية و هي اختصاص "لله" بالأمور العظام و مواضع التفخيم و التعظيم .

و في الهمع و الجمع : الثالث من حروف القسم اللام . و يكون لما فيه معنى التعجب وغيره كقولهم : لله لا يؤخر الأجل . أي تالله . و قوله :

ع لله يبقى على الأيام منتعل

ولا يظهر الفعل أيضًا مع التاء و اللام بلا خلاف . بل يجب إضماره . انتهى .

قال نجم الأئمة الشيخ الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٨٠ : ولام الجر تجيء بمعنى الواو كما ذكرنا مختصة أيضًا بلفظة "الله" في الأمور العظام . انتهى .

في كلام الشيخ الرضي هذا تصريح الخاصّة الرابعة المذكورة آنفا . وهي اختصاص "لله" بالأمور العظام . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أوسع و أتم .



الباب الثلاثون

من خصائص الجلالة دخول معنى القسم في مادة "ع ، ل ، م" معها على مسلك الشيخ ابن خروف . صرّح بذلك غير واحد من المحقّقين .

قال المحقق محمد الأمير رحمه الله في حواشي المغني ج٢ ص٥٧ : و زعم ابن خروف أن دخول معنى القسم في "علم" أي مادة "ع ، ل ، م" لا يكون إلّا مع اسم "الله" الكريم .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٣٤ : و قد يجري نحو "عَلِم الله" مجرى القسم فيجاب بجوابه ، فيجيء بعده "إنّ" المكسورة نحو : علم الله إنك قائم . أي والله . انتهى كلامه .

ثم اعلم : أنهم اختلفوا في أن دخول معنى القسم مختص بفعل "علم" أي مادة "ع ، ل ، م" من بين سائر أفعال القلوب أم لا . و على التقدير الأوّل هل يشترط أن يكون مع اسم "الله" أو لا . فقال ابن خروف : يختص بفعل "علم" مع اسم "الله" الكريم كما سنح لك آنفًا . و اختاره الرضي كما يدل عليه عبارته المذكورة .

و صرّح ابن هشام بعموم دخول معنى القسم في أفعال القلوب كلها ، حيث قال في المغني ج٢ص٥٧ عند توضيح قوله تعالى "ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ" : و يجوز أن يكون "ليسجننه" جوابًا "لبدا" لأن أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم .

ع و لقد علمت لتأتينّ منيّتي

انتهى كلام ابن هشام .

و قال بعض شراحه : و بهذا يردّ مذهب ابن خروف لدخول معنى القسم في "علم" و ليس معه اسم الجلالة . و قال أيضًا : المراد من أفعال القلوب ما لا يفيد التردد احترازًا عن الظن .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٣٤ : و أما قوله : ولقد علمت لتأتين إلخ . فإنما أجري "لقد علمت" مجرى القسم لتاكيده للكلام . لأن فيه اللام المفيدة للتاكيد مع "قد" المؤكدة . و في "علمت" معنى التحقيق فصار كقوله :

و إنّني قسما إليك مع الصّدود لأميل

انتهى كلام الشيخ الرضي .

إن قلت : فما محل ما بعد "علمت" في مثل هذه المواضع ؟

قلت : قال بعض شراح المغني : اختلف في ذلك فقيل : الجملة الواقعة بعده في محل النصب بذلك الفعل . وقيل : لا . لأن القسم لايعمل في جوابه . انتهى .

و **قال** العلامة السجاعي رحمه الله تعالى في شرح القطر ص٦٦ : هذا البيت أي قوله "لتأتين إلخ" للبيد رحمه الله تعالى . و تمامه :

ع إن المنايا لا تطيش سهامها

و هو من الكامل . و اللام تسمى لام جواب القسم . و قال البعض : "لتأتين" جواب "علمت" المنزل منزلة القسم . إذ المقصود التوثق وهو يحصل بذلك . و المنزل منزلة الشيء بمثابته فتكون اللام للقسم .

و اعترض : جعل هذا من التعليق مع أن جواب القسم لا محل له من الإعراب .

و أجيب : بأن القسم و جوابه معًا في محل مفعولي "علمت" و الذي لا محل له هو جواب القسم وحده . و المراد من البيت السابق أن منيته لابد منها . لأن المنايا لابد من حصولها . انتهى كلام السجاعي بزيادة .

فصل

اعلم : أن فعل القلب إذا دخله معنى القسم و جاءت اللام في جوابه كما في نحو "ولقد علمت لتأتين منيتي" فهو معلّق . و تعليق أفعال القلوب باب مهم .

فالتعليق عبارة عن إبطال عملها لفظًا لا محلّا لاعتراض ما له صدر الكلام بينها و بين معمولها . وما له صدر الكلام عدة أمور :

منها : "ما" النافية كقوله تعالى : لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَآءِ يَنْطِقُوْنَ . فهٰؤلاء مبتدأ وما بعده خبره . و ليسا مفعولًا أوّلًا و ثانيًا .

و منها : "لا" النافية كقولك : علمت لا زيد قائم ولا عمرو .

و منها : "إن" النافية كقوله تعالى : وَ تَظُنُّوْنَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيْلًا .

و منها : "لام" الابتداء نحو قولك : علمت لزيد قائم . و قال تعالى : وَلَقَدْ عَلِمُوْا لَمَنِ ٱشْتَرَٰىهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ .

و منها : "لام" القسم كقول الشاعر :

ع و لقد علمت لتأتينّ منيّتي

و منها : الاستفهام نحو : علمت أزيد قائم .

وكذلك إذا كان في الجملة اسم استفهام سواء كان أحد جزئي الجملة أو كان فضلة . فالأوّل نحو قوله تعالى : وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَّأَبْقَىٰ . و الثاني كقوله تعالى : وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِيْنَ ظَلَمُوْٓا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَّنْقَلِبُوْنَ . "فأيّ منقلب" منصوب "بينقلبون" على المصدرية . أي ينقلبون أيّ انقلاب . و "يعلم" معلقة عن الجملة بأسرها لما فيها من اسم الاستفهام و هو "أيّ" .

و ربما توهم بعض الطلبة انتصاب "أيّ" "بيعلم" و هو خطأ . لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله .

و إنما سمي هذا الإهمال تعليقًا لأن العامل في نحو قولك "علمت ما زيد قائم" عامل في المحل و ليس عاملاً في اللفظ . فهو عامل لا عامل . فشبه بالمرأة المعلقة التي هي لا مزوجة ولا مطلقة ، و المرأة المعلقة هي التي أساء زوجها عشرتها . انتهى كلام ابن هشام .

و في الجمع و شرحه الهمع ج١ ص١٥٤ : عدّ من الأمور التي لها صدر الكلام المضاف إلى الاستفهام نحو : علمت أبو من زيد . ثم قال : و عدّ ابن مالك من المتعلقات "لام" القسم كقوله :

ع و لقد علمت لتأتينّ منيّتي

و قال أبوحيان : ولم يذكرها أكثر أصحابنا . بل صرح ابن الدهان في الغرة بأنها لاتعلق . و عدّ ابن مالك أيضًا "لو" . و عدّ ابن السراج فيها "لا" النافية . و ذكرها النحاس . نحو : أظن لا يقوم زيد . و عدّ أبوعلي منها "لعل" نحو : وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ . و وافقه أبوحيان . و ذهب ثعلب و المبرد و ابن كيسان إلى أنه لا يعلق من الأفعال إلاّ ما كان بمعنى العِلم . و أما الظن و نحوه فلا يعلق . و رجّحه الشلوبين . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أوسع و أكمل .



الباب الحادي و الثلاثون
و فيه أربع خصائص

من خصائص الجلالة أن الله تعالى جعلها فاتحة و خاتمة للأذان والإقامة . فإن أوّل الأذانين التكبير أي "الله أكبر" و أول التكبير هو الجلالة . ثم آخر الأذانين كلمة التوحيد أي " لا إله إلّا الله " و آخرها إنما هي الجلالة . و الأذان من أبدع طاعات و أكرمها ، خصت به هذه الأمة حتى أن أصحاب سائر الأديان يتأثّرون منه كثيرًا ، و يتعجبون من حسن كلماته المنتظمة المستنيرة ، و يعترفون عند سماع الأذان أنه يأخذ بالقلوب إليه بشدة كأنّ غاشية غيبية إلهيّة تغشى القلوب عند ذاك و تجذبها إليه .

هذه خصوصية لطيفة دقيقة . و لظهورها و ظهور الأذان حيث ينادى به في الخمس قلّما يتوجه إليها أحد و قلّما يعدّها نكتة بديعة . لكن العارفين الكاملين ينبّهون على ما يبهر العقول من أسرار و لطائف في كلمات الأذان و في عددهن و في ترتيبهن و في فاتحتهن و خاتمتهن كما سمعنا عنهم ذلك مرارًا .

ثم بعد التدبر و التحقيق في كلمات الأذان يعرف كل عارف عالم منصف أن ما نحن بصدده نكتة شريفة بديعة و دقيقة لطيفة رفيعة حازها الأذان و الإقامة . و عند ذاك يقرّ بأنّه لأمر ما عظيم جعل الله سبحانه اسم الجلالة فاتحة الأذان و خاتمته .

كيف لا و للأذان مزايا في الإسلام منشورة زاهرة ، و فوائد في الشريعة منثورة نائرة ، و بركات مأثورة عاطرة ، و ثمرات مشهورة ناضرة ، و خيرات في الكتب مسطورة وافرة ، و مثوبات موفورة ماطرة ، وخصائص مشكورة هامرة ، و خواصّ مبرورة ظافرة ، وأجور مبذورة خافرة ، و منافع غير مقصورة دائرة ، و فضائل غير محصورة غامرة . نذكر ههنا من تلك الفضائل الأذانيّة نبذة تذكرة للإخوان و تصديقًا

لمامرّ من البيان . فأقول والله المستعان :

من فضائل الأذان : أنه من شعائر الإسلام . و يحلّ القتال مع تاركيه كما نص عليه الإمام محمد الشيباني الحنفي رحمه الله تعالى .

ومنها : استحبابه على منارة و نحو ذلك من المواضع العالية . ولا نظير له في هذه المزيّة .

ومنها : استحباب بذل الوسع في رفع الصوت به .

ومنها : مشروعيته أوّلاً بمنام رجل من الأمة و هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله عنه ، و إن تؤيد بعده بالوحي مع أن المعتاد و المعروف إثبات الأحكام بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة أو المنام .

ومنها : كون المؤذن مؤتمنا كما ورد في الحديث : الإمام ضامن و المؤذن مؤتمن . أخرجه الترمذي و أبوداود .

ومنها : طول أعناق المؤذنين يوم القيامة . واختصاصهم بذلك كناية عن قوة رجائهم لرحمة الله تعالى .

ومنها : استحباب الإجابة بالقول عند سماعه .

ومنها : اختصاصه بسوال المقام المحمود للنبي صلى الله عليه وسلم بعده . و هـذه خصوصية عجيبة . مع أن الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء متعددة كما ورد في الآثار .

ومنها : قبول الدعاء عند سماعه كما أخرج الدارمي عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثنتان لا تردان أو قل ما تردان الدعاء عند النداء و عند البأس حين يلحم بعضه بعضًا .

ومنها : استغفار كل شيء للمؤذن مدى صوته .

ومنها : شهادة كل شجر و جماد و إنس و جن له غاية صوته يوم القيامة كما روى أبوداود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : المؤذن يغفر له مدى صوته و يشهد له كل رطب و يابس .

ومنها : أن المؤذن يتقدم دخوله الجنة على كثير من الصالحين والأولياء كما أخرج حميد بن زنجويه في فضائل الأعمال عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيّ الخلق أوّل دخولاً الجنة

يوم القيامة ؟ قال : الأنبياء . قال : ثم ؟ قال : الشهداء . قال : ثم ؟ قال : مؤذّنوا الكعبة . قال : ثم ؟ قال : مؤذّنوا بيت المقدس . قال : ثم ؟ قال : مؤذّنوا مسجدي هذا . قال : ثم من ؟ قال : سائر المؤذّنين على قدر أعمالهم .

ومنها : كتابة البراءة من النار لمن أذن سبع سنين محتسبًا . أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

ومنها : كون المؤذن مع ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة كما أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة : عبد أدّى حق الله وحق مولاه ، و رجل أمّ قومًا و هم به راضون ، و رجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم و ليلة .

ومنها : أن المؤذن أحب عباد الله إلى الله . أخرج الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أقسمت لبررت أن أحب عباد الله إلى الله لرعاة الشمس و القمر يعني المؤذّنين ، و أنهم ليعرفون يوم القيامة لطول أعناقهم .

ومنها : نيل درجة الشهادة به كما أخرج الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعًا : المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه .

ومنها : ما أخرج أحمد بسند فيه ابن لهيعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يعلم الناس ما في التأذين لتضاربوا عليه بالسيف .

ومنها : أمن القرية و أهلها كلهم من العذاب بالأذان كما أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أذّن في قرية أمنها الله من عذاب ذلك اليوم .

ومنها : أنه من خصائص هذه الأمة ، وكذا الإقامة كما ذكره القسطلاني و السيوطي و غيرهما .

قال الزرقاني رحمه الله تعالى : لا يعارضه ما روي عند الحاكم وابن عساكر أن آدم لما استوحش عند نزوله بالهند نزل جبريل فنادى بالأذان . لأن مشروعيته للصلاة هي الخصوصية . انتهى .

و يجاب أيضًا : بأن هذا الحديث غير صحيح كما صرح به بعض الأئمة .

ومنها : فرار الشيطان و له ضراط عند التأذين كما روى البخاري و مسلم و أبوداود والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا : إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان و له ضراط ، حتى لايسمع التأذين . فإذا قضي النداء أقبل . الحديث .

قال بعض العارفين بالله في بيان سرّ حديث " إذا أذّن بالصلاة أدبر الشيطان و له ضراط " : إنما أدبر لأن الأذان إذا خرج من الذات الطاهرة ملأ نوره جميع الفراغ الذي يبلغه صوت الأذان . و النور بارد و الشيطان خلق من مارج من نار . و البرودة و النار ضدان .

و يقرب من هذا ما قال هذا العارف : إن الجن في جهنم لا تعذّب بالنار . لأنها طبعه يعني بالنار النار الحارة . و إذا كانت طبعه فإنها لا تضره . و إنما يعذب بالبرد و الزمهرير يعني النار الباردة . و أن الجن في الدنيا يخاف من البرد خوفًا شديدًا .

أفتراهم إذا كانوا في زمن الصيف في الهواء يتخوفون من هبوب الرياح الباردة . فإذا هبّت فرّوا فرار حمر الوحش . وأما الماء فلا يدخله الجن و الشياطين أبدًا . فإن قدر على واحد أن يدخله طفئ و ذاب كما يحترق أحدنا إذا دخل النار و يذوب . انتهى كلام العارف .

قلت : تفكر فيه فإن ظاهر الأحاديث يدل على احتراق الجن بالنار . ولذا يرمون بالشهب النارية . ولا يعرف كلام الكاملين إلاّ الكاملون . هذا . و الله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الثاني و الثلاثون
و فيه ثلاث خصائص

من خصائص اسم "الله" الكريم أنّا مأمورون شرعًا أن نؤسّس على هذا الاسم الجليل حياتنا و مماتنا ، و أن نقيم عليه الحياة الدنيا و الحياة البرزخية لنيل السعادة في الحياتين و لصون النفس عن آفاتهما .

فوقت الولادة مبدأ هذه الحياة . و في وقت نزع الروح اعتباران . إذ باعتبار ما مضى هو آخر هذه الحياة الماضية . و باعتبار المستقبل بمنزلة مبدأ الحياة المستقبلة الحياة الأخروية .

فهما في الظاهر موطنان ، و في الحقيقة ثلاثة مواطن . و يجب علينا أن نبني كل موطن على الاسم "الله" و أن نتبرك به عند المولد و عند الممات . فيكون حياتنا لله ومماتنا لله ، كما قال تعالى : قُلْ إِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ . فهذه ثلاث خصائص .

إيضاح المرام أنّا أمرنا بالتأذين و الإقامة في أذنَيَ مولود عند الولادة . و أول كلمة في الأذانين الاسم "الله" . و بذلك يصير الاسم "الله" أوّل ما يقرع سمع المولود و أول ما يتغلغل في قلبه و دماغه ، و لأمر ما أمر الشارع عليه الصلاة والسلام بذلك . ففي هذا الحكم إشارة إلى أن كمال سعادة المرء مربوط بأن يبني على هذا الاسم الكريم حياته و عمره . هذه خاصة واحدة .

و في هذا الباب أحاديث كثيرة نورد ههنا نبذة منها .

أحدها : ما رواه البيهقي في الشعب من حديث الحسن بن عليّ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

من ولد له مولود فأذّن في أذنه اليمنى و أقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أمّ الصبيات .

و الثاني : ما رواه أيضًا من حديث أبي سعيد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أن النبي ﷺ أذّن في أذن الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يوم ولد و أقام في أذنه اليسرى . قال : و في إسنادهما ضعف .

قال العلامة ابن القيم في تحفة الودود : و سِرّ التأذين و الله أعلم أن يكون أوّل ما يقرع سمع الإنسان كلماته المنتظمة لكبرياء الرب و عظمته و الشهادة التي أوّل ما يدخل بها في الإسلام . فكان ذلك كالتلقين له بشعائر الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها . و غير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه و تأثره به و إن لم يشعر .

مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهو هروب الشيطان من كلمات الأذان . وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله و شاءها . فيسمع شيطانه ما يضعفه و يغيظه أوّل أوقات تعلقه به .

و فيه معنى آخر و هو أن تكون دعوته إلى الله و إلى دينه الإسلام و إلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها و نقله عنها و لغير ذلك من الحكم . انتهى لفظه .

هذا بيان موطن الميلاد . و قد بدا لك بناؤه على الاسم "الله" .

و أما موطن خاتمة الحياة الدنيا و فاتحة الحياة الأخروية وهو وقت الموت فقد أمر النبي ﷺ بأن يلقّن كلمة التوحيد عند الموت ، ليكون آخر كلامه "لا إله إلّا الله" فينال سعادة مستمرة . و في الحديث المرفوع : من كان آخر كلامه "لا إله إلّا الله" دخل الجنة .

و في حديث آخر : من قال "لا اله إلّا الله" حرمه الله على النار . و معناه أن من قال ذلك عند الموت بأن يكون كلمة التوحيد آخر كلامه .

فانظر إلى هذه السعادة العظيمة والنكتة البديعة المبنية على اسم الجلالة . فطوبى لمن كان فاتحة عمره مبنية على اسم الجلالة و خاتمة عمره مبنية عليه . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتمّ و أجلى و أوسع .

الباب الثالث و الثلاثون

من خصائص هذا الاسم الكريم أن العارفين يرجعون إلى ذكره من بين سائر أسماء الله الفروع عند السؤال إذا أبهم عليهم طريق الحاجة و الخاطر من طرق الخواطر و الحاجات . و أشكل عليهم تعيين اسم من أسماء الله تعالى حريّ بغرضهم . فهذا الاسم الكريم أي "الله" يفيد مؤدّى كل اسم لكونه جامعًا لحقيقة كل اسم .

و لهذا خصت الاستعاذة بذكر الاسم "الله" إذ لا يدري السائل المستعيذ أن الشيطان من أيّ سبيل يفتكه و من أيّ باب من أبواب الخواطر يدخل عليه .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في درر الغواص : سألت شيخنا عليًا الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : لم خصت الاستعاذة بالاسم "الله" دون غيره من الأسماء كالرب ونحوه ؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : إنما خصت بذلك لأن المستعيذ لا يعرف ما يأتيه به الشيطان من الخواطر القبيحة حال صلاته و قراءته مثلاً . فلم يتمكن له أن يعين ما يدفعها به من الأسماء الفروع . فجاء بهذا الاسم الجامع لحقيقة كل اسم الدافع لكل خاطر ينبغي أن يدفع . فحضرة "الله" جامعة لحضرة كل اسم . و الأحوال هي التي تخصص الأسماء .

فالعاصي مثلاً يقول : يا ربِ اغفرلي . و الجيعان يقول : يا رب أطعمني . و المديون يقول : يا ربّ أوف ديني . و هكذا . فالكاملون لا يخفى عليهم الحضرات المناسبة لحوائجهم . و إن خفي عليهم شيء منها سألوا بالاسم "الله" كما قال تعالى : فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ . فهذا سبب تخصيص الاسم "الله" دون غيره .

فقلت له : فما معنى قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : و أعوذبك منك ؟

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : إنما كان ذلك منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في وقت اختطافه عن وجوده لشهوده إذ ذاك الأحدية السارية في الوجود . ثم لما وقع له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الترقّي إلى جمع الجمع و فرق الفرق أمر أن يقول : أعوذ بالله . فافهم . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أتم و أعلى .



الباب الرابع و الثلاثون
و فيه سبع خصائص

من خواص " الجلالة " أنها عَلَم ذات الله عزّوجلّ . و لذا توصف ولا يوصف بها . و تتقدم على سائر الأسماء عند الاجتماع كما يقدم "زيد" عند ذكر الصفات ، نحو : زيد العالم الفاضل الكامل . فيقال : الله العزيز الحميد المجيد . و هذه الخاصية للجلالة بالنسبة إلى أسماء الله الحسنى .

و على كون الجلالة علمًا لذات الله تعالى معظم الأئمة منهم أبوحنيفة و محمد بن الحسن و الشافعي و الخليل و الزجاج و ابن كيسان و الحليمي و إمام الحرمين والغزالي والخطابي و العارف عبدالكريم كما في الإنسان الكامل ص١٧ و الشيخ محي الدين بن عربي و الإمام الرازي كما في تفسيره و الإمام الأشعري و غالب أصحابه و أكثر الأصوليين و الفقهاء و المازني رحمهم الله تعالى .

اعلم : أنه لا مندوحة ههنا من وضع عدّة مقدمات مهمّة ، ليتيسر فهم هذا الباب لذوي الألباب .

المقدمة الأولى : قال أبوحيان : العَلَم ، منه منقول ، ومنه مرتجل ، ومنه قسم ثالث لا منقول ولا مرتجل . وهو الذي علميته بالغلبة . انتهى . كذا ذكر السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الأشباه ج١ ص٣٠٢ .

و في الهمع ج١ ص٧٢ : قال أبوحيان : ينقسم العَلَم إلى قسمين : منقول و مرتجل ، بالنظر إلى الأكثر . و إلّا فقد لا يكون منقولاً ولا مرتجلاً . وهو الذي علميته بالغلبة . و حكاه ابن قاسم بصيغة "قيل" و تلك عادته في أبحاث شيخه أبي حيان . فظاهره أن ذلك من تفرداته .

و أيضًا في الهمع : هذا رأي الأكثرين . و ذهب بعضهم إلى أن الأعلام كلها منقولة و ليس منها شيء مرتجل ، و إنما جهلنا نحن أصل البعض منها . و ذهب الزجاج إلى أنها كلها مرتجلة . والمرتجل عنده ما لم يقصد في وضعه النقل من محل آخر إلى هذا . انتهى كلامه .

و قال العلامة المحقق محب الله البهاري رحمه الله تعالى في سلم العلوم : قال سيبويه رحمه الله تعالى : الأعلام كلها منقولات . انتهى .

المقدمة الثانية : المنقول إمّا أن يكون منقولاً من جملة أو من مصدر كفضل و زيد ، أو من اسم عين كأسد ، أو من صفة اسم فاعل كحارث ، أو اسم مفعول كمضروب و محمد ، أو صفة مشبهة كحسن ، أو صفة مبالغة كعباس ، أو من فعل ماض كشمَّر ، أو من مضارع كيزيد و أحمد ، أو من أمر كأصمت اسمًا لفلاة ، أو من صوت كببَّه و هو صوت كانت أمّه ترقصه به و تقول :

لأنكحن ببّه   جارية خدبّه

فلقب به . و المرتجل كسعاد و أدد . كذا في الهمع .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص١٠٩ : و اعلم : أنه إذا قصد بكلمة ذلك اللفظ دون معناها كقولك "أين كلمة استفهام" و "ضرب فعل ماض" فهي عَلَم . لأن مثل هذا موضوع لشيء بعينه غير متناول غيره . و هو منقول لأنه نقل من مدلول هي المعنى إلى مدلول آخر هو اللفظ . انتهى .

قلت : من ههنا علمت أن ادّعاء المحقق محبّ الله البهاري رحمه الله تعالى في منهيات سلم العلوم أنه لم يقل أحد من العلماء بعلمية نحو "مِن" في قولهم "مِن حرف جر" لما هو حرف ، ادعاء باطل . لما نقلنا من تصريح الرضي . نعم أنكر السيد السند رحمه الله تعالى في حواشي الرضي أن يكون نحو "مِن" و "ضرب" في قولهم "من حرف" و "ضرب فعل" علَمين موضوعين للفظيهما . و قد فصلنا قوله في كتابنا "بغية الكامل" . و هو كتاب بديع ترى فيه عجائب و دقائق و أسرارًا نحوية لا تجدها في غيره . وفّقني الله تعالى لتاليفه ولله الحمد و المنة . فراجعه .

المقدمة الثالثة : قال المحقق الشهاب رحمه الله تعالى في شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٥٢ : و الغلبة كما قال الشارح المحقق أن يكون للفظ عموم . فيحصل له بحسب الاستعمال خصوصية لشيء بمعنى زيادة

اختصاص . إمّا إلى حد التشخص فيصير علمًا كالنجم ، أو لا فيصير اسمًا غالبًا كالسَّنة (للقحط) ، أو صفة غالبة كالرحمن .

ثم إن الغلبة بحسب الاصطلاح أعم من أن تستعمل أوّلاً في غيره أو لا تستعمل أصلاً . و هي في الأوّل تحقيقية "كالإله" و "النجم" . و في الثاني تقديرية و قياسية "كالدبران" و اسم "الله" أي عند من لم يجعل "الله" علمًا بالوضع .

ولا عبرة بما قاله الأستاذ الخال من أن غلبة اسم "الله" تحقيقية . و إن استدل عليه بما لا يجديه . ولا ينافي غلبة "الإله" قلة الاستعمال . فإنه يكفي أن يكون غيره أقل منه . فسقط ما قيل : إن في الغلبة مع ندرة الاستعمال خفاء . انتهى .

و قد مرّ منّا نقل عبارة الرضي الطويلة المتعلقة بالأعلام الغالبة في فصل البحث السادس من الباب التاسع عشر . فطالعها فإنها مشتملة على النفائس .

ثم اعلم : لابدّ ههنا من معرفة أمور :

الأوّل : أن اسم زيد ليس منقولاً من المصدر كما يدل عليه كلام الرضي . و هذا خلاف ما تقدم في المقدمة الثانية نقلاً عن الهمع .

الثاني : العلَم بالغلبة إذا لم يكن مضافًا يلزمه اللام إلاّ نادرًا كما صرح به الرضي في شرح الكافية ج٢ ص١٠٩ .

الثالث : العلم بالوضع لا يلزمه اللام ، بل قد يمتنع دخولها عليه . و في الهمع : لو قارنت اللام نقل علَم كالنضر والنعمان ، أو ارتجالاً كاليبع و السموءل . فاللام لازمة إلاّ في النداء و الإضافة ، كما قال ابن مالك . لكونها مثل همزة "أحمد" و تاء "تغلب" .

الرابع : يشترط عند ابن الحاجب في العلَم بالغلبة أن يكون مستعملا في الجنس قبل الغلبة . و لا يشترط ذلك عند سيبويه .

الخامس : العلَم بالغلبة يعدّ من الأعلام . و نازع قوم في ذلك و قالوا : إنه شبه العلَم لا علَم .

و صححه ابن عصفور قال : لأن تعريفها ليس بوضع اللفظ على المسمى بل بالإضافة ، أو "أل" . كذا في الهمع وغيره من الأسفار النحويّة .

فصل

إذا تمهّد ذلك فأقول مستعينا بالله تعالى : إن في اسم " الله " باعتبار العلمية و عدمها ثمانية أقوال . و كل قول بتفاصيله خاصة و مزية ما خلا القول الثاني كما هو الظاهر .

القول الأوّل : التوقف و التفويض إلى الله تعالى . فلا يدري كنه هذا الاسم إلاّ الله و رسوله . ذهب إليه البعض كما صرح به المجد الفيروز آبادي .

إن قلت : هل لاسم "الله" نظير في عدم الاطّلاع على كنهه ؟

قلت : نعم . له نظائر متعدّدة لايدري كنهها إلاّ الله تعالى .

منها : كنه الله تعالى . فلايدري أحد كنه ذاته تعالى . و لذا قالوا : إن الله عزّ و جلّ لا يحدّ ولايتصوّر بالكنه و بكنهه . و فيه قلت :

سبحان مَن تاه الورٰى في ذاته بل دون كنه الذات في أسمائه

و منها : الروح . حيث أخفى الله سبحانه كنهها على العُلماء . قال الله تعالى : قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا .

و منها : العلم ، عندي . فإنه مع شهرته مبهم كنهًا و مستور حقيقةً . و لذا اختلفوا في حقيقته و حدِّه على أقوال كثيرة ، بيّنته في مؤلفاتي في المنطق .

و منها : حقيقة الصلاة على النبي ﷺ عندي . كما حقّقت في كتابي "فتح العليم بحلّ إشكال التشبيه العظيم في حديث كما صليت على إبراهيم" . و هذا بحث نفيس خصني الله تعالى به ، ولله الحمد و المنة . فإن شئت التفصيل فراجعه . تجد هناك ما يسرّك إن شاء الله تعالى .

القول الثاني : ذهب بعض الناس إلى أن اسم "الله" صفة مثل سائر صفات الله تعالى

وليس باسم فضلاً عن أن يكون علمًا . و وجهه أن مسمَّى العلَم ما يمكن أن يشار إليه . والله سبحانه تعالى و جلّ عن أن يشار إليه . فليس اسم "الله" بعلَم و ليس باسم أيضًا مثل كتاب و سماء و أرض كما لا يخفى . فهو صفة له تعالى .

قال المجد الفيروز آبادي رحمه الله في بصائر ذوي التمييز ج٢ ص١٢ : و للعلماء في هذا الاسم الشريف أقوال تقارب ثلاثين قولاً . فقيل : معرَّب . أصله بالسريانية "لاها" فحذفوا الألف و أتوا "بأل". ومنهم من أمسك (أي توقّف) عن القول تورعًا و قال : الذات والأسماء والصفات جلّت عن الفهم و الإدراك . و قال الجمهور : عربي . ثم قيل : صفة . لأن العلَم كالإشارة الممتنع وقوعه على الله تعالى . و أجيب : بأن العلَم للتعيين و لا يتضمن إشارة حسية . انتهى .

و في البحر المحيط ج١ ص١٥ : و من غريب ما قيل في "الله" : إنه صفة و ليس اسم ذات . لأن اسم الذات يعرف به المسمى ، والله تعالى لا يدرك حسًّا ولا بديهة . ولا تعرف ذاته باسمه بل إنما يعرف بصفاته . فجعله اسما للذات لا فائدة في ذلك . وكان العلَم قائمًا مقام الإشارة ، و هي ممتنعة في حق الله تعالى . انتهى .

القول الثالث : أنه اسم ليس بعلَم . و إليه ذهب ابن عربي في بعض أقواله .

القول الرابع : أنه علَم بالوضع مرتجَل غير مشتق . و فيه ثلاثة مذاهب . و سيأتي بيانها . فانتهت الأقوال إلى ستة .

القول السابع : أنه ليس بعلَم وضعًا ، بل هو علَم بالغلبة مثل "البيت" و "النجم" و أنه مشتق و مأخوذ من أصل له هو صفة و هو "إلاه" .

القول الثامن : هو علَم بالوضع مشتق من أصل له هو اسم وهو "إلاه" و هو مختار صاحب الكشاف .

هذه فذلكة ما في هذا الباب من الأقوال و المسالك . و سيمرّ عليك تفاصيلها في تضاعيف فصول تلي . فاغتنم هذا فإنه من نفائس خصائص هذا الكتاب ، ولا تجده في غير هذا الكتاب . ولله الحمد و المنة .

فصل

في بيان القول الثالث

قد علمت في الفصل المتقدم أن الأقوال والمذاهب في اسم "الله" ثمانية . أمّا القولان الأوّلان فكفى لهما البيان المذكور هناك إيضاحًا .

و أمّا الأقوال الأخر فلابد من إيضاحها و بسط الكلام فيها . فأقول و بالله التوفيق و بيده أزمة التحقيق و هو المستعان و عليه الاعتماد و التكلان :

القول الثالث : أنّ الاسم "الله" ليس بعلَم لذات الله تعالى . و اختاره بعض الأئمة من أصحاب الطريقة ، منهم الشيخ محي الدين ابن عربي و العارف عليّ الخوّاص الأمي صاحب الكشف الصحيح و العلوم اللدنية شيخ الإمام الشعراني رحمهما الله تعالى ، و أقرّه الإمام الشعراني رحمه الله تعالى .

قال الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله تعالى في الباب التاسع و السبعين و ثلاثمائة من فتوحاته : اعلم : أننا ما وجدنا قط اسمًا لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدًا . لأنه ما وصل إلى عِلمنا اسم إلّا و هو على أحد أمرين : إمّا يدل على فعل و هو الذي يستدعي العالم و لابد . و إمّا تنزيه و هو الذي يستروح منه إجلاله تعالى عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها ، غير ذلك ما أعطانا الله تعالى .

فإن قلتَ : فما ثم على هذا اسم علَم لله تعالى ما فيه سوى العلميّة أبدًا إلّا إن كان ذلك في علم الله تعالى .

فالجواب كما قال الشيخ محي الدين : نعم . ما ثمّ على هذا اسم عَلَم لله تعالى أبدًا فيما وصل إلينا . و ذلك لأن الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلّا لنثني بها عليه . فمن المحال أن يكون فيها اسم علَم . لأن الأسماء الأعلام لايقع بها ثناء على المسمى . وإنما هي أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها . وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها عينا . وهو المسمى بمعانيها . و المعاني هي المسماة بهذه المعاني اللفظية كالقادر و العالم و نحوهما .

قال : و يؤيد ذلك قوله تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا . و ليست إلّا المعاني لا هذه الألفاظ إذ الألفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح إلّا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها . فلا اعتبار لها من حيث ذاتها ، فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة و نظم خاص يسمى اصطلاحًا .

فإن قلتَ : فإذن فما سميت أسماء حسنى ليكون لها مقابل غير حسن . و إنما هي حسنى من حيث ظهور حسنها في العرف .

فالجواب : نعم و هو كذلك . فما ظهر لنا حسنه في العرف فهو حسن مطلقًا . وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة . و أما الخاصة فحسن جميع الأسماء ظاهر لهم ، لا يخفى عليهم ، لمعرفتهم بالحق تعالى في سائر مراتب التنكرات في العالم . هذا ما ذكره الشيخ . كذا في اليواقيت و الجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني ج١ ص٦٩ .

و في الجواهر و الدرر لسيدي عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ، و هو كتاب جمع فيه علوم شيخه عليّ الخواص ص٣١٩ قال : سمعت شيخنا عليّ الخواص رحمه الله تعالى يقول : الأسماء على قسمين : قسم يطلب العالَمَ ، و قسم لايطلب العالَمَ ، ولكن لا يتروح منها ذلك . فأما الأسماء التي تطلب العالم فكالاسم الرب ، و القادر ، و الخالق ، و النافع ، و الضار ، و المحيي ، و المميت ، و القاهر ، و المعزّ ، و المذلّ إلى أمثال ذلك .

فإنّ الربوبية مثلاً نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايفين عن الآخر ، إذ هي موقوفة على اثنين ، و إن كانا متباينين . "فربّ" بلا مربوب لا يكون وجودًا و تقديرًا ، و "مالك" بلا مملوك لايكون وجودًا و تقديرًا . و هكذا كل متضايفين .

فنسبة العالَمَ إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية نسبة المتضايفين من العالَمَ . فالعالَمَ يطلب تلك الأسماء . و تلك الأسماء الإلهية تطلبه كذلك .

و أمّا الأسماء التي لا تطلب العالم فكالغني والعزيز والقدوس و أشباهها .

فقلت له : فإذن ما ثَمّ لله تعالى أسماء تدل على ذاته تعالى خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدًا .

فقال رحمه الله تعالى **:** نعم . لأنه ما ثم اسم إلّا يدل على أحد أمرين : إمّا يدل على فعل ، و هو الذي

يستدعي العالم و لابد . و إما يدل على تنزيه ، و هو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق عنها ، غير ذلك ما أعطانا الله تعالى .

و كان الشيخ محي الدين و غيره يقول : ما ثم لله اسم علَم ما فيه سوى العلمية لله أصلاً . إلاّ أن كان ذلك في علمه تعالى استأثر به في غيبته . و ذلك ثناء .

فقلت له : إن العلماء كلهم أجمعوا على أن الاسم "الله" علَم على الذات .

فقال رحمه الله تعالى : صحيح هو علَم ولكن مرادنا بالعلَم ما لايقوم به ثناء على المسمى . و أما الاسم "الله" و غيره فإنما هي أسماء للمعاني التي تدل عليها . ثم إن تلك المعاني هي التي يثنى بها عليه كالعالم و القادر و باقي الأسماء . فهي متضمنة للثناء عليه بالألوهية و العلم و القدرة . والله أعلم . انتهى كلام الشعراني رحمه الله تعالى .

فصل

في إيضاح القول الرابع

و هو أن الاسم "الله" علَم لذات الله تعالى و ليس بمشتق ولا منقول . و به قال الجمهور . فهو عندهم علَم مرتجل من غير اعتبار أصل فيه . و "أل" فيه من أصل الكلمة لا للتعريف .

و ممن اختار هذا القول أبوحنيفة و محمد بن الحسن و الشافعي و الخليل و الزجاج و الحسين ابن الفضل و العلامة السهيلي و ابن عربي صاحب الطريقة في بعض أقواله و الغزالي و الخطابي و المازني و الشيخ عبدالكريم الجيلاني رحمهم الله تعالى .

قال في بصائر ذوي التميز : و قال الأكثرون : هو علَم مرتجل غير مشتق . و عزِّي للأكثرين من الفقهاء و الأصوليين و غيرهم و منهم الشافعي و الخطابي و إمام الحرمين و الإمام الرازي و الخليل بن أحمد و سيبويه رحمهم الله تعالى ، و هو اختيار مشايخنا .

و الدليل أنه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة . لأن

لفظ المشتق لا يفيد إلّا أنه شيء ما مبهم حصل له ذلك المشتق منه . و هذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين .

و حيث أجمع العقلاء على أن قولنا "لا إله إلّا الله" يوجب التوحيد المحض علمنا أنه عَلَم للذات ، و أنها ليست من المشتقات .

و أيضًا إذا أردنا أن نذكر ذاتا ثم نصفه بصفات نذكره أوّلًا باسمه ثم نصفه بصفات نقول : زيد العالم الزاهد . قال تعالى : هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ . ولا يرد : ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱللَّهِ . لأن قراءة الرفع تسقط السؤال . و على قراءة الجرّ هو نظير قولهم : الكتاب مِلكٌ للفقيه الصالح زيد . ذكر "زيد" لإزالة الاشتباه .

و قيل : بل هو مشتق . و عزاه الثعلبي لأكثر العلماء . قال بعض مشايخنا : و الحق أنه قول كثير منهم ، لا قول أكثرهم . و استدل بقول رؤبة :

لله درّ الغـانيات المُـدّهِ سبَّحن واسترجعن من تألُّهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر ، و بقراءة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا "و يذرك و إلهَتَك" . انتهى .

قال الشيخ عبد العزيز بن أحمد البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في شرح أصول فخرالإسلام البزدوي : و "الله" اسم تفرد به الباري سبحانه . يجري في وصفه مجرى الأسماء الأعلام لا شركة فيه لأحد . قال الله تعالى : هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا . أي هل تعلم أحدًا يسمى بهذا الاسم غيره . كذا روي عن الخليل و ابن كيسان .

و لهذا اختص الحمد بهذا الاسم لأنه لما كان كالعلَم للذات كان مستجمعًا لجميع الصفات ، فكان إضافة الحمد إليه إضافة له إلى جميع أسمائه و صفاته . ألا ترى أن الإيمان اختص بهـذا الاسم حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله . مع أن الإيمان بجميع الأسماء و الصفات واجب ، لأنه مستجمع للصفات . انتهى .

قال الشيخ عبد الكريم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه الإنسان الكامل ص١٦ : اعلم : أن الحق جَلَّ جَلَالُهُ جعـل هذا الاسم هيولى كمال صور المعاني الإلهية . وكان كل من تجلّيات الحق التي لنفسه في نفسه داخلًا تحت حيطة هذا الاسم . و ما بعده إلّا الظلمة المحضة التي تسمى بطن الذات في الذات . و هذا الاسم نور تلك

الظلمة فيه يبصر الحق نفسه ، و به يتصل الخلق إلى معرفة الحق .

وهو باصطلاح المتكلمين عَلَم على ذات استحقّت الألوهية . وقد اختلف العلماء في هذا الاسم . فمن قائل يقول : إنه جامد غير مشتق و هو مذهبنا ، لتسمّى الحق به قبل خلق المشتق و المشتق منه . انتهى .

قلت : في هذا الكلام نظر ، إذ على هذا يلزم أن يكون جميع أسمائه تعالى أعلامًا ولم يقل به أحد ، لكونها قديمة تسمّى بها الله قبل خلق المشتق و المشتق منه ، لاسيما "الحي" "العليم" "القادر" "المتكلم" "المريد" وغير ذلك من الصفات القديمة الذاتية ، و هي سبعة .

إلا أن يقال : إن هذا التفاوت بين الاسم "الله" و سائر الأسماء من علوم الكشف لايدركه إلّا أصحاب العروج . وليس الوقوف على دقائق الكشف جليًّا سهلاً على كافة الخلق . و إلّا فإنا لا نفهم ذلك باستمداد العلوم الظاهرة حيث يخالف أقوال الأئمة .

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في اليواقيت و الجواهر في عقائد الأكابر ج١ ص٦٨ : المبحث الثالث عشر في وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يزل موصوفًا بمعاني أسمائه و صفاته . قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى : معاني الأسماء و الصفات هو كل ما دل على الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم و الخالق و الرازق و نحوها ، كما أنه تعالى لم يزل موصوفًا بصفات ذاته . قال : و أما صفات الأفعال كالخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة فليست أزلية ، خلافا للحنفية ، بل هي حادثة . انتهى .

قال ابن أبي شريف رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح جمع الجوامع : ليس في كلام أبي حنيفة رحمه الله تعالى و لا متقدمي أصحابه أن صفات الأفعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة . وإنما أخذ ذلك متأخروا أصحابه من معنى قوله في كتابه الفقه الأكبر : كان الله خالقا قبل أن يخلق و رازقا قبل أن يرزق . و ذكر أوجها من الاستدلال . انتهى .

و ممن قال بأنه علَم مرتجل الإمام أبوالحسن الأشعري رحمه الله تعالى . و حكى جماعة أن الأشعري رُئي في المنام بعد موته فقيل له : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لي . قيل : بماذا ؟ قال : بقولي بعلمية الله . كذا في منهيّات روح المعاني ج١ ص٥٣ .

و منهم الإمام ابن مالك رحمه الله تعالى حيث قال : إنّ "الله" من الأعلام التي قارن وضعها "أل" و ليس أصله "الإله". ثم قال : و لو لم يرد على من قال ذلك إلاّ أنه ادعى ما لا دليل عليه لكان ذلك كافيًا . لأن "الله" و "الإله" مختلفان لفظا و معنى .

أمّا لفظًا فلأنّ أحدهما معتل العين والثاني مهموز الفاء صحيح العين واللام . فهما من مادّتين . فردُّهما إلى أصل واحد تحكّمٌ من سوء التصريف .

و أمّا معنًى فلأنّ "الله" خاص به تعالى جاهليّةً وإسلامًا ، و "الإله" ليس كذلك لأنه اسم لكل معبود . و له على من استخرج للاسم "الله" أصلاً و هو "الإله" كلام طويل ذكرناه في باب اشتقاق الاسم "الله" من هذا الكتاب ، فراجعه .

قال الشيخ محي الدين بن عربي في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذي هو آخر الفتوحات : اعلم : أن الاسم "الله" إنما مسماه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذي بيده ملكوت كل شيء . و أطال في ذلك .

ثم قال : فعلم أن كل اسم إلهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى . و لكن لما كان ما عدا الاسم "الله" من الأسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو إثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم "الرحمن" و غيره من الأسماء الحسنى .

قال : و قد عصم الله هذا الاسم العلَم أن يتسمّى به أحد غير الله . و لهذا قال تعالى في معرض الحجة على من نسب الألوهية لغير الله تعالى : قُلْ سَمُّوهُمْ . فلو سموهم ما سموهم إلّا بغير الاسم "الله" لأنهم قالوا : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . فقد علمت أن الاسم "الله" يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها . انتهى .

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في اليواقيت ج١ ص٧٠ : قلت : و قد بان لك تناقض كلام الشيخ في قوله : إن الاسم "الله" علَم أو غير علَم . فإنه ذكر أوّلاً في الباب السابع و السبعين و ثلاثمائة (لعلّ العبارة و مائة بدل ثلاثمائة) أنه اسم علَم . ثم ذكر في الباب التاسع و السبعين و ثلاثمائة أنه غير علَم . ثم

ذكر في الباب الثامن و الخمسين و خمسمائة أنه علَم فليحرر . والله أعلم . انتهى كلام الشعراني .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي بتوفيق الله و توقيفه : لعل وجه دفع التناقض في كلام الشيخ ابن عربي أن للعلَم معنيين :

أحدهما : ما هو معروف عند أهل العربية و عند علماء الفنون و الشريعة و عامة الفضلاء .

و الثاني : ما يريده أرباب القلوب من أهل الطريقة الكرام . فالمثبت للاسم "الله" العلمية بالمعنى الأوّل ، و المنفي العلميّة بالمعنى الثاني . و قد سبق في بيان المذهب الثالث كلام العارف الرباني عليّ الخواص رحمه الله تعالى ما يدلك على الفرق بين المعنيين للعلَم ، فراجعه .

و مع هذا في كلام هذا الشيخ تضادّ بعد . و هذه قضية لا أباحسن لها . غاية ما يقال في دفع التضادّ : إن المجتهد المحقق يجدّد قولاً يخالف قوله الآخر حسب ما اقتضاه تحقيقه و أفضى إليه اجتهاده .

فائدة في ذكر بعض عبارات الشيخ الأكبر

قال رحمه الله تعالى في الباب السابع و السبعين و مائة ج٢ ص٣٠٠ من الفتوحات : فالذي نذكر في هذا الباب أقسام الأسماء الإلٰهية أسماء الذات التي هي كالأعلام . فلا أعرف بيد العالم في كتاب ولا سنة منها شيئًا إلاّ الاسم "الله" في مذهب من لا يرى أنه مشتق من شيء . ثم إنه مع الاشتقاق الموجود فيه هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى ، كما يسمى شخص "بيزيد" على طريق العلمية . و إن كان هو فعلاً من الزيادة لكن ما سميناه به لكونه يزيد و ينمو في جسمه و في عِلمه . و إنما سميناه به لنعرفه و نصيح به إذا أردناه . فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد . فإذا قيلت على هذا فهي أعلام كلها . هذا كلامه .

ثم قال بُعيد هذا : وكلمة "الله" من طريق الوضع اللفظي . فالظاهر أن الاسم "الله" للذات كالعلَم ما أريد به الاشتقاق و إن كانت فيه رائحة الاشتقاق كما يراه بعض علماء هذا الشان من أصحاب العربية . انتهى .

و قال قبيل هذا : الأسماء الإلٰهية على أربعة أقسام : قسم يدل على الذات ، و هو الاسم العَلَم

الذي لا يفهم منه سوى ذات المسمى لا يدل على مدح و ذم . و هذا قسم لم نجده في الأسماء الواردة علينا في كتابه و لا على لسان الشارع إلاّ الاسم "الله" . و هو اسم مختلف فيه . انتهى .

و قال الشيخ الأكبر أيضًا في الباب الثامن و الخمسين و خمسمائة منها ج٤ ص١٩٧ : فذلك الاسم الخاص هو الذي يناديه هذا الداعي بقوله : يا الله . لأن الاسم "الله" بالوضع الأوّل إنما مسماه ذات الحق عينها التي بيدها ملكوت كل شيء . و ما بأيدينا اسم مخلص علَم للذات سوى هذا الاسم "الله" . فالاسم "الله" يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها . انتهى بحذف .

و قال أيضًا في الباب الخامس و الأربعين ج١ ص٢٥١ في بيان الواصلين إلى الله تعالى : و اعلم : أنه بعد ما أعلمتك ما معنى الوصول إلى الله تعالى أن الواصلين إلى مراتب ، منهم من يكون وصوله إلى اسم ذاتي لا يدل إلاّ على الله تعالى من حيث هو دليل على الذات ، كالأسماء الأعلام عندنا لا تدل على معنى آخر مع ذلك يعقل . فهذا يكون حاله الاستهلاك ، كالملائكة المهيمين في جلال الله تعالى والملائكة الكروبيين . فلايعرفون سواه ولا يعرفهم سواه سبحانه . انتهى .

و قال في هذا الكتاب ج٣ ص٣٩٩ : و ما وجدنا لله أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات . فإنه ما ثم اسم إلاّ على أحد أمرين : إمّا ما يدل على فعل ، و هو الذي يستدعي العالم و لابد . و إمّا ما يدل على تنزيه ، وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق عنها . غير ذلك ما أعطانا الله .

فما ثم اسم علَم ما فيه سوى العلمية لله أصلا . إلاّ أن كان ذلك في علم الله تعالى أو ما استأثر الله به في غيبه مما لم يبده لنا .

و سبب ذلك أن الله تعالى ما أظهر لنا أسماءه إلاّ للثناء بها عليه . فمن المحال أن يكون فيها اسم علَمي أصلا . لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمى . لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها . وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا . و هو المسمى بمعانيها . و المعاني هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية ، كالعالم و القادر و باقي الأسماء ، فلله الأسماء الحسنى . و ليست إلاّ المعاني لا هذه الألفاظ . فإن الألفاظ لا تتصف بالحسن و القبح إلاّ بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها . فلا اعتبار لها من

حيث ذاتها فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة و نظم خاص يسمى اصطلاحًا . فافهم ذلك . انتهى .

و يدل كلامه قبيل هـذا على أن جميع أسمائه تعالى من قبيل التضايف أو نحو ذلك . و العَلَم ليس من باب التضايف لعدم دلالته إلّا على مسماه .

قال : اعلم : أن الربوبية نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايفين عن الآخر . فهي موقوفة على اثنين . و لا يلزم أن لا يكونا متباينين ، فقد يكونان متباينين و قد يكونان غير متباينين . فمالك بلا مِلك لا يكون وجودًا و تقديرًا . و الربّ بلا مربوب لا يصح وجودًا و تقديرًا . هكذا كل متضايفين . فنسبة العالَمَ إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية نسبة المتضايفين من الطرفين . فالعالَمَ يطلب تلك الأسماء ، و تلك الأسماء الإلهية تطلب العالم ، كالاسم الرب ، و القادر ، و الخالق ، و النافع ، و الضارّ ، و المحيي ، و المميت ، و القاهر ، و المعز ، و المذل إلى أمثال هذه الأسماء .

و ثم أسماء إلهية لا تطلب العالَمَ و لكن يستروح منها نفس من أنفاس العَالَمَ من غير تفصيل كما يفصل بين هذه الأسماء التي ذكرناها آنفا . فأسماء الاسترواح كالغني و العزيز و القدوس و أمثال هـذه الأسماء . انتهى .

و ممن قال بعلميته غير مشتق من "الإله" الإمام المازني . ففي المسائل لابن السيد البطليوسي حكى أبوالقاسم الزجاجي قال أخبرنا أبوإسحاق بن السري الزجاج قال أخبرني محمد بن يزيد المبرد قال سمعت المازني يقول : سألني الرياشي فقال لي : لم نهيت أن يكون اسم "الله" تعالى مسماه أصله "الإله" ثم خفف بحذف الهمزة ، كما يقول أصحابك ؟

فقلت : لو كان مخففا منه لكان معناه في حال تخفيف الهمزة كمعناه في حال تحقيقها ، لا يتغير المعنى . ألا ترى أن "الناس" و "الأناس" بمعنى واحد . و لما كنت أعقل لقولي "الله" فضل مزيّة على قولي "الإله" و رأيته قد استعمل لغير الله في قوله : وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفًا . و قوله : ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ . ولما لم يستعمل "الله" إلّا للباري تعالى ، علمت أنه علَم و ليس بمأخوذ من "الإله" . انتهى . كذا في كتاب الأشباه ج٣ ص٢٣٣ .

قال الإمام الرازي رحمه الله في الباب التاسع من مقدمة تفسيره ج١ ص٨٥ : المختار عندنا أن

هذا اللفظ اسم علَم لله تعالى ، وأنه ليس بمشتق ألبتة ، وهو قول الخليل و سيبويه و قول أكثر الأصوليين و الفقهاء . و يدل عليه وجوه . انتهى .

قلت : قد ذكرنا تلك الوجوه في فصل الدلائل من هذا الباب فراجعه .

قال العبد الضعيف الروحاني : قد لاح لك أنهم ينسبون إلى سيبويه أن الاسم "الله" مرتجل ، أي غير منقول ولا مشتق . و عندي في هذا القول إشكال ، و هو أن سيبويه قائل بنقل جميع الأعلام كما ذكرت في مقدمات هذا الباب . فلابد من الشك في ثبوت أحد النقلين .

أو يقال : إن الاسم الجلالة مستثنى عنده من تلك القاعدة . فالجلالة مرتجلة عنده .

أو يؤول معنى المنقول بما يشمل الجلالة . فإن للمنقول عدة معان كما في الهمع وغيره من الكتب .

أو يؤول قوله بما هومذكور في كتب المنطق وشروح سلّم العلوم لمحب الله البهاري رحمه الله تعالى عند قوله "قال سيبويه : الأعلام كلها منقولات" .

حيث قال الفاضل البوفالي رحمه الله تعالى نقلاً عن أستاذ الأستاذ في شرح سلم العلوم : إن سيبويه ما ادعى النقل في مطلق الأعلام ، بل المراد أن الاعلام التي صدرت عن عرب العرباء لاتخلو عن رعاية المناسبة بحكم الاستقراء . فظهر أن مذهبه يرجع إلى مذهب الجمهور و هو أن بعضها منقول و بعضها مرتجل .

و في المزهر ج١ ص٣٤٨ : و اختلفوا في الاشتقاق الأصغر فقال سيبويه و الخليل و أبوعمرو و أبوالخطاب و عيسى بن عمر و الأصمعي و أبوزيد و ابن الأعرابي و الشيباني و طائفة : بعض الكلم مشتق و بعضه غير مشتق . و قالت طائفة من المتأخرين اللغويين : كل الكلم مشتق . و نسب ذلك إلى سيبويه و الزجاج . و قالت طائفة من النظار : الكلم كله أصل .

و القول الأوسط تخليط لا يعد قولاً ، لأنه لو كان كل منها فرعًا للآخر لدار أو تسلسل ، وكلاهما محال ، بل يلزم الدور عينا ، لأنه يثبت لكل منها أنه فرع ، و بعض ماهو فرع لابد أنه أصل ضرورة أن المشتق كله راجع إليه أيضًا .

لا يقال : هو أصل و فرع بوجهين . لأن الشرط اتحاد المعنى و المادة و هيئة التركيب ، مع أن كلًّا منها حينئذ مفرَّع عن الآخر بذلك المعنى . انتهى .

أو يقال : مراد سيبويه أن أكثرها منقولات . قال ابن مالك في التسهيل : الأعلام غالبها منقول ، بخلاف أسماء الأجناس . انتهى .

أو يقال : المرتجل داخل عنده في المنقول ، على ما هو مذهب بعض العلماء . فيكون سيبويه منهم . هذا كلام على مذهب سيبويه .

قال البيهقي رحمه الله تعالى المتوفي سنة ٤٥٨هـ في كتاب الأسماء و الصفات ص١٨ : اختلف الناس هل "الله" اسم موضوع أو مشتق . فروي فيه عن الخليل روايتان : إحداهما : أنه اسم علَم ليس بمشتق ، فلا يجوز حذف الألف و اللام منه كما يجوز من "الرحمن" و "الرحيم" .

ثم قال بعد ذكر عدة أقوال : و أحبّ هذه الأقاويل إليّ قول من ذهب إلى أنه اسم عَلَم و ليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة .

و الدليل على أن الألف و اللام من بنية هذا الاسم ولم تدخلا عليه للتعريف دخول حرف النداء عليه كقولك "يا الله" . و حروف النداء لا تجتمع مع الألف و اللام للتعريف . ألا ترى أنك لا تقول : يا الرحمن ، و يا الرحيم . كما تقول : يا الله . فدل على أنه من بنية الاسم . والله أعلم . انتهى كلامه .

فصل

المشهور أن في علمية الاسم "الله" وضعًا مرتجلًا لذات الله تعالى مسلكان :

الأوّل : أنه موضوع لذات الله عز مجده بدون لحاظ الصفات الربانيّة .

و الثاني : أنه موضوع لها مع لحاظ الصفات الحميدة الربانيّة . و ذهب إلى كل مسلك طوائف من العلماء . و أكثرهم و جمهرتهم على المسلك الثاني منهما . و عبارات البعض تحتمل المسلكين .

و أقول بتوفيق الله و فضله : ينبغي أن تكون المسالك في هذا الموضوع ثلاثة ، إذ في أخذ ذات

الله تعالى وسبحانه اعتبارات ثلاثة :

الاعتبار الأوّل : أخذ الذات عند الوضع لا بشرط شيء ، أي الذات مطلقا بغير لحاظ الصفات و لا بلحاظ عدم الصفات . و هو المسلك الأوّل المذكور سابقًا .

و الاعتبار الثاني : أخذها بشرط شيء ، أي بلحاظ صفات عليّة و أوصاف سنيّة . و هو المسلك الثاني المتقدم ذكره .

و الاعتبار الثالث : أخذها بشرط لا شيء ، أي الذات البحت أي الذات بغير لحاظ الاتّصاف بالصفات و بغير لحاظ عدم اتّصافها بالصفات . و الفرق بين هذه الاعتبارات الثلاثة اعتباريّ ذهنيّ لامتناع خلو ذات الله سبحانه عن صفات حميدة في الواقع .

فهذا الاعتبار الثالث ممكن في موضوع علمية الاسم "الله". فلقائل أن يقول به . فمجموع المسالك في علمية "الله" وضعًا مرتجلًا ثلاثة :

أما المسلك الأوّل : فهو مختاري و اختاره بعض السلف ، منهم الشيخ ابن عربي الشهير رحمه الله تعالى في تفسيره حيث قال فيه ج١ ص٥ : اسم الشيء ما يعرف به . فأسماء الله تعالى هي الصور النوعية التي تدل بخصائصها و هويّاتها على صفات الله و ذاته ، و بوجودها على وجهه ، و بتعينها على وحدته . إذ هي ظواهره التي بها يعرف .

و "الله" اسم للذات الإلهية من حيث هي هي على الإطلاق ، لا باعتبار اتصافها بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها . انتهى كلامه .

فكلام ابن عربي هذا صريح في وضع الاسم "الله" للذات الإلاهية الربانية لابشرط شيء . وممن اختار هذا المسلك المحقق عصام الدين رحمه الله تعالى في بعض تصانيفه .

أما المسلك الثاني : و هو وضع هذا الاسم الشريف لذات الله تعالى المستجمعة لصفات الكمال والجمال . وهو اعتبار أخذ الذات بشرط شيء ، أي أخذها بلحاظ الصفات الكمالية و الجمالية . فاختاره جمهور العلماء . و لهم في بيان هذا المسلك عبارات مختلفة و أقاويل شتى ، و مآل كل ذلك واحد .

قال الإمام ابن قيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما حاصله : إن دلالة الأسماء الحسنى مبني على أصلين مهمّين :

أحدهما : أن أسماء الربّ تعالى دالة على صفات كماله ، فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء وهي أوصاف ، و بذلك كانت حسنىٰ . إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال و نفي معاني أسمائه الحسنىٰ من أعظم الإلحاد . و فيها قال تعالى : وَ ذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ .

الأصل الثاني : أن الاسم من أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما يدل على الذات و الصفة التي اشتق منها بالمطابقة فإنه يدل دلالتَين أخريَين بالتضمن و اللزوم . فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن . وكذلك على الذات المجردة عن الصفة . و يدل على الصفة الأخرى باللزوم .

فإن اسم " السميع " يدل على ذات الربّ و سمعه بالمطابقة ، و على الذات وحدها و على السمع وحده بالتضمن . و يدل على اسم "الحي" و صفة الحياة بالالتزام . وكذلك سائر أسمائه تعالى و صفاته . و لكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم و عدمه .

ثم قال : و إذا تقرر هذان الأصلان فاسم "الله" دال على جميع الأسماء الحسنى و الصفات العليا بالدلالات الثلاث . فإنه دال على إلاهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلاهية له مع نفي أضدادها عنه . و لهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم ، كقوله : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ . و يقال : الرحمن و الرحيم و القدوس و السلام و العزيز و الحكيم من أسماء الله . و لايقال "الله" من أسماء الرحمن و لا من أسماء العزيز و نحو ذلك .

فعلم أن اسمه " الله " مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال . و الأسماء الحسنى تفصيل و تبيين لصفات الإلاهية التي اشتق منها اسم "الله" .

و اسم "الله" دال على كونه مألوهًا معبودًا تألّهه الخلائق محبةً و تعظيمًا و خضوعًا و فزعًا إليه في الحوائج و النوائب . و ذلك مستلزم لكمال ربوبيته و رحمته المتضمنتين لكمال الملك و الحمد و إلاهيته و ربوبيته و رحمانيته . و ملكه مستلزم لجميع صفات كماله ، إذ يستحيل ذلك لمن ليس بحيّ ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله .

فصفات الجلال و الجمال أخص باسم "الله" و صفات الفعل و القدرة و التفرد بالضرّ والنفع و العطاء و المنع و نفوذ المشيئة و كمال القوّة و تدبير أمر الخليقة أخص باسم "الربّ" وصفات الإحسان و الجود و البر و الحنان و المنة و الرأفة و اللطف أخص باسم "الرحمن" . هذا ملخص كلامه .

و في التيسير شرح التحرير : و "الله" اسم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد . والصحيح أنه عربي كما ذهب إليه الجمهور ، لا عبراني أو سرياني كما ذهب إليه أبوزيد . و قيل : إنه صفة . و الجمهور على أنه علَم مرتجل من غير اعتبار أصل أخذ منه ، منهم أبوحنيفة و محمد بن الحسن و الشافعي و الخليل و الزجاج و ابن كيسان رحمهم الله . انتهى .

قال الشيخ الشوكاني رحمه الله في النيل : و "الله" اسم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد . ولذلك آثره في الحمد على غيره من أسمائه جل جلاله .

وإنما كان هذا الاسم هو المستجمع لجميع الصفات دون غيره من الأسماء لأن الذات المخصوصة هي المشهورة بالاتصاف بصفات الكمال . فما يكون علمًا لها دالًّا عليها بخصوصها يدل على هذه الصفات ، لا ما يكون موضوعًا لمفهوم كلي و إن اختص في الاستعمال بها كالرحمن . و هذا إنما يتم على القول بأن لفظ "الله" علَم للذات كما هو الحق ، و عليه الجمهور ، لا للمفهوم كما زعمه البعض . انتهى .

قال ابن كثير رحمه الله : "الله" علم على الرب تبارك وتعالى و يقال : إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات . انتهى .

و قال القرطبي رحمه الله : هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه و أجمعها ، وهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي .

قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير : اختلف العلماء في اسم الله الذي هو "الله" فقال قوم : إنه مشتق . وقال آخرون : إنه علَم ليس بمشتق . ونقل عن الخليل روايتان : إحداهما : أنه ليس بمشتق . و الثانية : أنه مشتق . و في البحر المحيط : و الصحيح أن لفظ "الله" غير مشتق ، و أنه اسم علَم على الذات المقدسة تبارك وتعالى لا يشاركه فيه غيره فلم يتسمَّ به غيره ، و لذلك لا يثنى و لا يجمع . انتهى .

و في مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات : اسم الجلالة علَم على ذاته تعالى ، فهو أخص

الأسماء ، لأنه دال على الذات الموصوفة بصفات الإلاهية كلها . فهو اسم جامع لمعاني الأسماء الحسنى كلها . و ما سواه خاص بمعنى . فلهذا يضاف إليه جميع الأسماء و لا يضاف هو إلى شيء . و كلّ أسمائه للتخلق إلّا هذا الاسم فإنه للتعلّق فحسب . و حظّ العبد منه التولّه و هو استغراق القلب و الهمة به تعالى ، فلا يرى غيره و لا يلتفت لسواه . انتهى ما في المطالع .

و قال الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانلي النقشبندي رحمه الله تعالى في جامع الأصول ص١٦٦ : و اعلم : أن اسم الجلالة و العظمة و الهيبة و يقال اسم الذات هو لفظة "الله". و هذا الاسم الشريف موضوع للذات الإلاهية باعتبار اتصافها بجميع صفات الألوهية و أسماء الربوبية و الجلال و الجمال و الكمال .

وعند بعض العارفين هو اسم موضوع للذات البحت من حيث هي لا باعتبار الاتصاف بشيء ، لقوله تعالى : **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** . و بهذا الوضع كان أعلى من اسم الأحد و من سائر الأسماء الإلاهية من حيث الرتب .

و قيل : مشتق . و قيل : لا . و قيل : عربي . و قيل : لا . و قيل : موضوع لمعيّن . و قيل : لا . و قيل : مستعمل بجميع الألسنة . و قيل : لا . و الأصح أنه اسم الذات ، و جميع الأسماء و الصفات و الكمال مندرجة تحته ، و هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة و عند العارفين من أهل الطريقة . انتهى .

و اختار الشيخ الأكبر ابن عربي رحمه الله تعالى في تفسير سورة الإخلاص أن لفظة "هو" دالّة على الذات المقدسة من حيث هي هي من غير لحاظ صفات معها ، و الاسم "الله" اسم للذات مع جميع الصفات . و هذه عبارته :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . "قل" أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل . و "هو" عبارة عن الحقيقة الأحدية الصرفة أي الذات من حيث هي بلا اعتبار صفة لا يعرفها إلّا هو . و "الله" (أي اسم الله) بدل منه و هو اسم الذات مع جميع الصفات ، دلّ بالإبدال على أن صفاته تعالى ليست بزائدة على ذاته ، بل هي عين الذات ، لا فرق إلّا بالاعتبار العقلي .

و لهذا سميت سورة الإخلاص ، لأن الإخلاص تمحيص الحقيقة الأحدية عن شائبة الكثرة ،

كما قال عليّ كرّم الله وجهه : كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة . وإياه عنى من قال : صفاته تعالى لا هو ولا غيره . أي لا هو باعتبار العقل و لا غيره بحسب الحقيقة .

و "أحد" خبر المبتدأ . و الفرق بين الأحد و الواحد أن "الأحد" هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها . أي الحقيقة المحضة التي هي منبع العين الكافوري . بل العين الكافوري نفسه . و هو الوجود من حيث هو وجود بلا قيد عموم و خصوص و شرط عروض ولا عروض . و "الواحد" هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات . و هي الحضرة الأسمائية ، لكون الاسم "الله" هو الذات مع الصفة .

فعبر عن الحقيقة المحضة الغير المعلومة إلّا له "بهو" و أبدل عنها الذات مع جميع الصفات (أي اسم الله) دلالةً على أنها عين الذات وحدها في الحقيقة . و أخبر عنها بالأحدية ليدل على أن الكثرة الاعتبارية ليست بشيء في الحقيقة . و ما أبطلت أحديته و ما أثّرت في وحدته . بل الحضرة الواحدية الدال عليها الاسم "الله" هي بعينها الحضرة الأحدية الدال عليها لفظ "هو" و لفظ "أحد" بحسب الحقيقة كتوهُّم القطرات في البحر مثلاً .

"ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ" أي الذات في الحضرة الواحدية (أي مع اعتبار الصفات . و هذا معنى الاسم "الله") بحسب اعتبار الأسماء هو السند المطلق لكل الأشياء لافتقار كل ممكن إليه وكونه به . فهو الغني المطلق المحتاج إليه كل شيء . انتهى كلامه .

قلت : كلام ابن عربي هذا صريح في أن الاسم "الله" مثل الاسم "الواحد" و نظيره يعتبر فيه جميع الصفات و اتصاف الذات بها . بخلاف الاسم "هو" فإنه نظير الاسم "الأحد" و مثله يدل على الذات من حيث هي هي بلا اعتبار صفة .

و كلامه هذا يعارض ما اختاره في تفسير سورة الفاتحة أن "الله" اسم للذات الإلاهية من حيث هي هي . و قد مر ذكره في شرح القول الثاني فراجعه .

فصل
في بيان القول السابع

قال أصحاب القول السابع : إن الاسم "الله" علَم بالغلبة مأخوذ من أصل هو صفة لا اسم و هو "الإله". و اختاره العلامة البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في تفسيره : و الأظهر أن الاسم "الله" وصف في أصله ، لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره تعالى و صار له كالعلَم مثل الثريا و الصعق أجرِي مجراه في إجراء الأوصاف عليه ، و امتناع الوصف به ، وعدم تطرّق احتمال الشركة إليه .

لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر . فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ .

و لأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ "وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ" معنى صحيحًا .

و لأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركًا للآخر في المعنى و التركيب . و هو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة . انتهى .

حاصله أن الاسم "الله" أصله "إله" و هو صفة مشبهة على وزن فِعال بكسر الفاء .

إن قلت : هل جاءت الصفة على فعال في كلامهم ؟

قلت : نعم . جاءت الصفة على "فعال" بضم الفاء مثل شُجاع و بفتحها نحو جَبان و بكسرها كهِجان للبعير الأبيض . كذا في كتب الصرف .

قال العبد الضعيف البازي : قدح جمهور المحققين في مسلك البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ و من نحا نحوه . وردّوه و نبذوه وراءهم ظهريا و أبطلوا ما تمسك به المحقق البيضاوي و أتباعه بوجوه متعدّدة :

الوجه الأوّل : أنه يلزم أن لا يكون له تعالى باعتبار ذاته اسم موضوع بإزائه . و العرب وضعوا لكل شيء اسمًا يجري عليه صفاته . فكيف أهملوا خالق الأشياء و مبدعها . و معلوم أن الصفة و إن غلبت لا تكون بمثابة ما هو موضوع لشخصه تعالى نظرًا إلى عموم الصفة باعتبار أصلها .

الوجه الثاني : أنه لو كان وصفًا لم تكن كلمة التوحيد توحيدًا مثل "لا إله إلّا الرحمن" إذ لا منع من الشركة باعتبار الأصل و الاستعمال لأن الأعلام الغالبة تستعمل في المعنى العام أيضًا مثل استعمال "النجم" في مطلق النجوم .

الوجه الثالث : لو كانت كلمة التوحيد و هي "لا إله إلّا الله" مفيدة للتوحيد لكان قولنا "لا إله إلّا الرحمن" أيضًا مفيدًا له . لكنهم صرحوا أنه يصير الكافر مسلمًا بالكلمة الأولى دون الثانية ، مع أن "الرحمن" أيضًا مثل الاسم "الله" كما قال الزمخشري : إن "الرحمن" من الصفات الغالبة كالدبران و العيوق و الصعق لم يستعمل في غيره تعالى كما أن "الله" من الأسماء الغالبة . انتهى .

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره ج١ ص٨٩ : لو أن الكافر قال : أشهد أن لا إله إلّا الرحمن ، و إلّا الرحيم ، و إلّا الملك ، و إلّا القدوس ، لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام . أمّا إذا قال : أشهد أن لا إله إلّا الله . فإنه يخرج به من الكفر و يدخل في الإسلام . انتهى كلامه .

ولا يبعد أن يجاب عن الوجه الثالث أن الكافر يصير مسلمًا بقوله "إلا الرحمن" أيضًا كما صرح به العيني رَحِمَهُ اللهُ في شرح البخاري و غيره . و قد ذكرنا تفصيل هذه المسألة في باب آخر مستقل من هذا الكتاب فراجعه .

لكن يردّ قول العيني ما ذكره العلامة الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره حيث قال : و الإجماع منعقد على إفادة "إلّا الله" للتوحيد دون "إلّا الرحمن" و لسر أنه لو كان صفة كان مدلوله حينئذ المعنى لا الذات المعينة . فلا يمنع من الشركة و إن اختص استعمالاً بذاته تعالى . بخلاف ما إذا كان علمًا فإن مدلوله حينئذ الذات المعينة .

الوجه الرابع : قد أبطل المحقّق البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ نفسه الوجه الأوّل حيث قال في تعليقاته على تفسيره المشهور : وفيه نظر . إذ يكفي في الوضع تعقّله بوجه يمتاز به عما عداه من غير أن يعتبر ما به الامتياز في المسمى . فيمكن وضع العلَم لمجرد الذات المعقولة في ضمن بعض الصفات .

و قد تقرر في الكلام أنه يمكن أن يخلق الله تعالى العِلم بكنه ذات الله في البشر . و لأنه إنما يتمشّى لو لم يكن الواضع هو الله عزّوجلّ . و التحقيق أن تصور الموضوع له بوجه ما كافٍ في وضع

العَلَم ، و كذا في فهم السامع عند استعماله . انتهى . هذا ما أقرّ به المحقق البيضاوي نفسه في تعليقاته . و المرء مؤاخذ بإقراره .

الوجه الخامس : أمّا ما تمسك به البيضاوي ثانيًا ، ففيه أن الآية إن لم يكن من المتشابه أن العَلَم قد يلاحظ معه معنى به يصلح لتعلق الظرف كقولك : أنت عندي حاتم . و قوله :

أسدٌ عليّ و في الحروب نعامةٌ فتخاء تنفر من صفير الصافر

حيث لوحظ في "حاتم" معنى السخاوة ، و في "أسد" معنى الشجاعة . فليلاحظ هنا معنى المعبود بالحق لاشتهاره سبحانه بذلك في ضمن هذا الاسم .

على أنه يحتمل التعلق بيعلم في قوله تعالى "يَعْلَمُ سِرَّكُمْ" و الجملة خبر ثان أو هي الخبر ، و لفظ "الله" بدل . كذا قال الآلوسي .

الوجه السادس : هو ماذكره العلامة الآلوسي رحمه الله حيث قال : و أمّا الثالث ففيه أن المنكر لاشتقاقه لا يسلم التوافق في المعنى على أنه لا يستلزم الصفة أيضًا ككتاب و إمام .

الوجه السابع : أن الوجوه التي ذكرها البيضاوي رحمه الله في إبطال علميّته بالوضع تردّ دعواه لأنها كلها متوجهة تلقاء الغلبة . وهي و إن لم تكن تحقيقية ضعيفة بل تقديرية قوية لكنها على كل حال دون العلَمية الأصلية قوةً و شرفًا . فالعدول عن الأشرف في هذا الاسم الأقدس مما لايسوغ الإقدام عليه ، و دون إثبات الداعي نفي الرقاد و خرط القتاد .

فائدة شريفة

اعلم : أن للإمام الرازي رحمه الله ههنا كلامًا طويلاً توخيت أن أثبته في هذا المقام و أطويه على غرّه لكونه نافعًا جدًّا فيما نحن بصدده ، و موضِّحًا لما هو المطلوب في هذا الفصل ، و مشتملاً على بحث نفيس و بيان بديع . فهو جدير بأن يوضع هٰهنا و يعضّ عليه بالنواجذ ، و يعدّ من الحكمة التي هي ضالة المؤمن .

قال في تفسيره ج١ ص٦١ في بيان أنه هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا : اعلم : أن الخوض في هذه المسألة مسبوق بمقدمات عالية من المباحث الإلهية .

المقدمة الأولى : أنه تعالى مخالف لخلقه لذاته المخصوصة لا لصفة . و الدليل عليه أن ذاته من حيث هي هي مع قطع النظر عن سائر الصفات إن كانت مخالفة لخلقه فهو المطلوب .

و إن كانت مساوية لسائر الذوات فحينئذ تكون مخالفة ذاته لسائر الذوات لابد و أن تكون لصفة زائدة فاختصاص ذاته بتلك الصفة التي لأجلها وقعت المخالفة إن لم يكن لأمر ألبتة . فحينئذ لزم رجحان الجائز لا لمرجح . و إن كان لأمر آخر لزم إمّا التسلسل و إما الدور و هما محالان . فإن قيل : هي قولنا . فهذا يقتضي أن تكون خصوصية تلك الصفة لصفة أخرى و يلزم منه التسلسل و هو محال .

المقدمة الثانية : أنا نقول : إنه تعالى ليس بجسم و لا جوهر . لأن سلب الجسمية و الجوهرية مفهوم سلبي . و ذاته المخصوصة أمر ثابت . و المغايرة بين السلب و الثبوت معلوم بالضرورة .

و أيضًا فذاته المخصوصة ليست عبارة عن نفس القادرية و العالمية . لأن المفهوم من القادرية والعالمية مفهومات إضافية وذاته ذات قائمة بنفسها . والفرق بين الموجود القائم بالنفس وبين الاعتبارات النسبية و الإضافية معلوم بالضرورة .

المقدمة الثالثة : هي في بيان أنّا في هذا الوقت لا نعرف ذات الله المخصوصة و يدل عليه وجوه متعددة :

الوجه الأوّل : أنا إذا رجعنا إلى عقولنا و أفهامنا لم نجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى إلاّ أحد أمور أربعة : إمّا العِلم بكونه موجودًا . و إما العِلم بدوام وجوده . و إما العِلم بصفات الجلال ، وهي الاعتبارات السلبية . و إما العِلم بصفات الإكرام ، و هي الاعتبارات الإضافية .

و قد ثبت بالدليل أن ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الأربعة . فإنه ثبت بالدليل أن حقيقته غير وجوده . و إذا كان كذلك كان حقيقته مغايرة أيضًا لدوام وجوده ، و ثبت أن حقيقته غير سلبية و غير إضافية .

و إذا كان لا معلوم عند الخلق إلاّ أحد هذه الأمور الأربعة و ثبت أنها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت أن حقيقته المخصوصة غير معلومة للبشر .

الوجه الثاني : أن الاستقراء التام يدل على أنا لا يمكننا أن نتصوّر أمرًا من الأمور إلاّ من

طرق أمور أربعة :

أحدها : الأشياء التي أدركناها بإحدٰى هذه الحواسّ الخمس .

و ثانيها : الأحوال التي ندركها من أحوال أبداننا كالألم و اللذة و الجوع و العطش و الفرح و الغم .

و ثالثها : الأحوال التي ندركها بحسب عقولنا مثل عِلمنا بحقيقة الوجود و العَدم و الوحدة و الكثرة و الوجوب و الإمكان .

و رابعها : الأحوال التي يدركها العقل و الخيال من تلك الثلاثة . فهذه الأشياء هي التي يمكننا أن نتصورها و أن ندركها من حيث هي هي .

فإذا ثبت هذا و ثبت أن حقيقة الحق سبحانه وتعالى مغايرة لهذه الأقسام ثبت أن حقيقته غير معقولة للخلق .

الوجه الثالث : أن حقيقته المخصوصة علة لجميع لوازمه من الصفات الحقيقية والإضافية والسلبية . والعِلم بالعلّة علة للعِلم بالمعلول . ولو كانت حقيقته المخصوصة معلومة لكانت صفاته بأسرها معلومة بالضرورة . و هذا معدوم فذاك معدوم . فثبت أن حقيقة الحق تعالى غير معقولة للبشر .

المقدمة الرابعة : هي في بيان أن ذات الله تعالى وتقدّس و إن لم تكن معقولة للبشر فهل يمكن أن تصير معقولة لهم ؟ هذه مسألة لابد فيها من الاطّلاع على أقاويل العلماء فيها . وأقاويل العلماء مع ما لها و ما عليها مسطورة في كتب القوم فارجع إليها .

المقدمة الخامسة : هي في بيان أن البشر و إن امتنع في عقولهم إدراك تلك الحقيقة المخصوصة فهل يمكن ذلك العرفان في حق جنس الملائكة أو في حق فرد من أفراد جنس الملائكة ؟

الإنصاف أن هـذه المباحث صعبة و العقـل كالعاجز القاصر في الوفاء بها كما ينبغي . و قال بعضهم : عقول المخلوقات و معارفهم متناهية . و الحق تعالى غير متناه . و المتناهي يمتنع وصوله إلى غير المتناهي .

و لأن أعظم الأشياء هو الله تعالى و أعظم العلوم عِلم الله سبحانه وتعالى . و أعظم الأشياء لا يمكن معرفته إلّا بأعظم العلوم . فعلى هذا لا يعرف الله إلّا الله تعالى .

المقدمة السادسة : اعلم : أن معرفة الأشياء على نوعين : معرفة عرضية و معرفة ذاتية . أمّا المعرفة العرضية فكما إذا رأينا بناءً علمنا بأنه لابد له من بانٍ . فأما أن ذلك الباني كيف كان في ماهيته ، و أنّ حقيقته من أيّ أنواع الماهيات ، فوجود البناء لا يدل عليه .

و أمّا المعرفة الذاتية فكما إذا عرفنا اللون المعين ببصرنا و عرفنا الحرارة بلمسنا و عرفنا الصوت بسمعنا فإنه لا حقيقة للحرارة و البرودة إلّا هذه الكيفية الملموسة . ولا حقيقة للسواد و البياض إلّا هذه الكيفية المرئية .

إذا عرفت هذا فنقول : إنا إذا علمنا احتياج المحدثات إلى محدِث و خالق فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية . إنما الذي نفيناه الآن هو المعرفة الذاتية . فلتكن هذه الدقيقة معلومة حتى لا تقع في الغلط .

المقدمة السابعة : اعلم : أن إدراك الشيء من حيث هو هو أعني ذلك النوع الذي سميناه بالمعرفة الذاتية يقع في الشاهد على نوعين : أحدهما العِلم . و الثاني الإبصار . فإنّا إذا أبصرنا السواد ثم غمضنا العين فإنا نجد تفرقة بديهية بين الحالتين . فعلمنا أن العِلم غيرٌ و أن الإبصار غيرٌ .

إذا عرفت هذا فنقول بتقدير أنه يقال : يمكن حصول المعرفة الذاتية للخلق . فهل لتلك المعرفة و لذلك الإدراك طريق واحد فقط أو يمكن وقوعه على طريقين مثل ما في الشاهد من العِلم و الإبصار ؟

هذا أيضًا مما لا سبيل للعقل إلى القضاء به و الجزم فيه . و بتقدير أن يكون هناك طريقان : أحدهما المعرفة ، والثاني الإبصار ، فهل الأمر هناك مقصور على هذين الطريقين أو هناك طرق كثيرة و مراتب مختلفة ؟ كل هذه المباحث مما لا يقدر العقل على الجزم فيها ألبتة . انتهى كلام الإمام الرازي رحمه الله تعالى . هذا .

فصل
في القول الثامن

إيضاح القول الثامن أنّ "الله" عَلَم مأخوذ من أصل له . وذلك الأصل اسم لا صفة وهو "الإله". و المراد من العَلَم العلَم بالوضع لا بالغلبة . و به قال الزمخشري كما يعلم من فحوٰى كلامه في الكشاف ، و اختاره صاحب المدارك .

قال في الكشاف : و "الله" أصله "الإله" و نظيره "الناس" أصله "الأناس". و "الإله" من الأسماء الأجناس ، كالرجل و الفرس ، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق ، كما أن "النجم" اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا . و كذلك "السَّنة" على عام القحط و "البيت" على الكعبة و "الكتاب" على كتاب سيبويه . و أما "الله" بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره .

فإن قلت : أاسم هو أم صفة ؟

قلت : بل هو اسم غير صفة . ألا تراك تصفه ولا تصف به . لا تقول : شيء إله . كما لا تقول : شيء رجل . و تقول : إله واحد صمد . كما تقول : رجل كريم خير . و أيضًا فإن صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجري عليه ، فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها ، و هذا محال . انتهى بحذف .

كلام الزمخشري هذا صريح في أن اسم "الله" عَلَم و أن لفظ "إله" الذي هو أصل الجلالة و مأخذها اسم جنس لا صفة .

قال السيد السند رحمه الله تعالى في شرح الكشاف ج١ ص٣٠ : اختار العلامة الزمخشري أنه عربي . و أنه كان في الأصل اسم جنس ثم صار علمًا لذات المعبود بالحق . و أصله "الإله" و أنه مشتق من "أَلِهَ" بمعنى تحيّر . انتهى .

و **قال** السيد أيضًا : قول الزمخشري "ثم غلب على المعبود بحق" أي على الذات المخصوصة ،

فصار علمًا له بالغلبة منصرفا إليه عند الإطلاق كسائر الأعلام الغالبة . ثم أريد تاكيد الاختصاص بالتغيير ، فحذف الهمزة و صار "الله" بحذف الهمزة مختصًا بالمعبود بالحق . فإنه قبل حذف الهمزة و بعده علم لتلك الذات المعينة ، إلاّ أنه قبل الحذف أطلق على غيره إطلاق النجم على غير الثريا ، و بعده لم يطلق على غيره أصلاً . انتهى كلام السيّد .

قال العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي رحمه الله تعالى في مدارك التنزيل : "الإله" من أسماء الأجناس غلب على المعبود بالحق . و أما "الله" بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره تعالى ، و هو اسم غير صفة . انتهى .

قال الشيخ عبد الحق الدهلوي رحمه الله تعالى في شرح المدارك : قوله "ثم غلب على المعبود إلخ" أي ثم غلب "الإله" على ذات الواجب الوجود ، فصار علمًا له بالغلبة ، ثم أريد تاكيد اختصاص لفظ "الإله" به تعالى بتغييره ، فحذف الهمزة منه فصار لفظ "الله" آكد اختصاصًا بالمعبود بحق بسبب حذف الهمزة و الإدغام .

فالإله قبل حذف الهمزة و بعده علَم لكنه قبل الحذف أطلق على غيره تعالى إطلاق النجم على غير الثريا ، و بعده لم يطلق على غيره أصلا .

فإن الأعلام الغالبة تخالف الأعلام القصدية أي الوضعية من حيث أن علمية الأعلام الغالبة اتفاقية لم يكن اختصاصها بأشهر أفراد الجنس إلاّ لكثرة الاستعمال فيه . و ذلك لا ينافي جواز إطلاقها على غيره . بخلاف الأعلام القصدية فإنها بسبب كونها موضوعة ابتداءً لفرد معين من أفراد الجنس لايجوز إطلاقها على غيره . انتهى بحذف يسير .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : سنح لك من كلام الشيخ عبدالحق رحمه الله تعالى أن اسم "الله" من الأعلام القصدية لا الغالبة . و عبارة الكشاف و المدارك متحدة . فيكون مراد صاحب الكشاف بقوله : و أما "الله" بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق إلخ أيضًا العلمية القصدية . ثم إن كلام الشيخ عبد الحق رحمه الله تعالى كما لا يخفى تفسير لكلام السيد المذكور قبيل هذا . فيكون مراد السيد أيضًا ذلك . و الله أعلم .

و من ههنا علمت ضعف ما نسبه الكرخي إلى الزمخشري من أنّ الزمخشري قائل بأن "الله" علَم بالغلبة حيث قال الكرخي : و "الله" علَم على المعبود بحق . و عند الزمخشري أنه اسم جنس ، صار علَمًا بالغلبة من "أَلِهَ" بمعنى تحير . انتهى بحذف . كذا في تفسير الشيخ الجمل ج٤ ص٦١٨ .

قال الفاضل اليمني رحمه الله في تفسير قول صاحب الكشاف "ثم غلب على المعبود بحق إلخ" : جعل "الله" مختصًا بخلاف "الإله" مع أنه غالب و الغالب أيضًا مختص ، بناء على أن "الإله" في أصل وضعه قبل غلبته كان يستعمل في المعبود مطلقا . فأمّا "الله" فلم يستعمل إلاّ في المعبود بحق . انتهى .

فإن قلتَ : ذكر صاحب الكشاف أوّلاً أن "الإله" بمعنى المعبود فيكون صفة عنده أيضًا . فكيف قطع بعد ذلك بنفي الوصفية ههنا ؟

قلت : لم يذكر أنه بمعناه بل قال : هو اسم يقع على المعبود . و لا يلزم من ذلك كونه صفة ، كما أن الكتاب اسم يقع على المكتوب و ليس بصفة .

و بيانه أن الاسم قد يوضع لذات مبهمة باعتبار معنى معين يقوم بها ، فيتركب مدلوله من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصيّتها أصلا ، و من صفة معينة . فيصح إطلاقه على كل متصف بتلك الصفة . و مثل ذلك يسمى صفة . و ذلك المعنى المعتبر فيه يسمى مصححا للإطلاق كالمعبود مثلاً . و يلتزم ذكر موصوف معه لفظًا أو تقديرًا تعيينًا للذات التي قام بها المعنى .

و قد يوضع لذات معينة ولا يلاحظ معها شيء من المعاني القائمة بها . فيكون اسمًا لا يشتبه بالصفة قطعا كفرس و إبل . و قد يوضع لها و يلاحظ في الوضع معنى له نوع تعلق بها . و ذلك على قسمين :

الأوّل : أن يكون ذلك المعنى خارجًا عن الموضوع له ، و سببًا باعثًا لتعيين الاسم بإزائه ، كأحمر إذا جعل علمًا لولد فيه حمرة ، و كالدابّة إذا جعلت اسمًا لذوات الأربع في أنفسها و جعل دبيبها سببًا للوضع لا جزء من مفهوم اللفظ .

الثاني : أن يكون ذلك المعنى داخلاً في الموضوع له . فيتركب من ذات معينة و معنى مخصوص كأسماء الآلة و المكان و الزمان ، و كالدابّة إذا جعلت اسمًا لذوات الأربع مع دبيبها .

و هـذان القسمان أيضًا من الأسماء ، و المعنى المعتبر فيهما مرجِّح للتسمية لا مصحح للإطلاق . و لا يطّردان في كل ما يوجد فيه ذلك المعنى ، و لا يقعان صفة لشيءٍ . و لكنهما ربما يشتبهان بالصفات . والقسم الأخير أشدّ التباسًا ، لأن المعنى المعتبر في الوضع داخل في مفهوم كل واحد منهما .

و معيار الفرق أنهما يوصفان ولايوصف بهما على عكس الصفات . وحيث وجد في الاستعمال إله واحد ولم يوجد شيء إله مع كثرة دورانه على الألسنة عرف أنه من الأسماء دون الصفات . و هكذا حكم كتاب و لباس و إمام و سائر ما اعتبر فيه المعاني مع خصوصية ما للذات . انتهى .

قال الشيخ عبد الحق رحمه الله تعالى في شرح المدارك : اعلم : أن الاسم المقابل للفعل و الحرف ينقسم إلى اسم و صفة بأن يقال : الاسم إمّا أن يكون موضوعًا لذات معينة بلا اعتبار معنى من المعاني المتعلقة بها كالفرس و العلَم ، أو يكون موضوعًا لها باعتبار معنى كذلك كالرجل الموضوع للإنسان مع معنى الذكورة ، و كالأحمر إذا جعل علَمًا لشخص فيه حمرة ، و كأسماء الزمان و المكان و الآلة و الإمام و الكتاب . و إما أن يكون موضوعًا لذات مبهمة مع معنى معين كالضارب و المضروب و الحسن و الأحسن و الأحمر الغير الأعلام .

و يقال للقسم الأوّل : الاسم . و للثاني : صفة . فإن الأمثلة المذكورة للقسم الأوّل موضوعة لذات اعتبر فيها نوع تعين . بخلاف نحو الضارب والمضروب فإن الذات الملحوظة في مفهومه ليس فيها شائبة التعين بل هي معتبرة على وجه الإبهام بناء على أن الغرض الأصلي فيه الدلالة على المعنى المتعلق بها . و اعتبار الذات المبهمة إنما هو لضرورة أن المعنى لا يقوم بذاته . بخلاف نحو "الإمام" فإن المقصود فيه الدلالة على الذات المتعينة بما تعلّق بها من المعنى .

و المراد بالذات ههنا ما هو المستقل بالمفهومية سواء كان قائما بنفسه كالفرس ، أو بغيره كالعلَم . و بالمعنى ما لا يكون كذلك لاشتماله على نسبة ما و بالذات المعينة ما اعتبر فيها تعين ما شخصيا كان أو نوعيًا أو جنسيًا ، و بالمبهمة خلافها .

و الاسم جنس تحته أنواع ثلاثة : أسماء الأجناس و هو المراد بقولنا : إن "الإله" اسم . و أسماء الأعلام . والأسماء المشتقة . لأنّ الاسم إمّا أن يكون نفس تصوره مانعًا من الشركة أو لا يكون . و الأوّل

هو العَلَم . و الثاني إمّا أن يكون المفهوم منه نفس الماهية من حيث هي أو بشيء ما موصوفًا بالصفة الفلانية . و الأول اسم الجنس . و الثاني الاسم المشتق ، ويقال له : الصفة . و هي ما دلّ على ذات مبهمة باعتبار بعض أوصافه . انتهى .

فإن قلت : على تقدير كون "الإله" اسمًا ليس مخصوصًا في أصل الوضع بالمعبود بالحق . فلم يكن له تعالى اسم مخصوص تجري عليه صفاته . فلا يصح تمسك الزمخشري بأنه لو لم يكن اسمًا ثبت كون الصفات غير جارية على اسم موصوف بها . كذا قال العلامة الكازروني في حواشي البيضاوي و السيد في حواشي الكشاف .

قلت : المقصود إثبات مطلق الاسم الذي يوصف بالصفات لا إثبات الاسم المخصوص به تعالى فلا يرد .

إن قلت : الكلام في "إله" بدليل قوله : شيء إله . و تقول : إله واحد . و من الجائز أن يكون "إله" صفة و "الله" اسمًا لذاته . فلا يلزم بقاء صفاته غير جارية على موصوف .

قلت : إن لفظ "الله" هو "الإله" بحذف الهمزة . فإن كان "الإله" صفة كان "الله" أيضًا صفة و إن عرض له الاسمية لصيرورته علمًا . و المقصود أن "إلهًا" لو كان صفةً لم يكن لله في أصل الوضع اسم تجري عليه صفاته . كذا قال السيد الشريف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ .

إن قلت : لم لا يجوز أن يوضع لذاته باعتبار قيام معان بها ألفاظ . و لايوضع لخصوصية الذات اسم . ولا استحالة في ذلك . إنما المستحيل أن توجد صفات في نفس الأمر ، و لا يكون هنالك ذات موصوفة بها .

قلت : إن المراد من الاستحالة مخالفة القاعدة المعلومة من اللغة . فإن الاستقراء دال على أن كل حقيقة تتوجّه الأذهان إلى فهمها و تفهيمها فيما بين أهل اللغة قد وضع لها اسم يجري عليه صفاتها و أحكامها .

و إلى ذلك أشار بعض العلماء حيث قال : إذا كان "الله" صفة و سائر أسمائه صفات يلزم أن العرب لم تبق شيئًا من الأشياء المعتبرة إلاّ سمّته . ولم تسمّ خالق الأشياء و مبدعها . هذا محال .

و فيه بحث لأنه إن أراد أن "الله" اسم لذاته تعالى لا يقصد به معنى الصفة حال إطلاقه عليه كما هو الظاهر من عبارته ، فقد تمّ كلامه ، ولا يجديكم نفعًا لجواز أن يكون صفة في أصله ثم صار علمًا . و إن أراد أنه اسم في أصله فإثباته مشكل ، لما عرفت من أن إلهًا إذا جعل اسمًا فليس موضوعًا بإزاء ذاته . فلو كان الاختصاص العارض للاسم العام كافيًا في تسميته تعالى في اللغة كان الاختصاص العارض للصفة كافيًا فيها .

لا يقال : الاسم قبل الاختصاص أمكن أن يطلق عليه فتجري عليه صفاته . بخلاف الصفة قبل اختصاصها فتبقى الصفات حينئذ غير جارية على الموصوف .

لأنّا نقول : لو كفى في إجراء الصفات التعبير عنه باسم عام ، فليعبر عنه باسم آخر كلفظ الشيء مثلاً . و لا مخلص لمن زعم أنه اسم في أصله ، إلاّ أن يقول : لابد لجنس المعبود من اسم تجري عليه صفاته . فإنه معنى متعارف و ليس له سوى "إله" .

و لك أن تقول : الضمير في قوله "اسم هو أو صفة" راجع إلى "الله" إلاّ أنه بيّن اسميته في الدليل الأوّل بنفي الوصفية عن أصله ، و في الدليل الثاني بنفي الوصفية عنه حال إطلاقه عليه تعالى سواء كان اسمًا في أصله أو صفة . فيندفع الإشكال بحذافيره . انتهى كلام السيد الشريف .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي مستعينًا بالرحمن الذي كلّ دون كنه صفاته تحبير الصفحات ، و ضلّ هناك كُلّ تصاريف اللغات ، و تاه في حقيقة اسمه الأعظم الأئمة الثقات : ليس مراد الزمخشري إثبات اسمية الاسم "الله" فإنها ثابتة عند الجمهور . والخوض في الاستدلال على البديهي ليس من شان المحصلين . و الزمخشري أعقل و أجلّ من ذلك . بل مراده إثبات اسمية أصله و هو "الإله" ثم إنه لم يرُم أنه موضوع بإزاء ذاته تعالى . كيف و قد صرح هو من قبل أن "الإله" يقع على المعبود بحق أو باطل .

تنقيح المقام و تحرير المرام أن اسم "الله" بحذف الهمزة منقول من "إله". و "إله" اسم لا صفة . وذلك لوجوه خمسة . ثم في كون "إلهٍ" اسمًا اعتباران :

الأول : أنه اسم جنس كليّ فيه عموم . أي يعم الإله الباطل و الحقّ كما يدل عليه كلام الجمهور .

و عليه بناء الوجهين الأوّلين من الوجوه الخمسة القادمة .

والاعتبار الثاني : أنه مختص بالمعبود الحق و إن لم يكن علمًا له تعالى مثل اختصاص الشمس بمسماها و القمر بمعناه . و هذا الذي أختاره أنا و هو صواب و أرى أنّه إلهام من الله إن شاء الله تعالى .
و عليه بناء الوجوه الثلاثة الأخر من الوجوه الخمسة القادمة .

الوجه الأوّل : أن "الإله" باللام علَم بالغلبة . والأعلام الغالبة أغلبها أسماء أجناس في الأصل كالنجم و الكتاب و القرآن و البيت لبيت الله و الحديث لحديث الرسول ﷺ و المدينة لمدينته ﷺ . و المراد من أسماء الأجناس ما لا يكون مشتقا . ولم تثبت الغلبة في المشتقّات و الصفات إلّا قليلاً بل أقل كالصعق . و الأحرى إرجاع المتنازع فيه إلى الأغلب الأكثر . فثبت أن "إلهًا" اسم لا صفة .

الوجه الثاني : لو لم يكن "إله" اسمًا لما كان له تعالى اسم يجري عليه صفاته قبل وضع الاسم "الله" قبلية بالزمان إن كان الواضع غير الله تعالى .

و في الإبريز : قال العارف بالله صاحب الكشف الشيخ عبد العزيز الدبّاغ رحمه الله تعالى : أوّل من وضع الاسم "الله" هو أبونا آدم عليه الصلاة والسلام .

أو قبلية ذاتية فقط إن كان الواضع هو الله تعالى . فإن الجلالة على مسلك الزمخشري فرع "الإله" باللام ، و هو فرع "إله" بدون اللام ، و الفرع يقدمه ما هو أصلٌ له . هذا على تقدير كينونة "إله" غير مختص بذات الله تعالى .

الوجه الثالث : لا يبعد أن يقال : مراد الزمخشري أنه يجب لجريان صفاته تعالى من اسم موصوف من حقه أن يختص به تعالى مثل اختصاص لفظ الشمس بمسمّاه . وليس هو إلّا لفظ "إله" فإنه يقع على المعبود ، و المعبود ليس إلّا الله تعالى . فاقتضى معناه ألّا يطلق إلّا على الله تعالى .

و أمّا إطلاق المشركين على غيره تعالى "إلهًا" فعلى خلاف مقتضى معناه تعنُّتًا و تعجرفًا . فلاح أن لفظ "الإله" اسم لا صفة . و هذا كالاسم "الرجل" فإنه لو أطلقه أحد من أهل اللغة على فرد من النساء مع بقاء دلالة هذا اللفظ على معنى الرجلية بزعم اتّصافهن بها لكان ذلك سفهًا و تعنُّتًا .

فلا يرد ما قال السيد رحمه الله تعالى في بيان تساوي الأمرين مآلاً أي مآل كون إله اسمًا أو صفة واحد :

إن "إلهًا" إذا جعل اسمًا فليس موضوعًا بإزاء ذاته تعالى . فلو كان الاختصاص العارض للاسم العام كافيًا في تسميته تعالى في اللغة كان الاختصاص العارض للصفة كافيًا فيها .

و وجه عدم الورود أن "إلهًا" و إن لم يكن علمًا موضوعًا بإزاء ذاته تعالى لكنه مختص به تعالى حسب اقتضاء معناه اختصاص لفظ الشمس بمساه و القمر بمعناه .

و أيضًا لا يرد ما قال السيد : إنه لو كفى في إجراء الصفات التعبير عنه باسم عام فليعبر عنه باسم عام آخر كلفظ الشيء مثلاً .

و وجه عدم الورود أن معنى الشيء لا يقتضي أن لايطلق لفظ "الشيء" على غيره تعالى ، و ليس من حقه ذلك ، بخلاف "إله" كما ذكرنا .

و لذا قال الإمام الراغب : و "إله" حقه أن لايجمع ، إذ لا معبود سواه ،لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه فقالوا : الآلهة . قال تعالى : أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا . و قال : وَ يَذَرَكَ وَ ءَالِهَتَكَ . انتهى .

الوجه الرابع : و أيضًا لم يكن عموم لفظ "إله" مسلمًا عند العرب مثل عموم "إنسان" بل إنما كان عاما عندالوثنيين منهم . و أما عندالموحّدين منهم في الإسلام كالمسلمين أو في الجاهلية كأبي بكر و قس بن ساعدة و زيد و ورقة و غير هؤلاء فلا . مع كينونة الموحّدين أيضًا من أهل اللغة . فلا يصح القول بإطلاق عموم لفظ "إله" في اللغة . و هذا كما سمّى النصارى عيسى على نبينا و عليه الصلاة والسلام باسم "الله" أو باسم "الإله" لزعمهم الباطل .

فثبت أنه ليست هذه التسمية ولا تسميتهم الوثن "بإله" أمرًا لغويًّا فقط بل هو أمر لغويٌّ اعتقاديّ ، أي متفرّعٌ على الاعتقاد . والفرق أن الاسم اللغوي المحض وكذا التسمّي اللغوي لا يستنكر عند أهل اللغة . و اللغوي الاعتقادي ينكره الغير المعتقد و يسلّمه المعتقد لذلك .

ثم عند الاحتياج إلى التسمية ربما يسمّيه الغير المعتقد أيضًا "بإله" و "آلهة" ضرورة . فيقول مثلا ما تسمُّونه إلهًا . أي بزعمكم الباطل فهو لا يخلق ذبابًا ولا أدنى منه و نحو ذلك .

و لذا لم يستعمل "إله" في القرآن للمعبود الباطل بدون الإضافة غالبا ، كقوله تعالى : أَمْ لَهُمْ

ءَالِهَةٌ . وقوله : وَ يَذَرَكَ وَ ءَالِهَتَكَ . إلاّ في مقام لا يصح هناك الإضافة ، كما في قوله تعالى : لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ . الآية . حيث لايسوغ ههنا " آلهتكم " كما لا يخفى على اللبيب الأريب . وكذا في مقام نفي مطلق الشركاء لله تعالى مع قطع النظر عن معبوداتهم ، كما قال :إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ .

قال الرازي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره ج١ ص٨٩ : قال الخليل : أطبق جميع الخلق أن قولنا "الله" مخصوص بالله تعالى . وكذلك قولنا "الإله" مخصوص به تعالى . و أما الذين يطلقون اسم "الإله" على غير الله فإنما كانوا يذكرونه بالإضافة كما يقال : إله كذا . أو ينكرونه فيقولون كما أخبر عن قوم موسى : ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . انتهى كلامه .

و مراد الخليل أن "الإله" باللام أو بدونها خاص به تعالى كما يدل عليه ما ذكر من الآية . والله أعلم .

و نظير ذلك تسمية المعتزلة كل عبد خالقًا ، لزعمهم أنه خالق أفعاله الاختيارية . و أنكرها أهل السنة و الجماعة كل الإنكار . فكما لايكون اسم الخالق عامًا لغة عندنا مع ثبوت قول المعتزلة بالعموم كذلك لا يكون "إله" عندنا و عند الموحّدين من العرب الأقحاح قبل الإسلام عامًا لغة و إن كان عند المشركين عامًا .

فليس لنا أن نقول عند بيان اللغة مطلقًا : إنّ "الإله" عام عند العرب و في لغة العرب . بل نقول : إنه عام في اعتقاد المشركين منهم . فثبت من هذا البيان الدقيق أن اسم "إله" مختص لغةً به تعالى فلا يرد أنه عام لا يجدي نفعًا .

الوجه الخامس : و أيضًا لك أن تقول : إن "إلهًا" ليس عامًا وضع للمعبود بحق أو بباطل ، بل هو لا يطلق إلاّ على المعبود بحق عند الموحّدين و المشركين جميعًا . و أمّا الذي نسميه نحن معاشرَ المسلمين المعبودَ بباطل فهو معبود بحق حسب زعم المشركين . فنطلقه على معبودهم حسب زعمهم ، و نقيّده بأنه معبود بباطل حسب اعتقادنا . و إذ ليس في الواقع المعبود بحق غير الله تعالى فكأنه ثبت بالاتفاق عندنا و عندهم أنه لا يطلق "إله" إلاّ على المعبود بحق و هو الله تعالى .

أما عندنا فظاهر . و أما عندهم فلأنهم لو استيقنوا أن ليس المعبود بحق إلاّ الله عزّوجلّ و أن

ما يعبدونه من دونه تعالى باطل لحرّموهم أيضًا إطلاق "إله" على غيره تعالى . إذ لم يطلقوه على غيره تعالى إلّا لأنه مثل الله تعالى حق عندهم و معبود في زعمهم .

و لما كان دلائل توحيده تعالى باهرة و آثار قدرته تعالى و جبروته ظاهرة و أوضحه القرآن و ما بعد بيان القرآن بيان جعل زعمهم كالسراب في التراب أو كنعيق الغراب . وحق لنا أن نقول : إن "إلهًا" اسم خاص به تعالى موصوف يجري عليه صفاته و إن لم يكن علمًا .

هذا ماخطر ببال هذا العبد الضعيف من التحقيق الدقيق المنيف ، والبحث الوثيق الشريف . و ظنّي أنّه إلهام من الله اللطيف . نَعَم هو من عجائب النفائس و غرائب العرائس التي تتسلّى بمطالعتها القلوب ، و تتجلّى بسماعها الكروب ، وتتحصّل بمشاهدتها قرة النواظر ، وتتسهّل بتفهّمها مسرّة الخواطر . وكفى بالقلادة ما أحاط بالعنق . فاغتنم هذه الجواهر الخفيّة والبدائع البهيّة فإنها من سوانح الوقت و من أعزّ خصائص هذا الكتاب . والحمد لله و المنة .

قال العبد الضعيف البازي : ثم بعد الفراغ من نسخ هذا البحث وجدت للشيخ الحاتمي رحمه الله تعالى كلامًا في الفتوحات ج٤ ص٩١ ، الباب الخامس و الستون و أربعمائة ، يشير إلى ما سطرت بل يؤيد ما نمقت ، حيث صرَّح أن الصنم ليس بإله مطلقًا ولا يسمّى به لغة . قال هذا الشيخ :

ثم لمّا كان لمتوهم أن يقال : إن قول رسول الله ﷺ لأصحابه يوم أحد : قولوا الله أعلى و أجل . أي أعلى من هبل ، في جواب قول المشركين "أعل هبل" يدل على تحقق ألوهة هبل . لأن صيغة التفضيل يدل على المشاركة في نفس الألوهية .

يجاب عن هذا الوهم بأن المفاضلة ليست بين "الله" و "هبل" حتى يتوهم ذلك ، بل المفاضلة إنما هي بين الاعتقادين المتعلقين بالله تعالى . أي الله تعالى أعلى في اعتقادنا منه في اعتقادكم . فإنهم كانوا مقرّين بأن الله خالق السموات و الأرض . قال الله تعالى حكاية : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . و هذا مثل قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ . أي أشد حبًّا لله من حبّ الكفار له تعالى .

و أجاب الشيخ ابن العربي في الفتوحات بجواب آخر . و هذا كلامه قال :

ألا ترى إلى المشركين لما قالوا : أُعلُ هبل أُعلُ هبل . و " هبل " اسم صنم . فقال النبي ﷺ

لأصحابه : قولوا "الله أعلى و أجلّ" . يعني بالمفاضلة عندهم في اعتقادهم ، فساقه في معرض الحجة عليهم . لأن النبي ﷺ ما دعاهم إلاّ إلى الإيمان بالله الذي هو عندهم و في اعتقادهم أعلى وأجل من هبل و من سائر الآلهة بما قالوه عن نفوسهم . فقالوا : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . فاتخذوهم حجبةً . فالله أعلى و أجل من "هبل" عندهم .

فكان ذلك تنبيهًا من رسول الله ﷺ للمشركين . فإنه في نفس الأمر ليس هبل "بإله" حتى يكون الله أعلى و أجل في الألوهة من هبل . ولو قالها رسول الله ﷺ على طريق المفاضلة في نفس الأمر لكان تقريرًا منه ﷺ لألوهة "هبل" إلاّ أن الله أعلى منه و أجل في الألوهة . و هذا محال على النبي ﷺ و على كل عالم أن يعتقده ، لأنه الجهل المحض على كل وجه . انتهى كلامه .

و قال في فتوحاته ج٣ ص٤٩٤ : و اعلم : أن المفاضلة في الأسماء الإلهية مثل "أعلى" و "أجلّ" في قول رسول الله ﷺ حين قال المشركون في رجزهم : اُعل هبل ، اُعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : قولوا . فقالوا : يا رسول الله ! و ما نقول ؟ قال : قولوا "الله أعلى و أجلّ" .

و هم يسلّمون هذا القدر . فإنّهم القائلون : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . فهو عندهم أعلى و أجل . فلو صدقوا رسول الله ﷺ في أنه رسول من عند الله الذي يطلبون التقرب إليه بعبادة هؤلاء الآلهة فما سمّوهم آلهة إلاّ لكونهم جعلوهم معبودين لهم .

لأن الإله هو المعبود و الإلهة العبادة . و قد قرئ : و يذرك و إلهتك . أي و عبادتك . و إذا قال : و آلهتك . يقول : و المعبودين الذين نعبدهم .

فلما نسبوا الألوهية إلى الذين عبدوهم و نسبتها إلى الله أتم و أعظم عندهم باعترافهم لذلك قال رسول الله ﷺ ببنية المفاضلة في ذلك . يقول لهم . أي هذا قولكم و اعتقادكم . و لهذا جاء في التكبير في الصلاة لفظة "الله أكبر" ببنية المفاضلة . لا أن الحجارة أفضل ولا ما نحتوه ولا ما نسبوا إليه الألوهية من كوكب وغيره . انتهى كلامه .

فهذه العبارات تشير إلى أن المشركين ما أطلقوا على أصنامهم آلهة إلاّ لزعمهم أنها آلهة بالحق . أي معبودون بطريق الحق عندهم . والله أعلم بالصواب .

فصل
في ذكر أدلّة نفاة العَلَميّة

قد اطّلعتَ اطّلاعًا على ما أسلفنا ذكره من بسط أقاويل العلماء الذين أنكروا علَميّة الاسم "الله" و نفوها . و نريد الآن أن نبسط في هذا الفصل دلائل ذكرها هؤلاء النافون لإثبات دعواهم . ثم لكون دعواهم غير مختارة عندنا و عند غير واحدٍ من الأئمّة والعلماء المحقّقين نذكر بعد ذكر كل دليل لهم جوابه و نقضه رومًا لإثبات ما هو حقّ و إبطال ما هو باطلٌ . فأقول و بالله التوفيق :

الدليل الأوّل : أن وضع العلَم بإزاء ذاته تعالى موقوف على تعقُّل ذاته المتعالية . و ذات الله تعالى غير معقولة للبشر . فلا يمكن أن يدل عليها بلفظ .

قال العلامة السيد الشريف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في شرح المواقف : من ذهب إلى جواز تعقل ذاته تعالى جوّز أن يكون اسم لحقيقته المخصوصة . و من ذهب إلى امتناع تعقل ذاته تعالى لم يجوّز . لأن وضع الاسم لمعنًى فرع تعقله و وسيلة إلى تفهيمه . فإذا لم يمكن أن يعقل و يفهم فلا يتصور وضع اسم بإزائه .

و فيه بحث . لأن الخلاف في تعقُّل كنه ذاته ، و وضع الاسم بإزاء ذاته لا يتوقف عليه . إذ يجوز أن يعقل ذات بوجه من الوجوه و يوضع الاسم لخصوص تلك الذات و يقصد تفهيمها باعتبارٍ مّا لا بكنهها . و يكون ذلك الوجه مصحِّحا للوضع و خارجًا عن مفهوم الاسم على ما عرف أن لفظ "الله" اسم علَم له موضوع لذاته من غير اعتبار فيه . انتهى .

قال العلامة الكازروني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : لا يلزم من عدم العِلْم بشخص معين من حيث هو شخص معين جزئي عدم إمكان وضع الاسم له . ألا يرى أن لفظة "هذا" مثلاً موضوع لكل شخص من الأشخاص . وكذا لفظ "أنا" و "أنت" على ما قرر في موضعه ، مع أن هذه المعاني غير معلومة لنا بأعيانها على الوجه الجزئي ، بل يستحيل العِلم على الوجه المذكور . انتهى .

قال العلامة النيسابوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : وضع الاسم للذات لا ينافي عدم إدراكها كما ينبغي . و إنما ينافي عدم إدراكها مطلقا . فيجوز أن يقال : الشيء الذي يدرك منه هذه الآثار و اللوازم مسمّى هـذا اللفظ .

انتهى .

قيل : فيه بحث . إذ في الصورة المذكورة كان اللفظ موضوعًا بإزاء مفهوم مبدأ هذه الآثار . و هو ليس بالذات المشخص المعروض . و إنما الذات ما صدق عليه هذا المفهوم و ليس بموضوع له .

أقول : مراد العلامة النيسابوري أن ما صدق عليه المفهوم المذكور موضوع له و إن كان غير معلوم بعينه . لا أن يكون الموضوع له هذا المفهوم الكلي . و هذا كما في الوضع العام و الموضوع له الخاص .

فائدة مهمة

لما أفضى بنا الكلام إلى العِلْم بكنه الله تعالى ناسب أن نخوض فيه من غير استقصاء كي ينجلي المرام و ينكشف الغبار عن الأوهام ، والله ولي الكلام .

فأقول و على الله الاعتماد و التكلان وهو الموفّق و المستعان : قد جوَّز ابن سينا و المتكلمون تعقُّل ذاته تعالى و معرفتها .

قال بعض شراح سلم العلوم : أمّا تعقله تعالى بالنسبة إلى الممكن فاختلف فيه . قال أفضل المحققين : و قد اتفق أهل الملل و النحل على عدم وقوع عِلمه بكنهه تعالى . لكنهم اختلفوا في إمكانه . فذهب أهل الملة و الصوفية الصافية و جمهور الحكماء إلى استحالته . و يفهم من كلمات الشيخ أبي علي بن سينا إمكانه مع عدم وقوعه . انتهى كلامه .

و قال شارح الطوالع : مذهب الحكماء والغزالي منا و ضرار من المتقدمين أن الطاقة البشرية لا تفي بمعرفة ذاته تعالى . لأنّ معرفة ذاته إمّا بالبداهة أو بالنظر . و كل منهما باطل .

و خالف المتكلمون الحكماءَ و منعوا الحصر بأنا لا نسلم أن طريق المعرفة منحصرة في البداهة و النظر . فإنه يجوز أن يعرف بإلهام و تصفية النفس و تزكيتها عن الصفات الذميمة . وألزمهم المتكلمون بأن حقيقة الله تعالى هو الوجود المجرد ، و هو معلوم عندهم بالبداهة . انتهى كلامه .

و استدل الحكماء القائلون باستحالة معرفة ذاته تعالى على مرامهم بدلائل مسطورة في المطوّلات بالتفصيل نسطر ههنا نبذًا منها فنقول :

منها ، ما حاصله : أن العِلْم حصول الصورة في العقل . و الله منزه عن أن يحصل في العقل . و ليس له ماهية كلية تتجرد لتحصل في العقل . فامتنع علمه تعالى بالكنه و بكنهه .

يقول العبد الضعيف البازي : هذا الدليل لاينتهض على المتكلمين . لأن العِلم عندهم إضافة أو ذات إضافة لا الصورة . و الإضافة بينه تعالى و بين الممكن ممكن . فيمكن علمه تعالى .

قال الفخر الرازي في المحصل : ذهب ضرار من المتكلمين و الغزالي إلى أنّا لا نعرف حقيقة ذات الله تعالى و هو قول الحكماء . و ذهب جمهور المتكلمين منّا و من المعتزلة إلى أنها معلومة . حجة المتكلمين و المعتزلة أنّا نعرف وجوده تعالى و هو عينه تعالى فنعلم ذاته . انتهى .

إن قلت : مارأى أهل الطريقة و الصوفية في هذه المسألة ؟

قلت : لأهل الطريقة و الصوفية في هذه المسألة قولان : فذهب بعضهم إلى إمكان معرفة كنه الله تعالى . و ذهب البعض إلى امتناعها . و لكل وجهة هو مولّيها . قال في كتاب التعرف في معرفة التصوف : و قال رجل للنوري رحمه الله : ما الدليل على الله تعالى ؟ فقال : الله . قال : فما بال العقل ؟ قال : العقل عاجز و العاجز لا يدل إلّا على عاجز مثله . انتهى . قيل :

لا يعرف الحقّ إلّا من يُعرّفه ... لا يعرفنّ القديمَ المحدثُ الفاني

و احتج على استحالة معرفة كنه الله تعالى بعض المحققين و يتوقف بيانه على مقدمة .

و هي : أن حصول الشيء في الذهن ليس من قبيل حصول الشيء في الزمان أو المكان حتى يكون علاقته مع الذهن علاقة المظروف مع الظرف . بل ذلك من قبيل حلول الحال في المحل و قيام النعت بالمنعوت . لأن الصورة الحاصلة في الذهن لا تصير عِلمًا إلّا بعد ملاحظة قيامها بالذهن .

و بعد تمهيد هذه المقدمة نقول : لو حصل كنه الله تعالى في الذهن لقام به قيام النعت بالمنعوت ، و حلّ فيه حلول الحالّ في المحل . لكن التالي باطل فالمقدم أيضًا باطل .

وجه الملازمة ما ذكرنا في المقدمة المذكورة . و أمّا وجه بطلان التالي فلأن الحالّ يفتقر إلى المحل و النعت إلى المنعوت . إمّا بهويته كما في الصورة الجسمية فإنها محتاجة في هويّتها أي تشخصها إلى

المحل ، وهو الهيولى . و إما بماهيته أيضًا كما في الأعراض . لأنها بماهيتها تحتاج إلى مطلق المحل ، و بهويتها إلى المحل الخاص . والافتقار بأيّ نوع كان ينافي شان الواجب . تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا . فثبت أن حصول كنهه تعالى في الذهن و العِلم به محال . و قد استقصينا هذا البحث في كتبنا في المنطق . ولله الحمد .

قال الشيخ ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : سمعت شيخي العارف عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول : الله تعالى مقدس منزه لا يشبه بشيء من المخلوقات . وكل ما يصوّره الفكر فالله تعالى بخلاف ذلك . لأنّ كل ما يصوّره الفكر فهو موجود في مخلوقات ربنا سبحانه و تعالى . لأن الفكر لا يصوّر إلّا ما هو مخلوق . فكل ما في الفكر له مِثل ، و الله تعالى لا مِثل له .

فقلت : فإن الفكر يتصور إنسانا مقلوبًا يمشي على رأسه . فقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : والله لقد شاهدته يمشي كما تصوره الفكر و يده ساترًا بها فرجه . فهي بمنزلة الحجاب له ، ولا يزيلها إلّا إذا أراد قضاء حاجته من حدث أو جماع . انتهى .

و **قال** في الإنسان الكامل : اعلم وفقنا الله و إياك : أن الحق تعالى لا يمكن دركه على الحيطة و الاستيفاء أبدًا لا لقديم و لا لحديث . أمّا القديم فلأن ذاته لا تدخل تحت صفة من صفاته ، و هي العِلم . فلا يحيط بها و إلّا لزم منه وجود الكل في الجزء . تعالى الله عن الكل و الجزء . فلا يستوفيها العِلم من كل الوجوه . بل يقال : إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يجهل نفسه لكن يعرفها حق المعرفة . ولا يقال : إن ذاته تدخل تحت حيطة صفة العِلمية و لا تحت صفة القدرة . تعالى الله . و كذلك المخلوق فإنه بالأولى . انتهى .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ج٢ ص١٥٢ : و من ذلك أي مما يغترّ به السالك رؤية كونه من أهل المعرفة بالله تعالى المعرفة الخاصة عند القوم . و إلّا فكل حادث يعلم أن له مُوجِدًا . و إن من شيء إلّا يسبِّح بحمده . و تقع هذه الدعوى كثيرًا من الفقراء .

حتى سمعت منهم من يقول : إن الذات المقدسة تُعلَم . و هذا جهلٌ . و لذلك ورد : لا تتفكروا

في ذات الله تعالى . و قال تعالى : وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ . يعني أن تتفكروا فيها فتحكموا عليها بأمر أنها كذا و كذا .

و اعلم : أنّه ما بأيدينا من العِلم به سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلّا صفات تنزيه أو صفات أفعال . و من زعم أن عنده عِلمًا بصفة نفسية ثبوتية لله تعالى فزعمه باطل . لأنها كانت تحدّه و لا حدّ لذاته . فهذا باب مغلق دون الخلق لا يصح أن يفتح . انفرد به الحق سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ . و قد قال سيد العارفين و المرسلين ﷺ : اللّهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك . فهذه أسماء لا يعلمها إلّا هو سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ . فانظر أدبه ﷺ .

إذا علمت ذلك فلا يصل الخلق في معرفتهم بالله تعالى إلّا إلى أفعال المقاربة ، و هي "كاد" و أخواتها . فلذا زجر العارفون و ردعوا مَن ادعى أنه علِم ذات الحق تعالى ، لما فهم من قوله تعالى : وَ بَدَا لَهُمۡ مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُوا۟ يَحۡتَسِبُونَ . فهي من أشد آية على العارفين .

لأن الأمر لا قرار له . و لولا ما شرع الله تعالى للعقلاء بنصبه الأدلّة ما ساغ التفكر لأحد . و لولاها لما طالب الحق بمعرفته ، لعلمه أن الخلق عاجزون عن معرفته حق المعرفة . سبحانك ما عرفناك حق معرفتك . لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . فعلم ﷺ أن ثم أمرًا لا يحاط به . و لهذا قال الصديق الأكبر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ : العجز عن درك الإدراك إدراك . انتهى .

قال المحقق الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسير قوله تعالى "مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ" ج١٧ ص٢٠٢ : قال الأخفش : أي ما عرفوه حق معرفته . فإن معرفته تعالى حق معرفته التصديق به سبحانه موصوفًا بما وصف به نفسه .

و قيل : حق المعرفة أن يعرف سبحانه بكنهه . و هذا هو المراد في قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : سبحانك ما عرفناك حق معرفتك . و قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : تفكروا في آلاء الله تعالى و لا تفكروا في ذاته فإنكم لن تقدروا قدره . و قول الصديق الأكبر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ : العجز عن درك الإدراك إدراك . و قول علي كرم الله وجهه متما له بيتًا :

ع و البحثُ عن سرّ ذات الله إشراك

بل قال حجة الإسلام الغزالي وشيخه والصوفية رحمهم الله و الفلاسفة بامتناع معرفته سبحانه بالكنه . و نقل عن أرسطو أنه قال في ذلك : كما تعتري العين عند التحديق في جِرم الشمس ظلمةٌ و كدرةٌ تمنعها عن تمام الإبصار كذلك تعتري عند إرادة اكتناه ذاته تعالى حيرة و دهشة تمنعه عن اكتناهه سبحانه . و هذا كلام خطابي لا يفيد إلّا الظن .

و مثله الاستدلال بأن جميع النفوس المجردة البشرية و غيرها مهذَّبة كانت أو لا أنقص تجردًا و تنزهًا من الواجب تعالى . و الأنقص يمتنع له اكتناه مَن هو أشد تجردًا و تنزهًا منه ، كامتناع اكتناه الماديات للمجردات .

و كذا الاستدلال بكونه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ، فيمتنع إدراكه كما يمتنع إدراك البصر ما اقترب من البصر و اتصل به . هذا .

قال العبد الضعيف البازي : حسبُك هذا القدر من بحث تعقُّل كنه الله تعالى جوازًا و منعًا . ولم ندرج هذا البحث هٰهنا إلّا تبعًا و فرعًا . و الشيء بالشيء يذكر . فإن خيرًا فيُشكَر و يُنصَر و يُظهَر و يُنشَر و يُسطَر ، وإن شرًّا فيُنكَر فيُحذَر فيُحظَر فيُفزَر فيُطمَر أو يُغمَر . و البحث المذكور بحثٌ دقيق طيّبات الثمرات و بيان وثيق كأنه رياض تتأرّج بنسمات السمات ؟

و هكذا ترى مرّات وتشاهدكرّات عند مطالعة الأبواب من هذا الكتاب ما أودعتُه نفائس سامية و عرائس عالية بدورها في التمام ، و رصَّعتُه بجواهر غالية تروق في سطور التاليف الكلام و تتألّق في كلمات الانتظام المرام ، و رشّحتُ أبوابه بألطاف التحايا العلمية ، و أصناف الهدايا القلميّة . ولله الحمد و المنّة ولا فخر . و بسط هذا البحث في شرحي على شرح السلم للقاضي ، إن شئته فراجعه .

ثم نرجع إلى سرد أدلّة نفاة العلَمية بالوضع فأقول :

الدليل الثاني : أن اسم العلَم إنما يصار إليه ليتميز شخص عن شخص آخر يشبهه في الحقيقة والماهية . و إذا كان هذا في حق الله تعالى ممتنعًا كان القول بإثبات الاسم العلَم محالًا في حقه .

الدليل الثالث : أن اسم العـلَم قائم مقام الإشارة ، كما صرّح به غير واحد من العلماء . فلما كانت الإشارة ممتنعة في حق الله تعالى كان اسم العلَم ممتنعًا في حقه .

و الجواب : أن كلاالدليلين ضعيف . أمّا الدليل الثاني فوجه ضعفه أن الاسم العلَم هو الذي وضع لتعيين الذات المعينة ، ولا حاجة فيه إلى كون ذلك المسمّى مشارا إليه بالحسّ أم لا . و أمّا الدّليل الثالث فلا يخفى على المتيقّظ أن وجه ضعف الدليل الثاني هو وجه ضعف الثالث أيضًا . والجواب عن الثاني هو الجواب عن الدليل الثالث أيضًا . كذا قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره ص٨٦ .

الدليـل الرابـع : قولـه تعالى : **وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ** . و قولـه : **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** . فإن قوله "اللّه" لابد و أن يكون صفة ، ولا يجوز أن يكون اسم عَلَم بدليل أنه لا يجوز أن يقال : هو زيد في البلد و هو بكر فيه . و يجوز أن يقال : هو العالم الزاهد في البلد . و بهذا الطريق يعترض على قول النحويين "إن الضمير لا يقع موصوفًا ولا صفة" . و إذا ثبت كون اسم "اللّه" صفة امتنع أن يكون اسم علَم .

و الجواب كما في روح المعاني : إن لم نقل إن الآية من المتشابه . فالعَلَم قد يلاحظ معه معنى به يصلح لتعلق الظرف كقولك : أنت عندي حاتم ، أي سخيٌّ جوادٌ . و قوله :

أسدٌ عليّ و في الحروب نعامةٌ فتخاء تنفر من صفير الصافر

قوله " أَسدٌ عليّ " أي شجاعٌ و جريءٌ . فليلاحظ ههنا المعبود بالحق ، لاشتهاره سبحانه بذلك في ضمن هذا الاسم المقدس . علا أنه يحتمل التعلق "بيعلم" في قوله تعالى : **يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ** . الآية . والجملة خبر ثان أو هي الخبر و لفظ "اللّه" بدل . انتهى .

و قيل : الجار و المجرور متعلق بمقدر مثل المعبود و نحوه . والتقدير : و اللّٰه المعبود في السمٰوات و في الأرض . انتهى .

قال العبد الروحاني البازي ، وفّقه اللّه لما يرضاه و جعل كتابه هذا و جميع كتبه المصنفة ذخيرة لعقباه : الذي قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله "وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ" : "إن العَلَم قد يلاحظ معه معنًى به يصلح لتعلق الظرف" صوابٌ و بحث لطيف صحيح . و هذا البحث من قبيل عمل الاسم الجامد كالعَلَم و اسم الجنس بلحاظ معنى الوصف فيه . و لي في عمل الاسم الجامد عند ملاحظة معنى الوصف فيه رسالة بديعة أوردت فيها لطائف و بدائع .

قال العلامة السيد الشريف رحمه الله تعالى تحت قول الزمخشري " أسدٌ عليّ " البيت ، ج١ ص١٥٨ : جاز تعلّق الظرف " بأسد " لملاحظة ما يلزمه من الجراءة ، لا أنه استعمل في معنى مجترئ أو صائل . و إلّا كان مجازا مرسلاً . فإن معنى التشبيه بالكلية كما في قولك : زيد شجاع أو مجترىء . وكذلك الحال في "نعامة" يلاحظ معها معنى الجبن و الفرار .

و ما قيل : من أن أسدًا في "زيد أسد" مستعمل في المشبه أي المجترئ ،فيكون استعارة ، مردود بأن هذا المجموع ليس مشبهًا بالأسد . فإن الشجاعة خارجة عن الطرفين اتفاقًا .

فالحق أن "أسدًا" مستعمل هناك في معناه الحقيقي ، و قد حمل على "زيد" بناء على دعوٰى كونه من أفراده .

ثم إنه قد يلاحظ على سبيل التبعية لمعناه الحقيقي ما يلزمه من الجراءة و الصولة و غيرهما من المعاني الملازمة ، فيعمل في الظرف باعتبار ذلك المعنى التابع . وقد يرفع به الفاعل أيضًا كما في قولك : رأيت رجلاً أسدٌ أبوه . انتهى باختصار .

و من هذا القبيل قول الحماسي ، و هو وداك بن ثميل :

عليها الكُماة الغُرّ من آل مازن ليوثُ طعانٍ عند كل طعان

فقوله "عند كل طعان" متعلق بلفظ جامد وهو "ليوث" بملاحظة معنى الجراءة و الصولة و نحو ذلك .

و من هذا القبيل ما قال السيد رحمه الله تعالى في حواشي المطول ص١٢ تحت قول التفتازاني رحمه الله تعالى "فالفصاحة الكائنة في المفرد" ، ما محصوله : لم يجعل الظرف أي في المفرد متعلقا بالفصاحة ، لكون الفصاحة ليست بمعنى المصدر فلا تعمل .

وقد ذكر بعض الأدباء نحو القصّة و النبأ و الحديث و الخبر بجواز إعمالها في الظرف خاصة و إن لم يرد بها معنًى مصدريٌّ كقوله تعالى : هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ إِذۡ دَخَلُوا۟ عَلَيۡهِ . وَ هَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُوا۟ ٱلۡمِحۡرَابَ . لتضمن معانيها الحصول و الكون .

و على هذا يمكن أن يجعل قوله "في المفرد" ظرفًا لغوًا للفصاحة وإن لم يرد بها معناها المصدري .

انتهى كلام السيّد .

و من هذا القبيل أي من قبيل عمل الاسم الجامد لتضمّن معنى الوصف ما ذكره الإمام ابن هشام رحمه الله في المغني ج٢ ص٧٥حيث قال : مثال تعلق الظرف بما فيه رائحة الفعل قوله :

ع أنا أبو المنهال بعضَ الأحيان

و قوله :

ع أنا ابن ماوية إذ جدّ النقر

فتعلق "بعض" لأن لها حكم ما تضاف إليه و هو الظرف هنا و "إذ" بالاسمين العلَمين ، لا لتأوّلهما باسم يشبه الفعل ، بل لما فيهما من معنى قولك "الشجاع" أو "الجواد" .

و من هذا القبيل ، و هو أعجب مما سبق ، تعلق الظرف بالحرف المعنوي حيث قال بعضهم في قول كعب بن زهير رضي الله عنه :

و ما سعَاد غداةَ البين إذ رحلوا إلاّ أغنّ غضيض الطرف مكحول

إن "غداة البين" ظرف للنفي المتضمّن له حرف "ما" . أي انتفي كونها في هذا الوقت إلاّ أغن إلخ .

و قال ابن الحاجب في قوله تعالى "وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ" : إن "اليوم" إمّا ظرف للنفع المنفي و إما لما في حرف "لن" من معنى النفي . أي انتفى في هـذا اليوم النفع . و في قوله تعالى "مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ" : إن الباء في "بنعمة" متعلقة "بما" إذ لو علقت " بمجنون " لأفاد نفي جنون خاص ، و هو الجنون الذي يكون من نعمة الله ، و ليس في الوجود جنون هو نعمة . هـذا . ولله الحمد و المنة .

الدليل الخامس : قوله تعالى في أوّل سورة إبراهيم : ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ .

والجواب كما قال الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ج١ ص٨٥ : ههنا قراءتان : منهم من قرأ "الله" بالرفع و حينئذ يزول السوال . لأنه لما جعله مبتدأ فقد أخرجه عن جعله صفة لما قبله . و أما

من قرأه بالجر فهو نظير لقولنا : هذه الدار مِلكٌ للعالم الفاضل . بقي الاشتباه في أن ذلك العالم الفاضل من هو . فقيل عقيبه "زيد" ليصير هذا مزيلاً لذلك الاشتباه . و لما لم يلزم ههنا أن يقال اسم العلَم صار صفة ، فكذلك في هذه الآية . انتهى كلام الرازي رَحِمَهُ اللهُ . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل

في أدلّة القائلين بعلَمية الجلالة

قد أسلفنا أنّ جمهور العلماء قائلون بأنّ الاسم "الله" عَلَم لذات الله عَزَّوَجَلَّ . و أرادوا بالعَلَم العَلَم بالوضع الشخصي لا العَلَم بالغلبة ، و أنكروا كونه مشتقًّا . و تمسّك هؤلاء بأدلّة :

الدليل الأوّل : أنّ الاسم "الله" لو كان لفظًا مشتقًّا مثلاً ولم يكن علَمًا لكان معناه معنًى كليًّا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه . لأن اللفظ المشتق لا يفيد إلاّ أنه شيء ما مبهم حصل ذلك المشتق منه . و هذا المفهوم لايمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين . فظهر أن هذا اللفظ أي لفظ "الله" لو كان مشتقًّا لم يمنع وقوع الشركة فيه بين كثيرين . ولو كان كذلك لما كان قولنا "لا إله إلاّ الله" توحيدًا حقًّا مانعًا من وقوع الشركة فيه . و حيث أجمع العقلاء على أنه يوجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا "الله" اسم عَلَم . هذا ما ذكره الإمام الرازي .

قلت : و كذا لو كان الاسم "الله" اسم جنس لكان مفهومه كلّيًّا في أصل الوضع ولم يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين و للزم مالزم على تقدير كونه مشتقًّا .

قال الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ بعد نفي كون "الله" مشتقا أو اسم جنس : بخلاف ما إذا كان علَما فإن مدلوله الذات المعينة و إن تعقل بوجه كليته ، إذ كليته لا تستلزم كلية المعلوم . وقد اعترفوا بعموم الوضع و خصوص الموضوع له .

وقد انحل بهذا عصام قربة من قال : إنه لو كفى في التوحيد الاختصاص في الواقع فلا إله إلاّ الرحمن أيضًا توحيد . و إن لم يكف و اقتضى ما يعين بحيث لا يجوز فيه الشركة لم يكن "لا إله إلاّ الله" كذلك . إذ لا تحضر ذاته تعالى على وجه التشخص ، ولا حاجة إلى ما ذكره من الجواب أخطأ فيه أم

أصاب .

و لا يرد "قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ" معارضًا فإنه لو دل على التوحيد لم يكن للوصف فائدة لما سيأتي إن شاء الله من تفسيره لعدم قبول التعدد بوجه ، و هو ليس من لوازم العلَمية . انتهى كلام الآلوسي .

الدليل الثاني : قال تعالى : هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا . و ليس المراد من الاسم في هذه الآية الصفة . و إلاّ لكذب قوله : هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا . فوجب أن يكون المراد اسم العلَم . و كلّ من أثبت لله تعالى اسم علم قال : ليس ذاك إلاّ قولنا "الله" .

الدليل الثالث : أن من أراد أن يذكر ذاتًا معينة ثم يذكره بالصفات فإنه يذكر اسمه أوّلاً ثم يذكر عقيب الاسم الصفات ، مثل أن يقول : زيد الفقيه النحوي الأصولي .

إذا عرفت هذا فنقول : إن كل من أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات فإنه يذكر لفظة "الله" أوّلاً ثم يذكر عقيبه الصفات ، مثل أن يقول : الله العالم القادر الحكيم . ولا يعكسون هذا . فلا يقولون : العالم القادر الله . و ذلك يدل على أن قولنا "الله" اسم علَم . قاله الإمام الرازي .

قال الآلوسي رحمه الله تعالى : و أما أنه علَم فقد استدل عليه بوجوه : منها ما قالوا : إنه يوصف ولا يوصف به . و قراءة "صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٱللَّهِ" بالجر محمولة على البيان . و تجويز الزمخشري في سورة فاطر "كون الاسم الكريم صفة اسم الإشارة من باب قياس العلَم على الجوامد في وقوعها صفة لاسم الإشارة" على خلاف القياس . إذ المنظور فيها رفع الإبهام فقط ، و قد تفرد به .

الدليل الرابع : أنه لابد له تعالى من اسم يجري عليه صفاته . فإن كل شيء يتوجه إليه الأذهان و يحتاج إلى التعبير عنه قد وضع له اسم توقيفي أو اصطلاحي . فكيف يهمل خالق الأشياء و مبدعها . وكيف لم يوضع له اسم يجري عليه ما يعزى إليه . ولا يصلح له ما يطلق عليه سوااسم "الله" .

و كونه اسم جنس معرف مما لا يليق . لأنه غير خاص وضعًا . و كونه علَمًا منقولاً من الوصفية يستدعي أن لا يكون في الأصل ما تجري عليه صفاته ، وهو كما ترى ، حيث لا يليق بشانه العظيم و مقامه الكريم . هـذا . و الله أعلم بالحقائق و الصواب و إليه المرجع و المآب . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . و علمه أتم و أعلى .

الباب الخامس و الثلاثون

من خصائص الاسم "الله" الشريف أنه ينوب مناب كل اسم لله تعالى و سبحانه ، و يؤدّي مؤدّى كل صفة لله تعالى . و هذه مزية لطيفة و منقبة منيفة .

قال الشيخ ابن عربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة من الفتوحات المكية ، في بيان معرفة الأسماء الحسنى ج٤ ص١٩٦ : و اعلم : أنه لما كان في قوة الاسم "الله" بالوضع الأوّل كل اسم إلهي بل كل اسم له أثر في الكون يكون عن مسماه ناب مناب كل اسم لله تعالى .

فإذا قال قائل "يا الله" فانظر في حالة القائل التي بعثته على هذا النداء ، و انظر أيّ اسم إلهيّ يختص بتلك الحال . فذلك الاسم الخاص هو الذي يناديه هذا الداعي بقوله "يا الله" لأن الاسم "الله" بالوضع الأوّل إنما مسماه ذات الحق عينها التي بيدها ملكوت كل شيء . فلهذا ناب الاسم الدال عليها على الخصوص مناب كل اسم إلهي .

ثم إن لهذا المسمى من حيث رجوع الأمر كله إليه اسم كل مسمًّى يفتقر إليه من معدن و نبات و حيوان و إنسان و فلك و ملك و أمثال ذلك مما ينطلق عليه اسم مخلوق أو مبدع .

و أمّا تضمّنه لأسماء التنزيه فمأخذ ذلك قريب جدًّا و إن كان كل اسم إلهيّ بهذه المثابة من حيث دلالته على ذات الحق جَلَّ جَلَالُهُ .

لكن لما كان ما عدا الاسم "الله" من الأسماء مع دلالته على ذات الحق يدل على معنى آخر من سلب أو إثبات بمافيه من الاشتقاق لم يقو في أحديّة الدلالة على الذات قوّة هذا الاسم ، كالرحمن و غيره من الأسماء الإلٰهية الحسنى و إن كان قد ورد قوله تعالى آمرًا نبيّه ﷺ : قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا

ﱠﻣﺎ ﺗَﺪْﻋُﻮاْ ﻓَﻠَﻪُ ﭐﻟْﺄَﺳْﻤَﺂﺀُ ﭐﻟْﺤُﺴْﻨَﻰٰ .

فالضمير في "له" يعود على المدعو به تعالى . فإن المسمّى الأصلي الزائد على الاشتقاق ليس إلّا عينًا واحدةً .

ثم إن الله تعالى قد عصم هذا الاسم العَلَم أن يسمّى به أحد غير ذات الحق جَلَّ جَلَالُهُ . و لهذا قال الله عزّ و جلّ في معرض الحجة على من نسب الألوهة إلى غير هذا المسمّى : قُلْ سَمُّوهُمْ . فبهت الذي قيل له ذلك . فإنّه لو سمّاه سماه بغير الاسم "الله" .

و أمّا ما فيها من الجمعيّة فإن مدلولات الأسماء الزائدة على مفهوم الذات مختلفة كثيرة . وما بأيدينا اسم مخلص عَلَم للذات سوى هذا الاسم "الله" .

فالاسم " الله " يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها .

و ثمّ أسماء تدل على تنزيه و ثم أسماء تدل على إثبات أعيان صفات و إن لم تقبل ذات الحق قيام الأعداد . وهي الأسماء التي تعطي أعيان الصفات الثبوتية الذاتية كالعالم و القادر و المريد و السميع و البصير و الحيّ و المجيب و الشكور و أمثال ذلك .

و أسماء تعطي النعوت فلا يفهم منها في الإطلاق إلّا النسب و الإضافات كالأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن و أمثال ذلك .

و أسماء تعطي الأفعال كالخالق و الرازق و البارئ و المصوّر و أمثال ذلك من الأسماء . انتهى ما في الفتوحات ج٤ ص١٩٦ .

و قال أيضًا في بيان الحضرات : فمن ذلك الحضرة الإلٰهية و هي الاسم "الله" :

الله الله الله الذي حكمت — آياته إنه في كونه الله

سبحانه جلّ أن يحظى به أحدٌ — من العباد فلا إله إلّا الله

اختص باسم فلم يشركه من أحد — فيه و ذلك قول القائل الله

و هي الحضرة الجامعة للحضرات كلها . و لذلك ما عبد عابد لله إلّا هي . و بذا حكم الله تعالى في قوله :

وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ . و قوله : أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ .

فللّه مـا يخفى و لله مـا بـدا نعم بل هو الله الذي ليس إلّا هو

هذا . والله أعلم بالصواب و بالأسرار ، و إليه المرجع و المآب ، و بيده قوى الأفهام و الأفكار ، و علمه أجلّ و أوسع .



الباب السادس و الثلاثون
و فيه خاصتان

من خصائص الاسم "الله" الكريم تأخير إسرافيل عليه الصلاة والسلام النفخة عند سماع ذكر هذا الاسم الجليل أربعين سنة كما ورد في الحديث.

وأيضًا من خصائصه أنه للعالَم بأسره بمثابة الروح للبدن. فجميع العالَم مظهر هذا الاسم الكريم. فهو روح الأشجار و الأزهار و الجماد و الحيوان، و روح الأرض و السمٰوات العلى و الموجودات بقضها و قضيضها، إذ بقاؤها مربوط بهذا الاسم و وجودها رهين لاسم "الله".

فلولا ذكر هذا الاسم على ألسنة الذاكرين قامت القيامة و اندثرت الأراضي و السمٰوات و طمست النجوم و الشمس و القمر و نفخ إسرافيل في الصور. أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى لايقال في الأرض: أَللّٰهُ أَللّٰهُ. و أخرجه الترمذي أيضًا و قال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الشيخ القرطبي رحمه الله تعالى في تذكرته: قال العلماء رحمهم الله تعالى: قد ضبطوا لفظ الجلالة في هذا الحديث برفع الهاء و نصبها. فمن رفع فمعناه ذهاب التوحيد. و من نصب فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. أي لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتقوا الله. بالنصب.

و قال بعضهم: معناه أن الله تعالى أجرى هذا الاسم العظيم على ألسنة جميع العباد من قوم نوح إلى قيام الساعة. فقال قوم نوح: وَ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً. الآية. و قال قوم هود: أَجِئْتَنَا

لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَ نَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا . و قال تعالى : وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ . إلى غير ذلك . فإذا أراد الله سبحانه زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين ، و انتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين .

و قال : معنى قوله ﷺ المتقدم أنّه لا تقوم الساعة و على وجه الأرض من يقول : ألله ألله . و في الحديث : إن الله عزّوجلّ يقول لإسرافيل : إذا سمعت قائلاً يقول : ألله ألله . فأخّر النفخة أربعين سنة إكرامًا لقائلها . انتهى نقلاً عن تذكرة الشعراني رحمه الله ص٣٠١ .

فلفظ "الله" و ذكره عمود الموجودات و روحها . فكما أن بقاء كل ذي روح بروحه ، فإذا انتزعت منه الروح مات و فنى ،كذلك قيام العالَم و الموجودات بأسرها منوط بالاسم "الله" . فتبقى الموجودات ما جرٰى هذا الاسم المبارك على ألسنة الذاكرين ، و تدثر و تفنى بعد انتزاعه عن ألسنة الذاكرين و تقوم القيامة . فببركة هذا الاسم الأعظم يحيٰى كل حي ، و يبقٰى كل كائن ، و يشرق كل كوكب .

و لذا قال تعالى : ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . فقيل : النور بمعنى منوّر . ثم الوجود هو النور ، و العدم هو الظلمة . فذكر في هذه الآية اسم الجلالة ، و حكم به أنه نور السمٰوات والأرض دون سائر أسماء الله تعالى ، إشارة إلى ما ذكرنا من الحديث .

فوجود السمٰوات و العالَم منوط بذكر اسم الجلالة . فمتى انتفى ذكره على الألسنة انتفى نورهن و وجودهن . هذا . فلكل آية ظهر و بطن . وقال الله تعالى و سبحانه : إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَ لَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ .

فالله تعالى أخبر في هـذه الآية أنه يمسكهما . و يستمر هذا الإمساك إلى قيام القيامة . و عند قيامها يزول الإمساك .

فقوله "وَ لَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا" الآية ، مشتمل على ذكر حال من أحوال القيامة . و أضاف الله سبحانه الإمساك إلى ذاته بذكر الجلالة دون ذكر سائر الأسماء الحسنى إشارة إلى أن لهذا الاسم الكريم مدخلاً أيّ مدخل في إمساكهما .

فباعتبار الأسباب اسم " الله " هو الذي أمسكهما أن تزولا . أي إلى استمرار ذكر هذا الاسم

على الألسنة لا تزولان . فذكر هذا الاسم يمسكهما من الزوال والسقوط والفناء . ولئن زالتا حين لايقال في الأرض "ألله ألله" إن أمسكهما من أحد من بعده .

فاحفظ هذا السر في هذه الآية ، و إياك و الإنكار . فلكل آية ظهر و بطن و عبارة و دلالة و إشارة و اقتضاء .

هذا ذكر إمساك أمر كبير أي السمٰوات و الأرض . و أمّا عند ذكر أمر صغير بالنسبة إلى ذلك فنسبه الله تعالى مرة إليه و مرة إلى اسم آخر . قال الله تعالى : أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ . و قال الله تعالى : أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ .

قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله في الكبريت الأحمر ج٢ ص٦١ : قوله تعالى "وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ" إنما انشقت لذهاب عمدها الذي كان يمسكها و هو الإنسان الكامل . فإذا زال سقطت إلى الأرض . و السماء معلوم أنها جسم شفاف صلب . فإذا هوت السماء حلَّل جسمَها حرُّ النار فعادت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة النار كما كانت أوّل مرة . و زال ضوء الشمس ، فطمست النجوم فلم يبق لها نور ، و سبحت في النار لكن على غير الوجه الذي كانت في الدنيا عليه من السير .

فعلم أن آخر من تقبض روحه من بني آدم الإنسان الكامل الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم لو قدّر فقده . و هذا هو المشار إليه بقوله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى لا يبقى أحد على وجه الأرض يقول : ألله ، ألله . فما أمسك الله تعالى صور السمٰوات أن تقع على الأرض إلّا لأجل هذا الإنسان الموحّد الذي لايمكنه أن يتكلم بالنفي ، إذ ليس في خاطره إلّا الله الواحد الأحد . و هذا الذكر الذي هو "الله الله" هو ذكر الله الأكبر المشار إليه بقوله تعالى : وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ . انتهى كلامه .

فائدة شريفة مهمّة

إن قلت : عمود العالَم ومبناه من بين الأسماء الحسنى هو الاسم "الحي" لا الاسم "الله" كما صرح

به بعض العارفين من الصوفية .

قلت في الجواب أوّلًا : يمكن أن يقال : كلاهما أصل . فهذا أصل باعتبار ، و ذاك أصل باعتبار آخر . فلا إشكال .

و ثانيًا : الحياة شرط وجود العالم إذ لا وجود إلّا به . فجميع ما في العالم أحياء عند أرباب البصيرة . قال تعالى : وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ . وكل حي نيط بالاسم "الحي" شرطًا لكن المهيمنية على جميع الأسماء و غيرها إنما تحققت للاسم "الله" .

و بعبارة أخرى : النسبة غير الاسم . فالاسم "الله" هو المهيمن على جميع الأسماء الحسنى و على جميع العالم الذي هو مظهر الأسماء . و أما بلحاظ النسبة فللاسم "الحي" المهيمنية . فنسبة الحي لها المهيمنية على جميع النسب حتى نسبة الألوهة التي بها تسمّى الله "الله" .

قال ابن عربي رحمه الله في الفتوحات ج٣ ص٣٢٢ : و اعلم : أن هذا المنزل هو منزل الميراث المعنوي ، و هو منزل الشريعة ، وكون الحياة شرطًا في جميع وجود النسب المنسوبة إلى الله تعالى . و هذه النسبة أوجبت له سبحانه أن يكون له اسمه "الحي" . فجميع الأسماء الإلٰهية موقوفة عليه و مشروطة به حتى الاسم "الله" .

فالاسم "الله" هو المهيمن على جميع الأسماء التي من جملتها "الحي" و نسبة الاسم "الحي" لها المهيمنية على جميع النسب الأسمائية حتى نسبة الألوهة التي تسمى بها الله "الله". قال ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء و ما ورثوا دينارًا و لا درهمًا و إنما ورثوا العلم فمن أخذ منه فقد أخذ بحظ وافر .

ثم قال : و اعلم : أنه لما لم يتمكن أن يتقدم الاسم "الحي" اسم من الأسماء الإلٰهية كانت له رتبة السبق . فهو المنعوت على الحقيقة بالأوّل . فكل حي في العالم . و ما في العالم إلّا حي . فهو فرع عن هذا الأصل . وكما لا يشبه الفرع الأصل بما يحمله من الثمر ، و ما يظهر منه من تصريف الأهواء له على اختلافها عليه ، و ما يقبل من حال التعرية و اللباس إذا أورق و تجرد عن ورقه ، و الأصل ليس كذلك ، بل هو الممدّ له بكل ما يظهر فيه و به ، إذ ليس له بقاء في فرعيته و إحكامها إلّا بالأصل ، كذلك الاسم "الحي" مع سائر الأسماء الإلٰهية . فكل اسم هو له إذا حققت الأمر فيسري سره في جميع العالم فخرج على

صورته فيما نسب إليه من التسبيح بحمده .

ثم قال : و اعلم : أنه لما كان الاسم " الحي " اسما ذاتيا للحق سبحانه لم يتمكن أن يصدر عنه إلاّ حيّ . فالعالم كله حي . إذ عدم الحياة أو وجود موجود من العالم غير حي لم يكن له مستند إلهي في وجوده ألبتة . و لابد لكل حادث من مستند . فالجماد في نظرك هو حي في نفس الأمر .

و أمّا الموت فهو مفارقة حي مدبر لحي مدبر . فالمدبر و المدبر حي . و المفارقة نسبة عدمية لا وجودية ، إنما هو عزل عن ولاية . انتهى كلامه . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أحكم و أجلّ و أعلى .

الله اكبر

الباب السابع و الثلاثون

من خصائص الجلالة ما في حروفها البهية و مادتها السنيّة دلائل أسرار لاهوتية لا يونسها إلّا طائفة العارفين ، و مخائل أضواء سرمدية و أنوار أبدية لا يتفرسها إلّا فرقة من الكاملين و حزب من الذاكرين المخلصين .

خلاصة ما قالوا : أن الألف الأولى في الاسم " الله " منقطعة رسمًا . و كذلك تقطع الألف دائمًا في أوائل رسم الخط ، حسب مقتضى قوله عليه الصلاة والسلام : كان الله ولا شيء معه . و يشبه الألف في هذا الأمر رسمًا و يشاركها في هذا الخطب خمسة حروف تكتب كلها في أوائل الرسم مقطوعة . و هي "د ، ذ ، ر ، ز ، و" . فهذه الحروف الخمسة للخلق وهي بمنزلة الجسم لجميع الحقائق المخلوقة . و "الألف" للحق .

و اللام الثانية في الاسم "الله" رئيسة و هي من عالم الملكوت . و اللام الأولى مرؤوسة من عالم الشهادة . و الألف بعد اللام بمثابة الوزير و الواسطة المعبر عنها بالكتاب الأوسط . و هو العالم الجبروتي . ثم اللام الثانية تمدّ اللام الأولى بوساطة هذه الألف التي بعد اللام الثانية . و هذه الألف تسمى عندهم ألف العِلم . و الألف الأولى ألف الذات .

قال بعض العارفين : الألف الأولى التي هي ألف الهمزة منقطعة . و اللام الثانية ألفها متصلة بها . قطعت الألف في أوائل الخطوط لقوله عليه الصلاة والسلام : كان الله ولا شيء معه . فلهذا قطعت و تنزه من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها . و الحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية التي هي الأمهات . و كذلك إذا كانت آخرالحروف تقطع الاتصال من البعدية الرقمية . فكان انقطاع الألف تنبيهًا لما ذكرنا . و كذلك إخوتها .

فالألف للحق ، و أشباه الألف للخلق . و ذلك "د ، ذ ، ر ، ز ، و" في جميع الحقائق جسم متغذ حساس ناطق . وما عداه ممن له لغة و انحصرت حقائق العالم الكلية . فلما أراد وجود اللام الثانية وهي أوّل موجود في المعنى و إن تأخرت في الخط . فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهدًا .

وكذلك الخط شاهد . وهي عالم الملكوت أوجدها بقدرته . وهي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرًّى من الإضافة ، وهي لا تفارق الألف . فلما أوجدت هذه الألف اللام الثانية جعلها رئيسة فطلبت مرؤوسًا تكون عليه بالطبع . فأوجد لها عالم الشهادة الذي هو اللام الأولى . فلما نظرت إليه أشرق و أنار . وَ أَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ . و هو الجزء الذي بين اللامين .

أمر سبحانه اللام الثانية أن تمد الأولى بما أمدها به تعالى من وجود ذاته ، و أن تكون دليلها إليه . فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها يكون لها كالوزير ، فتلقى إليه ما تريده فيلقيه على عالم اللام الأولى فأوجد لها الجزء المتصل باللامين المعبر عنه بالكتاب الأوسط . و هو العالم الجبروتي . و ليست له ذات قائمة مثل اللامين . فإنه بمنزلة عالم الخيال عندنا . فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء و ارتقم فيه ما أريد منها . و وجهت به إلى اللام الأولى فامتثلت الطاعة حتى قالت : بلى .

فلما رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية بوساطة الجزء الذي هو الشرع صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء راغبة في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده . فلما صرفت الهمة إلى ذلك الجزء واشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الألف التي تقدمتها . ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا . ولو لم تصرف الهمة إلى ذلك الجزء لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة . ولكن لا يمكن لسرّ عظيم . فإنها ألف الذات ، و الثانية ألف العِلم .

إشارة : ألا ترى أن اللام الثانية لما كانت مرادة مجتباة منزهة عن الوسائط كيف اتصلت بألف الوحدانية اتصالاً شافيًا حتى صار وجودها نطقًا يدل على الألف دلالة صحيحة و إن كانت الذات خفيت . فإن لفظك باللام يحقق الاتصال .

و يدلك عليها من عرف نفسه عرف ربه . من عرف اللام الثانية عرف الألف . فجعل نفسك دليلاً عليك . ثم جعل كونك دليلاً عليك دليلا عليه في حق من بعد . و قدَّم معرفة العبد بنفسه على

معرفته بربه . ثم بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه لما كان المراد منه أن يعرف ربه . ألا ترى تعانق اللام الألف و كيف يوجد اللام في النطق قبل الألف . و في هذا تنبيه لمن أدرك .

فهذه اللام الملكوتية تتلقّى من ألف الوحدانية بغير واسطة . فتورده على الجزء الجبروتي ليؤديه إلى لام الشهادة و الملك . هكذا الأمر مادام التركيب و الحجاب . فلما حصلت الأوّلية و الآخرية والظاهرية و الباطنية أراد تعالى كما قدّم الألف منزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء . فلايصح بقاء للعبد أوّلاً و آخرًا . فأوجد الهاء مفردة بواو هويتها .

فإن توهَّم متوهم أن الهاء ملصقة إلى اللام فليست كذلك . وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام و الألف لا يتصل بها في البعدية شيء من الحروف . فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء . فذلك الاتصال باللام في الخط ليس باتصال . فالهاء واحدة و الألف واحدة . فاضرب الواحد في مثله يكن واحدًا . فصحّ انفصال الخلق عن الحق . فبقي الحق .

و إذا صح تخلُّق اللام الملكية لما توروده عليها لام الملكوت ، فلا تزال تضمحلّ عن صفاتها و تفني عن رسومها إلى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها .

فإذا فنيت عن ذاتها فنى الجزء لفنائها ، و اتحدت اللامان لفظًا ، ينطق بها اللسان مشددة للإدغام الذي حدث . فصارت موجودة بين ألفين و هما حرفان اشتملا عليها و أحاطا بها . فأعطتنا الحكمة الموهوبة لما سمعنا لفظ الناطق "بلا" بين ألفين علمنا علم الضرورة أن المحدَث فنى بظهور القديم . فبقي ألفان أولٰى و أخرٰى ، و زال الظاهر و الباطن بزوال اللامين بكلمة النفي .

فضربنا الألف في الألف ضرب الواحد في الواحد ، فخرجت لك الهاء . فلما ظهرت زال حكم الأوّل و الآخر الذي جعلته الواسطة كما زال حكم الظاهر و الباطن . فقيل عند ذلك : كان الله ولا شيء معه .

ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع و لابد . فإن انفتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه أو خفضه . فهي عائدة على العامل الذي هو قبل ذلك في اللفظ . انتهى ما في الفتوحات ج١ ص١٠٤ . والله يقول الحق و هو يهدي السبيل . هذا . و هو أعلم بالصواب و الأسرار المكتومة و أعلم

بالإشارات و الحقائق المكنونة . و علمه أجلّ و أعلى .

الله جلاله

الباب الثامن و الثلاثون
و فيه ثلاث عشرة خاصة

من خصائص اسم "الله" الشريف ما ذكره أصحاب الكشف الصحيح من الأولياء الكرام و الأتقياء العظام دخول الألف و اللام على الضمير .

فإن اسم "الله" عندهم هو "الهاء" الدالّة على غيب الهوية . ولا نظير له في كلامهم حيث صرحوا بأن دخول الألف و اللام مختص بالاسم المتمكن . و الضمائر مبنية .

ثم شدّدت اللام رومًا لمبالغة التعريف . ولا نظير له في محاوراتهم . ثم عُوِّضت الألف بعد اللام عن الواو المحذوفة قصدًا لمدّ الصوت . حيث ينادى إليه في المصائب و يتضرع إليه في الحوائج و المطالب . و مدُّ الصوت يقتضي حرف مد قبل الحرف الموقوف عليه . ولذا لا يجتمع فيه الألف و اللام و الواو ولا مثل له في لغاتهم .

ثم لما لم يعرف المسمّى بسببي التعريف و المبالغة جعل هذا المجموع عَلَمًا للذات المستجمع لجميع صفات الكمال كي يحصل تعريف ذات الله تعالى . فهذه أربع خصائص .

الخاصّة الأولى دخول الألف و اللام على الضمير . و الثانية تشديد لام التعريف للمبالغَة . و الثالثة تعويض الألف بين اللام و الهاء عن الواو المحذوفة . و الرابعة جعلها عَلَمًا رومًا للتعريف بعد عدم حصول هذا المطلوب أي التعريف بأمور ثلاثة هي أسباب حصول التعريف .

ثم بعد ذلك لم يتحصل تعريف الذات و لا تعيين المسمّى . غاية ما في الباب أنّه حصل امتياز

المسمى عما عداه لا تعينه ، لكمال عظمته و علوه عن درك الأفهام . فمع اجتماع هذه الأسباب للتعريف لا يُعلَم المسمّى أصلا و لا يعرف قطعًا و لا يتصور كنهه ألتبة . مع أن الأعلام وضعت لتعيين المسميات و معلوميتها . فهذه خاصة خامسة في هذا الباب .

أفاد هذه الخصائص الإلهامية و الأسرار الرّبانية و اللطائف اللاهوتية الإمام الرباني المجدد للألف الثاني قطب الأقطاب حضرة الشيخ أحمد الفاروقي النقشبندي السرهندي قدّس سرّه في كتابه اللطيف الفارسي المسمّى بالمعارف اللدنية ، حيث قال ، ما حاصل تعريب كلامه الفارسي :

إنما تدخل الألف و اللام على نكرة . و أما في اسم " الله " الشريف فدخلتا على المعرفة . وهي هاء ضمير الغائب ، كما ذكره بعض المحققين من أن اسم "الله" هو الهاء الدالة على غيب الهوية . و الألف و اللام للتعريف . كأن فيه رمزًا إلى أن تعريف الضمير لا يكفي لتعيين المشار إليه الذي هو ذات الله تعالى . فلابد من آلة أخرى للتعريف . و هي الألف و اللام . ثم شدّدت اللام لمبالغة التعريف .

و لما لم تكف هذه الآلة مع المبالغة أيضًا لتعين المسمى لا جرم وُسِم هذا المجموع بتعريف العلَمية ، أي جعل اسم "الله" عَلَمًا ، رجاء أن يورث هو التعين الموجب للمعلومية . لكن لم يحصل بعد سوى الخيبة غاية ما في الباب امتاز مسماه عما عداه . فسبحان من لم يجعل إليه للخلق سبيلا إلّا بالعجز عن معرفته . انتهى حاصل كلامه .

و أيضًا قال هذا الإمام الرباني رحمه الله تعالى في كتابه المذكور : رُكِّب هذا الاسم الشريف من آلتَي التعريف إشارة إلى أن العلَمية وحدها لا تكفي لتعيين المسمى ، لكمال عظمته و علوه عن درك الأفهام . انتهى .

و أيضًا قال الإمام الرباني في كتابه المذكور : إنّ لفظ "الله" المبارك مركب من الألف واللام . و هما من جملة آلات التعريف و من لفظ "هو" الذي هو من جملة المعارف . و هذا المجموع عَلَم على الذات الواجب الوجود . فاجتمع فيه ثلاثة أنواع من أسباب التعريف ، مع أن النوع الواحد يكفي لهذا المرام . ففي اجتماعها إشارة إلى أن مسمى هذا الاسم الأعظم لا يعرف بوجه من الوجوه و لا يعلم بالكنه بطريق من الطرق ، لكمال عظمته و علو درجته .

إذ لو كان للتعريف فيه سبيل لكفته آلة واحدة . إذ لا دخل لكثرة الأسباب في وجود المسبب . و إنما يوجد المسبب بوجود واحد من الأسباب . فإذا لم يوجد بواحد منها علم أنه لا سببية بينهما . فإذا انتفى سببية أسباب التعريف في حقه تعالى انتفى المعروفية و المعلومية بالكنه في شانه تعالى و سبحانه أيضًا .

فلا يصل إلى جناب قدسه عِلمُ عالم ولا يفيد في تعريفه تعريف معرف . فهو سبحانه أجل من أن يدرك و أعظم من أن يعرف و أكبر من أن يعلم . فسنح من هذا أن هذا الاسم الشريف يمتاز في الأحكام عن سائر الأسماء ، فاستحق أن يختص بالذات المقدسة .

إن قلت : لمّا لم يدل هذا الاسم الجليل على شان المسمى بكماله ولم يفد تعريف المسمّى بتمامه فما الفائدة في وضعه ؟

قلت : فائدة الوضع امتياز مسماه عما عداه بدون معلومية مسماه بالكنه . فالفرق بين هذا الاسم الشريف و سائر الأعلام أنها تدل على مسمياتها . فتضحين بها معلومات و تصير بها متعينات و معلوميتهن تورث امتيازهنّ عما عداهنّ . و أما في هذا الاسم الجليل فعِلم المسمى مفقود و امتيازه عما عداه موجود . انتهى كلامه بتعريب فارسيه .

و قال في موضع آخر : لا ريب أن تعدد آلات التعريف لا مدخل له في وجود المعرف وتحقّقه كما مر . و تكفي لوجود التعريف و حصوله آلة واحدة إلاّ أن كثرة آلات التعريف في هذا الاسم الجليل إيماء إلى إبهام مسماه تعالى وسبحانه ، و بُعده تعالى عن الإدراك . انتهى كلامه . هذا . والله أعلم بالحقائق .

فصل

قد آن لنا أن نزفّ إلى الإخوان و الناظرين الخلان بعض أسرار بديعة مصونة و لطائف رفيعة مكنونة و نكات شريفة مختومة و حقائق منيفة مكتومة في لفظ "هو" .

و إذ قد صرح بعض المحققين أنه اسم الله تعالى بل اسم "الله" أصله "هو" و اللام المشددة للتعريف . فلا مندوحة ههنا عن البحث و الكلام في لفظ "هو" على سبيل الاختصار والاعتبار . فأقول

و من الله التوفيق و بيده أزمّة التحقيق :

إن لفظ "هو" اسم الذات عند الصوفية و العارفين . و في أذكارهم "يا هو ، يا هو" . و قيل لبعض القائلين بوحدة الوجود : من أنت ؟ قال : هو . ثم قيل له : ممن انت ؟ قال : من هو . ثم قيل له : ما اسمك ؟ قال : هو . ثم قيل له : ما شغلك ؟ قال : هو . ثم قيل له : من أبوك ؟ قال : هو .

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره ج١ ص٨٢ : و لنختم هذا الفصل بذكر شريف رأيته في بعض كتب : يا هو يا من لا هو إلاّ هو يا من لا إله إلاّ هو يا أزل يا أبد يا دهر يا ديهار يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت . انتهى كلامه .

قال الشيخ أحمد بن علي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه شمس المعارف ج١ ص١٤٨ : فأما اسمه تعالى "هو" فهو ضمير الغيبة . و هو من أسمائه تعالى . إذ الغيبة الحقيقية إنما هي له . إذ لا تصوره العقول ولا تجده الأوهام . و اسم الذات باعتبار إحاطة عينها و إطلاقها عن جميع القيود والأوصاف التي توجب تعددًا . و هو فاتحة الأسماء و أمّ كتابها . و قد ينزل منها منزلة الألف من الحروف . و هو اسم جليل القدر . وهو اسم الله الأعظم . و من أكثر من ذكره فإنه لايخطر في قلبه غيره ، و يفتح الله له بابًا من الكشف على حسب استعداده . و هو من الأسماء الجليلة القدر المخصوصة بالمتوكلين . و له من العدد "١١" و هو رابع عدد . و هذا العدد من مقتضياتها . فلذلك كان خامس عدد فرد و هو عدد ثان ، إذ هو رتق لا فتق فيه . انتهى .

و قال أيضًا فيه ص٣٨٤ : اعلم : أن " هو " هي هيبة حقيقة اليقين الداخل و الخارج نطقتَ بهما أوّلاً . فإذا دخلت النفس نطق باطنك به . فيكون بسطًا لسر الهواء . فالنفس الداخل القبض و الخارج البسط . فالهاء خارجة بنفس الحياة و الواو خارجة باحتراق الحرارات . فتطفي الواو التي هي سر الحرارات من الهاء التي قبله بسر الحياة . فتتصل الحياة بسر الإمداد . و هي دائرة إلى أن يأتي أجله إلى أن يتم حكم القبض والبسط . فتتلقى بقوله تعالى : وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ . فتدبر تجد الموجودات لله .

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره ج١ ص٧٩ : و اعلم : أن لفظ "هو" فيه أسرار عجيبة و أحوال عالية فبعضها يمكن شرحه و تقريره و بيانه و بعضها لا يمكن . ثم قال : و أنا بتوفيق الله كتبت

فيه أسرارًا لطيفة . إلاّ أني كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجده في القلب من البهجة و السعادة عند ذكر كلمة "هو" أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيرًا . فعند هـذا عرفت أن لهذه الكلمة تاثيرًا عجيبًا في القلب لا يصل البيان إليه و لا ينتهي الشرح إليه . فلنكتب ما يمكن ذكره فنقول : فيه أسرار :

السرّ الأوّل : أن الرجل إذا قال "يا هو" فكأنّه يقول : من أنا حتى أعرفك . و من أنا حتى أكون مخاطبا لك . و ما للتراب و ربّ الأرباب . و أيّ مناسبة بين المتولد عن النطفة والدم وبين الموصوف بالأزلية والقدم . فأنت أعلى من جميع المناسبات وأنت مقدس عن علائق العقول و الخيالات . فلهذا السبب خاطبه العبد بخطاب الغائبين فقال : يا هو .

السرّ الثاني : هذا اللفظ إقرار بأن ما سوى الله تعالى محض العدم . إذ لو حصل شيئان عند قولنا "يا هو" لكان قولنا "هو" صالحًا لهما جميعًا . فلا يتعين أحدهما بقولنا "هو" لكن تعيُّن "الله" حاصل . فدل قولنا "يا هو" على نفي صرف لما سوى الله ، كما قال تعالى : **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ** . و مقام الفناء عما سواه تعالى في غاية الجلال إلاّ بمواظبة ذكر "يا هو".

السرّ الثالث : الاستغراق في معرفة ذات الله لايحصل إلاّ بذكر "يا هو" إذ قولنا "يا رحمن" يميل طبع الإنسان إلى الرحمة ، فيكون طالبًا للحصة . و هكذا "يا كريم" و "يا غفار" و "يا وهاب" و قس عليه سائر الأسماء . و أما إذا قال "يا هو" فإن هذا الذكر لا يدل على غيره تعالى ، فحينئذ يحصل في قلبه نور ذكره .

السرّ الرابع : المواظبة على هـذا الذكر تفيد الشوق إلى الله . و الشوق إليه من ألذّ المقامات و أكثرها بهجةً و سعادةً .

و وجه ذلك أن "هو" ضمير الغائب يدل على أن قائل "يا هو" غائب عن الحق . و هذه الغيبة ليست بسبب المكان و الجهة بل بسبب أنه موصوف بالحدوث و الإمكان ، و معيوب بعيب الكون في إحاطة المكان والزمان . و هكذا جميع المحدثات . فعندئذ يعتقد العبد أن الحق موصوف بأنواع من الكالات متعالية عن المشابهة .

و اعتقد أن تصوره غائب عن العقل و الفكر و الذكر . فصارت تلك الكمالات مشعورًا بها من وجه دون وجه . و الشعور بها من بعض الوجوه يشوق إلى الشعور بدرجاتها و مراتبها . و إذ لا نهاية لتلك المراتب فلا نهاية لدرجات الشوق . و بعد وصول العبد إلى مرتبة أعلى مما كان يتشوق إليها مرتبة فوق ذلك . فثبت أن لفظ "هو" يفيد الشوق إلى الله تعالى و الشوق من أعلى المقامات و أسنى الدرجات .

السرّ الخامس : يمتنع كشف ذات الله وأبواب التعريفات بالنسبة إلى هويته المعينة منسدّة . فلم يبق إلّا جهة واحدة ، و هي أن يوجِّه الإنسان حدقة عقله و روحه إلى مطلع نور تلك الهوية على رجاء أنه ربما أشرق ذلك النور حال ما كانت حدقة عقله متوجهة إليها فيستسعد بذلك النور . فقول الذاكر "يا هو" توجيه لحدقة العقل و الروح إلى الحضرة القدسية .

السرّ السادس : الذكر أشرف المقامات و أفضل الأذكار ما كان خاليًا عن السوال . قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . فإذا قال الذاكر "يا هو" كان معناه خاليًا عن السوال وإشعار الطلب . فوجب أن يكون هو أفضل الأذكار . بخلاف قولنا "يا رحمن" فإن معناه ارحم ، و "ياكريم" فإن حاصله اكرم ، و "يا غفار" فإن المراد به اغفر . فهذه الأذكار جارية مجرى السوال .

السرّ السابع : كلمة التوحيد وردت بثلاثة أسماء مضمرة ، و هي "أنا" و "أنت" و "هو" . أمّا الأول : ففي سورة طه "إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا". و أما الثاني : ففي قوله تعالى : فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ . و أما الثالث : ففي مواضع كثيرة من القرآن ، قال تعالى : وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ .

أما الأوّل : فلا يجوز أن يتكلم به أحد ما سوى الله تعالى .

و أمّا الثاني : فيصح من العبد بشرط كونه حاضرًا لا غائبا إلّا أن فيه نوع ادعاء علوّ . و هو ينافي خصلة التواضع الذي هو مخ العبادة . فأفضل التوحيد ما يبنى على الغيبة وهو "لا إله إلّا هو" و من ثم كثر ذكر هذا النوع من كلمة التوحيد في القرآن .

ثم اعلم : أن الأسماء الظاهرة في حكم الضمائر للغائب كما صرح به جميع النحاة و الأدباء . فلا إله

إلّا الله و نحو ذلك في حكم لا إله إلّا هو . إلّا أن لفظ "هو" أصل في الغائب فكذلك الكلمة التي يكون هو فيها .

السرّ الثامن : ما يتفرع على السابع . قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : "لا إله إلّا الله" توحيد العوام ، و "لا إله إلّا هو" توحيد الخواص .

ثم قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : ولقد استحسنت هذا الكلام وقررته بالقرآن والبرهان . أمّا القرآن فإنه تعالى قال : وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ . ثم قال بعده : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ . معناه إلّا هو . فذكر قوله "إلا هو" بعد قوله "لا إله" فدل ذلك على أن غاية التوحيد هي هذه الكلمة .

و أمّا البرهان فهو أن من الناس من قال : إن تأثير الفاعل ليس في تحقيق الماهية و تكوينها ، بل لا تأثير إلّا في إعطاء صفة الوجود لها على ما هو أثر الجعل المركب .

فقلت : فالوجود أيضًا ماهية . فوجب أن لايكون الوجود واقعًا بتأثيره . فإن التزموا ذلك و قالوا : الواقع بتأثير الفاعل موصوفية الماهية بالوجود . فنقول : تلك الموصوفية إن لم تكن مفهومًا مغايرًا للماهية و الوجود امتنع إسنادها إلى الفاعل . و إن كانت مفهومًا مغايرًا فذلك المفهوم المغاير لابد و أن يكون له ماهية . و حينئذ يعود الكلام .

فثبت أن القول بأن المؤثر لا تأثير له في الماهيات ينفي التأثير و المؤثر ، و ينفي الصنع و الصانع بالكلية . و ذلك باطل . فثبت أن المؤثر يؤثر في الماهيات كما هو الجعل البسيط .

فكل ما بالغير فإنه يرتفع بارتفاع الغير . فلولا المؤثر لم تكن تلك الماهية ولا حقيقة . فبقدرته صارت الماهيات ماهيات و صارت الحقائق حقائق . و أما قبل تأثير قدرته فلا ماهية ولا وجود ولا حقيقة و لا ثبوت . و عند هذا يظهر صدق قولنا "لا هو إلّا هو" أي لا تقرر لشيء من الماهيات ولا تخصص لشيء من الحقائق إلّا بتقريره و تخصيصه . فثبت أنه "لا هو إلّا هو" . هذه فذلكة كلام الإمام الرازي مع شيء من زيادة .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى في مفتاح الفلاح و مصباح الأرواح ص٢١٤ : و أما "هو" فهو مركب من حرفين هما حقيقة النفسين الداخل و الخارج نطقت بها أم لم تنطق

بالنفس الداخل الهاء و الخارج الواو . و هو البسط .

فالهاء داخل بنفس الحياة ، و الواو خارج باحتراق الحرارات الباطنة . فإن الله تعالى جعل الباطن محل الحرارات .

منها حرارة الشوق إلى الله تعالى ، و منها حرارة الطلب ، و منها حرارة الذكر ، و منها حرارة الفكر ، و منها حرارة الطبع ، فلا يزال القبض و البسط إلى أن يقضى أجل العبد . فيحول الله تعالى بين الهاء و الواو بحائل خفي عن أوهام العقل ، بل بما قدره بسابق علمه القديم الأزلي .

فالموجودات كلها موحدة لله تعالى على لطيف الأنفاس مقهورة بقدرته . و لولا ذلك لغشيهم العذاب ، و رحم الله الباطن ، و رحم من استيلاء الحرارات عليه بنفس الاسم الباطن و هو "هو". فإذا قال العارف "هو" اجتمعت تلك الحرارات المحرقة وخرجت بنفس النفس إلى روح الهواء فيرجع النفس ببرد الهواء و هو "هو" إلاّ أنه في الظاهر برد و في الباطن حر . لأنه هواء . فسر الألف الزائدة فيه عن "هو" تزايد حياة لأنه حجة بين باطن "هو" و ظاهر الألف في التوحيد . انتهى كلامه .

قال الإمام أبوحيان النحوي رحمه الله في البحرالمحيط ج١ ص١٣٣ : و مشهور لغات العرب في لفظ "هو" تخفيف الواو مفتوحة . و شدَّدتها همدان و سكَّنتها أسد و قيس . و حذف الواو مختص بالشعر . و لهؤلاء المنسوبين إلى علم الحقائق و إلى التصوف كلام غريب بالنسبة لمعقولنا رأيت أن أذكره هنا ليقع الذكر فيه .

قالوا : أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام : مظهرات و مضمرات و مستترات . فالمظهرات أسماء ذات و أسماء صفات . و هذه كلها مشتقة . و أسماء الذات مشتقة و هي كثيرة . و غير المشتق واحد وهو "الله" . و قد قيل : إنه مشتق . و الذي ينبغي اعتقاده أنه غير مشتق بل اسم مرتجل دال على الذات .

و أمّا المضمرات فأربعة : "أنا" في مثل "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا" و "أنت" في مثل "لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ" و "هو" في مثل "هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم" و "نحن" في مثل "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ" .

قالوا : فإذا تقرر هذا فاسم "الله" أعظم أسمائه المظهرات الدالة على الذات . ولفظة "هو" من أعظم أسمائه المظهرات و المضمرات للدلالة على ذاته . لأن أسماءه المشتقة كلها لفظها متضمن جواز

الاشتراك لاجتماعها في الوصف الخاص . ولا يمنع أن يكون أحد الوصفين حقيقة و الآخر مجازًا من الاشتراك .

و "هو" اسم من أسماء الله تعالى ينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هو هو . فلفظة "هو" توصلك إلى الحق و تقطعك عما سواه . فإنك لابد أن يشرك مع النظر في معرفة ما يدل عليه الاسم المشتق النظر في معرفة المعنى الذي يشتق منه .

و هذا الاسم لأجل دلالته على الذات ينقطع معه النظر إلى ما سواه . اختاره الجلّة من المقربين مدارًا لذكرهم و منارًا لكل أمرهم . فقالوا : يا هو . لأن لفظة " هو " إشارة بعين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد . و المقربون لا يخطر في عقولهم و أرواحهم موجود آخر سوى الذي دلت عليه إشارته .

و هو اسم مركب من حرفين ، و هما "الهاء" و "الواو". والهاء أصل و الواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع في هما و هم . و الأصل حرف واحد يدل على الفرد الواحد . انتهى ما نقل عن بعض من عاصرناه في "هو" بالنسبة إلى الله تعالى مقررًا لما ذكروه و معتقدًا لما حبروه .

و لهم في لفظة "أنا" و "أنت" كلام غريب جدًا بعيد عما تكلم عليها به أهل اللغة و العربية . و حديث هؤلاء المنتمين إلى هذه العلوم لم يفتح لى فيه ببارقة و لا ألممت فيه إلى الآن بغادية ولا طارقة . نسأل الله تعالى أن ينور بصائرنا بأنوار الهداية و أن يجنبنا مسالك الغواية و أن يلهمنا إلى طريق الصواب و أن يرزقنا اتباع الأمرين النيرين السنة و الكتاب . انتهى كلام أبي حيان بلفظه .

و في مفتاح الفلاح ص١٣٥ : اعلم : أن "هو" اسم موضوع للإشارة . و عند هذه الطائفة "هو" إخبار عن نهاية التحقيق . ويكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب و استيلاء ذكر الحق على أسرارهم . فما سواه لا شيء حتى تقع الإشارة إليه .

قيل لبعض الوالهين : ما اسمك ؟ قال : هو . قيل : من أين انت ؟ قال : هو . قيل : و من أين جئت ؟ قال : هو . قيل : ما تعني بقولك هو ؟ قال : هو . و ما سئل عن شيء إلّا قال : هو . قيل : لعلك تريد الله تعالى . فصاح صيحة عظيمة ثم مات . انتهى .

و في اليواقيت للشعراني رحمه الله تعالى ج١ ص٧٨ : فأما "هو" فهو اسم لضمير الغائب . وهو أعرف عند أهل الله من الاسم "الله" في أصل الوضع . لأنه يدل على هوية الحق التي لا يعلمها إلّا هو . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل

قد بدا لك من البيان المذكور أن اسم " الله " مأخوذ من " هو " ضمير الغائب عند غير واحد من أصحاب الطريقة و العلماء . و هذه خاصية سادسة عزيزة القدر . إذ لا يوجد في كلامهم اسم متمكن أي معرب اشتق من الضمير . و الضمير لكونه جامدًا و مبنيا لا يصلح لهذا الأمر .

ثم إذ قد أفضى بنا الكلام إلى لفظ "هو" يجدر أن نزيدك عدة خصائص أخرى فنقول : "هو" عند العارفين من أعلى الأذكار . و فيه محملان :

أحدهما : ما ذكرناه و هو أن لفظ "هو" مأخذ الجلالة و أصلها .

و المحمل الثاني : ما خطر ببال هذا العبد الضعيف البازي بعد صلاة الجمعة في السادس عشر من شهر رجب سنة ١٣٩٨هـ ، و هو أن " هو " بقية حروف الجلالة بعد حذف ما حذف من أوّلها إلى أن بقيت الهاء . كأن الهاء في آخر الجلالة خلاصة الجلالة و قلبها فقامت بها روحها و ذاتها . ولذا اعتبر الذاكرون بها جهرًا الضرب على القلب بهاء الجلالة قصدًا لإخراج حبّ غير الله منه و إدخال حب الله و نوره فيه . و عادتهم هذه مع مشاهدة ترتُّب ثمرات نورانية و أنوار روحانية على هذا النوع من الذكر تهدينا أن الهاء كالمدار الأعلى و المعدن الأسنى في باب ذكر الجلالة .

فلما حذف عن أوّل الجلالة ما حذف و بقيت الهاء وحدها اكتفى بذكرها مفردة بعد إشباع ضمتها . هكذا "يا هو ، يا هو". و بعد الإشباع أصبحت صورتها صورة "هو" ضمير الغائب . فظنوا أنها "هو" أي ضمير الغائب المذكّر ، و ليس الأمر كذلك . نعم هي كأنها "هو" .

فإبقاء الحرف الواحد من اسم الجلالة مطردًا خاصة واحدة . و لزوم إشباع الحرف الباقي في الاستعمال خاصة ثانية .

ثم إن هذا الحذف في حروف الجلالة مع إبقاء هائها كأنه يؤدى مؤدى الحذف ترخيمًا . نحو "يا مال" في "يا مالك" إلاّ أن الحذف ترخيمًا إنما يكون من آخر الكلمة ، و ههنا وقع في أوّل الجلالة ، فرقًا بين أسماء المخلوق و اسم الخالق .

فتحقُّق مثل الترخيم و شبيه في أوّل الجلالة خاصة ثالثة . فاحفظ هـذين المحملين في "يا هو" فلكل محمل حكم على حدة .

ثم أقول لتوجيه ما قيل : إن "هو" اسم الله الأعظم : إن الاسم الأعظم إنما هو الاسم "الله". فسرت مزية الجلالة و تعدّت بركتها إلى "هو" الذي هو بقية من حروف الجلالة بناءً على المحمل الثاني الذي اخترناه . و هذه السراية العديمة النظير خاصة رابعة .

أو سرت منها و تعدّت منها مزيّة كون الجلالة اسمًا اعظم و بركة اتصافها بالاسم الأكبر الأعظم إلى الأصل الذي هو "هو" على المحمل الأوّل . و هذه خاصة خامسة . فنال من الجلالة و استفاد منها كل واحد من أصلها و فرعها حظه الأوفر و نصيبه الأنضر و قسطه الأسعد و سهمه الأحمد . و من ذا الذي يجهل بركات الاسم الأعظم و نفحات الاسم الأفخم .

ثم أقول : على تقديرالمحمل الأوّل لفظ "هو" ضمير . و الضمير لا يصير اسمًا لشيء معين ولا يدخل عليه حرف النداء . لكن ههنا صار " هو " اسمًا لله تعالى عند طائفة الذاكرين . فيقال عند الذكر به "يا هو" لانعكاس أشعّة الاسم "الله" المأخوذ من "هو" على لفظ "هو". فلما جاز "يا الله" جاز "يا هو". و هذه خاصة سادسة .

ثم تمكنت في اسم "هو" أسرار متعددة كما ذكرها الإمام الرازي و غيره . و كل ذلك ببركة ما أخذ عنه و هو الاسم "الله" ، و لتحقق الربط القوي بين "هو" و اسم "الله". و هذه خاصة سابعة .

ثم بضم هـذه الخصائص السبع إلى الخصائص الست المتقدمة في صدر هذا الباب تصير الخصائص في هذا الباب ثلاث عشرة خاصة . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أتمّ.

الباب التاسع و الثلاثون
و فيه أربع خصائص

من خصائص هـذا الاسم الشريف افتتاح ميم لفظ "ميم" من "الٓمٓ" في قوله تعالى "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" في آل عمران ، دفعًا لاجتماع الساكنين . و هذه خاصة واحدة . وهو مذهب سيبويه ، و اختاره ابن الحاجب في الشافية .

و كذا افتتاح راء لفظ "أكبر" الأوّل الواقع قبل لفظ "الله" من قولنا "الله أكبر ، الله أكبر" في الأذان لذلك أي لاجتماع الساكنين . و هذه خاصة ثانية .

و ههنا موضع ثالث يفتتح فيه الحرف الساكن لذلك . وهي "إي" حرف الإيجاب مع اسم "الله" فتقول "إيَ الله" بفتح الياء . و تفصيله مذكور في الباب الخامس من هذا الكتاب فراجعه .

و وجه هاتين الخاصتين أن الأصل المتعين لدفع اجتماع الساكنين الكسر . و توضيح ذلك و شرح المذاهب فيه نمقناه في باب أن اجتماع الساكنين في "إي الله" من خصائصه ، و هو الباب الخامس .

و قال الإمام الفراء : الفتح في الموضعين لهمز الوصل في الجلالة نقل إلى ما قبلها . ثم حذفت الهمزة كما هو قانون يسئل . و هذا القانون مختص بهمز القطع .

فإجراء همز الوصل مجرٰى القطع في الموضعين من خصائص الجلالة . فهما خاصتان متأتّيتان على مسلك الفراء و أحزابه . فمجموع خواص هذا الباب أربع .

ثم إنّهم اختلفوا في توجيه قول سيبويه و هو فتح الحرف الساكن بدل الكسر . فقيل : إنما فتحت

الميم للمحافظة على التفخيم في "الله". و قيل : آثر الفتحة دون الكسرة احترازًا عن اجتماع الكسرات ، كسرة الميم و كسرتي الياء ، لتركُّب الياء من كسرتين . قاله الزجاج .

واختار أكثر المتأخرين و البصريين قول الفراء كما في تفسير الإمام الرازي رحمه الله تعالى ج٢ ص٤٠٧ . و منهم المحقق البيضاوي رحمه الله تعالى . و ردّوا على سيبويه بأن التقاء الساكنين في الوقف غير محذور . و حروف المقطعات يوقف عليها و يقطع بعضها عن بعض . و لذا لم يحرك الميم في "لام" من قوله "الٓمٓ" .

قال الإمام الرازي : قرأ عاصم رحمه الله تعالى "الٓمٓ ٱللَّهُ" بسكون الميم و إثبات همزة "الله" و الباقون موصولاً بفتح الميم .

أما مَن فتح الميم ففيه قولان : الأوّل : قول الفراء و هو أن الفتح لهمز الوصل في الجلالة نقل إلى ما قبلها . و اختاره كثير من البصريين . و القول الثاني : قول سيبويه و هو أن السبب في حركة الميم التقاء الساكنين . و هذا القول ردّه كثير من الناس . و فيه دقّة و لطف . و الكلام في تلخيصه طويل .

ثم قال الرازي رحمه الله تعالى : فلقائل أن يقول : الساكن إذا حرك حرك بالكسر . فلم اختير الفتح ههنا ؟ قال الزجاج في الجواب عنه : الكسر ههنا لا يليق لأن الميم من قولنا "الٓمٓ" مسبوقة بالياء . فلو جعلت الميم مكسورة لاجتمعت الكسرة مع الياء وذلك ثقيل . فتركت الكسرة و اختيرت الفتحة .

و طعن أبوعلي الفارسي في كلام الزجاج و قال : ينتقض قوله بقولنا "جيرِ" من حروف الإيجاب . فإن الراء مكسورة مع أنها مسبوقة بالياء .

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى : هذا الطعن عندي ضعيف . لأن الكسرة حركة فيها بعض الثقل و الياء أختها . فإذا اجتمعا عظم الثقل . ثم يحصل الانتقال منه إلى النطق بالألف في قولك "الله" وهو في غاية الخفة . فيصير اللسان منتقلاً من أثقل الحركات إلى أخفّ الحركات . و الانتقال من الضد إلى الضد دفعة واحدة صعب على اللسان . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : قول أبي علي الفارسي و طعنه لازم ألبتة . و ما قال الفخر الرازي في جوابه منقوض بنحو قولهم في أمر المؤنّث : اخشَيِ الله . حيث اتفقوا على جرّ الياء . و فيه تفصيل للرضي كما سيأتي . فلا توجيه لتصحيح مذهب سيبويه رحمه الله تعالى و تصويب قوله إلاّ ما نمقنا من

قبل ، و هو أن ذلك من خصائص الجلالة .

و لذا قدم أبوالبقاء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في وجوه الإعراب ج٢ ص١٩ هذا الوجه عند توجيه قول سيبويه حيث قال : و فتحت لوجهين : أحدهما : كثرة استعمال اسم "الله" بعدها . و الثاني : ثقل الكسرة بعد الياء و الكسرة . انتهى .

و اختار أبوالبقاء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في وجوه القرآن و الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في تفسيره قول سيبويه . قال أبوالبقاء : و قيل : فتحت لأن حركة همزة "الله" ألقيت عليها . و هذا بعيد لأن همزة الوصل لا حظّ لها في الثبوت في الوصل حتى تلقى حركتها على غيرها .

و قيل : الهمزة في "الله" همزة قطع . و إنما حذفت لكثرة الاستعمال . فلذلك ألقيت حركتها على الميم لأنها تستحق الثبوت . و هذا يصح على قول من جعل أداة التعريف "أل" وهو مذهب الخليل . انتهى بزيادة .

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في بيان مذهب الفراء و ردّه : إن أسماء الحروف موقوفة الأواخر . يقال : ألف ، لام ، ميم . كما يقال : واحد ، اثنان ، ثلاثه . و على هذا التقدير وجب الابتداء بقوله "الله" فإذا ابتدأنا به نثبت الهمزة متحركةً . إلاّ أنهم اسقطوا الهمزة تخفيفا ، ثم ألقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على أنها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها .

فإن قيل : إن كان التقدير فصل إحدى الكلمتين عن الأخرى امتنع إسقاط الهمزة . و إن كان التقدير هو الوصل امتنع بقاء الهمزة مع حركتها . و إذا امتنع بقاؤها امتنعت حركتها و امتنع إلقاء حركتها على الميم .

قلنا : لم لا يجوز أن يكون ساقطة بصورتها باقية بمعناها . فأبقيت حركتها لتدل على بقائها في المعنى .

ثم قال الرازي : إنما يؤتى بالهمزة قبل لام التعريف ليتوصل بها إلى الابتداء بالساكن . و عند تحرك ما قبل اللام أصلا أو لاجتماع الساكنين كما فيما نحن فيه لا حاجة إلى الهمزة . فتحذف صورةً و معنًى حقيقةً و حكمًا .

فامتنع قول الفراء : إنه إنما ألقيت حركتها على الميم لتدل على تلك الحركة على كونها باقية حكمًا . لأنها حذفت بذاتها وآثارها سقوطًا كليًّا . ولا حاجة إلى وجود حكم من أحكامها أو أثر من آثارها . فبطل قول الفراء .

و **اختار** العلامة أبوالسعود رحمه الله مسلك الفراء حيث قال في تفسيره ج٢ ص٢٩٧ : إن الفتح حركة همزة الجلالة ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها . إذ ليس إسقاطها للدرج بل للتخفيف . فهي ببقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به . و الميم لكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم . واعترض بأنه غير معهود في الكلام . انتهى كلام أبي السعود .

قال العبد الضعيف الروحاني : و يجاب عن الاعتراض المذكور في آخر كلام أبي السعود بأن ذلك من خصائص الجلالة . وكم من حكم غير معهود فيما سوى الجلالة جائز سائغ فيها .

ثم قال أبوالسعود : و قيل : هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء و الميم و لام الجلالة بعد سقوط الهمزة . و أنت خبير بأن سقوط الهمزة مبني على وقوعها في الدرج . وقد عرفت أن السكون وقفيّ و هو موجب لانقطاعها عما بعدها مستدعٍ لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف و الأسماء المبنية على السكون . فإن حقها الاتصال بما بعدها وضعًا و استعمالاً . فتسقط بها همزة الوصل و تحرك أعجازها لالتقاء الساكنين . انتهى .

قال المحقق البيضاوي رحمه الله بعد بيان مذهب الفراء : و هذا كقولهم "واحد اثنان" بإلقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فإنه غير محذور في باب الوقف . انتهى .

قال الرضي في بحث التقاء الساكنين في شرح الشافية ص١٧٧ : و اختلفوا في هذه الفتحة ، أي فتحة الميم في "الٓمٓ ٱللَّهُ" والأقرب كما قال جار الله : إنها فتحة همزة "الله" نقلت إلى ميم كما قلنا في "ثلثهربعة" أي في ثلاثه أربعة . و قال بعضهم : هي لإزالة الساكنين .

و إنما كان الأوّل هو المختار لما تقدم أن أسماء حروف الهجاء إذا ركبت غير تركيب الإعراب جرىٰ كل واحد منها مجرىٰ الكلمة الموقوف عليها ، لعدم اتصال بعضها ببعض من حيث المعنى و إن اتصلت من حيث اللفظ . و من ثم قلبت تاءات نحو ثلاثة أربعة هاء .

فلمّا كانت ميم "الٓمٓ" كالموقوف عليها ثبتت همزة الوصل في " الله " لأنها كالمبتدأ بها و إن كانت متصلة في اللفظ بميم . فلما نقلت حركة همز القطع إلى ما قبلها و حذفت في "ثلاثَهَربعة" و في قوله "لام ألف" كذلك حذفت همزة الوصل ههنا بعد نقل حركتها إلى ما قبلها . لأنها صارت كهمز القطع من حيث بقائها مع الوصل .

إلّا أن حذفها مع نقل الحركة في "الٓمٓ ٱللَّهُ" أولى من إثباتها كراهة لبقاء همزة الوصل في الدرج . بخلاف الهمزة في ثلاثهربعة ولام ألف فإن حذفها لا يترجح على إثباتها لكونها همزة قطع .

و اختار المصنف جعل حركة ميم "الٓمٓ" للساكنين بناءً على أن الكلمات المعدودة ليست أواخرها كأواخر الكلم الموقوف عليها . فيسقط إذن همزة الوصل لكونها في الدرج فيلتقي الساكنان . و لم يكسر الميم لأن قبلها ياء و كسرة . فلو كسرت لتوالت الأمثال . و أيضًا فيما فعلوا حصول التفخيم في لام "الله" .

و الذي حمله على هذا بناؤه كما مر على أن سكون أواخر الكلمات المعدودة ليس للوقف . لأنه إنما يسكن المتحرك ، ولا حركة أصلاً لهذه الكلمات . و ذهب عنه أنه يوقف على الساكن أيضًا .

و الحق أنها مبنية على السكون . فجرى آخر كل واحدة مجرى الموقوف عليه ، كما يوقف على "من" و "كم" و نحوهما .

و أجاز الأخفش الكسر أيضًا في ميم "الٓمٓ ٱللَّهُ" قياسًا لا سماعًا كما هو عادته في التجرد بقياساته على كلام الذي أكثره مبني على السماع . هذا . والله أعلم بالصّواب .

فصل
في حكم راء لفظ " أكبر " في الأذانين

هذا إيضاح حكم الراء من لفظ "أكبر" الأوّل في "الله أكبر الله أكبر" في الأذانين . وهو بحث نفيس بديع . ففي جامع المضمرات : الأصل "الله أكبر الله أكبر" بتسكين الراء . فحوّلت فتحة الألف من اسم "الله" إلى راء "أكبر" . و نظيره قوله تعالى "الٓمٓ ٱللَّهُ" و إنما نقلت حركة الألف إلى الميم . و إلّا

فهي ساكنة . انتهى .

قال الشيخ المحقّق عبدالحي اللكنوي رحمه الله تعالى في السعاية : ذكر بعض محشي مشكاة المصابيح عن النهاية و الغريبين أن الراء في "أكبر" ساكنة في الأذان و الصلاة . هكذا سمع موقوفًا غير معرب في مقاطعه . و في مراقي الفلاح : يجزم الراء في التكبير . و يسكن كلمات الأذان و الإقامة ، في الأذان حقيقةً و في الإقامة ينوي الوقف ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : الأذان جزم و الإقامة جزم و التكبير جزم . أي لافتتاح الصلاة . انتهى .

و في جامع المضمرات عن روضة الفقهاء : أمّا إعرابه فقال أبو بكر الأنباري : عوام الناس يضمّون الراء من "الله أكبر". و كان أبو العباس المبرد يقول : الأذان سمع موقوفًا من مقاطعه .

و في المبسوط و الكبرٰى : يكره أن يقول المؤذن : آلله أكبر ، ويطول ذلك . لما روي عن النخعي أنهم كانوا يحذفون التكبير في الأذان حذفًا . انتهى .

و في جامع الرموز : يضم الراء في "الله أكبر" ويسكِّن جماعة منهم المبرد . ثم يفتتحون للساكنين أو ينقلون فتحة الهمزة إليه . و الأوّل هو الصواب كما في مغني اللبيب . و اختار الأنباري النقل كما في المضمرات . انتهى .

قال ابن هشام رحمه الله تعالى في الباب الخامس من المغني ج٢ ص١٣١ : العاشر أي من التخريج على الأمور البعيدة قول بعضهم في " الرحيم " من البسملة : إنه وصل بنية الوقف ، فالتقى ساكنان الميم و لام الحمد ، فكسرت الميم لالتقائهما . و ممن جوز ذلك ابن عطية .

و نظير هذا قول جماعة منهم المبرد : إن حركة راء "أكبر" من قول المؤذن "الله أكبر الله أكبر" فتحة ، و إنه وصل بنية الوقف . ثم اختلفوا فقيل : هي حركة الساكنين . وإنما لم يكسروا حفظًا لتفخيم اللام كما في "الٓمٓ ٱللَّهُ" . و قيل : هي حركة الهمزة نقلت .

و كل هذا خروج عن الظاهر لغير داع . و الصواب أن كسرة الميم إعرابية ، و أن حركة الراء ضمة إعرابية . وليس لهمزة الوصل ثبوت في الدرج فتنقل حركتها إلاّ في ندور . انتهى كلامه .

و في حواشيه لمحمد الأمير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : تكلف "دم" له داعيًا . و هو أن الأصل في الأذان الوقف فلا يعدل عنه إلى الإعراب بالمرة . انتهى كلامه .

و نقل عبدالمولى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تعاليق الأنوار عن تعليق مغني اللبيب للدماميني . قوله : كل هذا خروج عن الظاهر ، بل هو خروج إلى داع صحيح . لأن الأذان سمع موقوفًا ، كما قال النخعي . ففي نقل الحركة إيذان بأنه واقف حكمًا . و لولا ذلك لما نقل . و إنما فعل ذلك حرصًا على عدم الخروج بالكلية عن السنة في الأذان من إيراد كلماته موقوفًا على أواخرها . و لو ضم الراء بالحركة الإعرابية كما استصوبه المصنف كان غير واقف حسًّا و لا حكمًا ، فيخرج عن سنية الأذان بالكلية . انتهى .

و في البحر الرائق : كلمات الأذان و الإقامة يسكنها . لكن في الأذان ينوي الحقيقة و في الإقامة ينوي الوقف . ذكره الزيلعي . و في المبتغي : التكبير جزم . و في المضمرات : أنه بالخيار إن شاء ذكره بالرفع و إن شاء ذكره بالجزم . و إن كرر التكبير مرارًا فالاسم المرفوع في كل مرة . و ذكر "أكبر" بالرفع في ما عدا المرة الأخيرة . و في المرة الأخيرة بالخيار إن شاء ذكره بالرفع و إن شاء ذكره بالجزم . انتهى .

أقول : الحاصل أن في راء "أكبر" الأوّل في الأذان أربعة أقوال :

الفتح . كما هو مختار الدماميني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وهو مختار صاحب الروضة و تبعه الحصكفي رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى .

و الضم . كما هو مختار ابن هشام في المغني و مال إليه القهستاني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

و السكون بغير حركة . على ما هو ظاهر كلام الشرنبلالي و الزيلعي رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى .

و التخيير بين أن يضم و بين أن يجزم . كما نقله صاحب البحر عن جامع المضمرات و اختاره السيد الطحطاوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في حواشي الدر المختار . و الحق هو القول الأوّل .

و قد صنّف الشيخ عبدالغني النابلسي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في هذه المسألة رسالة سماها تصديق من أخبر بفتح راء الله أكبر . خلاصة ما ذكره فيها : أن السنة أن يسكن الراء أو يصلها . فإن سكنها كفى ذلك ، و إن وصلها نوى السكون فحرك الراء بالفتحة فلتراجع .

فإن قلتَ : لما اخترت الفتح فما معنى الحديث المشهور "الأذان جزم" الحديث . فإنه بظاهره يؤيد ما يستفاد من كلام الشرنبلالي .

قلتُ : معناه أن لا يمدّ كما ذكره الرافعي . و يؤيده رواية جذم بالذال المعجمة . و خالف فيه المحب الطبري رحمه الله تعالى ، و اختار أن معناه لا يعرب آخره و هو مردود بوجوه ذكرها السيوطي رحمه الله تعالى في بعض تحريراته .

فائدة في فرع نافع

لا يقول المؤذن "آلله أكبر" بمد الألف فإنه استفهام . و هو لحن شرعي . ولا يقول مقطوع حركة الآخر للوقف . فلا يقف على الآخر بالرفع لأنه لحن لغوي . كذا في الدر المختار ناقلا عن فتاوى الصيرفية .

قال الطحطاوي : قوله "حركة الآخر" أي في كل جمل التكبير ، و هي ست في الأذان . غاية الأمر أن راء كلمة "أكبر" الأولى و الثالثة و الخامسة محركة بالفتح لالتقاء الساكنين حيث لم يقف عليها . و ما بقي ساكن للوقف . حلبي .

قلت : أمّا الساكن للوقف فلا كلام فيه . و غيره يجوز فيه الوجهان كما تقدم عن المضمرات . كذا في كتب الفقه . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل
في الكلام على حديث "الأذان جزم"

لما انجرّ بنا الكلام في أثناء بيان الخاصة المذكورة آنفًا إلى المراد من حديث "الأذان جزم" ناسب البحث عن ثبوته رواية و عن إيضاح معناه و تفصيل أقوال الأئمة فيه . فأقول و بالله التوفيق :

بحث عليه الفقهاء كثيرًا عند ذكرهم تكبيرات الصلاة حيث تمسكوا به على حذف التكبير . قال صاحب الهداية رحمه الله تعالى : و يحذف التكبير حذفًا لأن المدّ في أوله خطأ من حيث الدين لكونه

استفهامًا ، و في آخره لحن من حيث اللغة . انتهى .

قال في العناية : و يحذف التكبير حذفًا أي لا يمد في غير موضع المد لأن المد في أوّله خطأ دينًا لكونه استفهامًا ، فيكون شاكًّا في كبرياء الله و هو كفر إذا تعمده . و في آخره لحن لغةً أي عدول عن سنن الصواب في اللغة . لأن أفعَل التفضيل لا يحتمل المد لغة . فإن فعل لا يكون شارعًا في الصلاة عند بعض مشايخنا و هو قول الفقيه أبي جعفر .

و تفصيل الكلام في ذلك أن " الله أكبر " مركب من لفظين . و لكل منهما أوّل و آخر . و مد الأوّل من الأوّل عمدًا كفر لشكه في كبريائه . و غير عمد مفسد للصلاة . و فيه نظر لأن الهمزة يجوز أن تكون للتقرير فلا يكون هناك لا كفر ولا فساد . و مد الآخر منه لا يضر لأنه إشباع . و الحذف أولى . و مدّ الأوّل من الآخر عمدًا كمد الأوّل من الأوّل . و مد الآخر منه اختلف فيه . قال بعضهم : تفسد الصلاة . وقال بعضهم : لا تفسد .

و يجزم الراء من التكبير لما روي عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى موقوفًا عليه و مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الأذان جزم و الإقامة جزم و التكبير جزم . انتهى كلامه .

قال صدر الشريعة رحمه الله تعالى : المراد بالحذف أن لا يأتي بالمد في همزة "الله" ولا في باء "أكبر" . انتهى كلامه .

قال العلامة عبدالحي رحمه الله عزّ وجلّ في السعاية ج٢ ص١٥٠ : و تفسير الحذف بهذا مأثور عن السلف . و في النهاية لابن الأثير : حذف السلام سنة هو تخفيفه و ترك الإطالة فيه . و يدل عليه حديث النخعي : التكبير جزم و السلام جزم . انتهى .

و في المغرب : الحذف القطع والإسقاط يجعل عبارة عن ترك التمطيط و التطويل في الأذان و القراءة . و هو من باب ضرب يضرب . انتهى .

و توضيح المقام أن المد في التكبير لا يخلو إمّا أن يكون في "الله" أو في "أكبر". فإن كان في لفظ "الله" فلا يخلو إمّا أن يكون في أوّله أو أوسطه أو آخره . فإن كان في أوّله كان خطأً و لكن لا تفسد به الصلاة . و قال بعض مشايخنا : يوهم الكفر . و إن كان في وسطه فالصحيح أنه لا يفسد الصّلاة .

و إن كان في آخره فهو خطأ لكن لا يفسد أيضًا .

و أمّا إذا كان المد في "أكبر" فإنه يفسد الصلاة سواء كان في أوّله أو أوسطه أو آخره . و إذا تعمده في وسطه كفر ، لأن الإكبار اسم للشيطان . و إن لم يتعمد لا يكفر ، و يستغفر و يتوب . كذا في جامع المضمرات . وفي الهداية : يحذف التكبير حذفًا ، لأن المد في أوله خطأ من حيث الدين ، لكونه استفهامًا ، و في آخره لحن من حيث اللغة . انتهى .

قال العيني رحمه الله تعالى في شرحها : إذا مد الهمزة في أوّل "الله" عامدًا يكفر . ولا تجوز الصلاة لكونه شاكًّا في كبرياء الله تعالى . هكذا قاله الأنزاري رحمه الله تعالى .

و في المقاصد الحسنة للسخاوي رحمه الله تعالى : حديث "التكبير جزم" لا أصل له في المرفوع مع وقوعه في كتاب الرافعي . و إنما هو من قول إبراهيم النخعي . حكاه الترمذي في جامعه عنه عقيب حديث "حذف السلام سنة" . و من جهته رواه سعيد بن منصور في سننه بزيادة : و القراءة جزم و الأذان جزم . و في لفظ عنه : كانوا يجزمون التكبير .

و اختلف في لفظه و معناه فقال الهروي رحمه الله تعالى في الغريبين : عوام الناس يضمّون الراء من "الله أكبر" . و قال أبو العباس المبرد : "الله أكبر" بالتسكين . فإن الأذان سمع موقوفًا غير معرب في مقاطعه . وكذا قال ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية : إن معناه أن التكبير و السلام لا يمدان و لا يعرب التكبير بل يسكن آخره . و تبعه المحب الطبري رحمه الله تعالى . و هو مقتضى كلام الرافعي رحمه الله تعالى في الاستدلال به على أن التكبير جزم لا يمد .

و يمكن الاستشهاد له بما أخرجه الطيالسي في مسنده من طريق ابن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه قال : صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لا يتمّ التكبير . لكن خالفهم شيخي رحمه الله تعالى قائلا : فيما قالوه نظر . لأن استعمال لفظ الجزم في مقابل الإعراب اصطلاح حادث لأهل العربية فكيف تحمل عليه الألفاظ النبوية . يعني على تقدير الثبوت . و جزم بأن المراد بحذف السلام و جزم التكبير الإسراع به .

و قد أسند الحاكم عن أبي عبد الله أنه سئل عن حذف السلام فقال : لا يمد . و كذا أسنده الترمذي في جامعه عن ابن المبارك رحمه الله تعالى أنه قال : لايمد مدًّا . قال الترمذي رحمه الله تعالى : و هو الذي استحبه

العلماء .

و **قال** الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإحياء : يحذف السلام و لا يمده مدا فهو السنة . و قيل : معناه إسراع الإمام به لئلا يسبقه المأموم .

و **أمّا لفظ** "فجزم" فهو بالجيم والزاي المعجمة . و ضبطه بعضهم بالحاء المهملة والذال المعجمة . ومعناه السرعة . حكاه ابن سيد الناس ، و كذا المحدث السروجي من الحنفية . وحديث "حذف السلام سنة" أخرجه أبوداود والترمذي و ابن خزيمة و الحاكم . انتهى كلام السخاوي ملخصًا .

و **في رسالة** الأحاديث المشتهرة للجراحي : سئل السيوطي عن حديث "التكبير جزم" فقال : هو غير ثابت كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ . و إنما هو من قول إبراهيم النخعي . و معناه كما قال جماعة منهم الرافعي أنه لا يمد . و أغرب المحب الطبري فقال : معناه لا يمد و لا يعرب آخره .

و هـذا الثاني مردود بوجوه : أحدها : مخالفته لتفسير الراوي عن النخعي . و الرجوع إلى تفسيره أولى . وثانيها : مخالفته لما فسره به أهل الحديث و الفقه . وثالثها : إطلاق الجزم على حذف الحركة الإعرابية . ولم يكن معهودًا في الصدر الأوّل . انتهى كلامه . هذا . و الله أعلم بالصواب و أعلم بالحقائق و الأسرار و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الأربعون

من خصائص الجلالة اختصاصها بالذكر في القرآن في موطن ولاية الإيمان التي هي من أكبر الولايات بل أساسها على ما صرح به بعض العارفين الكاملين .

و وجه ذلك كون هذا الاسم الشريف جامعًا لمفهومات الأسماء الحسنىٰ كلها كما أن الإيمان جامع للكمالات الأخروية و الدينية بأسرها . قال الله تعالى : ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .

قال الشيخ العارف تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي و شيخه الإمام أبي الحسن الشاذلي رحمهما الله عَزَّ وَجَلَّ ص٣٧ : الولاية ولايتان : ولاية الإيمان و ولاية الإيقان . فولاية الإيمان كما قال الله تعالى : ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .

ثم قال : و ههنا فوائد . منها : اختصاص اسم "الله" بالذكر في هذا الموطن دون ما سواه من الأسماء . فقال الله سبحانه : ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . ولم يقل : الرحمن و لا القهار ولا غير ذلك من الأسماء التي تتضمن الأوصاف . لأنه أراد أن يعرّفك بشمول ولايته لسائر المؤمنين من الاسم الجامع لجميع الأسماء . فلو ذكر اسمًا من أسماء الأوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الاسم . انتهى .

ثم قال : وأما ولاية الإيقان فهي تتضمن الإيمان والتوكل . وقد قال الله سبحانه : وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ . ولا يكون التوكل إلاّ مع اليقين . ولا يكون توكل و يقين إلاّ مع الإيمان . لأن اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله تعالى في القلب ، مأخوذ من "يقن الماء في الجبل" إذا استقر و سكن

فيه . فكل يقين إيمان ، و ليس كل إيمان يقينًا . و الفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة ، و اليقين لا تجامعه الغفلة . انتهى كلامه . هذا . والله أعلم بالحقائق و أعلم بالأسرار و بما هو صواب من الدقائق و بما هو حقّ من الحقائق و علمه أجلّ و أعلى و أتمّ .

الله أكبر

الباب الحادي و الأربعون
و فيه خمس خصائص

من خصائص اسم "الله" الكريم أنه اسم خماسي مركبٌ من الألف و اللامين و الألف و الهاء . وكل حرف منه حامل لإشارة لطيفة و نكتة شريفة عند طائفة أرباب القلوب الصافية ، يتعسر فهمها على غيرهم .

فهذه خمس خصائص حسب عدد حروف الجلالة . و في ضمنها خصائص ومزايا كثيرة ، فتفكر فيها .

قال بعض العارفين بالله تعالى : اعلم : أن هذا الاسم خماسي . لأن الألف قبل الهاء ثابتة في اللفظ ولا يعتد لسقوطها في الخط . لأن اللفظ حاكم على الخط .

و اعلم : أن الألف الأولى عبارة عن الأحدية التي هلكت فيها الكثرة ولم يبق لها وجود بوجه من الوجوه . وذلك حقيقة قوله تعالى : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ . يعني وجه ذلك الشيء ، وهو أحدية الحق فيه و منه له الحكم . فلا يقيد بالكثرة إذ ليس بها حكم . و لما كانت الأحدية أوّل تجلّيات الذات في نفسه لنفسه بنفسه كان الألف في أوّل هذا الرسم و انفراده بحيث لا يتعلق به شيء من الحروف تنبيهًا على الأحدية التي ليس للأوصاف الحقية و لا للنعوت الخلقية فيها ظهور . فهي أحدية محضة اندحض فيها الأسماء و الصفات و الأفعال و التأثيرات و المخلوقات .

و إليه أشارت بسائط هذه الحروف باندحاضها فيه . إذ بسائط هذا الحرف ألف و لام و فاء . فالألف حرف من البسائط يدل على الذات الجامعة للبسائط و المنبسط فيه . و حرف اللام بقائمته يدل

على صفاته القديمة ، و بتعريفه يدل على متعلقات الصفات ، وهي الأفعال القديمة المنسوبة إليه .

و حرف الفاء يدل على المفعولات بهيئته . و يدل بنقطته على وجود الحق في ذات الخلق ، أي على وجود آثار قدرة الحق في ذات الخلق . و يدل باستدارة رأسه و تجويفه على عدم التناهي للتمكن من قبوله للفيض الإلهي . و استدارة رأس الفاء محل الإشارة لعدم التناهي للممكن . لأن الدائرة لا يعلم لها ابتداء و لا انتهاء . و تجويفه محل الإشارة لقبوله الفيض . إذ المجوَّف لابد أن يقبل شيئًا يملؤه .

و ثم نكتة أخرى وهي النقطة التي في رأس الفاء كأنها هي التي دائرة رأس الفاء محلها .

و هنا إشارة لطيفة إلى الأمانة التي حملها الإنسان . وهي أعني الأمانة كمال الألوهية . كما أن السماء والأرض و أهليهما من المخلوقات لم تستطع حمل هذه الأمانة . وكذلك جميع الفاء ليس محلًّا للنقطة سوى رأسها المجوف الذي هو عبارة عن الإنسان .

و ذلك لأنّ الإنسان رئيس هذا العالم . و فيه قيل : أوّل ما خلق الله روح نبيك يا جابر . فكذلك القلم من يد الكاتب أوّل ما يصوّر رأس الفاء . فتحصل من هذا الكلام وما قبله أن أحدية الحق يبطن فيها حكم كل شيء من حقائق أسمائه و صفاته و أفعاله و مؤثّراته و مخلوقاته . ولا يبقى إلّا صفة ذاته المعبر عنها من وجه بالأحدية .

الحرف الثاني : من هذا الاسم هو حرف اللام الأوّل . فهو عبارة عن الجلال . و لهذا كان حرف اللام ملاصقًا للألف . لأن الجلال أعلى تجلّيات الذات و هو أسبق إليها من الجمال . و قد ورد في الحديث النبوي : العظمة إزاري و الكبرياء ردائي ، ولا أقرب من الإزار و الرداء إلى الشخص . فثبت أن صفات الجلال أسبق إليه من صفات الجمال . و لا يناقض هذا قوله تعالى : سبقت رحمتي غضبي . فإن الرحمة السابقة إنما هي شرط العموم . و العموم من الجلال .

و اعلم : أن الصفة الواحدية الجمالية إذا استوفت كمالها في الظهور أو قاربت سُمّيت جلالًا لقوة ظهور سلطان الجمال . فمفهوم الرحمة من الجمال ، و عمومها و انتهاؤها هو الجلال .

الحرف الثالث : هو حرف اللام الثاني و هو عبارة عن الجمال المطلق الساري في مظاهر الحق سبحانه وتعالى . و جميع أوصاف الجمال راجع إلى وصفين العِلْم و اللطف كما أن جميع أوصاف الجلال

راجع إلى وصفين العظمة و الاقتدار . و نهاية الوصفين الأوّلين إليهما ، فكأنهما وصف واحد .

و من ثم قيل : إن الجمال الظاهر للخلق إنما هو جمال الجلال ، والجلال إنما هو جلال الجمال . لتلازم كل واحد منهما للآخر . فتجلّياتهما في المثل كالفجر الذي هو أوّل مبادي طلوع الشمس إلى نهاية طلوعها . فنسبة الجمال نسبة الفجر ، و نسبة الجلال نسبة شروقها . و هذا الإشراق من ذلك الفجر ، و ذلك الفجر من هذا الإشراق . فهذا معنى جمال الجلال و جلال الجمال .

ولما كان هذا الحرف أي اللام إشارة إلى هذين المظهرين لكن باختلاف المراتب وكانت بسائطه " لام ، ألف ، ميم " . و جملة هذه الأعداد أحد و سبعون عددًا . و تلك هي عدد الحجب التي أسدلها الحق دونه بينه و بين خلقه . وقد قال النبي ﷺ: إن لله نيفا وسبعين حجابًا من نور وهو الجمال و ظلمة وهو الجلال ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره . يعني الواصل إلى ذلك المقام لا يبقى له عين و لا أثر . وهي الحالة التي يسميها الصوفية المحق و السحق .

فكل عدد من أعداد هذا الحرف إشارة إلى مرتبة من مراتب الحجب التي احتجب الله تعالى بها عن خلقه . و في كل مرتبة من مراتب الحجب ألف حجاب من نوع تلك المرتبة كالعزة مثلاً ، فإنها أوّل حجاب قيد الإنسان في المرتبة الكونية . ولكن له ألف وجه وكل وجه حجاب . وكذلك بواقي الحجب . و لولا قصد الاختصار لشرحناها على أتم وجه و أكمله .

الحرف الرابع : هو حرف الألف الساقط في الكتابة و لكنه ثابت في اللفظ . وهو ألف الكمال المستوعب الذي لا نهاية ولا غاية له . و إلى عدم غايته الإشارة بسقوطه في الخط . لأن الساقط لا تدرك له عين ولا أثر . و في ثبوته في اللفظ إشارة إلى حقيقة وجود نفس الكمال في ذات الحق سبحانه وتعالى .

فعلى هذا الكامل من أهل الله في أكمليته يترقّى في الجمال . و الحق سبحانه وتعالى لايزال في تجلّيات . وكل تجلٍّ من تجلّياته في ترقٍ في أكمليته . فإن الثاني يجمع الأوّل فتجلّياته أيضًا في ترق .

و لهذا قال المحققون : إن العالَم كله في ترقٍ في كل نفس . لأنه أثر تجليات الحق و هي في الترقي . فلزم من هذا أن يكون العالَم في الترقي .

الحرف الخامس : من هذا الاسم هو حرف الهاء . فهو إشارة إلى هوية الحق الذي خلق الإنسان

على صورته القويمة . فاستدارة رأس الهاء إشارة إلى دوران رحٰى الوجود الحقي و الخلقي على الإنسان .

فهو في عالَم المثال كالدائرة التي أشار الهاء إليها . فالأمر في الإنسان دوري بين أنه مخلوق له ذلّ العبودية و العجز و بين أنه مخلوق على صورة الرحمن . فله الكمال و العز . هـذا كلامه . هذا . والله أعلم بالأسرار الخفيّة و الإشارات العلية و الحقائق السنيّة ، و علمه أوسع و أعلى و أجلى و أتمّ .



الباب الثاني و الأربعون

من خصائص هذا الاسم الشريف الجليل ما في تركيبه الغريب و ترتيب حروفه العجيب من بدائع اللطائف الربانية و لطائف البدائع النورانية و عجائب الإشارات المكتومة و غرائب النكات المنيفة المكنونة.

قال بعض أهل الكشف: ثم أوجد سبحانه وتعالى الحركات و الحروف و المخارج تنبيهًا منه سبحانه وتعالى على أن الذوات تتميز بالصفات والمقامات. فجعل الحركات نظير الصفات، و جعل الحروف نظير الموصوف، و جعل المخارج نظير المقامات والمعارج.

فأعطي هذا الاسم الجليل من الحروف على عموم وجوهه من وصل و قطع "ء، ا، ل، ه، و" أي همزةً و ألفًا و لامًا و هاءً و واوًا.

فالهمزة أوّلًا و الهاء آخرًا، و مخرجهما واحد مما يلي القلب. ثم جعل بين الهمزة و الهاء حرف اللام، و مخرجه اللسان ترجمان القلب. فوقعت النسبة بين اللامين و الهمزة و الهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام و بين اللسان المترجم عنه. قال الأخطل:

إنّ الكلام لفي الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلًا

فلما كانت اللام من اللسان جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها، فأفناها عنها وهي الحنك الأسفل. فلما نظرت إليه لا إلى ذاتها علت و ارتفعت إلى الحنك الأعلى، و اشتد اللسان بها في الحنك اشتدادا لتمكن علوها و ارتفاعها بمشاهدته.

و خرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر مخبرة دالة عليه . و ذلك مقام باطن النبوة . و هي الشعرة التي فينا من الرسول ﷺ . و في ذلك يكون الورث .

فخرج من هذاالوصل أن الهمزة و الألف و الهاء من عالم الملكوت ، و اللام من عالم الجبروت ، و الواو من عالم الملك . كذا في الفتوحات ج١ ص١٠٥ . هذا . والله أعلم بالصواب من الحقائق والإشارات و بما هو حقّ من الدقائق و النكات و علمه أتم و أعلى .



الباب الثالث و الأربعون
و فيه خاصّتان

من خصائص الاسم "الله" الكريم أن واضعه أوّل الناس ، وهو آدم على نبينا و عليه الصلوات والتسليات ، كما صرح به بعض العارفين بالله تعالى من أهل الكشف و المعارف . و هذه خاصة واحدة .

و أيضًا هو أوّل أسماء الله الحسنى وضعًا . و هذه خاصّة ثانية .

و توضيحه أنّ أسماء الله تعالى كما قال بعض الكاملين من الطريقة وضعها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و آدم عليه الصلاة والسلام أوّلهم . و هـذا يقتضي تقدم وضع الجـلالة على سائر أسماء الله الحسنى . فهما خاصتان للجلالة غريبتان عظيمتان .

قال العارف بالله الشيخ عبد العزيز الدباغ رحمه الله تعالى : أوّل من وضع اسم الجلالة أبونا آدم على نبينا و عَليه الصلاة و السلام . و ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما نفخ فيه الروح نهض مستوفزًا فقام على رِجل و اتكأ على ركبة الرِجل الأخرى ، فحصلت له في تلك الحـالة مع ربه مشاهدة عظيمة ، فأنطق الله لسانه في هذا الوقت بلفظ يؤدّي الأسرار التي شاهدها من الذات العليـة ، فقال أي في هذا الوقت : الله . انتهى كلامه .

و قال أيضًا الشيخ المذكور في بيان أسمائه الحسنى : إن معانيها حصلت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من مشاهدات . فمن شاهد معنًى وضع له اسما . فالمعاني ظهرت لهم على قدر مشاهدتهم في الله تعالى ، والأسماء خرجت منهم بحسب ذلك . قال رحمه الله تعالى : فجميع الأسماء حصلت بوضع الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام . و سيدنا

إدريس عليه الصلاة والسلام أوّل من وضع "عليمًا" و "قويًا" و "عظيمًا" و "منّانًا" .

و هكذا كل نبي وضع شيئا منها . ولكنهم وضعوها بلغتهم . و مزية القرآن أنه جمعها كلها . و أتى بها مع ذلك بلغة العرب لا بألسنة الأنبياء المتقدمين . و قد خرج في علمه سبحانه وتعالى أنه يتسمّى بهذه الأسماء الحسنى . فلذا أجراها على لسان أنبيائه و أصفيائه عليهم الصلاة والسلام .

قال رحمه الله تعالى : و لو وضع سيد الوجود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمعاني التي حصلت له من مشاهدته التي لا تطاق أسماءً لذاب كل من سمعها . ولكنه سبحانه وتعالى لطيف بعباده .

و إياك أن تظن أن هذا الكلام فيه مخالفة للعقيدة ، وهي أن الأسماء الحسنى قديمة ، فإن المراد بقدمها قدم معانيها لا ألفاظها الحادثة . لأن كل لفظ عرض ، و كل عرض فهو حادث ، لاسيما إذا كان سيّالًا مثل الألفاظ و الأصوات . و ذلك واضح . انتهى ما في كتاب الإبريز .

فكل اسم من الأسماء الحسنى حامل لأنوار مشاهدة النبي الذي وضع هذا الاسم عندها . و للأولياء الكمل نصيب من تلك المشاهدات و الأنوار وراثةً لا إصالةً بقدر استعدادهم و درجاتهم . و يحصل لهم في هذه المشاهدات السير في الله إلى الله بالله . ويُسقَون من أنوار بعض أسماء الله الحسنى . فطوبى لمن سقاه الله تعالى نور اسم من الأسماء الحسنى و نوّر قلبه و شرح صدره بنور الولاية .

فائدة شريفة

يناسب هذا الموضوع أن نذكر هنا تفصيل بعض أحوال تتعلّق بهذا الموضوع و بهذا الباب تبصرة و تذكرة .

قال الشيخ ابن المبارك رحمه الله تعالى ناقلًا عن شيخه ولي الله الأُمّي العارف بالله : سمعته يقول : إن في أسماء الله تعالى اسمًا إذا سُقي العبد بنوره بكى دائمًا .

فقلت : و ما هو ؟ فقال : القريب .

فقلت : كأنه إنما بكى لأن رجوعه من غفلته إلى ربه بمنزلة من رجع من سفره إلى أعزّ خلق الله عنده كأمّه مثلًا فتراه يبكي إذا رآها . فقال رحمه الله تعالى : بكاؤه مع أمّه محض فرح و سرور ، و مع ربه عزوجل

فيه ذلك و شيء آخر و هو الحياء العارض له من تذكر مخالفة أوامر ربّه زمان غفلته .

قال رحمه الله تعالى : ومن أسمائه تعالى اسمٌ إذا سقي العبد بنوره ضحك دائمًا أبدًا . وكان بمنزلة من جاءه جماعة ، و لنفرضهم ستين رجلًا مثلًا فأزالوا ثيابه ، و جعلوا يدغدغونه و يغمزونه بأصابعهم في مواضع ضحكه ، و هو بين أيديهم لا يقدر على الخلاص منهم .

فقلت : و ما هو هذا الاسم ؟

فقال : المتعالي . قال رحمه الله تعالى : ولا زمان أصعب على الولي من زمان سقيه بأنوار الأسماء لاضطراب ذاته بين مقتضياتها . فكل اسم يقتضي منه خلاف ما يقتضيه الآخر .

و قال رحمه الله تعالى : ورثت عشرة من الأولياء منهم سيدي عمر بن محمد الهواري و سيدي عبدالله البرناوي وكان من الأقطاب . وكان يقول : إن سيدي عبدالله البرناوي سقي بأنوار نيف و سبعين من أسماء الله الحسنى . و سيدي يحي صاحب الجريد و سيدي منصور بن أحمد من أهل جبل حبيب وكان أيضًا قطبًا .

و قال رحمه الله تعالى : و منهم من يسقى باسم واحد . فيدوم حكمه عليه من ضحك دائمًا و بكاء دائمًا أو غير ذلك . و منهم من يسقى باثنين ، و منهم من يسقى بأكثر من ذلك .

فقلت : و بكم سقيتم أنتم ؟

فقال رحمه الله تعالى ، وهو الصادق فيما يقول : سقيت بسبعة و تسعين اسمًا بالمائة كلّها إلّا ثلاثة .

فقلت : إنما هي تسعة و تسعون .

فقال رحمه الله تعالى : والمكمل للمائة لم يعدّ فيها . لأن الناس لايطيقونه . و هو اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

و قال رحمه الله تعالى : ولا يسقى بهذا العدد يعني العدد الذي سقي هو به إلّا واحد من الأولياء . قلت : هو الغوث . ثم هذا الذي قاله في أوّل الأمر .

و سمعت منه في آخر أمره رحمه الله تعالى أنه سقي بالعدد كله أعني المائة . و أن السقي بها ينقسم إلى

قسمين : أحدهما في مقام الروح . فمن الأولياء من يسقى بواحد . و منهم من يسقى بأكثر . و لا يكمل المائة كلها إلّا الغوث . السقي الثاني في مقام السر . هذا ما في كتاب الإبريز .

قلت : و لعل سقي اسم من الأسماء هو سبب ضحك الشيخ أبي يزيد رحمه الله تعالى مدةً وبكائه مدةً ، ثم خلاصه منهما كليهما ، كما في الفتوحات المكية ج٣ ص٨٥ حيث قال :

و أمّا الأرواح بمجردها فلا لذّة ولا ألم . وقد يحصل ذلك لبعض العارفين في هذا الطريق . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى : ضحكت زمانًا و بكيت زمانًا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي . انتهى كلامه .

فصل

إن قلت : ما وجه ما قلت سابقًا إنّ نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم لو وضع اسمًا من أسماء الله الحسنى لذاب كل من سمعه ؟

قلت : وجه ذلك قوة مشاهدته عليه الصلاة والسلام و تمامها . فإن المشاهدة على قدر المعرفة و المرتبة . و معرفته عليه الصلاة والسلام بالله تعالى لا توازيها معرفة ، و مرتبته عند الله تعالى لاتساويها مرتبة . ولذا أمسك جبريل عليه الصلاة والسلام عن رفاقته عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج إلى ما وراء سدرة المنتهى ، و أبدى العجز عن مشاهدة أنوار ما وراء سدرة المنتهٰى .

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى نقلاً عن شيخه ولي الله الدباغ رحمه الله تعالى في بيان كون مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لا تطاق : إن المشاهدة على قدر المعرفة ، و إن المعرفة حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم حين كان الحبيب مع حبيبه و لا ثالث معهما . فهو صلى الله عليه وسلم أوّل المخلوقات . فهناك سقيت روحه الكريمة من الأنوار القدسية و المعارف الربانية ما صارت به أصلا و أفضل المرسلين .

فلما دخلت روحه الكريمة في ذاته الطاهرة سكنت فيها سكنى الرضا و المحبة و القبول ، فجعلت تمدّها بأسرارها وتمنحها من معارفها . والذات تترقى في المعارج و المعارف شيئا فشيئا من لدن صغره صلى الله عليه وسلم إلى أن بلغ أربعين سنة .

فزال الستر حينئذ الذي بين الذات والروح ، وانمحى الحجاب الذي بينهما بالكلية . و حصلت له ﷺ المشاهدة التي لا تطاق ، حتى صار يشاهد كمشاهدة العيان أن الحق تعالى و سبحانه هو المحرّك لجميع المخلوقات و الناقل لهم من حيز إلى حيز . و المخلوقات بمنزلة الظروف و أواني الفخار لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا .

فأرسله الله تعالى و هو على هذه المشاهدة و المخلوقات في عينيه ذوات خالية و صور فارغة ، ليكون رحمة لهم . فلا يرى الفعل منهم حتى يدعو عليهم فيهلكوا كما فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله مع أممهم . ولذا استعجلوا دعواتهم وأُخِّرت دعوة نبينا ﷺ شفاعةً إلى يوم القيامة . فصارت دعوته رحمة على رحمة . و ظهر مصداق قوله تعالى : وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ . و مصداق قوله عليه الصلاة والسلام : إنما أنا رحمة مهداة للخلق . و هذا أوّل بداية له ﷺ في المشاهدة . وفي كل لحظة يترقّى و يعرج في مقاماته التي لا تكيف .

فقلت : و هل بقي فوق ذلك شيء ؟ فقال رحمه الله تعالى : لو عاش نبينا ﷺ إلى زماننا هذا ما وقف في الترقّي . فإن كمالات مولانا تعالى لا نهاية لها .

فقلت : فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تفوتهم المشاهدة السابقة . إذ لو لم يكن معهم إلّا مجرد الإيمان بالغيب بأنّ الله هو الخالق لنا و لأفعالنا لكانوا بمنزلة عوام المؤمنين .

فقال رحمه الله تعالى : حصلت لهم المشاهدة بلا شك لكن الستر لم يزل بالكلية . و في مشاهدة نبينا ﷺ زال بالكلية .

ثم قال رحمه الله تعالى : ففي القرآن العزيز من الأنوار القدسية و المعارف الربانية والأسرار الأزلية شيء لا يطاق بحيث أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام صاحب التوراة و سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام و سيدنا داود عليه الصلاة والسلام لو عاشوا حتى أدركوا القرآن و سمعوه لم يسعهم إلّا اتباع القرآن و الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في أقواله و الاهتداء به في أفعاله . و لكانوا أوّل من استجاب له و آمن به و قاتل بالسيف أمامه . انتهى كلامه . هذا . والله يقول الحق و هو يهدي السبيل و علمه أجلّ و أعلى .

الباب الرابع و الأربعون
و فيه نحو ستّ و أربعين خاصّةً

من خصائص الجلالة قول العرب فيها "اللّهم" بإلحاق الميم المشدّدة في آخرها . وهي من نفائس الخصائص و غرائب المزايا لهذا الاسم الشريف .

اعلم : أنّا جمعنا بتوفيق الله عزّوجّل في هذا الباب خصائص ناضرة وافرة بديعة لطيفة عجيبة تسرّ الناظرين المنصفين ، و تُبهِج القارئين الغير المتعسّفين ، وأتينا فيه بفضل الله تعالى و كرمه خواصّ لهذا الاسم الأعظم عاطرة زاهرة رفيعة منيفة غريبة تصافح أذهان الخلاّن من العلماء الأتقياء و تعانق قلوب الإخوان من الفضلاء الأصفياء .

فلله هذا الاسم الأعظم ، ما أعظم شانه و ما أحسن بيانه و ما أكثر مزاياه . فهو نور الله الأنور ، و زَهر الله الأزهر ، و بحر الله الأزخر ، و حدِّث عن البحر ولا حرج ، وكنز الله الأوفر ، و خُذ من الكنز و إياك و الخَمَج .

إن قلت : ما مناط هذه الخصائص المتعلّقة بلفظة "اللّهمّ" ؟

قلت : في أصل "اللّهم" و في ميمها أربعة أقوال . و سيأتي تفصيلها . و إنّما مناط الخصائص المذكورة في هذا الباب و مبناها ثلاثة أقوال من هذه الأربعة ، وهي ما تلي :

القول الأوّل للبصرية : و هو أن الميم عوض عن حرف النداء المحذوف . و إنّما شدّدت الميم لكونها خلفًا من حرفين . و هذه إحدى خواص الجلالة . فلا يجوز في يا زيد "زيدمّ" بتعويض الميم

المشدّدة من حرف "يا".

و القول الثاني للكوفية : و هو أن الميم بقية الجملة . والأصل "يا الله أمَّنا بخير" مِن أمّه يؤمّه إذا قصده . و هذه خاصة ثانية . حيث لا يقال في "يا زيد أمَّنا" "زيدمّ" بالميم المشدّدة .

و القول الثالث : ألقى الله تعالى في روعي و كشفه عليّ ، إنه هو الملهم للصواب : أن الميم ليست عوضًا عن حرف النداء كما قال أهل البصرة و لا بقية الجملة كما ادّعى أهل الكوفة . بل زيدت هذه الميم في الآخر تكثيرًا للفظ الدعاء و مبالغة في المعنى و الدعاء و طلب الإقبال كما زيدت الميم في "ابنم" و "زرقم" للتوكيد والمبالغة . ولم يزيدوها في اسم آخر من أسماء الله الحسنى ، لما أن للجلالة خواصّ لاتوجد في غيرها . و هذه خاصة ثالثة .

ثم شددت الميم قصدًا لزيادة المبالغة . و هذه خاصة رابعة ، حيث لا توجد في اسم آخر من الأسماء .

ثم اعلم : أن في لفظة "اللّهم" مباحث بديعة و أسرارًا رفيعة هي بغية العلماء و طلبة الفضلاء . و لي كتاب مفرد في هذا الموضوع غريب دقيق أتينا فيه ببدائع اللطائف و لطائف البدائع ، أنمق ههنا خلاصة ما حواه كتابي . فأقول و على الله الاعتماد و التكلان و هو الموفّق و المستعان :

فصل
في أصل "اللّهم"

اعلم : أن في أصل لفظة "اللّهمّ" أربعة أقوال ، و لك أن تقول : أربعة مسالك . أمّا المسلكان الأخيران أي الثالث و الرابع فمشهوران و مذكوران في كتب العلماء . و أمّا القولان الأوّلان فمن خصائص هذا الكتاب . و لن تجدهما في كتاب آخر من كتب السلف و الخلف .

المسلك الأوّل : أنه اسم من أسماء الله على حدة مستقلّ غير مأخوذ عن اسم آخر . وهذا كقول الخليل و أتباعه في لفظة "الله" أنه اسم مستقلّ غير مشتق من "إله" و أن اللام فيها جزء منها .

و يؤيّد هذا القول ما قالوا : إن "اللّٰهم" اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى . فلو كانت الميم زائدة عوضًا أو بقيةً من الجملة لما كان للحكم على مجموع الميم و اسم "الله" بأنه الاسم الأعظم معنًى إلّا بضرب من التأويل و الأخذ بالتسامح .

المسلك الثاني : هذا المسلك الثاني هو قولي و مختاري ، قد ألهمنيه ربّي و نفثه في روعي بعد الدعاء والتضرُّع إليه تعالى . و أستيقن أنه لمّة من لمّات الملك ، شرح الله صدري لها في ساعة مستجابة . فإن نزعتَ من صدرك الغلّ و الحسد و تفكرت فيه حق التفكر رأيت قولي أحسن الأقوال المسطورة توجيهًا و أقل تكلُّفًا و أعلق بالقلب و أسلم من خدشات يخدشن سائر الأقوال و أقوى لثبوت النظائر . فانظر إلى القول لا إلى من قال ، و ليخطر ببالك المثل الدائر السائر : كم ترك الأوّل للآخر .

و حاصل قولي أن الميم في "اللّٰهم" زيدت في الآخر للمبالغة في المعنى والتوكيد . و اسم "الله" أحق بذلك ، لاسيما في مقام النداء و الدعاء وما يقتضي الخشوع و الإنابة . و لمّا لم يتمكن فيه المبالغة باعتبار الأوزان كما في "غفّار" و "قهّار" و "ستّار" و "رحيم" و نحو ذلك زيدت في آخره الميم للتوكيد والمبالغة . إذ اسم "الله" أحرٰى الأسماء الحسنى بأن يحوز جميع المحاسن اللفظية كما حاز كل مزية من المزايا المعنوية . ولا يخفى على المتفحص الأديب البارع اللبيب أن المبالغة و التوكيد مما يعطي اللفظ جمالاً و بهاءً ، و يزيده بهجةً و ماءً .

إن قلت : قولك هذا يستلزم رفض أقوال الأئمة .

قلت : لا قبح فيه إذ هو رفض أقوالهم و ذهاب إلى أقوالهم المسدّدة و تمسُّك بأصولهم الممهدة . فسلكنا يؤيّده كثير من أصول وضعوها واتّفقوا عليها وتعضده قواعد أسّسوها وأجمعوا عليها ، مع سلامته عن خدشات و اعتراضات ترد على مسلك الكوفية و البصرية كما ستأتي .

فمن أصولهم الموضوعة المسلّمة أنه إذا جاء في مسألة احتمالات يختار ما هو موجّه و معقول على ما هو غير معقول . و أنت تعلم أنه لا حامل على تعويض الميم كما قال سيبويه . ولا باعث على حذف الجملة و إبقاء الميم كما اختار الكوفية .

و أمّا زيادة الميم في آخر الجلالة كما هو رأي هذا العبد الضعيف البازي فلها وجه حسن يعلق

بالقلب ، و باعث قوي يعانق الفؤاد . و هو التوكيد و المبالغة في المعنى و في طلب الإقبال .

ولا يخفى أن المبالغة تزيد الكلام حسنا و بهجة ، و تكسوه رونقا و عظمة ،لاسيما مقام الدعاء والتضرع . إذ تعظيم المدعوّ و تبجيل شان المسؤول أقرب إلى الإجابة و أدخل في إقبال المسؤول على السائل ، و قد صرحوا أن أكثر ما يستعمل فيه "اللّهم" مقام الدعاء .

و منها : ما أطبقوا عليه أن الحمل على ما له نظير أولى من الحمل على ما ليس له نظير . و قد عقد السيوطي رحمه الله له في الأشباه والنظائر النحوية بابًا ، ونمق له فروعًا كثيرة استخرجها الأئمة بهذا الأصل العظيم .

إذا عرفت هذا فأقول : لايوجد في كلام العرب لقول سيبويه ولا لقول الكوفيين في "اللّهم" إلّا نظير أو نظيران . و أما القول المختار لهذا العبد الضعيف البازي أي زيادة الميم في الآخر للتوكيد و المبالغة فله نظائر لا تعدّ ولا تحصٰى .

إن قلتَ : ما تفصيل تلك النظائر التي زيدت في آخرها الميم للتوكيد و المبالغة و غير ذلك من الأغراض ؟

قلت و بالله التوفيق وهو المستعان و المعين نعم المولى و نعم الوكيل : هذه نقول العلماء العظام و أقاويل الأئمة الكبار الفخام المشتملة على تفصيل نظائر تؤيّد مسلك هذا العبد الضعيف و تعضد ما اختاره و ترجّح ما ألقي في روعه على سائر المذاهب في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى .

قال الملا علي القاري رحمه الله في شرح مقدمة الجزري ص٧٩ : و "ابنم" هو "ابن" فزيدت الميم للتوكيد و المبالغة كما في "زرقم" بمعنى الأزرق . انتهى كلامه بتغيير .

و قال الإمام الثعالبي رحمه الله في سر العربية ص٣٢٨ : و تزاد الميم في أواخر الأسماء للمبالغة كما زيدت في "زرقم" و "ستهم" و "شدقم". و قرأت في رسالة الصاحب بن عباد : ولكن للتبظرم خفّة . و في "تبظرم" زعم غلام ثعلب أن "البظر " الخاتم ، و أن قولهم "تبظرم" مشتق منه . و أحسبه حسب الميم تزاد في التصاريف كما زيدت في "زُرْقُمٌ" و "سُتهُم" . انتهى ما ذكره الإمام الثعالبي .

قال العلامة الأشموني رحمه الله في شرح الألفية ج٤ ص١٨٧ : اعلم : أن الزيادة تكون لأحد سبعة

أشياء للدلالة على معنى كحرف المضارعة ، و للإلحاق كواو كوثر ، وللمد كألف رسالة ، وللعوض كتاء إقامة ، و للتكثير كميم "ستهم" و "زرقم" و "ابنم" زيدت لتفخيم المعنى و تكثيره ، و للإمكان كألف الوصل ، و للبيان كهاء السكت . انتهى كلامه .

قال العلامة الصبان رحمه الله في شرح الأشموني : في القاموس : "الستهم" بالضم الكبير العجز . انتهى . و فيه أيضًا "الزرق" محركة و "الزرقة" لون معروف . ثم قال "الزرقم" بالضم الشديد الزرق للمذكر و المؤنث . انتهى كلامه .

و قال الأشموني رحمه الله أيضًا فيه ج٤ ص١٩٧ : وأمّا "زُرْقُمٌ" وبابه نحو "ستهم" و "دلقم" و "ضرزم" و "فسحم" و "دردم" فالميم زائدة في جميع ذلك لزيادة المعنى و المبالغة . لأنّها من الزرقة ، و السته ، و الاندلاق و هو الخروج ، و الضرز و هو البخيل ، يقال : ناقة ضرزة ، أي قليلة اللبن ، و الانفساح ، و الدرد و هو عدم الأسنان ، و الوصف منه أدرد و درد . انتهى كلامه .

قال العلامة الصبان في شرحه : قوله "و أمّا زرقم و بابه" أي من كل ثلاثي زيد في آخره ميم تكثيرًا للفظ و مبالغةً في المعنى . و الزرقم بضم فسكون فضم الشديد الزرقة ، والستهم بوزن الزرقم الكبير العجز ، والدلقم بكسرتين بينهما سكون العجوز ، والضرزم كجعفر و زبرج . يقال : أفعى ضرزم شديدة العض ، و الفسحم كالزرقم مكان متسع و رجل واسع الصدر ، و الدردم كالدلقم المرأة التي تجيء و تذهب بالليل . انتهى كلامه باختصار .

و في مزهر اللغات ج٢ ص٢٥٧ : ذكر في الجمهرة ألفاظًا متعدّدة ، زادوا الميم في آخرها أي للمبالغة و تكثير اللفظ ، و هي :

"زرقم" من الزرق ، و "سُتْهُم" من عظم الإست ، و "ناقة صِلْدم" من الصلد ، و "ناقة ضِرزم" من قولهم ضرز أي صلب ، و "رجل فُسحم" من الفساحة ، و "جُلهم" من جلهة الوادي ، و "خَلجَم" من الخلج و الانتزاع ، و "سَلطَم" من السلاطة و هو الطويل ، و "كَردم" و "كلدم" من الصلابة من قولهم : أرض كلدة ، و "قشعم" من يبس الشيء و تشنجه ، و "دلهم" اسم رجل قالوا من الدله و هو التحير . فإن كانت من ذلك فالميم زائدة ، و إن كانت من ادلهمّ الليل فالميم أصلية . و "شبرُم" وهو القصير من

قولهم : قصير الشبر ، أي قصير القامة . فأما "الشبرم" ضرب من النبت ، فليست الميم بزائدة . هذا ما في الجمهرة في هذا الباب .

و قال في باب آخر : قالوا : في الابن "الابنم" فزادوا فيه الميم كما زادوا في الفم ، و إنما هو "فوه" قال : و "ابنم" هذا يقال فيه في التثنية "ابنمان" و في الجمع "ابنمون" و في الجر "ابنمين" . قال :

أتظلم جارتَيك عقال بكر و قد أوتيت مالاً و ابنمينا

و في الغريب المصنف : من ذلك شدقم : الواسع الشدق . و في الصحاح : يقال : رجل حَلِس للحريص . و كذلك حِلسم بزيادة الميم ، و جاحظ و جحظم ، والميم زائدة من "جحظت عينه" عظمت مقلتها و نتأت . و الدقعم : الدقعاء ، و الميم زائدة وهو التراب كما قالوا للدرداء : دِردِم ، و الجذعمة : الصغير ، و الميم زائدة و أصله جذعة . و الدِّلقم : الناقة التي تكسرت أسنانها من الكبر ، فتمجّ الماء ، والميم زائدة ، وأصلها الدلقاء و الدَّلوق . والدهقمة : لين الطعام وطيبه و رقّته ، والميم زائدة . والقِلحم : المسنّ من كل شيء ، والميم زائدة . والصَّلَخْدَم : القوي الشديد ، و الميم زائدة . و الحجرمة : الضيق و سوء الخلق ، و الميم زائدة .

و في شرح التسهيل لأبي حيان : من ذلك "حُلكم" للشديد السواد . و "خِضرِم" للبحر سمي بذلك لخضرته . و "خِدلم" معنى الخدلة و هي من النساء الغليظة الساق . و "شجعم" من الشجاعة . و "ضُبارم" من الضَّبر وهو شدة الخلق . و "حُلقوم" و "بُلعوم" من الحلق و البلع . انتهى كلامه . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل
في بسط ضابطة أولويّة حمل النظير على النظير

أردنا في هذا الفصل إيضاح ما صَرَّحوا به من الضّابطة المعروفة التي تؤيّد مسلك هذا العبد الضعيف البازي تأييدًا و ترجّحه ترجيحًا . و الضابطة المعروفة هي أن الحمل على ما له نظير أولى من الحمل على ما ليس له نظير . و في ذلك فروع كثيرة ذكروها في كتبهم و فصّلوها .

فمنها : "مروان" يحتمل أن يكون وزنه فَعلان أو مَفعالا أو فَعوالا . قالوا : إنّ الأوّل له نظير فيحمل عليه ، و الآخران مثالان لم يجيئا . ذكره ابن جني .

و منها : "فم" أصلها فوه بزنة فوز . حذفت الهاء لشبهها بحرف العلة لخفائها و قربها في المخرج من الألف . فحذفت كحذف حرف العلة . فبقيت الواو التي هي عين حرف الإعراب .

و كان القياس قلبها ألفًا لتحركها بحركات الإعراب و انفتاح ما قبلها . ثم يدخل التنوين على حد دخوله في نحو "عصًا" و "رحًى" فتحذف الألف لالتقاء الساكنين فيبقى المعرب على حرف واحد . و ذلك معدوم النظير . فلما كان القياس يؤدي إلى ما ذكر أبدلوا من الواو ميمًا ، لأن الميم حرف جلد يتحمل الحركات من غير استثقال ، و هما من الشفتين ، فهما متقاربان . ذكره ابن يعيش .

و منها : ألف "كِلَا" و ليست زائدة ، لئلا يبقى الاسم الظاهر على حرفين . و ليس ذلك في كلامهم أصلا . ذكره ابن يعيش أيضا .

و منها : مذهب سيبويه أن التاء في "كلتا" بدل من لام الكلمة كما أبدلت منها في بنت و أُخت و ألفها للتأنيث . و وزنها فِعلى كذكرى .

و ذهب الجرمي إلى أن التاء للتأنيث ، والألف لام الكلمة كما في "كلا" و الوجه الأوّل أولى لأنه ليس في الأسماء فعتل . ولم يعهد أن تاء التأنيث تكون حشوا في كلمة . ذكره ابن يعيش .

و منها : قال ابن الأنباري في "الإنصاف" : ذهب البصريون إلى أن الأسماء الستة معربة من مكان واحد . و الواو و الألف و الياء هي حروف الإعراب . و ذهب الكوفيون إلى أنها معربة من مكانين .

قال : و الذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه و فساد ما ذهب الكوفيون إليه أن ما ذهبنا إليه له نظير في كلام العرب ، فإن كل معرب في كلامهم ليس له إلّا إعراب واحد . وما ذهبوا إليه لا نظير له في كلامهم ، فإنه ليس في كلامهم معرب له إعرابان . و المصير إلى ما له نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير .

و منها : قال ابن الأنباري : ذهب البصريون إلى أن الألف و الواو و الياء في التثنية و الجمع

حروف إعراب . و ذهب الجرمي إلى أن انقلابها هو الإعراب . و قد أفسده بعض النحويين بأن هـذا يؤدي إلى أن يكون الإعراب بغير حركة ولا حرف . و هذا لا نظير له في كلامهم .

و منها : قال ابن فلاح في المغني : صفة اسم "لا" المبني يجوز فتحه نحو : لا رجل ظريف في الدار . وهي فتحة بناء لأن الموصوف والصفة جعلا كالشيء الواحد بمنزلة خمسة عشر . ثم دخلت "لا" عليهما بعد التركيب . و لا يجوز أن تكون دخلت عليهما و هما معربان فبنيا معها . لأنه يؤدي إلى جعل ثلاثة أشياء كشيء واحد ، ولا نظير له .

و منها : قال ابن فلاح : ذهب البصريون إلى أن "اللّهم" أصله "يا الله" حذفت "يا" و عوض منها الميم المشددة في آخره .

و قال الكوفيون ليست الميم بعوض بل أصله "يا الله أمّ" أي اقصد . فحذفت الهمزة من فعل الأمر ، و اتصلت الميم المشددة باسم "الله" فامتزجا و صارا كلمة واحدة . ولا يستنكر تركيب فعل الأمر مع غيره بدليل "هلُمَّ" فإنها مركبة عند البصريين من حرف التنبيه و "لُمّ" و عندنا من "هَل" و "أمّ" . قالوا : فما صرنا إليه له نظير و ما صرتم إليه دعوى بلا دليل .

و منها : ما قال الأندلسي في شرح المفصل : قال الكوفيون : ضمير الفصل إعرابه بإعراب ما قبله لأنه توكيد لما قبله . وردّه البصريون بأن المكنِي لا يكون تاكيدًا للمظهر في شيء من كلامهم . و المصير إلى ما لا نظير له في كلامهم غير جائز .

و منها : ما قال ابن جني في الخصائص : إذا دل الدليل لا يجب إيجاد النظير . و ذلك على مذهب الكتاب ، فإنه حكي مما جاء على فِعِل "إبلا" وحدها . ولم يمنع الحكم بها عنده إن لم يكن لها نظير ، لأن إيجاد النظير بعد قيام الدليل إنما هو للأنس به لا للحاجة إليه .

فأمّا إن لم يقم دليل فإنك محتاج إلى النظير . ألا ترى إلى "غزويت" لَمّا لم يقم الدليل على أن واوه و ياءه أصلان احتجت إلى التعليل بالنظير ، فمنعت أن يكون فعويلا ، لما لم تجد له نظيرا ، و حملته على "فعليت" لوجود النظير . وهو "عفريت" و "نفريت" .

و منها : أنه قال أبوعثمان في الردّ على من ادعى أن السين و سوف يرفعان الأفعال المضارعة :

لم نر عاملا في الفعل تدخل عليه اللام . وقد قال الله تعالى : وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ . فجعل عدم النظير ردًّا على من انكر قوله .

فأمّا إن لم يقم الدليل ولم يوجد النظير فإنك تحكم مع عدم النظير . وذلك قولك في الهمزة والنون من "أندلس" أنهما زائدتان ، و أن وزن الكلمة بهما أنفعل ، و إن كان هذا مثالا لا نظير له . و ذلك أن النون لا محالة زائدة ، لأنه ليس في ذوات الخمسة شيء على فعللل ، فتكون النون فيه أصلا لوقوعها موقع العين .

و إذا ثبت أن النون زائدة فقد يرد في ذلك ثلاثة أحرف أصول و هي الدال و اللام و السين . و في أوّل الكلمة همزة . و متى وقع ذلك حكمت بكون الهمزة زائدة . ولا تكون النون أصلا و الهمزة زائدة ، لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزوائد من أوائلها إلاّ في الأسماء الجارية على أفعالها نحو "مدحرج" و بابه . و قد وجب إذًا أن الهمزة و النون زائدتان ، و أن الكلمة بهما على انفعل . و إن كان هذا مثالا لا نظير له .

فإن ضام الدليل النظير فلا مذهب بك عن ذلك . و هذا كنون "عنتر" فالدليل يقضي بكونها أصلا ، لأنها مقابلة لعين "جعفر" و المثال أيضًا معك ، و هو فعلل .

و منها : ما قال ابن يعيش : ذهب المبرد إلى أن نحو "لا مسلمَين لك" و "لا مسلمِين لك" معربان و ليسا بمبنيين مع " لا " قال : لأن الأسماء المثناة و المجموعة بالواو و النون لا تكون مع ما قبلها اسما واحدا ، فلم يوجد نظير ذلك .

و قال ابن يعيش : و هذا إشارة إلى عدم النظير . قال : و إذا قام الدليل فلا عبرة بعدم النظير . أما إذا وجد فلا شك أنه يكون مؤنسا . و أما أن يتوقف ثبوت الحكم على وجوده فلا .

و قال الشلوبين : قول من قال "إن الحروف في الأسماء الستة دلائل إعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب" يؤدي إلى أن يكون الاسم المعرب على حرف واحد في قولك "ذومال" . و هذه الحروف زوائد عليه للدلالة على الإعراب . وذلك خروج عن النظائر ، فلا ينبغي أن يقال به . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل

في بيان المسلك الثالث في أصل "اللّٰهم"

المذهب الثالث للبصريّة و سيبويه . قالوا : إن أصل "اللّٰهم" "يا الله" ثم حذف حرف النداء و هو "يا" و عُوِّض منه الميم المشدَّدة في آخر الجلالة . فحذف "يا" عندهم واجب لأجل تعويض الميم . فلايجوز عندهم أن يقال "يا اللّٰهم" إذ الجمع بين العوض والمعوّض منه لا يجوز .

قال أبوحيان في الارتشاف : البصرية زعموا أن الميم المشددة في آخر "اللّٰهم" عوض عن حرف النداء فلا يجتمعان . انتهى .

و **قال** الرازي رحمه الله في تفسيره ج٢ ص٤٤٤ في شرح قوله تعالى "ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ" : اختلف النحويون في قوله "اللّٰهم" فقال الخليل و سيبويه : معناه "يا الله" و الميم المشددة عوض من "يا" . انتهى .

قال في الهمع : من الأسماء الخاصة بالنداء سماعًا "اللّٰهم" و شذّ استعماله في غيره . قال الأعشى :

كخلفة من أبي رباح يسمعها اللّٰهم الكبار

(كذا ذكر "اللّٰهم" . و في بعض الروايات "لاهه الكبار") و شذّ حذف "أل" منه . قال :

ع لاهمّ إن كنت قبلتَ حجتج

و أصله الجلالة ، زيدت في آخرها الميم المشددة عوضًا من حرف النداء . و من ثم لا يجمع بينهما إلاّ في الضرورة . هذا مذهب البصريين . انتهى .

قال نجم الأئمة الشيخ الرضي : و الميمان في "اللّٰهم" عوض من "يا" أخّرتا تبركًا باسمه . انتهى كلام الرضي .

قال الحافظ العيني رحمه الله في شرح البخاري ج١ ص٤٥٤ ، ج٢ ص٦٦ : أصل "اللّٰهمّ" "يا الله" فحذف حرف النداء و عوّض عنه الميم . و لذلك لا يجتمعان . وهذا من خصائص اسم "الله" كما اختص

بالباء في القسم . و يقطع همزته في "يا الله" و بغير ذلك . و كأنهم لما أرادوا أن يكون نداؤه باسمه متميزًا عن نداء عباده بأسمائهم من أوّل الأمر حذفوا حرف النداء . وزادوا الميم لقربها من حروف العلة كالنون في الآخر . و خصّت لأن النون كانت متلبسة بضمير النساء صورة . و شدّدت لأنها خلف من حرفين . انتهى كلامه .

و في الإنصاف لابن الأنباري ج١ ص٣٤١ : ذهب الكوفيون إلى أن الميم المشددة في "اللّٰهم" ليست عوضًا من "يا" . و ذهب البصريون إلى أنها عوض من "يا" التي للتنبيه في النداء ، و الهاء مبنية على الضم لأنه نداء . انتهى .

و فيه أيضًا : البصريون احتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنّا أجمعنا أنّ الأصل "يا الله" إلّا أنّا لمّا وجدناهم إذا أدخلوا الميم حذفوا "يا" و وجدنا الميم حرفين ، و "يا" حرفين ، و يستفاد من قولك "اللّٰهم" ما يستفاد من قولك "يا اللّٰه" دلّنا ذلك على أن الميم عوض من "يا" لأن العوض ما قام مقام المعوّض و ههنا الميم قد أفادت ما أفادت "يا" فدلّ على أنها عوض منها . و لهذا لا يجمعون بينهما إلّا في ضرورة الشعر . انتهى .

فصل
في فائدة شريفة

إن قلت : بناءً على مذهب البصريّة و سيبويه لِمَ أخّرت الميم المشددة التي هي عوض من حرف "يا" ؟

قلت : ذلك لوجوه متعدّدة :

الوجه الأوّل : أخّرت لكونها عوضًا عن "يا" و العوض لا يكون في موضع المعوض عنه . صرح به ابن الأنباري و ابن يعيش في شرح المفصل . وهذا هو الفرق بين العوض و البدل حيث يكون البدل في موضع المبدل منه .

الوجه الثاني : هو ما ذكره الرضي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال : إنها أخرت تبرّكًا باسمه تعالى .

الوجه الثالث : أخّرت ليكون اللفظ أسهل تلفظًا و أعذب في اللسان . و أما عند التقديم فلايخفى ثقله على اللسان . و إن كنت في ريب مما قلنا فتلفظ بهذا . و ذاك ينجل الصبح لذي عينين ، و ينكشف لك الأقوم من السبيلين .

الوجه الرابع : أخّرت لأنها لو قدّمت لأوهم الاستفهام إن جعلتها مخفّفة نحو "ما زيد" "ما الإنسان" .

الوجه الخامس : أنهم شدّدوا الميم لكونها خلفًا عن حرفين . فلو قدّمت مخففة بلا تشديد فات مطابقتها لما هي خلف عنه . ومع التشديد بلا همزة الوصل يستحيل الابتداء بها . و مع جلب الهمزة يزيد العوض على المعوض . و مع فك الإدغام بأن تقول "مم الله" مستبشع جدًّا كما لا يخفى على أصحاب الذوق السليم . فأخّرت فأورثت الجلالة حسنًا و بهاءً و رشاقةً و ماءً . و كفى بالقلادة ما أحاط بالجيد .

الوجه السادس : لو قدّمت لفات تصدّر لام التعريف في أوّل الجلالة و توسطت . لأن العوض يصير كالجزء من الكلمة كما في إقامة و عدة . و لام التعريف تقتضي الصدارة مثل حروف الشرط و الاستفهام .

الوجه السابع : ميم المبالغة و التوكيد تزاد في الآخر كما في "ستهم" و "زرقم" ويشاركها الميم التي هي عوض صورةً وحكمًا ، لكونهما زائدتين ، فأخّرت لتتحدا موضعًا .

الوجه الثامن : ما ذكره الإمام السيرافي كما في التصريح للأزهري ج٢ ص١٧٢ : أن الميم لم تزد مكان المعوض منه لئلا يجتمع زيادتا الميم و "أل" في الأوّل .

الوجه التاسع : زيدت الميم في الآخر لكونها بمثابة ميم الجمع حيث تؤدّى مؤدّاها . و ميم الجمع لا تكون إلّا في الآخر كما في "هم" و "أنتم" .

و الذي قلنا إنها بمنزلة ميم الجمع فهو قول حق ثابت عن الأئمة ، كما حكى السيوطي عن بعض الأئمة أن "الله" دال على الذات و "الميم" دالة على جميع الصفات التسع و التسعين . و قال أبوالحسن :

"اللّٰهم" جمع . و قال النضر بن شميل : من قال "اللّٰهم" فقد دعا الله بجميع أسمائه . انتهى . و وجّهه المتأخرون بأن الميم دالة على معنى الجمع كما في "أنتم" و "هم" .

الوجه العاشر : هو من رموز أرباب الإشارات و إيماءات أصحاب القلوب و المناجات ، مترتّب على رعاية تصريح أئمة العربية و المحدثين و غيرهم ، و ملّخصه أن "اللّٰهم" مختص بالدعاء . حاصله أن الميم زيدت آخرًا لمناسبة كونها في آخر اسمه "الرحيم" لأن "اللّٰهم" لطلب رحمته تعالى و استعطاف من هو موصوف بالرحمن الرحيم . فاعلم هذا ، فإنها من باب إشارات أصحاب الطريقة رحمهم الله تعالى .

الوجه الحادي عشر : هو أيضًا من رموز أرباب الإشارات و أصحاب المكاشفات ، وهو أن تاخير الميم يناسب الإشارة إلى معنى "اللّٰهم" و هو كونه مجمع أسمائه تعالى لأنه أكثر حروف واقعة في آخر أسمائه تعالى التسعة و التسعين .

و المراد من الحروف الحروف الزوائد التي جمعتْ في قولهم : اليوم تنساه . و الراء و إن كانت أكثر من الميم إلاّ أنها ليست من الزوائد .

فإن قلت : ما هي الأسماء الحسنى التي في آخرها ميم ؟

قلت : تلك الأسماء هي "الرحيم" "العليم" "السلام" "الحكَمْ" "الحليم" "العظيم" "الكريم" "الحكيم" "القيوم" "المقدم" "المنتقم" "ذو الجلال و الإكرام" .

فصل
في ذكر وجوه اختيار الميم للتعويض في "اللّٰهمّ"

إن قلت : لِمَ اختاروا الميم للتعويض ؟

قلت : لوجوه متعددة . بعضها لأئمة العربية وبعضها من قبيل أقوال أرباب القلوب الصافية ، و هي التي يلي ذكرها :

الوجه الأوّل : ماحكي عن الإمام السيرافي رحمه الله تعالى كما في التصريح : خصّت الميم بذلك لأنها

عهدت زيادتها آخرًا كميم "زرقم" .

الوجه الثاني : خصّت للتعويض لدلالتها على الجمع كما في "أنتم" و "هم" فحصل مع ذلك الإشارة إلى أن "اللّهم" مجمع الصفات . فمن دعا بها فكأنما دعا الله بجميع أسمائه ، كما صرح به الأئمة من المحدِّثين و غيرهم .

الوجه الثالث : ذكره الحافظ العيني في شرح البخاري ج١ ص٤٥٤ حيث قال : و زادوا الميم لقربها من حروف العلة كالنون في الآخر ، و خصت الميم دون النون لأن النون كانت متلبسة بضمير النساء صورة . انتهى .

الوجه الرابع : ما في شرح العلامة الشيخ الصبان للأشموني قال : إنما اختيرت الميم عوضًا عن "يا" للمناسبة بينهما . فإن "يا" للتعريف ، و "الميم" تقوم مقام لام التعريف في لغة حمير كقوله :

ع يرمي ورائي بامسهم و مسلمه

أي بالسهم و السلمه . و كانت مشددة ليكون العوض على حرفين كالمعوض . انتهى . و في الحديث : ليس من امبر امصيام في امسفر .

الوجه الخامس : خصّت الميم آخِرًا لكينونتها في آخِر اسم الله "الرحيم" الملحوظ معناه في "اللّهم" لما قالوا : إن "اللّهم" مختص بالدعاء . و الداعي إنما يلاحظه باسمه "الرحيم" طلبًا لرحمته و استعطافه . و قد ذكرناه سابقًا فراجعه .

الوجه السادس : خصّت الميم لذلك عنايةً من الله أزليةً بجعل "اللّهم" جامعًا لأسمائه تعالى ، و قد صرح به العلماء . و هذه العناية إنما تتأتّى بتخصيص الميم للتعويض آخِرًا . إذ الميم أدخل في أسماء الله تعالى و أعرق . و ذلك لوجهين :

الأوّل : أنها أكثر حروف الهجاء الزوائد وقوعًا في آخر أسمائه الحسنى حيث وقعت في آخر إثني عشر اسمًا كما ذكرنا قبيل هذا .

إن قلت : الراء والياء أكثر دورانا و ثبوتا في الأسماء الحسنى من الميم .

قلت : الراء ليست من الحروف الزوائد المجموعة في قولهم : اليوم تنساه . فلا مجال لزيادتها في آخر الجلالة عوضًا من حرف النداء . و أمّا الياء فهي و إن كانت من حروف الزيادة لكنها ثقيلة فلا يناسب زيادتها فيما هو كثير الاستعمال .

الثاني : أنّ الميم أكثر حروف الهجاء دورانًا في الأسماء الحسنى حيث دارت وثبتت في أسمائه التسعة و التسعين حسب رواية الترمذي نحو ثمان و أربعين مرة ، و هي : الرحمن ، الرحيم ، الملك ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، المتكبر ، المصور ، العليم ، المعز ، المذل ، السميع ، الحكَم ، الحليم ، العظيم ، المقيت ، الكريم ، المجيب ، الحكيم ، المجيد ، المتين ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، القيوم ، الماجد ، الصمد ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، المتعالي ، المنتقم ، مالك الملك ، ذو الجلال و الإكرام ، المقسط ، الجامع ، المغني ، المعطي ، المانع .

الوجه السابع : و هو أيضًا من باب إشارات يفتخر بها أرباب الرموز و الباطن . إيضاحه أن الميم خصّت لأنها من أحب الحروف إلى الله و أفضلها و أعلاها ، لاسيما الحروف المودعة في أسماء مخلوقاته و كلمات مصنوعاته .

ألا ترى إلى أن الله تعالى جعل الميم مبدأ اسم من هو أفضل مخلوقاته و أفضل رسله و هو "محمد" صلى الله على مسماه و على آله و سلم ، و مبدأ اسم أقرب المخلوقات منه تعالى نوعًا وهو الملك و الملائكة الذين لا يعصون الله طرفة عين .

و ألا ترى إلى عنايته تعالى بالميم حيث كرّرها في اسم "محمد" ثلاث مرات ، و أراد أن لا يخلو عنها اسم حبيبه ، فجعلها في وسط اسمه "أحمد" و هو الذي سماه بهذين الاسمين . قال حسان رضي الله عنه :

و شقّ له من اسمه ليجلّه فذوالعرش محمود و هذا محمد

و قد تحقق عند العشاق أن تكرار المحبوب محبوب ، و إعادة اسمه مرة بعد مرة لديهم كالمال المجلوب .

أعِدْ ذكرَ نعمانٍ لنا إنّ ذكره هو المسكُ ما كرّرته يتضوّع

و ألا ترى أن الله تعالى لما أراد تكرار هذا الحرف المحبوب في الاسم "محمد" كرره ثلاث مرات ،

فأكمل عدة الكمال لتحصيل الجمال ، لأنّ هذا العدد أي عدد الثلاث من أكمل الأعداد عنده تعالى و من أجراها في تكويناته و تشريعاته و من أحملها لأسرار جبروته و أنوار رحموته و مكنونات لاهوته .

فانظر كيف جعل الله تعالى العوالم ثلاثة : الدنيا و البرزخ و الآخرة ، و منتهى الطلاق ثلاثة ، و غسل الأعضاء في الوضوء ثلاثة ، و تطهير النجس ثلاث مرات ، و مدة السفر ثلاثة أيام ، و نحو ذلك من أشياء يطول ذكرها .

و ألا ترى كيف كرّر الميم في مبدأ كلامه القديم و كتابه الفخيم ثلاث مرات ، فأكمل في البسملة عدة التكميل .

و ألا ترى إلى الفاتحة والسبع المثاني التي حوت على اختصارها مطالب جميع القرآن ، بل جميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام . فهي خلاصة وحي الله تعالى من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

فانظر كيف كانت الميم أكثر الحروف الهجائية دورانًا في الفاتحة حتى دارت فيها نحو اثنتي عشرة مرة . فكملت مراتب الأعداد .

إذ مراتب العدد المفرد عندهم اثنا عشر ، كما صرح به الأئمة ، و هي : واحد إلى عشرة و مائة و ألف . ولم يدُر في الفاتحة حرف آخر من الهجائية هذا العدد .

الوجه الثامن : ذكر الشيخ عبدالكريم بن إبراهيم رحمه الله تعالى في الإنسان الكامل ج١ ص٢٢ ، ما حاصله : أن الميم مختصة من بين الحروف بكينونتها مظهر السمع . ألا تراها شفوية من ظاهر الفم إذ لا يسمع إلّا ما يقال وما قيل . فهذا الحرف ظاهر سواء كان القول لفظيًا أو حاليًا . فدائرة رأس الميم المشابهة الهوية محل سماعها كلامها ، لأن الدائرة يعود آخرها إلى المحل الذي ابتدئت منه و كلامها ، فمنها ابتدئ و إليها يعود . انتهى بلفظه .

أقول بعد ذكر هذه العبارة : خصت الميم لأن " اللّهم " يستعمل في الدعاء ، و هو مقام يبدي فيه الداعي حاجاته بخشوع و تمسكن إلى أن يسمع الله لدعائه ، و يتقبله قبولاً حسنًا ، كما يسمع لمن حمده و أثنى عليه تعالى .

الوجه التاسع : هو أيضًا من قبيل إشارات أرباب القلوب الطاهرة . و محصوله أن الميم مجمع الأمور و الأسرار . و لها دخل كبير في ذلك ، كأنها درة فريدة من الدرر الروحانية ، لايوازيها في القيمة حرف آخر من حروف الهجاء .

و لذا اختصت بالجمع و ضميره نحو "أنتم" و "هم" والذكَر أشرف من الأنثى . فلذا لم تأت لجمع المؤنث أو ضميره .

و لذا اختصّت باسم "أحمد" و "محمد" و تكرّرت في اسم "محمد" ثلاث مرات . و اسم "محمد" مجمع الأسرار المكنونة و معدن الإشارات المختومة التي لا يحصيها إلاّ الله تعالى ، كما أن مسماه ﷺ مجمع كمالات المرسلين و مصدر بركات الأنبياء عليهم السلام .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى في روح المعاني ج٤ ص٦٥ في تفسير قوله تعالى "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ" الآية : قد جمع هذا الاسم الكريم أي اسم "محمد" من الأسرار ما لا يحصى حتى قيل : إنه يشير إلى عدّة الأنبياء كإشارته إلى عدد المرسلين منهم عليهم الصلاة والسلام . انتهى كلامه .

فكرّرت الميم التي هي مجمع الحروف والأسرار في الاسم "محمد" الذي هو مجمع الأسرار والكمالات .

و أيضًا لذا كثر دوران الميم في سورة الفاتحة التي هي مجمع مطالب القرآن و خلاصة مقاصد الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، كما ثبت في الحديث الصحيح .

و أيضًا لذا كثر ذكر الميم في البسملة التي هي مبدأ الكتاب المبين و مجمع معاني الفاتحة ، كما صرح به المفسرون كالرازي و السيوطي والآلوسي وغيرهم رحمهم الله تعالى . و قد ذكرنا أقوالهم في مقام آخر من هذا الكتاب . فاعرف هذه المباحث فإنها من أسرار رفيعة و حقائق بديعة و غرائب سنية و لطائف عليّة . هذا . والله أعلم بالصواب في أمثال هذا النوع من الحقائق و الأسرار .

فصل
في بيان المسلك الرابع

المسلك الرابع للكوفيين. قالوا : إنّ لفظة "اللّهمّ" مركّبة من اسم "الله" و صيغة الأمر من أمّ الشيءَ أمًّا أي قصده و تَوجّه إليه ، و بمعناه أمّمه تأميمًا . فأصل "اللّهم" عند الكوفيّة "يا اللهُ أُمَّ" أي أمَّنا بخير . و معناه اقصدنا بخير و آتِنا ما هو خير و نافع لنا . فحذف "يا" جوازًا ، ثم حذفت همزة الأمر تخفيفًا لكثرة الاستعمال فصارت "اللّهمّ" . و جاز عندهم ذكر "يا" بأن يقال "يا اللّهم" .

قال الحافظ العيني رحمه الله في شرح البخاري ج١ ص٤٥٤ : و مذهب الكوفيين في "اللّهم" أن أصله "يا الله أمّ" أي اقصد بخير . فتصرف فيه . و رجّح الأكثرون قول البصريين . و رجّح فخرالدين الرازي قول الكوفيين من وجوه . انتهى .

قال العلامة الأشموني رحمه الله في شرح الألفية ج٣ ص١١٢ : و مذهب الكوفيين أن الميم في "اللّهم" بقية جملة محذوفة وهي "أمّنا بخير" و ليست عوضًا عن حرف النداء . و لذلك أجازوا الجمع بينهما في الاختيار . انتهى كلامه .

قال أبوحيان في الارتشاف : "اللّهم" لا تباشره "يا" في مذهب البصريين . و أجاز الكوفيون أن تباشره "يا" وعندهم الميم المشددة بقية من جملة محذوفة قدّروها "أمّنا بخير" . انتهى كلامه .

قال الإمام فخرالدين الرازي في تفسيره ج٢ ص٤٤٤ : اختلف النحويون في قوله "اللّهم" فقال الخليل و سيبويه : اللّهم معناه "يا ألله" ، و الميم المشدّدة عوض من "يا" .

و قال الفراء : كان أصلها "يا ألله أمّ بخير" . فلمّا كثر في الكلام حذفوا حرف النداء ، و حذفوا الهمزة من "أمّ" فصار "اللّهم" . و نظيره قول العرب "هلمّ" و الأصل "هل" فضم "أمّ" إليها .

حجة الأوّلين على فساد قول الفراء وجوه :

الأوّل : لوكان الأمر على ما قاله الفراء لماصحّ أن يقال "اللّهم افعل كذا" إلّا بحرف العطف . لأن التقدير : يا ألله أمّنا و اغفرلنا . ولم نجد أحدًا يذكر هذا الحرف العاطف .

و الثاني : و هو حجة الزجاج أنه لو كان الأمر كما قال الفراء لجاز أن يتكلم به على أصله فيقال "الله أمّ" كما يقال "ويلم" ثم يتكلم به على الأصل فيقال "ويل أمّه". و سيأتي تفصيل هذا المطلوب فانتظر.

فصل
في الوجوه المؤيّدة لمذهب الكوفية

إن قلت : المشهور المعروف عند السلف و الخلف، المنقول كابرًا عن كابر في أصل "اللّهم" مذهبان : مذهب البصريين و مذهب الكوفيين. فأيّ مذهبٍ منهما أولى بالقبول و أقرب إلى الحق ؟

قلت : المختار عند الجمهور في هذه المسألة مذهب البصريّة. و أمّا عند هذا العبد الضعيف فأقوى المذهبين باعتبار الأدلّة، و أرجحهما بالنظر إلى الوجوه المؤيّدة، و أسلمهما من الخدشات و الاعتراضات، و أوقعهما في النفس، و أقلّهما تكلُّفًا هو مذهب الكوفية.

و لم أرجّحه على المذهب البصريّ إلّا بعدَ الاستخارة، و إلّا عقبَ التدبّر التام البازغ و الفحص اليانع البالغ و الاستقراء الجامع النابغ، و إلّا إثرَ ما رجعتُ النظرَ في أدلّتهما مرّتَين، و غُصتُ بالعقل في حقيقتهما كرّتَين، و إلّا غِبَّ ما منَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليّ بأن ألقى في رَوعي في تاييد المذهب الكوفي و ترجيحه على المذهب البصري في هذا الموضوع دلائل قاطعةً، و وجوهًا فارعةً، و شواهد صادقةً، و مؤيّدات ناطقةً، و نظائر نحويّةً قويّةً، و قرائن أدبيّةً عليّةً.

و دونك نبذًا من تلك الأدلّة و الوجوه المرجّحة للمذهب الكوفي في أصل "اللّهم".

و هذه الوجوه بمجموعها لطائف لم تطرق سمع أحد من أجلّة الإخوان و الخلّان، و شرائف قاصراتُ الطرف لم يطمثهنّ من قبلنا إنس و لا جانّ، و في أمثالها اشتهر المثل السائر، و انتشر القول الدائر : كم ترك الأوّل للآخر.

الوجه الأوّل : اتفق النحاة و منهم الخليل و سيبويه على أنه إذا جاء في الكلام محملان فالحمل على ما له نظير أولى من الحمل على ما لا نظير له. و هذا الأصل ذكره ابن يعيش و ابن الأنباري

و غيرهما . و عقد له السيوطي بابًا في الأشباه .

و بعد هذا التمهيد أقول : إن تعويض الميم عن "يا" المحذوفة في باب النداء قليل جدًّا ، بل لم يثبت في موضع من كلام العرب زيادة الميم مشدّدة عوضًا عما في أوّل الكلمة . و هذا أمر جلي البرهان معروف الشان ليس لسيبويه و البصرية أن ينكروه .

و أمّا على مذهب الكوفيين فلا يلزم إلّا حذف الهمزة . وحذف الهمزة كثير لا تحصى مواضعه سواء كان حذفها منقاسًا أو غير منقاس . وأجمع النحاة على أن الهمزة أكثر الحروف تصرُّفًا بعد حروف العلة ، بل هي أكثر منها أيضًا في التصرفات الغير القياسية و إن كانت حروف العلة أكثر منها تصرفًا بالنظر إلى التغيرات المنقاسة . و هذا واضح على المتفحص لكلام القوم . و هذا القدر من الإجمال يكفي لترجيح مسلك الكوفية ، ولا حاجة إلى ذكر تلك النظائر .

الوجه الثاني : في مسلك الكوفيين مراعاة تفصيل النظائر مع قطع النظر عن كثرة التصرف في الهمزة . فأقول : لقول الكوفية نظائر كثيرة مؤيدة لمذهبهم .

منها : "هلمّ" اسم الفعل بمعنى تعالَ . قال الإمام الرازي : و نظير "اللّٰهم" "هلمّ" أصله "هَل" فضم "أمّ" إليها . انتهى .

أقول : هذا أصله عند الفراء و الكوفيين . و أما عند البصريين فهلمّ مركب من "ها" التنبيه ومن "لُمّ" التي هي فعل أمر من قولهم : لَمّ الله شعثه ، أي جمعه . فحذفت الألف تخفيفًا .

إن قلت : فعلى هذا لا يصح تأييد مذهب الكوفية بهذا النظير . إذ هو من قبيل تأييد الرجل قوله في مقام بقوله في مقام آخر . و مثل هذا لا يعدّ تأييدًا صحيحًا .

قلت : لاحرج فيه بعد تغييرٍ مّا في عبارة المدعي بأن يقال في الدعوٰى : إن لقول الفراء نظيرًا و إن كان ذلك النظير مبنيًّا على مذهبه . و لا نظير لقول سيبويه لا في مسلك سيبويه نفسه و لا في مسلك غيره .

و قال ابن فلاح : ذهب البصريون إلى أن "اللّٰهم" أصله "يا الله" حذفت "يا" و عوض منها

الميم . و قال الكوفية : أصله "يا الله أمّ" أي اقصد . فحذفت الهمزة من فعل الأمر ، و اتصلت الميم المشددة باسم "الله" فامتزجا و صارا كلمةً واحدةً . و لا يستنكر تركيب فعل الأمر مع غيره بدليل "هلمّ" فإنها مركبة عند البصريين من حرف التنبيه و "لمّ" و عندنا من "هل" و "أمّ" . قالوا : فما صرنا إليه له نظير و ما صرتم إليه دعوى بلا دليل . انتهى كلامه .

و منها : قولهم "وَيلُمِّه" أصله "ويلٌ لأمّه" كما في أمالي ابن الشجري ج٢ ص٤ . فحذفت التنوين و إحدى اللامين و الهمزة .

و منها : "لِهِنّك" أصله "و الله إنك" فحذفت الهمزة فصار "واللهنك" ثم حذفت الواو و اللام . هذا عند الفراء . و قد تقدم عليه البحث في بابه .

و منها : "لكنّ" أصلها "إنّ" زيدت عليها "لا" و "الكاف" فصارتا جميعا حرفًا واحدًا ، ثم حذفت الألف أي الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت حرفًا واحدًا . هذا على مذهب الكوفية . كذا في الإنصاف ج١ ص٢١٣ .

و منها : "لن" أصلها "لا أنْ" فحذفوا الهمزة لكثرة الاستعمال ، ثم حذفت الألف .

الوجه الثالث : صرح كثير من النحاة و أئمة العربية أن حروف النداء عوض من الفعل المحذوف . و صرحوا أيضًا أنه لا يسوغ حذف العوض والمعوض عنه معًا كما لا يسوغ اجتماعهما . فالأصل أن لا تحذف "يا" و إنما تحذف لكثرة الاستعمال .

فعلى قول سيبويه يلزم وجوب ارتكاب الحرام و الممنوع عند النحاة . و هو الحذف للتعويض . و على قول الكوفيين يلزم ارتكابه جوازًا لا وجوبًا ، حيث يجوزون "يا اللّهم" لعدم التعويض . ولا يخفى أن القول الذي يرتكب فيه المحظور مرة و يحترز عنه أخرى أولى مما يوجب عليك الغوص في لجج المحظور دائمًا و في إثم الحرام مواظبًا .

و هذا باب معروف عقد له الإمام ابن جني بابًا في الخصائص ، و سماه الحمل على أحسن القبيحين . و فصّله السيوطي في الأشباه النحوية ج١ ص١٨٣ حيث قال :

قال ابن جني : و ذلك أن تحضرك الحال ضرورتَين لابد من ارتكاب إحداهما . فينبغي حينئذ أن تحمل الأمر على أقربهما و أقلهما فحشًا .

و تمسك به سيبويه و الخليل كما ذكره ابن يعيش بامتناع العطف على معمولي عاملين . ولم يخرّجا نحو قولهم في المثل "ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة" على العطف على عاملين كما هو رأي الكوفيين . بل يخرجانه على حذف المضاف و إبقاء عمله . و هو قبيح مثل العطف على عاملين ، إلّا أنه أحسن القبيحين ، لأن حذف الجار و إبقاء عمله قد جاء في كلامهم كقول روبة لما قيل له "كيف أصبحتَ ؟" : خيرٍ ، عافاك الله . انتهى حاصل كلامه . و هناك فروع كثيرة فراجعها .

الوجه الرابع : نمقنا في باب آخر من هذا الكتاب و فصلنا أن الأصل أن لا يحذف حرف النداء في الجلالة . و هذا مما سلّمه و اعترف بحقّيته سيبويه وغيره .

فمذهب سيبويه رحمه الله في "اللّهم" أبعد من أعمّ أحوال الجلالة و أغلب استعمالها و مما هو أمسّ بمقتضاها ، حيث يقول سيبويه بوجوب حذف "يا" فامتنع عنده أن يقال "يا اللّهم".

و مذهب الفراء و إن تأتّى فيه حذف "يا" مثل مذهب سيبويه لكنّه أقرب إلى الحق بمقالة مذهب سيبويه ، إذ جاء فيه عمل الحذف أي حذف "يا" جوازًا لا وجوبًا . فيجوز عند الفراء أن يقال "يا اللّهم" بغير كراهة .

فمذهب الفراء أحسن من مذهب سيبويه . ألا ترى أن فعل الحرام كالسرقة مثلاً لا يوجب الكفر في الإسلام ، و أما إيجابه و القول بلزومه فكفر .

لا يقال : مسلك سيبويه أحسن و أمس بمقتضى الجلالة ، إذ تحقق العوض كتحقق المعوض عنه . إذ للفراء أن يقول : إن الميم المشددة كالنائب مناب حرف النداء وإن لم تكن عوضًا لشهرة حذفه عند لحوق هذه الميم بالجلالة .

الوجه الخامس : أنهم كثيرًا ما يحذفون حروفًا و ألفاظًا للاختصار والاقتصار إذا طال الكلام لاسيما الكثير الاستعمال . و عقد له الإمام الثعالبي بابًا في سرّالعربية ص٣١٧ .

و هذه عدة أمثلة نذكرها لتوضيح ما ذكرنا :

فمنه قوله تعالى : يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَ أَخْفَىٰ . أي و أخفى منه .

و من ذلك قوله تعالى : حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ . وقوله : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . فحذف الشمس و الأرض إيجازًا و اختصارًا .

و من ذلك حذف حرف النداء .

و من ذلك باب الترخيم في المنادى نحو "يا صاح" و "يا مال" . و في بعض القرآت : و نادوا يا مال .

و من ذلك قولهم "بالله" أي أحلف بالله . و قولهم "باسم الله" أي أبتدئ باسم الله .

و من ذلك "وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ" أي يسري . و "ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ" أي المتعالي . و "يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ" أي التلاقي .

و في الأشباه ج١ ص٢٨ : وأكثروا من الحذف للاختصار . و لهذا تجد الحذف كثيرًا عند الاستطالة كحذف عائد الموصول فإنه كثير عند طول الصلة قليل عند عدم الاستطالة . وحذفت الألف للتانيث إذا كانت رابعة عند النسب لطول الكلمة . انتهى كلامه .

وبعد تمهيد هذه المقدمة أقول : حقّ للكوفية أن يقولوا : حذفت الهمزة من "أمّ" في "اللّهم" لطول الكلام وكثرة استعماله عند الأنام ، كما حذفت الياء في "المتعال" و "التلاق" لذلك . و أمّا ما ذهب إليه سيبويه فلا باعث له . بل قد نقض بالتعويض ما أراد بحذف "يا" من الاختصار .

قال في الإنصاف ج١ ص٣٤١ : أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل فيه "يا الله أمّنا بخير" إلاّ أنه لمّا كثر في كلامهم و جرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام طلبًا للخفة . والحذف في كلام العرب لطلب الخفة كثير . ألا ترى أنهم قالوا "هلمّ" و "ويلمّه" والأصل فيه "هل أمّ" و "ويل أمّه" . و قالوا "أيش" والأصل "أيّ شيء" . و قالوا "عِمْ صباحًا" والأصل "أنعم صباحا" . و هذا كثير في كلامهم . انتهى .

الوجه السادس : لا يلزم على مذهب الكوفية الاعتراض الذي يلزم على مسلك سيبويه ، و هوالتعويض عما هو عوض ، لأن الميم عوض عن "يا" و "يا" عوض عن "أدعو" . هذا إن جعلت حروف النداء عوضًا عن الفعل . أو يلزم الإنابة عما هو نائب إن جعلت حروف النداء نائبة . و كل ذلك قليل بل أقل ، و مما لا نظير له .

الوجه السابع : الأصل المتعارف عند العلماء أن العوض في الآخر يصير كالجزء من الكلمة فيجري عليه الإعراب كما في "عدة" و "إقامة" .

وسيبويه يجعل "اللّٰهم" مبنيًا على الفتح . وهذا مما لا نظير له في باب التعويض . و قد عقد للتعويض ابن جني بابًا في الخصائص ، و فصله في الأشباه ، ولم يذكر أحد نظير ذلك .

فسيبويه قد خالف الأصل الموضوع المسلم عنده و عند غيره من الأئمّة . ولا يلزم هذا الاعتراض على قول الكوفية ، لأن الميم المشددة عندهم فعل أمر و هو من المبنيات .

قال في الهمع ج١ ص١٧٨ : و مذهب الخليل و سيبويه أن " اللّٰهم " لا يوصف ، لأنه صار عندهم مع الميم بمنزلة الصوت . يعني غير متمكن في الاستعمال . انتهى .

قال العلامة الشيخ الصبان رحمه الله تعالى في حواشي الأشموني ج٣ ص١١٢ : فاللّٰهم على قول البصرية منادًى مبني على ضمّ ظاهر على الهاء في محل النصب . حذف منه حرف النداء و عوّض عنه الميم . قال شيخنا : و يحتمل أن يكون مبنيا على ضم مقدر على الميم لصيرورتها كالجزء منه . انتهى كلام الشيخ .

أي فيكون جعل حركة البناء على الميم كجعل حركة الإعراب على الهاء في نحو "عدة" و "زنة" بجامع العوضية . والمتّجه الأوّل . والفرق أن التعويض في نحو "عدة" و "زنة" عن جزء الكلمة فلصيرورتها جزءً وجهٌ قويٌّ . و في "اللّٰهم" عن كلمة مستقلة ، فليس لصيرورة الميم جزءً أو كالجزء وجه قوي . انتهى كلام الصبان .

قلت : هذا غاية ما يقال من جانب سيبويه لإصلاح مذهبه . و مع هذا فلا يخفى ما فيه من التكلف الذي يخلو عنه مذهب الكوفية .

الوجه الثامن : اتفقوا على أصل معروف و هو أن اجتماع العوض و المعوض عنه لا يجوز .

وقد خرّج عليه سيبويه مسائل كثيرة كما فصّلناه في باب آخر من هذا الكتاب . و عقد له السيوطي بابًا في الأشباه ج١ ص١٢٥ .

فنظرًا إلى هذا الأصل لا يجوز "يا اللّهم" باجتماع "يا" و "الميم" و قد صرح به سيبويه . مع أن اجتماعهما ثابت في الشعر الفصيح . قال أبوخراش الهذلي :

إني إذا ما حدثٌ ألمّا أقول يا اللّهم يا اللّهمّا

كذا في التصريح لخالد الأزهري شرح التوضيح لابن هشام ج٢ ص١٧٢ .

فحصحص من هذا البيت أن الميم ليست بعوض . و إلا يلزم الجمع بين العوض و المعوض عنه . و الصواب قول الكوفية و هو أنها بقية جملة ، أي بقية صيغة الأمر كما قالت الكوفيّة . و يجوز اجتماعها مع "يا" .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج٢ ص٤٤٤ : يجوز عند الكوفية "يا اللّهم" و أنشد الفراء :

و ما عليك أن تقولي كلّما سبّحت أو صلّيت يا اللّهمّا

وأمّا قول البصريين "إن هذا الشعر غير معروف" فحاصله تكذيب النقل . ولو فتحنا هذا الباب لم يبق شيء من اللغة و النحو سليمًا عن الطعن . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي أوّلًا : إن الفراء رحمه الله تعالى ثقة ، وكذلك أكثر أئمة النحو . و نقل الثقة موثوق به و إن لم يعرف قائله . و يكفي لنا أن يكون ناقله ثقة .

و ثانيًا : إنّهم اتفقوا أن في كتاب سيبويه رحمه الله تعالى نحو مائة بيت لا يعرف قائلها . قالوا : لا يقدح في هذه الأبيات و في صحّة التمسُّك بها بجهالة قائلها ، لكون ناقلها و راويها ثقة وهو سيبويه . فليكن ما نقله الفراء أيضًا من هذا القبيل .

و ثالثًا : إنّ الكوفيين أعلم بالشعر الجاهلي من البصريين كما في الاقتراح للسيوطي رحمه الله تعالى . فبعد تسليم الكوفيين أن هذا الشعر المتقدم مما يحتج به لا يضر قدح البصرية و جهلهم به .

و رابعًا : إنّ لاستدلال الكوفيّة بيتًا آخر معروف قائله . و هو بيت أبي خراش الهذلي و قد

ذكرناه من قبل .

و خامسًا : إنّ تمسك الكوفية بذينك البيتين صحيح قوي بلاريب . كيف لا وقد تمسك سيبويه و أتباعه لإثبات مسائل كثيرة بشعر واحد . من ذلك ما استدل سيبويه في كتابه على عَلَمية كلمة "سبحان" للتسبيح و على كونها غير منصرفة ببيت واحد ولا ثاني له ، و هو قول الأعشٰى :

قد قلتُ لمّا جاءني فخره سبحانَ من علقمة الفاخر

حيث قال : إن كلمة "سبحان" غير منصرفة للعَلَمية و الألف و النون . و لذا سقطت التنوين منها .

قال الإمام كمال الدين أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي رحمه الله تعالى المتوفي سنة ٥٧٧ من الهجرة في كتابه "الإنصاف" ج١ ص٣٤١ : قال الكوفيون : و الذي يدل على أن الميم المشددة ليست عوضًا من "يا" أنهم يجمعون بينهما . قال الشاعر :

إني إذا ما حدثٌ أَلَمّا أقول يا اللّٰهم يا اللّٰهمّا

و قال الآخر :

و ما عليكِ أن تقولِي كلّما صَلَّيتِ أوسبّحتِ يا اللّٰهمّ ما

أردد علينا شيخنا مسلّمًا

و قال الآخر :

غَفرتَ أو عذّبتَ يا اللّهمّا ع

فجمع في هذه الأبيات بين "الميم" و "يا" ولو كانت الميم عوضًا من "يا" لما جاز أن يجمع بينهما ، لأنّ العوض و المعوض عنه لا يجتمعان .

ثم قال : و أجاب البصريون عن هذا الشعر بأنه لا يعرف قائله . فلا يكون فيه حجة للكوفية .

و على أنه إن صحّ عن العرب فنقول : إنما جمع بينهما لضرورة الشعر ، و سهل الجمع بينهما للضرورة أن العوض في آخر الاسم و المعوض في أوّله . و الجمع بين العوض و المعوض منه جائز في

ضرورة الشعر . قال الشاعر :

هما نفثا في فيّ مِن فموَيهما على النابح العاوي أشد رِجامِ

فجمع بين الميم و الواو في "فموَيهما" ، و هي عوض منها لضرورة الشعر ، فجمع بين العوض و المعوض ، فكذلك ههنا . انتهى كلامه .

الوجه التاسع : اتفقوا على أصل هو نافع جدًّا ، وهو أن مراعاة المعنى واللفظ كليهما أولى من مراعاة اللفظ فقط .

و ليس في قول سيبويه إلّا مراعاة اللفظ فقط . إذ لا مسّ لتعويض الميم بالمعنى كما لايخفى . و في مسلك الكوفية تحقّقتْ مراعاتهما ، لأنّ "اللّهم" يستعمل في الدعاء المطلوب فيه إقبال ذات الله و توجّهه تعالى إلى المأمول و إلى إجابة المسؤول . و هذا إنما هو معنى "أمّ" فإنّه أمر ، و معناه اقصد و توجّه .

فمسلكهم هو الذي يُوافقه مقتضٰى الحال و المرام و يقتضيه المعنى و المقام ، و يُرجّحه الفحوٰى و ما هو المطلب الأعلٰى ، و يُصوّبه المغزٰى و ما هو المقصد الأقصٰى في نداء المولٰى . و أين الثرٰى من الثريّا . و حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

فقول الكوفية هو الحق . ألا ترى أن الألفاظ للمعاني أزمّة ، و عليها أدلّة ، و على المراد منبِّهة ، و هي للمعاني و المطالب قوالب ، و على حسب المعاني لهم في الألفاظ و نظمها مسالك و مذاهب ، نعم المطلوب و نعم الطالب .

الوجه العاشر : لا يلزم على قول الكوفيين نقض العمل . و أمّا على قول سيبويه فيلزم نقض العمل . وقد صرح الأئمة أن نقض العمل والغرض شنيع ينبغي للعامل أن يحترز عنه . و فرّعوا على ذلك كثيرًا من الفروع كما لا يخفى على من طالع الخصائص لابن جني و الأشباه النحوية للسيوطي و غيرهما .

ففي الأشباه ج١ ص٢٩٦ : قال ابن جني : حذف خبر "كان" ضعيف في القياس ، و قلّما يوجد في الاستعمال .

فإن قلت : خبر "كان" يتجاذبه شيئان : أحدهما خبر المبتدأ ، لأنه أصله . و الثاني المفعول

به ، لأنه منصوب بعد مرفوع . و كل واحد من الخبر و المفعول يجوز حذفه .

قيل : إلاّ أنه قد وجد فيه منع من ذلك ، وهو كونه عوضًا من المصدر . فلو حذفته لنقضت الغرض الذي جئتَ به من أجله . و كان نحوًا من إدغام الملحق و حذف المؤكِّد .

و أيضًا قال ابن جني : لا يجوز حذف المقسم عليه و تبقية القسم ، لأن الغرض إنما هو توكيد المقسم عليه بالقسم . فمحال أن يؤتى بالمؤكَّد و يحذف المؤكِّد ، لأنه نقض الغرض .

قال ابن يعيش : حذف المضاف إليه أقلّ من حذف المضاف و أبعد قياسًا ، لأن الغرض من المضاف التعريف أو التخصيص . فلو حذف لكان نقضًا للغرض و تراجعًا عن المقصود .

و قال الأندلسي في شرح المفصل : الأصل في "هاء" السكت أن تكون ساكنة ، لأنها إنما زيدت لأجل الوقف ، و الوقف لا يكون إلاّ على ساكن . و منه سُمّي وقفًا لأنه وقوف عن الحركة . فتحريكه يناقض الغرض الذي جيء بها لأجله . انتهى .

إذا علمت هذا فاعلم : أن حذف "يا" في "اللّهم" للاختصار . ثم بعد التعويض طال الكلام كما كان . وليس "اللّهم" في اللسان أخف من "يا الله" فما أسرع ما نقض سيبويه بالتعويض ما عمله أوّلاً .

الوجه الحادي عشر : الأصل الثابت المسلّم عند العلماء تقليل العمل والاحتراز عن العمل الكثير ما أمكن . و على قول سيبويه يلزم العمل الكثير ، ولا يلزم ذلك على مسلك الكوفيين .

إذ لا يحتاج في مسلكهم إلاّ إلى عمل حذف الهمزة . و أما على مذهب سيبويه فتحذف "يا" أوّلاً ، ثم تعوض عنها الميم المشددة ثانيًا ، ثم تؤخِّرها ثالثًا ، ثم تجعل "اللّهم" مثل الأصوات رابعًا ، ثم تبنيه لمشابهة الأصوات خامسًا ، ثم تعتبر أن الفتحة أخفّ فتبنيه على الفتحة سادسًا . هذا . والله أعلم بالصواب .

الوجه الثاني عشر : لا يشكل أمر ضمّة الهاء في "اللّهم" على قول الكوفية . و يشكل على مذهب سيبويه إشكالاً يعسر الخروج عنه و التخلُّص منه . لأن "يا الله" مبني على ما يعرب به وهو الضم ، لكونه منادًى مفردًا معرفةً . و المنادى المفرد يبنى على ما يرفع به إعرابًا . صرح به ابن الحاجب

رحمه الله تعالى في الكافية و غيره من النحاة .

و لما صار "اللّٰهم" عند سيبويه مع الميم بمنزلة كلمة واحدة صارت الهاء وسطًا . فيسأل عن ضمها و توجيهه . فإن كان هذا الضم الذي صار في وسط الكلمة هو ما يكون في آخر المنادٰى أشكل أنه يكون في موضع الإعراب . إذ لا يجري الإعراب في وسط الكلمة .

و أيضًا هذا الضم إنما هو بسبب حروف النداء . فيلزم تاثير حروف النداء في وسط الكلمة و لا نظير له .

و إن لم يكن هذا الضمّ هو ما يكون في آخر المنادٰى أشكل ترجيح الضمة على الفتحة و الكسرة مع كينونتهما أخف من الضمّة . وهو ترجيح بلامرجّح بل ترجيح المرجوح ، لأن الفتحة هي الأليق لخفتها ، و لمناسبة فتح الميم المشددة ، و لوجود نظيرها و هو نحو : أحد عشر .

اللّٰهم إلّا أن يقال باختيار الشق الثاني ، و هو أن هذه الضمة ليست ضمة آخر المنادى من حيث أنه آخر المنادى . لكن "الهاء" إنما ضمت دلالة على أن أصله "يا الله" .

و في الحواشي لمحمد عبادة العدوي رحمه الله تعالى على شذور الذهب ج١ ص١٢٣ : و إعراب "اللّٰهم" منادى مبني على ضم مقدر على الميم . منع من ظهوره اشتغالُ المحل بحركة الإدغام . و كانت حركة الإدغام فتحة للخفة . انتهى .

ولا يخفى قوة مذهب الفراء ، لكونه أسلم من هذا القيل والقال ، وأغنٰى عن شدّ الميزر لتصحيح الكلام و دفع الخصام .

الوجه الثالث عشر : اعلم : أن غاية ما يستبعدونه في مذهب الفراء إنما هو حذف همزة "أمّ" بلا وجه .

و قد ألقى الله تعالى في روعي وجوهًا حسنةً لحذفها منقاسًا ، و تخريجات جيدة قوية مبنية على قواعد وضعها و سلّمها سيبويه و غيره . ولله الحمد و المنة .

فمن وجوه توجيه حذف الهمزة حذفًا منقاسًا على مذهب الفرّاء و الكوفية أنه جاء في "الله

أمّ" وزن "عنق" بضمتين. فأسكنت الهمزة في "اللهٰ أمّ" كما يسكن نون "عنق" فيقال "عنق" بإسكان النون. و هذا الإسكان منقاس. صرح به الأئمة عن آخرهم.

ثم أبدلت الهمزة الساكنة واوًا لكون ما قبلها مضموما كما هو القياس في إبدال الهمزة الساكنة بحرف يوافق حركة ما قبلها كما في "مؤمن" و "رأس" و "بئر". وهذا في كلمة واحدة. وكما في قولهم "يقولُ اوْذن" بضم اللام و سكون الواو بعدها. أصله "يقولُ اؤْذنْ" بالهمزة الساكنة بعد اللام. و هذا في كلمتين. صرح به الرضي.

ثم بعد إسكان همزة "اللهٰ أمّ" صار "اللهٰ وْمّ" بسكون الواو بعد الهاء المضمومة. فاجتمع ساكنان الواو و الميم المدغمة. فحذفت الواو كما يحذف في مثل ذلك.

و هذا اجتماعهما على غير حده. لأن الساكنين و إن كانا في كلمة و الثاني منهما مدغم إلّا أن المتحرك ما قبلهما في كلمة أخرى. و من شرط اجتماعهما على حده أن يكون كل ذلك في كلمة واحدة.

و أيضًا كثرة الاستعمال استدعى التخفيف بالحذف. فحذفت فأضحٰى "اللّٰهمّ". و هذا تخريج حسن منقاس يعانق الأذهان و يصافح القلوب.

فائدة شريفة

لمّا ثبت من البحث المتقدّم أن هذا الوجه أي الوجه الثالث عشر متفرع على الأصل المذكور أي على وزن "عنق" فلابد من ذكر التفصيل فيه، كي تطمئن قلوب مشتاقي العلم، و تثلج صدور الناظرين لهذا البحث البديع. فأقول والله الموفق و المستعان و هو حسبي و عليه التُّكلان:

إنهم قد صرحوا أنّ وزن "عُنُق" بضمتين، و "عَضُد" بفتح فضم، و "كَتِف" بفتح فكسر، و "إِبِل" بكسرتين جاز إسكان عينه أينما وقع سواء كان في كلمة أو كلمتين في الاسم أو في الفعل.

قال الرضي في شرح الشافية ص١٧: وهذا التخفيف في نحو "عنق" أكثر منه في "إبل" لأن الضمتين أثقل من الكسرتين حتى جاء في الكتاب العزيز وهو حجازي "رسلنا" و "رسلهم" بسكون السين. و هو في الجمع أولى منه في المفرد لثقل الجمع معنًى. انتهى كلامه.

و لهذا القانون يقال في "كَرُمَ" الماضي المضموم العين : كَرْمَ . بالسكون ، لأنه على وزن "عضد" و لا اعتبار لحركة لام الكلمة بل المعتبر توافق الأوّل و الثاني من المتحركين . كذا في التصريح ج٢ ص٣٥٥ .

و يقال في "عَلِم" الماضي : عَلْم . بسكون اللام . و منه "ليس" الفعل الناقص ، لأنه على وزن "كتف". و منه قولهم "فهو" و "فهي" و "أهو" و "لهو" بإسكان هاء "هو" و "هي" بعد دخول الفاء و اللام و الهمزة ، لأن ذلك على وزن "عضد" . و هذا ظاهر .

و منه قولهم "أراك منتفْخا" بإسكان الفاء المكسورة . و هذا الإسكان لوزن "كتف" . و منه في القراءات الشاذة "أن يملّ هْو" بإسكان الهاء .

و منه ما في القراءة المتواترة و هي قراءة حفص "وليتَّقْهِ" بإسكان القاف المكسورة ، و هو أمر من الاتّقاء لوزن "كتف" في "تقه" . قال الزمخشري : الهاء للسكت كانت ساكنة . و أصله "وليتقِه" أي بكسر القاف و سكون الهاء . فبعد إسكان القاف حرّكت الهاء لئلا يلزم نقض الغرض لو حرّك الأوّل . و عند ابن الحاجب رحمه الله تعالى : الهاء للضمير . فلا حاجة عنده إلى تحريكها بعد إسكان القاف . كذا في الرضي شرح الشافية ص١٧٩ .

قال ابن جني في الخصائص : و من ذلك إجراء المنفصل مجرى المتصل قوله :

ع و قد بدا هَنْكَ من المئزر

بفتح الهاء و سكون النون مع أنها مرفوع مضاف إلى كاف المخاطب . فشبه "هنك" بعضد . فأسكنه كما يسكن نحو ذلك . و منه :

ع فاليوم أشرَبْ غَيْرَ مستحقب

بإسكان الباء مع كونها مرفوعة ، لأن "أشرب" متكلم الفعل المضارع كأنه شبه "رَبُغ" بعضد . و كذلك ما أنشده أبوزيد :

ع قالت سليمٰى اشتَرْ لَنا دقيقا

بإسكان راء "اشتر" صيغة أمر من الاشتراء . فالراء في الأصل مكسورة ، هو مشبه بقولهم في علِم "علْم" بسكون اللام . لأن "تَرِل" بوزن علِم . و كذلك ما أنشده أيضًا من قوله :

٤ و احذر و لا تكترْ كريًّا أعوجا

بإسكان راء "تكتر" و الأصل كسرتها . لأن "تَرِك" بوزن "علم" الفعل الماضي .

قلت : قد خرّج على ذلك قراءة "أَلَمْ تَرْ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ" بسكون الراء . انتهى . أشباه ج١ ص٢٦ .

و منه "لم يَلْدَه" أصله "لم يلِده" بإسكان الدال . فأسكنت اللام لوزن "كتف" و حركت الدال لاجتماع الساكنين .

و منه "انطلق" بسكون اللام وفتح القاف . أصله أمر من الانطلاق . فأسكنت اللام وحركت القاف فتحةً لذلك . كذا قال الرضي في شرح الشافية ص١٧٩ .

الوجه الرابع عشر : هـذا الوجه أيضًا مما نفث في صدري بعد الفحص لكتب العربية لتخريج قول الكوفيين على وِفق قياس و لغة جيدة . ولله الحمد و المنّة .

فأقول : حذفت الهمزة في أصل "اللّهمّ" أي في "الله أمّ" على لغة من يحذف كل همزة في أوّل كلمة اتصلت بكلمة أخرى . فيقول "يرمي خوانه" في "يرمي إِخوانه" بإسقاط الهمزة المكسورة . ثم يحذف الياء لاجتماع الساكنين . و يقول في "قال إسحق" "قال سْحق" بإسقاط الهمزة ، و في "قال أسامة" "قال سامة" . و العرب ربما يتكلم بعضهم على لغة بعض .

و هذه اللغـة نقلها الرضي عن السيرافي في شرح الشافية ص٢٦٠ في بحث تخفيف الهمزة ، حيث قال : قال السيرافي : و بعضهم يحذف الهمزة من غير نقل الحركة إلى آخر الكلمة المنفصلة السابقة فتقول : قال سْحق و قال سامة . انتهى .

ظهرلك من هذا البيان تخريج قويّ و مبنى صحيح ، و هو وجود لغة من لغات العرب . فأمكن أن يبتني على هذه اللغة مذهب الكوفية و يقاس عليها . ولايخفى أن بناء مسلك الكوفية على هذه اللغة

يجعل التصرّف و التغيير الواقع في "اللّهم" منقاسا و معقول الوجه و العلة كما عرفت آنفًا .

و أمّا مذهب سيبويه في هذه المسألة فالتغيير الواقع فيه غير منقاس وغير معقول الوجه مطلقًا حيث لا يمكن تخريجه و تصحيحه على لغة من لغات العرب .

فالأحرى اختيار المسلك المنقاس و المعقول الوجه ، ولا ينبغي اختيار ما لا ينقاس . و الأولى الذهاب إلى ما يعقل وجهه و علّته ما أمكن تخريج الكلمة على لغة من لغات العرب . فثبت أن مسلك الكوفيين أسلم من الخدشات و أوفق بالقياس . و القياس أملك للرجل .

الوجه الخامس عشر : لا يبعد أن يقال في ترجيح مذهب الكوفية : إنّ لحذف الهمزة من "أمّ" وجهًا حسنًا لا كلفة فيه و لا وجه لتعويض الميم على ما ذهب إليه سيبويه .

و ذلك أن الهمزة في "أمّ" حذفت لحذف همزة الجلالة . إذ أصلها "الإله". و التغيير يأنس بالتغيير ، لاسيما التغييران المتماثلان في المثلين ، و هما الهمزتان : همزة "أمّ" و همزة "الإله" .

وهذا وجه جيد قويّ . وقد فرع فروعًا على هذا الأصل كثير من أئمة العربية . وعقد له السيوطي بابًا في الأشباه النحوية ج١ ص١٣٦ .

من ذلك : باب النسب بني على ثلاث تغييرات :

لفظي : و هو كسر ما قبل الياء و انتقال الإعراب إليها .

و معنوي : و هو صيرورته اسمًا لما لم يكن له . ألا ترى أن "عليًا" ينطلق على رجل اسمه "علي" فإذا نسب إليه صار ينطلق على رجل ينسب إلى عليّ .

و حكمي : وهو رفعه لما بعده على الفاعلية نحو : مررت برجل قرشيٍّ أبوه . كأنك قلت : منتسب إلى قريش أبوه . و يطرد ذلك فيه . فهذه ثلاث تغييرات . ولما كان فيه هذه التغييرات كثر في باب النسب التغيير و الخروج عن القياس . إذ التغيير يأنس بالتغيير . قاله أبوحيان .

و من ذلك : قال ابن يعيش : إنما اختصت الأعلام بالحكاية دون سائر المعارف ، لأن الحكاية ضرب من التغيير . إذ كان فيه عدول عن مقتضى عمل العامل . و الأعلام مخصوصة بالتغيير . و شاع

فيها الترخيم دون غيرها ، لأنها في أصلها مغيرة بنقلها إلى العلَمية . و التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك : قال ابن النحاس في التعليقة : لا يرخم المتعجب منه لأنّا لا نرخم إلّا ما أحدث النداء فيه البناء . و ليس بمندوب ، لأنه لما تطرق إليه التغيير بالبناء جاز أن يتطرق إليه تغيير آخر بالترخيم . لأن التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك : قال ابن فلاح في المغني : إنما اتبعت حركة المناٰدى لحركة الصفة إذا كانت ابنًا بين عَلَمين لكثرة تغيير الأعلام بالنقل . و التغيير يأنس بالتغيير .

و من ذلك : قال ابن فلاح في المغني : إنما اختص العَلَم بالترخيم لوجهين : أحدهما : أن الأعلام منقولة في الأغلب عن وضعها الأوّل إلى وضع ثان . و النقل تغيير ، والترخيم تغيير . و التغيير يأنس بالتغيير . كما قلنا في حذف الياء في النسب إلى حنيفة تبعًا لحذف التاء دون حذفها من حنيف . و الثاني : أن النداء أثّر فيها التغيير بالبناء . و التغيير يأنس بالتغيير .

الوجه السادس عشر : من مرجِّحات مذهب الكوفية على مذهب سيبويه سهولة تخريج المذهب الكوفي تخريجًا قياسيًّا .

و هذا التخريج ينبني على إسكان هاء " الله " وقفًا . و لا بعد في هذا التخريج . فنقول نظرًا إلى هذا التخريج : إن أصل "اللّهم" عند الكوفية "يا اللهْ أمّ" بسكون الهاء وقفًا على الجلالة تفخيمًا لها . ثم نقل حركة همزة "أمّ" إلى الهاء ثم حذفت الهمزة كما حذفت في "يسل" أصله "يسأل" فحذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى السين . و هذا تخريج حسن قويّ يسرّ الأذهان .

و يؤيّده الفطرة والعادة فإنّ فطرة الداعي إلى الله و عادة المنادِي المتضرع إليه تعالى تقتضي أن يقف الداعي و المنادِي على الاسم المناٰدى له تعالى سويعة فيقول "يا الله" "يا ستار" فيقف لمحة ثم يدعو لنفسه و قضاء حاجاته . و هذا الوجه لا بُعد فيه .

و على تسليم شيء من البعد فيه نقول : إنّ الوقف على الجلالة ليس بأبعد من الوقف على حرف النداء مثل "يا" في "يا الله" مع أن كثيرًا من فحول أئمة العربية كما في حواشي المطول لعبدالحكيم و في روح المعاني على هذا الأصل خرّجوا قطع الهمزة الوصلية في "يا الله" .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ج١ ص٥٢ : قال السعد رحمه الله : قد يقال فيه أي في قطع همزة الجلالة في "يا الله" إنه نوي الوقف على حرف النداء تفخيمًا للاسم الشريف . و نقل هذا الوجه من سيبويه . و قيل في توجيهه : إن المعظم الجليل المقدم يعدّ نداؤه باسمه من سوء الأدب . فلذا جعل النداء كالمنقطع عما بعده . و الاسم الكريم كأنه غيرمنادًى . و فرقٌ بين النداء بالعلَم المجرد والنداء بالوصف المادح . فلايرد "يا رحمن الدنيا والآخرة" . فتدبر . انتهى .

يقول العبد الضعيف البازي و بالله التوفيق و بيده أزمّة التحقيق : التغيير يأنس بالتغيير . و التصرّف يألف التصرف . فلما تَطرّق إلى "يا الله" الوقف على "يا" كما تقدم تفصيله في باب دخول "يا" على "الله" المعرف "بأل" و هو الباب الخامس و العشرون ، تَطرّق إليه الوقف الآخر وهو الوقف على الجلالة ، فسكّن الهاء . لأن الجنس إلى الجنس يميل .

و أيضًا أقول : إن السلطان الجليل و السيد المعظَّم الفخيم يعدّ الكلام معه تترٰى من سوء الأدب ، و سرد الحاجات لديه مسلسلا عيبًا ، بل مقتضى الأدب أن يذكر الحاجات في حضرته شيئًا فشيئًا و حاجة فحاجة ، و يتكلم معه قطعًا قطعًا و وقفًا وقفًا ، ليصغى إليه و يعلم عظمة شان الدعاء و يعرف شدة ربط قلب السائل به .

فبعد النداء باسمه تعالى في قولنا "يا الله أمّنا بخير" يوقف مليًّا على الجلالة و ينتظر لمحة إقبال جنابه المقدس عليه ، كأنّه خاف هيبته و أخذته رعدة و اقشعرّ جلده و اعتقل لسانه عن أن يعرض الحاجة في جنابه تعالى . كما تعتري الهيبة من يتكلم في حضرة الملوك و القضاة . و هذا مشاهد . ثم بعد الوقف مليًّا و السكتة قليلًا يجترئ الداعي المنادِي نظرًا إلى سعة رحمته تعالى و إلى أنه ليس كسائر الملوك ، فيعرض في حضرته المقدسة حاجته .

ولا يخفى أن هذه الحالة أقرب إلى تبجيل شان الله تعالى و أقرب إلى إجابة الدعاء . و هي لا تحصل إلّا بالوقف على الجلالة . هذا .

و نظير ذلك "قدَ فْلَح" في "قدْ أَفلح" بفتح الدال و إسقاط الهمزة و نقل حركتها إلى ما قبلها . و نقل الرضي عن سيبويه "ثلاثهَ رْبعة" في "ثلاثة أربعة" بالهاء المنقلبة من التاء وقفًا و نقل حركة الهمزة

إليها و حذف الهمزة .

قال نجم الأئمة الرضي في شرح الشافية ص١٧٢ : ثم نقول : إن هذه الكلمات سواء كانت من أسماء حروف الهجاء أو من أسماء العدد كواحد ، إثنان ، ثلاثة . أو من غيرهما كزيد ، عمرو ، بكر . و إن اتّصل بعضها ببعض في اللفظ إلاّ أن آخر كل واحد منها في حكم الموقوف عليه .

و إنما وجب ذلك فيها لأن كل كلمة منها مقطوعة عما بعدها من حيث المعنى ، و إن كانت في اللفظ متصلة به .

و الدليل على كون كل واحدة في حكم الموقوف عليه إثبات ألف الوصل في "إثنان" إذا عددتّ ألفاظ العدد و قلب تاء "أربعة" و "ثلاثة" هاء نحو "واحد" "إثنان" "ثلاثه" "أربعه" اتفاقًا منهم .

فهذه أسماء مبنية على السكون أجريت عليها حكم الوقف كما يوقف على "كم" و "مَن" و سائر الكلم المبنية على السكون . لكن لا تسكت على كل واحدة كما هو حق الوقف في آخر الكلام التامّ ، لأن ذلك إنما هو للاستراحة بعد التعب ، ولا تعب ههنا بالتلفظ بكل كلمة .

فمن حيث تجري أواخرها مجرى الموقوف عليه قلبت التاء هاءً في "ثلاثة" "أربعة" و من حيث وُصلتها بما بعدها ولم تقف عليها نقلت حركة همزة "أربعه" إلى الهاء على ما حكى سيبويه كما ينقل في نحو "قد أفلح" و "مسألة" . و مثله قول الشاعر :

أقبلتُ من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف

وتكتبَان في الطريق لامَ الف

بنقل حركة همزة "ألف" إلى ميم لام . و نقل المبرد عن المازني منع نقل حركة الهمزة في "ثلاثه" و "أربعه" إلى الهاء . و سيبويه أوثق من أن ترد روايته عن العرب . و لاسيما إذا لم يمنعها القياس . انتهى كلام الرضي .

و قال أيضًا في شرح الشافية ص١٧٧ : و أمّا مَن وصل "الم" بالله في قوله تعالى "الٓمٓ ٱللَّهُ" فإنه يحرّك ميم "ميم" بالفتح لا غير . و هو مذهب سيبويه و المسموع من كلامهم .

و اختلف في هذه الفتحة . والأقرب كما قال جار الله إنها فتحة همزة "الله" نقلت إلى ميم كما قلنا

في "ثلاثهربعة"، فلما كانت لفظة "ميم" كالموقوف عليها ثبتت همزة الوصل في "الله" لأنها كالمبتدأ بها وإن كانت متصلة في اللفظ بميم . فلما نقلت حركة همزة القطع إلى ما قبلها و حذفت في "ثلاثهربعة" و في قوله "لام الف" كذلك حذفت همزة الوصل بعد نقل حركتها إلى ما قبلها . انتهى كلامه .

و أيضًا بحث عليه الرضي في شرح وقف الشافية ص١٩٧ ، و في بحث تخفيف الهمزة ص٢٥٩ . فراجع ذلك إن شئت التفصيل .

إن قلت : إن حذف همزة "أمّ" في "اللّهمّ" لو كان بقاعدة "يسأل" و "قد أفلح" لسمع إثباتها . إذ حذف الهمزة بهذا القانون جائز لا واجب ، مع أنه لم يسمع "الله أمّ" و إذ لم يسمع ثبوتها و تحقُّقها عُلم أن قولك المتقدّم توجيه لا يطابق الواقع .

قلت : هب . إلّا أن كثيرًا من تصرفات عِلم التصريف الجائزة ربما تصبح لازمة لكثرة الاستعمال أو نحو ذلك . و هذا أمر لا ينكره سيبويه ولا غيره من النحاة .

ألا ترى أن نحو "خطيئة" يجوز فيه "خطيّة" بتشديد الياء بقاعدة أن الهمزة بعد الياء الزائدة المكسور ما قبلها تنقلب ياء ، ثم تدغم الياء في الياء . وهذه القاعدة غير لازمة . إلّا أنها أضحت لازمة في "نبي" أصله "نبيء" و في "بريّة" أصله "بريئة" كلاهما بالهمز عند سيبويه .

قال الرضي في شرح الشافية عند البحث على كلمتي "نبي" و "بريّة" : قال سيبويه : ألزمهما أهل التحقيق البدل . قال : وقد بلغنا أن قومًا من أهل التحقيق يقولون "نبيء" و "بريئة" أي بتحقيق الهمزة . و ذلك قليل رديء . يعني قليل في كلام العرب رديء فيه ، لا أنه رديء في القياس . و هي ثابتة في القراءات السبع . و مذهب سيبويه أن النبيء مهموز اللام و هو الحق . انتهى كلامه .

و ألا ترى إلى باب "يرى و أرٰى يُرِي" كيف ألزم فيه إجراء قاعدة "يسل". صرح به ابن الحاجب رحمه الله تعالى في الشافية وغيره من العلماء .

و ألا ترى إلى لفظ "رَويّ" وهو الحرف الآخر من القصيدة الذي تنسب إليه وإلى لفظ "ذريّة" كيف ألزم فيهما إجراء قاعدة خطيّة .

قال ابن دريد في الجمهرة : قال أبوعبيدة : تركت العرب الهمز في أربعة أشياء لكثرة الاستعمال:

في "الخابية" وهي من خبأت و "البريّة" وهي من برأ الله الخلقَ و "النبيّ" و هو من النبأ و "الذريّة" و هي من ذرأ الله الخلق . انتهى كلامه .

و في الصحاح : تركوا الهمز في هذه الأحرف الأربعة إلاّ أهل مكة فإنهم يهمزونها ولا يهمزون غيرها ، و يخالفون العرب في ذلك .

قال ابن السكيت في كتاب الإصلاح : ومما تركت العرب همزة قولهم : ليست له رويّة . و هو من "روأتُ" في الأمر ، و "الملَك" و أصله "ملأك" لأنه من الألوكة و هي الرسالة . كذا في المزهر ج٢ ص٢٥٢ .

الوجه السابع عشر : دونك وجهًا قويًّا لترجيح مذهب الكوفيين و تقريبه إلى القياس . ملخّصه أن مذهبهم يجري على قواعد النحاة المعتمدة ، و يوافق أصولهم المسلّمة ، و ينسحب على ضوابطهم الموضوعة المعروفة .

و بيان ذلك أن همزة "أمّ" بعد هاء الجلالة أبدلت بالهاء لاتصالها بالهاء و تعسُّر التلفظ بالهمزة بعد الهاء ، لاسيّما عند كونهما مضمومتين ، فصار "الله همَّ" . ولا يخفى أن التلفظ بالهائين المضمومتين أسهل من التلفظ بالهاء و الهمزة المضمومتين .

لأن الهمزة مخرجها أقصى الحلق و بعدها مخرج الهاء . هذا في الأداء . و إنما تعـدّان في عُرف أهل التجويد من مخرج واحد لقرب مخرجيهما . فيستلزم النزول من الأعلى إلى الأسفل . و فيه ثقل . فأبدلت الهمزة هاء .

ثم حذفت إحدى الهائين كما هو عادة العرب يحذفون أحد المثلَين من الحروف إذا اجتمعا ، أو يبدلونه بالحرف الأخفّ ، حيث يقولون "ظَلت" في "ظللتُ" و "دسّها" في "دسَّسها" و "مَستُ" في "مسست" و "أحست" في "أحسست" .

إن قلتَ : هذا الوجه أي الوجه السابع عشر مبنيّ على أصـل عجيب نافع جدًّا ، و هو قلب الهمزة هاءً للتخفيف . فهل لهذا الأصل نظائر في كلام العرب تؤيّده و أمثال تعضده ؟

قلتُ : نعم . و على الخبير سقطتَّ . تفصيل الكلام على وجه ينحلّ به المرام و يزول به الاشتباه

لأجل غبار الأوهام و ينجلي الظلام و ينقشع الغمام بفضل الملك المنعام قد كثر في كلام العرب العرباء إبدال الهمزة هاء و بالعكس .

فمن ذلك : كلمة " همزة " التي هي اسم حرف حلقيّ من حروف الهجاء أصلها "أمزة" بالهمزة في أوّلها . صرح به الرضي و غيره .

قال الرضي في شرح الشافية ص١٧٠ : إن صور مفردات حروف الهجاء سمّي كل واحد منها باسمٍ أوّله ذلك الحرف . انتهى كلامه .

و صرّح في موضع آخر أنه يستثنى منه الألف و الهمزة ، لامتناع التلفظ بالألف في الأوّل . فابتدئ اسمها بالهمزة . و أما في اسم الهمزة فأبدل أوّله بالهاء لثقل الهمزة .

و من ذلك : لفظ "الماهيّة" كان في الأصل "المائيّة" بالهمزة نسبة إلى لفظ ماء ، قلبت فيه الهمزة هاء لتقاربهما . كذا قال الرضي في شرح الشافية في بحث النسبة ص١١٢ .

و من ذلك : "هراق يهريق" في "أراق يريق" و هو مشهور .

و من ذلك : ما قال ابن يعيش في شرح المفصل : أبدلت الهمزة من الهاء في "ماء" و "شاء" و الأصل "موه" و "شوه" . و في "أيهات" و الأصل "هيهات". و كان ذلك لضرب من التقاصّ لكثرة إبدال الهاء من الهمزة قال : هِنْ فعلتَ . و المراد : إنْ . و قالوا : "هبرتُ الثوب" في أبرته . انتهى كلامه .

و من ذلك : ما قال ابن الحاجب و شرحه الرضي و بسطه في شرح الشافية ص٣٣٤ : إنه يقال "هنرتُ الثوب" أي أنرتُه ، و "هرحتُ الدابة" أي أرحتُها . و حكى اللحياني "هردتُّ الشيء" أي أردتُّه . أهريده كهرقته أهريقه . و قال :

فهِيّاك و الأمر الذي إن توسّعت   موارده ضاقت عليك مصادره

و الهاء بدل لأن "إياك" أكثر . وطيء تبدل همزة "إن" الشرطية هاءً . فتقول : هِنْ فعلتَ كذا . و حكى قطرب "هَزيد منطلق" في ألف الاستفهام . أي أزيد منطلق . أنشد الأخفش :

و أتتْ صواحبها فقلن هَذا الذي   منح المودةِ غيرنا و جفانا

أي أذا الذي . و يقال في "أيا" في النداء "هَيا" و في "أما والله" "هما والله" . انتهى كلام الشيخ الرضي .

و من ذلك : ما في مزهر اللغات ج١ ص١٩١ : قال ابن دريد : الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها نحو قولهم في " أَم والله " هَم والله . و كما قالوا "هراق الماء" في أراق الماء . انتهى بتصرف .

و من ذلك : ما قال الرضي في بحث أسماء الأفعال من شرح الكافية ج٢ ص٥٦ : و قد تبدل همزة "إيهٍ" و "إيهًا" هاءً . فيقال : هيهٍ و هيهًا . انتهى كلامه .

و من ذلك : ما قال الرضي في شرح الكافية ص٥٥ : قال الخليل : أصل "هات" اسم الفعل " آتِ" بالهمزة من آتى يؤتي إيتاءً . فقلبت الهمزة هاء . انتهى كلامه .

و من ذلك : ما في كتاب الإبدال ليعقوب بن السكيت : فمن إبدال الهمزة هاء "أيا و هَيا" و "إياك و هِياك" و "اتمأَلّ السنام و اتمهلّ" إذا انتصب . و "أرحت دابتي و هرحتها" و "أبزتُ له و هبزتُ له" و "أرقتُ الماء و هرقته" . انتهى .

و من ذلك : ما في حواشي المزهر ج١ ص٤٦٢ : "أبز" لغة في "هبز" إذا مات فجأة . وليس فيما بين أيدينا من كتب اللغة "أبزله" و "هبزله" . و في الأمالي : "أنرت له" و "هنرت له" فهو تحريف . انتهى كلامه .

و من ذلك : ما في الهمع ج١ ص١٧٢ : الخامس من حروف النداء "هيا" للبعيد ، و هاؤه أصل . و قيل : بدل من همزة "أيا" و عليه ابن السكيت . انتهى .

و من ذلك : ما في الإنصاف ج١ ص٢١٤ : لانسلّم أن الهاء في قوله "لهِنك" زائدة و إنما هي مبدلة من ألف "إن" فإن الهاء تبدل من الهمزة في مواضع كثيرة من كلامهم . يقال "هرقت الماء" و الأصل فيه أرقت ، و "هرحت الدابة" أي أرحت ، و "هنرت الثوب" أي أنرت ، و "هبرية" في إبرية ، و هو الحزاز في الرأس ، و "هردتُّ" و الأصل أردت ، و "هِياك" في إياك ، و قد قرأ بعض القراء : هِياك نعبد . و قال الشاعر :

فهِيّاك و الأمرَ الذي إن توسّعت مَواردُه ضاقت عليك المصادِرُ

و قال الآخر :

يا خالِ هـلاّ قلتَ إذ أعطيتني هيّاك هيّاك و حَنْواء العنق

أراد "إياك" . و قد قال الله تعالى : وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . قيل : أصله "مؤيمن" فقلبت الهمزة هاء . و لهذا قيل في تفسير "وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" حافظًا عليه . انتهى .

هذا . و حسبُك هذا القدر من البيان في شرح القانون الغريب والأصل العجيب . وهو قلب الهمزة هاءً و بالعكس . ولن تجـد هذا البسط في غير مؤلّفاتي . فخذه فإنّه نافع في غير ما موضع . و ها أنا بفضل الله تعالى و توفيقه قد فصَّلتُه لك و فصصتُه و شرحتُه و أترصتُه بحيث أنرتُ ظلمة أسدافه ، و رفعتُ سدول أغدافه ، فأضاء ما أغطش من غياهبه ، و ما أوحش من مناهجه و مذاهبه ، و أطلع ما أفل من كواكبه ، و أسفر بعد إظلامه و انحسر بعد ارتكامه . ولله الحمد و المنّة .

الوجه الثامن عشر : حذفت الهمزة من "أمّ" في قولنا "يا الله أمّ" لقصد التركيب . فإن الكوفيين يسلّمون أن الميم و إن كانت بقية جملة في الأصل لكن الآن أي بعد التصرف حلّت محلّ الجزء من كلمة . فاللّهم بمثابة كلمة واحدة . و العرب كثيرًا ما يحذفون الهمزة إذا توسّطت للتخفيف .

و هذا كما قال الرضي في شرح ظروف الكافية : إنّ "منذ" مركبة من لفظة "مِن" التي هي لابتداء الغاية و لفظ "إذ" الذي هو للزمان الماضي . و إنما حَملَنا على تركيبها من الكلمتين وجودُ معنى الابتداء والوقت الماضي في جميع مواقع "منذ" كما يجيء . فغلب على الظن تركبها منهما مع مناسبة لفظها للفظهما . و أمور النحو أكثرها ظني .

فنقول : حذف لأجل التركيب همزة "إذ" فبقي "منذ" بكسر الميم بعدها نون و ذال ساكنتان . و حقُّ "إذ" أن يضاف إلى الجمل . والإضافة إلى الجمل كلا إضافة كما مر . فضموا الذال لما أحوجوا إلى تحريكها للساكنين تشبيهًا لها بالغايات المتمكنة في الأصل كقبل . ثم استثقلوا الخروج من الكسر إلى ضم لازم مع أن بينهما حاجزًا غير حصين . فضموا الميم اتباعًا للذال . و هذا مذهب الكوفية في أصل "منذ" .

و مما حذف الهمز فيه للتركيب قولهم "بادِيْ بَدِيْ" بسكون يائي اللفظين الأوّل و الثاني .

و أصل الأوّل فاعل ، و الثاني فعيل بمعنى مفعول من بدأت الشيء ، أي فعلته ابتداءً . تقول : أعطه بادِيَ بدِيَ . أي أعطه فاعلًا ابتداءً لما يجب أن يفعل ابتداءً .

فهما في الأصل مضاف ومضاف إليه . فينبغي أن يعرب كل واحد على حدة . لكنه كثر استعمال ذلك حتى استفيد من مجموع الكلمتين ما يستفاد من كلمة واحدة . إذ معنى "بادي بدي" مبتدئًا . فخفّف الكلمتان لصيرورتهما ككلمة بتسكين الهمز من الكلمة الأولى و قلبه ياءً و حذف الهمز من الكلمة الثانية . و كلا التخفيفين على خلاف القياس . انتهى كلام الرضي في بحث المركبات ج٢ ص٧٠ .

و من ذلك : قولهم "بادِي بدا" اللفظ الأوّل فاعل من بدأ ، و الثاني على وزن دعا . و أصله بداء كنبات ، لأن بدأ على وزن طلب لم يجئ من هذا التركيب ، فحذف الهمز تخفيفًا . قاله الرضي .

و يدل على فرارهم من الهمز أشدّ الفرار عند التركيب قولهم "تفرّقوا أيدي سبا" و "أيادي سبا" أي مثل تفرّق أولاد سبا بن يشجب حين أرسل عليهم سيل العرم . و الأيدي كناية عن الأبناء . أصله سبأ بالهمز لكن سكن الهمز ثم قلبت ألفا .

و قولهم "بادِيَ بدِيَ" أصله بادئ بالهمز . ثم سكنت و قلبت ياء كما مضى آنفًا .

الوجه التاسع عشر : حذفت همز "أمّ" و إن كانت قطعية لتوهُّم وصلها . حيث يكثر استعمال الهمزة الوصلية في جواب نداء الله تعالى ، بل في جواب كل نداء كقولنا : يا الله اغفر و ارحم و ارزق . و كثرة استعمال "اللّهم" يسهّل تطرُّق التوهم إليه تخفيفًا .

و هذا تخريج حسن لا يدانيه قول سيبويه . إذ توهُّمات العرب غير عزيزة . و التوهم باب جيد فصيح من أبواب الفصاحة ، ثبت في كلام العرب الأقحاح نظما و نثرًا ، بل قد جاء في كلام سيد الأنبياء و خاتمهم ﷺ ، بل في كلام الله القديم . فيا لحسنه و قبوله و بهائه .

و التوهُّم أن تغمض عمّا هو مقتضى الكلام في نفس الأمر و تطوي الكشح و تعرض عمدًا عمّا هو حكمه في الظاهر . وتُجرِي عليه خلاف مقتضى الظاهر حكمًا من أحكام ما اعتبرتَه عمدا في نفسك لا سهوًا و نسيانًا لنوع مناسبة .

ففي كتاب الله تعالى حكايةً عن قول يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّهُۥ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ

لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ . قرأ قنبل "من يتقي" بالياء و "يصبر" بالجزم . و تخريجه أن "مَن" موصول ليست بشرطية . وعطف المجزوم عليه على التوهم . كأنه توهم أن "مَن" شرطية و "يتقي" مجزوم . كذا في روح المعاني ج١٣ ص٤٥ .

و من هذا الباب قوله :

بدا لي أنّي لستُ مدرِكَ ما مضٰى   و لا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيًا

بجر "سابق" عطفا على "مدرك" خبر "لست" بتوهم دخول الباء على "مدرك" .

الوجه الموفّى العشرين : أن حذف همزة "أمّ" في "اللّٰهمّ" على مذهب الكوفيين وإن لم يكن منقاسا لكنه من القياس أقرب . وله وجه قوي مستحسن . بخلاف التعويض من "يا" على ما هو مذهب سيبويه حيث لا باعث عليه .

و ذلك الوجه القوي المستحسن هو أن الهمزة من "أمّ" إنما حذفت لاجتماعها مع هاء الجلالة مضمومتين . و ذلك مستثقل جدًّا لكونهما متقاربتي المخرج حتى تعدّان عند القراء من مخرج واحد . و تقارب المخرج أحد وجوه الاستثقال على اللسان عند الأدباء و أهل العربية .

و لكونهما حلقيتين ، و حروف الحلق أثقل .

و لكونهما مضمومتين ، و الضمة أشدّ الحركات و أثقلها .

و لكون الهمزة تلي الهاء ، و هذا ضغث على إبّالة . و لذا لا تجد في كلام العرب مادة فيها هاء مضمومة تليها همزة مضمومة إلّا نادرًا .

و لفظة "اللّٰهمّ" كثيرة الاستعمال . و ذلك يقتضي الخفّة لاسيما في موضع الدعاء و النداء المستدعيين للتخفيف أشدّ الاستدعاء للتسارع إلى ما هو المقصود و هو الدعاء بعد المنادٰى . و هم يسوّغون ارتكاب ما هو أكبر من حذف الهمزة لما هو أدنى اقتضاءً . فأولٰى لمثل هذه الوجوه المستدعية لحذف الهمزة .

فائدة

قال الشيخ بهاء الدين رَحِمَهُ اللهُ : و يشبه استواء تقارب الحروف و تباعدها في تحصيل التنافر استواء المثلين الذين هما في غاية الوفاق ، والضدّين اللذين هما في غاية الخلاف في كون كل من الضدين و المثلين لا يجتمع مع الآخر . فلا يجتمع المثلان لشدة تقاربهما و لا الضدّان لشدة تباعدهما . و حيث دار الحال بين الحروف المتباعدة و المتقاربة ، فالمتباعدة أخفّ . انتهى .

قال ابن دريد في الجمهرة ج١ ص٩ : اعلم : أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم و دون حروف الذلاقة كلّفته جرسًا واحدًا و حركات مختلفة .

ألا ترى أنك لو ألّفت بين الهمز و الهاء و الحاء لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها . نحو قولهم في "أم والله" "هم والله" وكما قالوا في "أراق" "هراق الماء" . و لوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء . و إذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف . انتهى كلامه .

و قال أيضًا : واعلم : أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم . و أصعبها حروف الحلق . فأما حرفان فقد اجتمعا مثل "أخ" بلا فاصلة و "أحد" و "أهل" و "عهد" و "نخع" غير أن من شانهم إذا أرادوا هذا أن يبدؤوا بالأقوى من الحرفين و يؤخّروا الألين كما قالوا "ورل" و "وتد" فبدؤا بالتاء مع الدال و بالراء مع اللام . فذق التاء و الدال ، فإنك تجد التاء تنقطع بجرسٍ قويٍّ ، و تجد الدال تنقطع بجرس لين ، وكذلك الراء تنقطع بجرس قوي ، وكذلك اللام تنقطع بغنة .

قال الخليل : لولا بحّة في الحاء لأشبهت العين . فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة . وكذلك الهاء . و لكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة نحو قولهم "حيّهل" . "فحيَّ" كلمة معناها "هَلُمَّ" و "هلاً" حثيثًا .

و قال الخليل : سمعنا كلمة شنعاء "الهِعْخَع" فأنكرنا تأليفها . وسئل أعرابي عن ناقته . فقال : تركتُها ترعى الهِعْخَع . فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا ذلك و قالوا : نعرف "الخُعْخُع" . فهذا أقرب

إلى التأليف . انتهى .

و قال الشيخ بهاءالدين في عروس الأفراح : قالوا : التنافر يكون إمّا لتباعد الحروف جدا أو لتقاربها . فإنها كالطفرة و المشي في القيد . نقله الخفاجي في سر الفصاحة عن الخليل بن أحمد . انتهى .

قال ابن جني في كتابه المشهور سر الصناعة : التأليف ثلاثة أضرب .

أحدها : تأليف الحروف المتباعدة و هو أحسنه و أغلب .

و الثاني : الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه و هو يلي الأوّل في الحسن .

و الثالث : الحروف المتقاربة . فإمّا رفض و إمّا قلّ استعماله . و إنما كان أقل من المتماثلين و إن كان فيهما ما في المتقاربين و زيادة . لأن المتماثلين يخفّان بالإدغام . ولذلك لما أرادت بنوتميم إسكان عين "معهم" كرهوا ذلك فأبدلوا الحرفين حائين و قالوا "مححم" فرأوا ذلك أسهل من الحرفين المتقاربين . انتهى .

قال ابن دريد : ومما يدلك على أنهم لايؤلّفون الحروف المتقاربة المخارج أنه ربما لزمهم ذلك من كلمتين أو من حرف زائد . فيحولون أحد الحرفين حتى يصيّروا الأقوى منهما مبتدأ على الكره منهم . و ربما فعلوا ذلك في البناء الأصلي . فأمّا ما فعلوه من بناءين فمثل قوله تعالى "بَلۡ رَانَ" لا يبينون اللام و يبدلونها راء لأنه ليس في كلامهم "لر" . انتهى كلام ابن دريد .

الوجه الحادي و العشرون : بعد اللُّتيا والتي إنا إذا أغمضنا عن جميع الوجوه التي سطرناها لترجيح المذهب الكوفي و أنصفنا حق الإنصاف و استفتينا القلب و هو شهيد : هل حذفُ الهمزة اللازم على المسلك الكوفي أسهل و أيسر أو التعويض للميم كما قال سيبويه . يفتينا القلب إفتاءً بعد استقراء الأمثال و النظر في موارد كلام الفصحاء أن حذف الهمزة أسهل و أكثر ، و الذوق له أطلب و إليه أميل . بخلاف تعويض الميم .

فلو اطلعتَ على ما تصرفوا في الهمز وتوسّعوا في ذلك وأرخوا عنان التغيّر في الهمز لرأيتَ أمرًا عجيبًا . و إن كان يريبك ما قلنا فطالع التسهيل و شروحه و شرح الرضي للشافية والتصريح شرح التوضيح

و شروح الألفية و غير ذلك من الكتب .

ولو طالعتها لاستيقنتَ كما استيقنتُ أن الهمزة لك في الحروف كالمحارم . فلك أن تُدخِل عليها أيَّ تغييرٍ شئت و أن تنبسط إليها كيف شئت . فحدِّث عن البحر ولا حرج .

و مرادي أن أمر الهمزة سهل غير صعب ، وأنهم توسعوا فيها مثل التوسّع مع المحارم . ولم أرد أن تفعل بها ما شئت و متى شئت و كيف شئت و إن لم ينقل ذلك عن العرب .

و وجه التوسُّع في الهمزة ثقل الهمزة و كثرة استعمالها . قال ابن دريد في الجمهرة : إن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء و الهمزة ، و أقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم . انتهى .

قال الرضي في شرح الشافية ص٢٥٧ عند بحث تخفيف الهمزة : ثم اعلم : أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ، ولها نبرة كريهة يجري مجرى التهوُّع ثقلت بذلك على اللسان المتلفظ بها . فخفَّفها قوم و هم أكثر أهل الحجاز ولاسيما قريش . روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : نزل القرآن بلسان قريش . و ليسوا بأصحاب نبر . ولو لا أن جبرئيل عليه الصلاة والسلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا . و حقَّقها غيرهم . و التحقيق هو الأصل كسائر الحروف . و التخفيف استحسان . انتهى بلفظه .

الوجه الثاني و الثالث و الرابع و الخامس و العشرون : ما حكاه الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج٢ ص٤٤٤ عن الإمام الفراء رحمه الله تعالى حيث قال : ثم احتج الفراء على فساد قول البصريين من وجوه :

الأوّل : أنا لو جعلنا الميم قائما مقام حرف النداء لكُنّا قد أخَّرنا النداء عن ذكر المنادٰى . و هذا غير جائز ألبتة . فإنه لا يقال ألبتة "الله يا" . و على قولكم يكون الأمر كذلك .

الثاني : لوكان هـذا الحرف قائما مقام النداء لجاز مثله في سائر الأسماء حتى يقال "زيدمّ" و "بكرمّ" كما يجوز أن يقال "يا زيد" و "يا بكر" .

الثالث : لوكان الميم بدلاً عن حرف النداء لما اجتمعا . لكنهما اجتمعا في الشعر الذي رويناه .

الرابع : لم نجد العرب يزيدون هذه الميم في الأسماء التامّة لإفادة معنى بعض الحروف المباينة للكلمة الداخلة عليها . فكان المصير إليه في هذه اللفظة الواحدة حكمًا على خلاف الاستقراء العام . و إنه غير جائز . فهذه جملة الكلام في هذا الموضع . انتهى .

قلت : قد نمقت الوجه الثالث من هذه الوجوه الأربعة في الوجوه المذكورة من قبل بطريق آخر ، فراجعه . و الله أعلم بالصواب و علمه أتم .

فصل

في ذكر اعتراضات أوردوها على مسلك الكوفيّين مع ذكر أجوبتها

نذكر في هذا الفصل إيرادات ترد على قول الكوفيين مع بيان أجوبتها .

اعلم : أن أكثر العلماء من المحققين ردّوا مذهب الكوفيين واختاروا مذهب سيبويه والبصريين ، منهم الرضي و صاحب التصريح و أبوحيان و أبوالبقاء و غيرهم رحمهم الله تعالى .

و اختار الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره مذهب الفراء و الكوفيين . وهو قَمِنٌ بأن يختار و يرجّح على مذهب سيبويه . و قد نمقتُ لترجيح مسلك الكوفية على مذهب سيبويه وجوها بديعة معضودة بأصول قوية و ضوابط معروفة وضعها سيبويه والخليل . و بيّنت أن قولهما يخالف أصولهما بيانًا شافيا . وكل ذلك مما لم يسبقني إليه أحد . و ذلك بإلهام الله تعالى و سبحانه . ولله الحمد و المنة .

و سيبويه و إن كان مقامه أعلى من فلك الأفلاك وعلمه بالعربيّة أوسع من منطقة البروج لكن قول الكوفيين عندي جدير بالترجيح على مذهب سيبويه و حريّ بالاختيار بمقابلة قوله .

إذ من الكوفيين الكسائي ، و هو أعلى كعبًا من سيبويه ، لكون الكسائي أحد القراء السبعة . و قد صرح الجاربردي رحمه الله تعالى نقلاً من ابن الحاجب و غيره من العلماء أن قول القرّاء يرجّح على قول النحاة مطلقا عند التعارض . و من رزق السداد و أعطي الرشاد و سرَّح النظر في وجوه رقمناها بالمداد يستيقن أن القول الكوفي بالنسبة إلى قول سيبويه ههنا أشد و أقوى مثل السبع الشداد . و دون إبطال القول الكوفي و ترجيح قول سيبويه عليه خرط القتاد .

و الآن توخّيت و أردت أن أزفّ للناظرين اعتراضات أوردوها على مسلك الكوفيين وخدشات خدشوا بها مذهبهم وإن كانت تلك الخدشات والاعتراضات عندي أوهن من بيت العنكبوت كما سترى .

الاعتراض الأوّل : ما أورده أبوحيان في الارتشاف والسيوطي في الأشباه النحوية ج٢ ص١٦٢ . و هو أن الميم المشددة عندهم بقية جملة محذوفة قدّروها "أمّنا بخير" و هو قول سخيف لا يحسن أن يقوله مَن عنده عِلم . انتهى .

و الجواب : أن هذا جرح مبهم و مثله لا يسمع . و قول الكوفية أقوٰى ، و هو جدير بأن يعضّ عليه بالنواجذ لوجوه سطرناها من قبل .

الاعتراض الثاني : ما أورده الرضي في شرح الكافية ج١ ص١٢٦ و صاحب التصريح والعلامة الصبان وغيرهم . وهو أن قول الكوفيين ليس بموجّه لأنك تقول : اللّٰهم لا تؤمَّهم . انتهى . و حاصله أنه يستلزم اجتماع المتنافيين وهو "أمّ" و "لا تؤمّهم" .

و الجواب أوّلاً : أن الميم المشددة صارت بمنزلة الجزء من الجلالة . فلا يلاحظ معناها على حدة . و ذلك لكثرة استعمالها مع الجلالة فلا منافاة . و إنما المنافاة لو كان معنى "أمّ" ملحوظًا على حدة مثل لحاظ معنى "لا تؤمّهم" على حدة . و إذ لا فلا .

و ثانيًا : هَبْ أنّ "أمّ" ملحوظ مستقلا ولكن لا منافاة بين "أمّنا بالخير" و "لاتؤمّهم بالخير" كما لا منافاة بين قول الرجل : اللّٰهم ارزقني ، و لا ترزق زيدًا .

و ثالثًا : أن تقديره عند الفراء "أمّ" كما نقل العلماء عن الفراء والكوفيّة . و "أمّ" صيغة الأمر ، أي أقبِل و توجَّه . و المراد منه الإقبال الذي يطلب بحروف النداء ليس إلا . ولم يرد به ما هو المقصود بالجواب للنداء .

فكأنّ السائل الداعي قال : يا الله أقبِل إليّ . ثم لما تخيل أن الله أقبل عليه ذكر ما لأجله طلب إقباله تعالى ، وهو "لا تؤمّهم" و نحو ذلك . و لزوم المنافاة إنما هو على تقدير كينونة "أمّ" مقصودًا بالجواب . و إذ لا فلا . و يدل على ما قلنا استعمال "اللّٰهمّ" في كل دعاء سواء كان دعاء الخير أو الشر .

الاعتراض الثالث : هو ما حكاه شيخ شيوخنا محمد إعزاز علي رحمه الله تعالى في حواشي كتابه "نفحة

العرب" عن شيخه شيخ الأدباء .

محصوله أنه يلزم على قولهم تدافع غير زائل في قوله تعالى حكايةً عن المشركين "ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ" إذ صار التقدير : اللّٰهم اقصدنا بخير و أمطر علينا حجارة من السماء . انتهى .

قال العبد الضعيف : أصل هذا الكلام ما ذكره ابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ ص٣٤٤ حيث قال في ردّ رأي الكوفيين : إنه لو كان الأمر كما زعمتم لما جاز أن يستعمل هذا اللفظ إلّا فيما يؤدّي عن هذا المعنى . و لا خلاف أنه يجوز أن يقال "اللّٰهم العنه" "اللّٰهم أخزِه" "اللّٰهم أهلِكه" و ما أشبه ذلك .

و قد قال الله تعالى : وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . ولو كان الأمر كما زعموا لكان التقدير : أمّنا بخير ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . ولا شك أن هذا التقدير ظاهر الفساد والتناقض ، لأنه لا يكون أمّهم بالخير أن يمطر عليهم حجارة من السماء أو يؤتوا بعذاب أليم . انتهى .

و الجواب : هو ما سطرنا أوّلاً و ثالثًا في أجوبة الاعتراض الثاني .

و أيضًا أن مراد المشركين إبداء أنهم على الحق و توكيد اطمينانهم في ذلك كما هو المتعارف في مثل هذا المقام . ولم يروموا حقيقةً أن يمطر الله عليهم الحجارة . إذ هذا سفه ، و هم كانوا فصحاء و أعقل من أن يدعوا على أنفسهم . و قد صرح ابن الأنباري بضعف هذا الاعتراض .

الاعتراض الرابع : هذا الاعتراض ذكره العلامة الصبان رحمه الله في حواشيه على الأشموني ج٣ ص١١٢ و الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ج٢ ص٤٤٤ . و توضيحه أن مذهب الكوفية لو كان حقًّا في "اللّٰهم" وكان أصله "يا الله أمّنا بخير" لامتنع ذكر فعل الأمر بعد "اللّٰهم" بغير الحرف العاطف . و لوجب ذكر حرف العطف بين " اللّٰهم " و فعل الأمر المذكور متّصلاً بعد "اللّٰهم" نحو "اللّٰهم اغفرلي" .

قلت : هذا الاعتراض في الأصل لابن الأنباري رحمه الله حيث قال في كتابه الإنصاف ج١ ص٣٤٤ : و يحتمل عندي أنه لو كان الأصل "يا الله أمّنا بخير" لكان ينبغي أن يقال : اللّٰهم و ارحمنا .

فلمّا لم يجز أن يقال إلاّ "اللّٰهم ارحمنا" ولم يجز "و ارحمنا" دل على فساد ما ادّعوه . انتهى كلامه .

و الجواب أوّلاً : أن "اللّٰهم" مع الميم المشددة بمنزلة كلمة واحدة . وقد مرّ هذا الكلام بتوضيحه . و لا يجوز العطف على جزء الكلمة .

و ثانيًا : أن الاحتياج إلى العاطف إنما هو على تقدير جعل الميم المشددة جوابًا للنداء . و إذ لا فلا كما سبق بيانه في الجواب الثالث للاعتراض الثاني .

و ثالثًا : سلّمنا لكنّ "أمنا" فعل عام و نحو "اغفرلي" و "ارزقني" بعده لتعيين ما هو المقصود من العام . فكأنه تفسير له و مصداق له . ولا يحتاج إلى العاطف بين المفسر بكسر السين و المفسر بفتح السين .

قال الفراء : إن معنى "يا الله أمّ" اقصد . فلو قال "و اغفرلنا" بالعطف لكان المعطوف مغايرًا للمعطوف عليه . فحينئذ يصير السوال سوالَين : "أمّنا" و"اغفرلنا" . أمّا إذا حذفنا حرف العطف صار قوله "اغفرلنا" تفسيرًا لقوله "أمّنا" فكان المطلوب في الحالين شيئا واحدًا . فكان ذلك آكد . و نظائر ذلك كثيرة في القرآن . انتهى .

و رابعًا : أن الفعل الثاني ليس مطلوبًا مغايرًا لنفس الفعل الأوّل ، بل هو تفسير للأوّل ، فكأنه قيل : يا الله أمّنا بخير . بأن تغفر لنا . فجعل الثاني عطف بيان للأوّل . كذا ذكر الشيخ إعزاز علي رحمه الله تعالى في حاشية كتابه "نفحة العرب" . و هذا الجواب قريب من الجواب الثالث .

و نظير ذلك كلمة "إذ" فإنها لازمة الإضافة إلى الجملة الغير المصدرة بحرف مصدريّ . ثم لما ركّبت مع "من" الجارة حتى صارتا بعد التصرف في الحركات و حذف الهمزة "منذ" حرفًا من حروف الجارّ كما هو مذهب البعض في "منذ" الجارة ، و قد تقدّم بيانه ، جاز إضافة "منذ" إلى الجملة المصدرة بحرف مصدريّ ، لتغيير "إذ" بالتركيب عن صورتها التي كانت معها واجبة الإضافة إلى الجملة . كذا في شرح الرضي لبحث الظروف من الكافية .

و لفظ "اللّٰهم" كذلك . إذ لمّا صارت كلمة "أمّ" بعد التصرف كالجزء و غيّرت للتركيب فلم يعطف عليها .

و خامسًا : لا يبعد أن يقال : إنّ العاطف ههنا مضمر مقدّر ، لكثرة استعمال لفظ "اللّهم" أو لكون ذلك خاصة للجلالة مثل سائر الخواصّ . و تقدير العاطف ثابت في كلام العرب و إن لم يكن مطّردًا كما في بيت أبي الطيب :

أيّ يوم سررتَني بوصال لم ترعني ثلاثة بصدود

قال ابن الشجري في أماليه ص٧٨ : ومعناه : أيّ يوم سررتني بوصال فلم ترعني إلخ ، العرب تضمر الفاء و الواو العاطفين . فمما جاء فيه إضمار الفاء قوله تعالى : وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ . والأصل : فقالوا . فقال . فأضمرت الفاء في الموضعين . و هذا كثير في القرآن .

و مما أضمر فيه الواو قول الحطيئة :

إنّ امرأً رهطه بالشام منزله برمل يبرين جارا شدّ ما اغتربا

أراد : و منزله . و كذلك أضمرها الراجز في قوله :

لمّا رأيت نبطًا أنصارًا شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لها من النصارىٰ جارا

أي و كنت . انتهى كلامه .

إن قلت : قال الشيخ الجامي رحمه الله في بحث التحذير من شرح الكافية : إن حذف العاطف نادر . و في بعض حواشيه : قوله نادر . كما قال أبوعلي في قوله : وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ . أي و قلت . و سيبويه يقول في قول الشاعر :

فإياك إياك المراء ع

بنصب المراء منصوب باحذر . وقال ابن أبي إسحاق : إن المراء مصدر . أي أن تمارى إلخ . و لذا لا يجوز "إياك الأسد" بتقدير و الأسد .

قلت : نعم . تقدير العاطف نادر غير مطرد لكن مع ذلك هو ثابت في غير واحدٍ من المواضع في

أفصح الكلام وهو القرآن العزيز و في المنثور والمنظوم . فلا وصمة في القول به .

و أمّا زيادة الميم عوضًا عن "يا" فلم تثبت في موضع من كلام العرب . فقول الكوفية أقرب إلى الحق و أشبه بالحق .

الاعتراض الخامس : ما ذكره الشيخ إعزاز علي رحمه الله في حواشي " نفحة العرب " نقلاً عن شيخه شيخ الأدباء . و هو أن في مسلك الكوفيين تكثير الحذف ، و على مذهب سيبويه تقليله . و التقليل أولى .

و الجواب أوّلاً : أن تقديره عند الكوفيين "يا الله أم" فحذفت الهمزة من "أم" وجوبًا . و أما "يا" فيجوز ذكرها بأن يقال "يا اللّهم" و عندئذ يكون الحذف عند الكوفية أقل مما يكون على مذهب سيبويه .

و ثانيًا : أن الحذف الكثير إذا كان تحت قياس مطرد أولى من الحذف القليل على خلاف القياس .

و قد فصّلنا سابقًا أن حذف "يا" و تعويض الميم عنها مما لا نظير له . و أما حذف الهمزة من "أمّ" فله وجه قوي بل وجوه قوية كما نمقنا من قبل . وكذا حذف المفعول و الظرف من "أمّنا بخير" إذ حذف المفاعيل و الفضلات أكثر من عدد النجوم و أسهل من ابتلاع التمرة في الحلقوم .

و ثالثًا : أن من نظر غائرًا في الوجوه التي حررناها لترجيح مذهب الكوفية وما يستلزم مسلك سيبويه من مفاسد استيقن أن قول الكوفية على الحذف الكثير أقوى و أشبه بالحق .

الاعتراض السادس و السابع : هذان الاعتراضان حكاهما الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره عن سيبويه و أتباعه حيث قال : حجة الأوّلين على فساد قول الفراء وجوه :

منها : وهو منقول من الزجاج ، أنه لو كان الأمر كما قال لجاز أن يتكلم به على أصله فيقال "الله أمّ" كما يقال "ويلمّ" ثم يتكلم على الأصل فيقال "ويلٌ لأمه".

و منها : لو كان الأمر على ما قاله الفراء لكان حرف النداء محذوفًا . فكان يجوز أن يقال "يا

اللّهم". فلما لم يكن هذا جائزا علمنا فساد قول الفراء . بل نقول : كان يجب أن يكون ذكر حرف النداء لازمًا كما يقال : يا الله اغفرلي .

و أجاب الفراء عن هذه الوجوه فقال : أمّا الأوّل فضعيف ، لأن أصله عندنا أن يقال : يا الله أمنا . و مَن الذي ينكر جواز التكلم بذلك .

و أيضًا : فلأن كثيرًا من الألفاظ لا يجوز فيها إقامة الأصل مقام الفرع . ألا ترى أن مذهب الخليل و سيبويه أن قوله "ما أكرمه" معناه أيّ شيء أكرمه . ثم أنه لا يستعمل قط هذا الكلام الذي زعموا أنه الأصل في معرض التعجب ، فكذا ههنا . انتهى كلام الفراء .

قال العبد الضعيف البازي : صدق الإمام الفراء في قوله : إنّه لا يجب صحّة إقامة الأصل مقام الفرع . إذ كثيرًا ما يصحّ أخذ معنى الفرع . و لا تصح إقامة لفظ الأصل مقام لفظ الفرع و لا إرادة معنى الأصل . بل يكون أخذ معنى الأصل خطأً واضحًا ، بل يكون في بعض المواضع كفرًا بوّاحًا .

ألا ترى إلى قولهم : ما أعظم شان الله . فإن معناه الفرعي أي التعجّب من عظمة شان الله صحيح وحقّ بلا ريب . وأما إرادة معنى أصله فخطأ فاحش . و في أصله ثلاثة أقوال . و إرادة معنى أصله على كل قول باطلة و خطأ فاحش .

إن قلتَ : ما تفصيل الأقوال الثلاثة في أصله ، و ما تفصيل بطلان معنى كل أصل ؟

قلتُ : أصله عند الفراء "أيُّ شيءٍ أعظمَ شانَ الله" . و أخذ هذا المعنى باطل ، لأنه استفهام عن شيء جعل شان الله عظيمًا رفيعًا عاليًا . وهذا الاستفهام باطل ، لأنّ الله تعالى عظيم بنفسه وبذاته . فمن اعتقد أن هناك شيئًا غير الله تعالى جعل شان الله عظيما رفيعًا فقد كفر . و كذا الاستخبار و الاستفهام عن ذلك كفر .

و عند أهل البصرة أصله "شيءٌ عظيم أعظمَ شانَ الله".

و قال الأخفش : أصله "الذي أعظمَ شانَ الله شيء عظيم" .

و كلا القولين من قبيل الإخبار عن وجود شيء غير الله جعل شان الله عظيما عاليًا . و هذا

الاعتقاد كفر . فكذا الإخبار عن هذا الإعتقاد كفر . و هذا ظاهر . فإن عظمة الله و عظمة شانه تعالى ثابتة بذاتها في نفس الأمر ليست مرهونة بيد شيء غير الله تعالى . و من تردّد في ذلك و اعتقد أن أحدًا أعظم الله عزّوجلّ و أعلى شانه تعالى فقد كفر . هذا .

ثم قال الفراء في الجواب عن إيرادات البصرية على الكوفية : و أمّا الاعتراض الثاني فمن الذي سلم لكم أنه لا يجوز أن يقال "يا اللّهم". و أنشد الفراء :

وما عليك أن تقولي كلّما سبّحت أو صلّيت يا اللّهمّ

و قول البصريين "إن هذا الشعر غير معروف" فحاصله تكذيب النقل . ولو فتحنا هذا الباب لم يبق شيء من اللغة و النحو سليما من الطعن .

و أمّا قوله "كان يلزم أن يكون حرف النداء لازمًا" فجوابه أنه قد يحذف حرف النداء كقوله : يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا . فلايبعد أن يختص هذا الاسم المبارك بإلزام هذا الحذف . انتهى كلام الفراء .

الاعتراض الثامن : هذا الاعتراض ذكره الإمام ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الإنصاف ج١ ص٣٤٤ قادحًا في المسلك الكوفي و مرجِّحًا للمشرب البصري بقوله تعالى : وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

قال ابن الأنباري : و الصحيح من وجه الاحتجاج بهذه الآية أنه لو كانت الميم من الفعل لما افتقرت "إن" الشرطية إلى جواب في قوله "إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ" و كانت الميم المشدّدة تسدّ مسدّ الجواب . فلمّا افتقرت إلى الجواب في قوله "فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا" دلّ على أن الميم ليست من الفعل . انتهى كلامه .

قلتُ في الجواب : إنّ النزاع إنما هو في أصل "اللّهم" هل الميم عوض من "يا" أو بقية الفعل . و أمّا في الاستعمال فاتفقوا على أن الميم بمنزلة الجزء من الجلالة ، و على أنها لا تدل على معنى مستقل .

فالكوفيون قائلون بأن الميم لا تؤدّى مؤدّى الفعل على حدة . فلا يصح أن تسدّ "الميم" مسدّ الجواب في قوله تعالى : وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ .

و لهذا نظائر كثيرة في المذهب البصري نفسه . منها : قولهم "ما أعظم شان الله" و "ما أقدر الله" و "ما أكرم الله" في التعجب . كما تقدم في جواب الاعتراض السادس و السابع .

الاعتراض التاسع : ما ذكره الإمام ابن الأنباري في الإنصاف : أنه لو كان الأمر كما زعمتم و أن الأصل فيه "يا الله أمّنا بخير" لكان ينبغي أن يجوز أن يقال : اللّهمّنا بخير . و في وقوع الإجماع على امتناعه دليل فساده . انتهى .

الاعتراض العاشر : ما ذكره أيضًا في الإنصاف حيث قال : إنه يجوز أن يقال : اللّهم أمّنا بخير . و لو كان الأوّل يراد به "أمّ" لما حسن تكرير الثاني ، لأنه لا فائدة فيه . انتهى كلامه .

و الجواب من هذين الاعتراضين ظاهر مما تقدم آنفًا . خلاصته أن الميم صارت في الاستعمال بمنزلة جزء الكلمة . فلا يلاحظ فيها معنى الفعل على حدة حتى يرد ما ذكر .

الاعتراض الحادي عشر : هذا الاعتراض نقله شيخ شيوخنا الشيخ إعزاز علي عن شيخ الأدباء رحمهما الله تعالى . و هو أن الحرف لم يعهد إقامته مقام الجملة . و أما قول الشاعر :

ع قلت لها قفي فقالت لي قاف

أي "وقفتُ" فشاذ كما صرح به البيضاوي . انتهى .

و حلّه من وجوه : الوجه الأوّل : قولنا "اللّهم" ليس من قبيل قول الشاعر "قلت لها إلخ" فإن الشاعر أسقط الجملة و أبقى حرفا واحدًا ، ثم تلفظ بالحرف الباقي تلفظًا مركبًا ، أي تلفّظ باسم الحرف لا بالمسمّى ، فقال "قاف" .

أمّا ما نحن فيه فأسقط فيه همزة "أمّ" و مفعوله ، و أبقي الميم المشددة متلفظًا بها بسيطًا مثل التلفظ بها قبل الحذف . فقياس أحدهما على الآخر قياس مع الفارق .

الوجه الثاني : على التسليم فللجلالة خواص كثيرة فليكن هذا منها .

الوجه الثالث : حُكمُ المحقق البيضاوي رحمه الله تعالى بأنه شاذ لا يصح . فإن الزجاج وهو أعلى كعبًا من البيضاوي لا يشق غباره قائل بكثرته و معهوديته ، و خرّج به مقطعات القرآن كما نقل عنه السيوطي

رحمه الله تعالى في الإتقان و أقرّه ، حيث قال السيوطي :

و الاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية . قال الشاعر :

ع قلت لها قفي فقالت ق

أي "وقفت" . و قال :

بالخير خيرات و إن شرًّا "فا" و لا أريد الشر إلّا أن "تا"

أراد "و إن شرًّا فشرّ و إلّا أن تشاء" . و قال :

ناداهم إلّا الحموا ألا "تا" قالوا جميعًا كلهم ألا "فا"

أراد : ألا تركبون ، ألا فاركبوا . و هذا القول اختاره الزجاج و قال : العرب تنطق بالحرف الواحد لتدلّ به على الكلمة التي هو منها . انتهى .

و حكى الكرماني رحمه الله تعالى في قوله "ق" أنه حرف من اسمه تعالى قادر و قاهر . و حكى غيره في قوله "ن" أنه مفتاح اسمه نور و ناصر .

وعن عكرمة في قوله "كٓهيعٓصٓ" قال : يقول : أنا الكبير ، أنا الهادي ، علي ، أمين ، صادق .

و عن ابن عباس رضي الله عنهما فيه : "الكاف" الكافي ، و "الهاء" الهادي ، و "العين" العالم ، و "الصاد" الصادق .

و عن أم هاني رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كاف" "هاد" "أمين" "عالم" "صادق" . راجع الإتقان ج٢ ص٩ ، تجد هناك ما يشفي . و قد فصلنا هذا البحث بحث إبقاء حرف و حذف جملة في باب آخر من هذا الكتاب .

قال ابن جني في الخصائص ج١ ص٣٠ عند ذكر إطالة الكلام و إيجازه : و الإطالة و الإيجاز جميعًا إنما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه . ثم قال : فإن نقصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان و لا استعذاب . ألا ترى إلى قوله :

ع قلنا لها قفي لنا قالت قاف

و إن هذا القدر من النطق لا يعذب ولا يجفو ولا يرِقّ ولا ينبو .

ثم قال : و كذلك قول الآخر فيما حكاه سيبويه : ألا تا . فيقول مجيبه : بلى فا . فهـذه و نحوه مما يقل لفظه . فلا يحمل حسنًا ولا قبحا ولا طيبا ولا خبثا . انتهى .

قلت : في الشعر المذكور الشاهد بعض المخالفة رواية . والقائل الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، و كان عاملاً لعثمان رضي الله عنه على الكوفة ، فاتّهم بشرب الخمر ، فأمر الخليفة بشخوصه إلى المدينة ، و خرج في ركب ، فنزل الوليد يسوق بهم فقال :

قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف

و النشوات من معتق صاف و عزف قينات علينا عزاف

و انظر الأغاني ج٥ ص١٣١ ، و شواهد الشافية ص٢٧١ . فقوله : قالت قاف ، أي إني واقفة أو وقفتُ . فاستغنى بالحرف عن الجملة .

و قال سيبويه في كتابه الشهير بالكتاب ج٢ ص٦٢ : و سمعت من العرب من يقول : ألا تا . بلى فا . فإنما أرادوا : ألا تفعل و بلى فافعل . و لكنه قطع . انتهى كلامه .

و في الكامل للمبرد ج٤ ص١٢٧ : عن الأصمعي كان إخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي . فيقول أحدهما لصاحبه : ألا تا . فيقول الآخر : بلى فا . يريد : ألا تنهض . فيقول الآخر : بلى فأنهض . انتهى . و انظر شواهـد الشافية ص٢٢٦ ، و نوادر أبي زيد ص١٢٧ .

الوجه الرابع : لقولنا "اللّهم" نظائر مع قطع النظر عن تلك الأشعار المذكورة و عن مقطّعات القرآن .

و من تلك النظائر "هلمّ" أصله "هل أمّ" و "ويلمّه" أصله "ويلٌ لأمّه" . فقول شيخ الأدباء في الاعتراض "لم يعهد إقامة الحرف مقام الجملة" لا يصح .

الوجه الخامس : الباقي فيما نحن فيه حرفان و هما ميمان المدغمة و المدغم فيها . فليس هو من

قبيل إبقاء الحرف الواحد .

الوجه السادس : لا وصمة في حذف شيء من الكلام و إن بقي على حرف واحد تخفيفًا ، أي بغير قانون معروف كلّيّ كما في "كُلْ" و "خُذْ" و "لم يك" في "أوكُل" و "أوخُذ" و "لم يكن" . أو بقانون مسلم عند علماء العربية .

و فيما نحن فيه كذلك . إذ حذف الهمزة من "أم" إمّا بقانون "ظلتَ" في "ظللت" أو بقانون "قد فلح" بفتح الدال في "قد أفلح" ونحو ذلك . كما مضى تفصيله في وجوه ترجيح مذهب الكوفية . وكذا حذف المفعول أمر شائع ذائع .

فائدة شريفة بديعة

لما انجرّ بنا الكلام إلى قيام الحرف الواحد مقام الجملة و تأديته مؤدّاها فلا علينا أن نغوص فيه تتميمًا للجواب و تكميلاً للإفادة . فأقول والله المستعان :

كثيرًا ما يبقى الحرف الواحد فيقوم مقام الفعل و الجملة . و قد جمع ابن مالك الإمام النحوي رحمه الله تعالى ذلك مبيّنا كيفية إسنادها للواحد المذكر ثم المثنى مطلقا ثم الجمع المذكر ثم الواحدة ثم الجمع المؤنث . فقال :

إنّي أقول لمن ترجى شفاعته ... قِ المستجير قياه قوه قي قين

و إن صرفت لوالٍ شغل آخر قل ... لِ شغل هذا لِياه لُوه لي لين

و إنْ وشى ثوب غيري قلت في ضجر ... شِ الثوبَ ويك شِياه شوه شي شين

و قل لقاتل إنسان على خطأٍ ... دِ مَن قتلتَ دِياه دوه دي دين

و إن همُ لم يروا رأيي أقول لهم ... رَ الرأي منّي رَياه روه ري رين

و إن أمرتُ بوأي للمحب فقل ... إِ من تحبّ إياه أوه إي إين

و إن أردت الوني و هو الفتور فقل ... نِ يا خليلي نِياه نوه ني نين

و إن أبى أن يفي بالعهد قلت له ... فِ يا فلان فِياه فوه في فين

و قل لساكن قلبي إن سواك به جِ القلب مني جِياه جوه جي جين
و إن همُ لم يعوا قولي أقول له عِ القول مني عِياه عوه عي عين

فهذه عشرة أفعال كلها بالكسر إلّا "ر" وكلها متعدية إلّا "ن" فإنه لازم لأنه بمعنى "تأنّ" فالهاء في "نياه" هاء المصدر لا المفعول به. كذا في شرح ابن عقيل ج١ ص٣٤.

و زاد الشيخ البدري رحمه الله تعالى عليها تسعة بقوله:

و إن ترم تفسدنْ كيدَ الوشاة فقل ر الكيد منّي رياه روه ري رين
و إن أردتَّ سقوط العاذلين قلَنْ هِ يا أنيس هِياه هوه هي هين
و إن أبى الحبّ يأتيني أقول له تِ يا غزال تِياه توه تي تين
و إن ارم منه قصد النفع قلت له خِ نفع صبٍّ خِياه خوه خي خين
و إن بوصلي أبغي الخيرَ قلت له صِ من تعنّي صِياه صوه صي صين
أمّا إذا رُمت كتم السر قلتُ رشا كِ ما أقول كِياه كوه كي كين
وإن أرم كتب شرح الحال منه أقل حِ ما فعلت حِياه حوه حي حين
و إن لا بائنة بالوصل ابغ اقل مِ إذ تصلني مِياه موه مي مين
كذا أقول لحلّاق الشعور فتى سِ شعرخلّي سِياه سوه سي سين

هذا. والله أعلم.

فائدة جليلة

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص١٢: قالت المعتزلة: الشرط في كون الكلمة مفيدةً أن تكون مركبة من حرفين فصاعدًا.

فنقضوه بقولهم "قِ" و "عِ". وأجيب عنه: بأنه مركب في التقدير فإن الأصل أن يقال "قي" و "عي" بدليل أن عند التثنية يقال "قيا" و "عيا". و أجيب عن هذا الجواب: بأن ذلك مقدر. أمّا

الواقع فحرف واحد .

و أيضًا نقضوه بلام التعريف و بنون التنوين و بلام إضافة . فإنها بأسرها حروف مفيدة . و الحرف نوع داخل تحت الكلمة . و متى صدق النوع فقد صدق الجنس . فهذه الحروف كلمات مع أنها غير مركبة . انتهى بلفظه .

الوجه السابع : قدصحص لك مما مر في فصل وجوه الترجيح للمذهب الكوفي أن حذف الهمز في "اللّهم" و إبقاء الحرف الواحد أي الميم المشددة كان على وفق قانون ثابت مسلَّم . و إذا تحقق العمل على وفق قانون فلا وصمة في قيام الحركة مقام الجملة فضلاً عن قيام الحرف الواحد . و هذا من عجائب العربية و اللطائف النحوية .

قال الشيخ يٰس رحمه الله تعالى في شرحه لألفية ابن مالك ج١ ص٩ : إني تفكرت فوجدت فعل الأمر من "وأي يأي" إذا وعد لا يبقى منه إلاّ حركة على حرف آخر . لأنك إذا أمرت تقول : إِ يا زيد . و تقف عليه بهاء السكت فتقول : إه . و عند سكون ما قبلها ينقل حركتها إلى ما قبلها ، و تحذف الهمزة فتقول : قلِ يا زيد . و يلغز في "قالتِ زيدًا" بكسر التاء بنقل حركة الهمزة إليها و حذف الهمزة ، أي قالتِ إزيدًا . و يلغز أيضًا :

حاجيتُكم نحاتَنا و مَن علم	من كل حبر أو أديب أو فهم
مامفرد حرف جرٰى من الكلم	ثلاثة أنواعه كلاّ ترم

فإن تاء "قالت" في التركيب المذكور حرف ، و حركتها قامت مقام الفعل و مقام فاعله وهو اسم ، فقامت مقام أنواع الكلم الثلاث . هذا . والله أعلم بالحقائق .

فصل
في ذكر "اللّٰهم" قبل الاستثناء المفرّغ
وما يتعلق بذلك من الأبحاث

اعلم : أنهم قد يأتون بلفظ "اللّٰهم" قبل الاستثناء المفرغ . و يشترط فيه أن يكون المستثنى نادرًا غريبًا أو ضعيفًا يستعان فيه بالله تعالى . و من فطرة الإنسان ذكر الله سبحانه و النداء إليه تعالى متضرعًا منقطعًا عن غيره تعالى عند الشدائد و المشكلات . فإنه أحلّ المشكلات و دافع المعضلات .

ألا ترى إلى ما حكى الله تعالى في الفرقان عن المشركين أنهم "فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ" و إذا نجوا رجعوا إلى ما هم فيه من الشرك العظيم و الكفر و المخالفة .

و أيضًا من عادة العرب نسبة كل غريب نادر إلى الله عزّوجلّ و إن كان الكل بأمر الله و خلقه .

و هذا كقول المصنفين عند ذكر الجواب الضعيف : اللّٰهم إلّا أن يقال . كأنهم أرادوا : يا الله ! لا جواب من هذا السوال المعضل ولا حلّ لهذا الإشكال المشكل إلّا بنصرتك و قوّتك . إذ لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم . "فاللّٰهم" ينبىء عن استعظام السؤال والتنويه بشانه ، و يشير إلى ندرة الجواب حيث لا يذكرونه لكونه ضعيفًا . و دفع السؤال بالجواب الضعيف نادر غريب .

قال الإمام الثعالبي في سرّالعربية في فصل بيان إضافة الشيء إلى الله تعالى ص٣٣٩ : العرب تضيف بعض الأشياء إلى الله عزوجلّ و إن كانت الأشياء كلها له . فتقول : بيت الله ، و ظل الله ، و ناقة الله .

قال الجاحظ : كل شيء أضافه الله تعالى إلى نفسه فقد عظّم شانه و فخّم أمره . و قد فعل ذلك بالنار فقال : نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ . و يروى أن النبي ﷺ قال لعتيبة بن أبي لهب : أكلك كلب الله . فأكله الأسد . ففي هذا الحديث فائدتان : إحداهما : أنه ثبت بذلك أن الأسد كلب . و الثانية : أن الله لا يضاف إليه إلّا العظيم من الأشياء في الخير و الشر . أمّا الخير فكقولهم : أرض الله ، و خليل الله ، و زُوّار الله . و أما الشر فكقولهم : دعه في لعنة الله و سخطه و أليم عذابه ، و إلى نار الله و حرّ

سقره . انتهى كلامه .

قال الرضي في شرح تمييز الكافية ج١ ص١٩٥ : و أمّا معنى قولهم "لله درّك" فالدرّ في الأصل ما يدرّ . أي ينزل من الضرع من اللبن و من الغيم من المطر . وهو ههنا كناية عن فعل الممدوح الصادر عنه . و إنما نسب فعله إليه تعالى قصدًا للتعجب منه . لأن الله منشئ العجائب . فكل شيء عظيم يريدون التعجُّب منه ينسبونه إليه تعالى و يضيفونه إليه . نحو قولهم "لله أنت" و "لله أبوك".فمعنى "لله درّه" ما أعجب فعله . انتهى .

ثم اعلم : أن ما بعد "إلّا" في قولهم "اللّهم إلّا أن يقال" مستثنى مفرّغ في الإثبات لظهور إرادة العموم فيه . نحو "قرأت إلّا يوم الجمعة" لإمكان القراءة في كل يوم غير الجمعة . و يحتمل النفي . و المعنى كما قلنا : اللّهم لا جواب إلّا أن يقال إلخ .

وما بعد "إلّا" و هو المصدر المؤول قيل : حال ، أي لا جواب في حال من الأحوال إلّا حال القول بكذا . كذا في روح المعاني .

و هكذا تخريج قوله تعالى حكاية عن يعقوب : لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ . أي لتأتنّي به على كل حال إلّا حال الإحاطة بكم .

و ردّ بأنّ المصدر من "أن و الفعل" لا يقع موقع الحال كالمصدر الصريح . فيجوز جئتك ركضًا ، أي راكضًا . دون جئتك أن تركض ، و إن كان في تأويله ، لما أن الحال عندهم نكرة و "أن" مع ما في حيزها معرفة في رتبة الضمير .

و قيل : ما بعد "إلّا" ظرف و هو قول جمهور العلماء . لأنّ المصدر يقع موقع الظرف . يقال : آتيك طلوعَ الشمس . أي وقت طلوعها .

و لابد عند الجمهور حينئذ من تقدير المضاف و هو الوقت أو الزمان أو نحو ذلك . و حكى الرضي عن أبي علي الفارسي : أن المصدر عنده يقام مقام الزمان من غير إضمار مضاف . وذلك لما بينهما من التجانس بكونهما مدلولي الفعل .

و في البحر : أن ابن الأنباري يمنع وقوع المصدر المؤول ظرفًا ، ويشترط المصدر الصريح . فيجوز

"خرجنا صياحَ الديك" دون "خرجنا أن يصيح الديك" أو "ما يصيح الديك".

و قيل : إن ما بعد "إلّا" مفعول له . و هو مستثنًى من أعمّ العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق إليه . فمعنى الآية المتقدّمة على هذا : لتأتنّني ولا تمتنعنّ من الإتيان به إلّا للإحاطة بكم . كقولهم : أقسمت عليك إلّا فعلت . أي ما أطلب إلّا فعلك . على هذه الوجوه كلها يكون المستثنٰى متصلًا .

و جوّز أبوالبقاء في إعراب القرآن أن يكون الإستثناء من غير جنسه . أي منقطعًا . فعلى هذا ما بعد "إلّا" مبتدأ . و الخبر محذوف لقيام قرينة . فمعنى الآية : لتأتنّني به لكن الإحاطة بكم و هلاككم عذرلكم .

قال الرضي : و اعلم : أنه يكثر جعل المصدر حينًا لسعة الكلام نحو "انتظرني جَزرَ جزورَين" و "سِير عليه ترويحتَين" أي مثل زمان جزر جزورين و مثل زمان ترويحتين . قال الله تعالى : وَ إِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ . أي وقت إدبارها . فكل ذلك على حذف المضاف .

و عند أبي علي أن المصدر يقام مقام الزمان من غير إضمار مضاف . و ذلك لما بينهما من التجانس بكونهما مدلولي الفعل . و لذلك ينصب الفعل مبهميهما و موقّتيهما بخلاف المكان . و أما قولهم "كان ذلك مقدمَ الحاجّ" فليس من ذلك . لأن مفعلًا يكون اسم الزمان .

و يقلّ قيام الحين مقام المصدر كقوله تعالى : وَ ذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ . أي بوقائعه . و قد يقوم المصدر المضاف إليه مقام المضاف الذي هو مكان . نحو "مشيتُ غلوةَ سهم و رميةَ نشابة" أي مسافة غلوة سهم . و في الحديث : أقطع النبي ﷺ زبيرًا رضي الله عنه حضرَ فرسه . و قد يقوم المضاف إليه الذي هو اسم عين مقام مضافه الذي هو مصدر قائم مقام مضافه الذي هو حين . نحو "لا آتيك السمرَ و القمرَ" أي مدة طلوع القمر . و منه قوله : باكرت حاجتها الدجاجَ . أي وقت صياحه . انتهى .

قال الشيخ ابن عابدين رحمه الله تعالى في رسالته التراكيب العجيبة من مجموع رسائله ج٢ ص٣٣٢ عند تحقيق مباحث لفظة "اللّٰهمّ" و توضيح مواقع استعمالها .

ثم إنهم قد يأتون بلفظة "اللهم" قبل الاستثناء إذاكان الاستثناء نادرا غريبا . كأنهم لندوره استظهروا بالله في إثبات وجوده . قال بعض الفضلاء : وهو كثير في كلام الفصحاء . كما قال المطرزي :

نبّه على ذلك الطبي في سورة المدثر و في الكشف بعد كلام "و أمّا نحو قولهم : اللّٰهم إلّا أن يكون كذا" فالغرض أن المستثنى مستعان بالله تعالى في تحقيقه تنبيهًا على ندرته ، و أنه لم يأت بالاستثناء إلّا بعد التفويض لله تعالى . انتهى .

و ذكر العلامة المحقق صدر الشريعة رَحِمَهُ اللهُ في أوائل كتابه التوضيح شرح التنقيح أن الاستثناء المذكور مفرَّغ من أعمّ الظروف . لأنّ المصادر قد تقع ظروفا نحو " آتيك طلوعَ الفجر " أي وقت طلوعه .

و أوضح ذلك العلامة بدرالدين الدماميني رَحِمَهُ اللهُ في شرحه على المغني عند الكلام على "عسى" عند قول المغني : و لكن يكون الإضمار في "يقوم" لا في "عسى" . اللّٰهم إلّا أن تقدر العاملين تنازعا زيدا .

فقال : الاستثناء في كلام المصنف أي صاحب المغني مفرغ من الظرف . و التقدير : و لكن الإضمار في "يقوم" لا في "عسى" كل وقت إلّا وقت أن تقدر العاملين تنازعا زيدًا . و وقع التفريغ في الإيجاب لاستقامة المعنى نحو "قرأت إلّا يوم كذا" ثم حذف الظرف بعد "إلّا" و أنيب المصدر عنه كما في "أجيئك يوم قدوم الحاج" .

و "اللّٰهم" معترض . و انظر موقع "اللّٰهم" هنا فقد وقع في النهاية أنها تستعمل على ثلاثة أنحاء :

أحدها : أن يراد بها النداء المحض كقولك : اللّٰهم ارحمنا .

الثاني : أن يذكره المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع يقول لك القائل : أقام زيد . فتقول أنت : اللّٰهم لا .

الثالث : أن يستعمل دليلا على الندرة و قلّة وقوع المذكور كقولك : أنا لا أزورك اللّٰهم إذا لم تدعني . ألا ترى أن وقوع الزيارة مقرونة بعدم الدعاء قليل . انتهى .

و ظاهره أن المعنى الأوّل والثاني لا يأتيان هنا و في تأتّي الثالث في هذا المحل نظر . انتهى كلام الدماميني .

لعل وجه النظر أن قول ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في النهاية "ألا ترى إلخ" يفيد أنه لابد أن يكون ما بعدها نادرا في نفسه . و قد يقال : لا يلزم ذلك بقرينة قوله "يستعمل دليلا على الندرة إلخ" فأفاد أنها

تدل على أن ما بعدها نادر بالنظر إلى ما قبلها و إن كان في نفسه غير نادر فليتأمل .

ثم اعلم : أن قول الدماميني "و وقع التفريغ في الإيجاب" فيه نظر . لأن قول صاحب المغني "و كون الإضمار في يقوم لا في عسى إلخ" معناه لا يكون الإضمار في "عسى" في وقت من الأوقات إلّا كذا . فالوقت المقدر نكرة في سياق النفي . فالاستثناء بعدها استثناء من المنفي كما في قولك : لا يأتينا زيد إلّا يوم كذا . نعم قد يعبرون بنحو قولك : هذا ضعيف إلّا إذا حمل على كذا . فهو استثناء مفرّغ في الإثبات صورةً و لكنه في المعنى نفي . لأن معنى "ضعيف" أنه لا يعتمد عليه مثلاً .

و قال في المغني في آخر الكتاب في أوّل الباب الثامن ، ما نصه : السادسة وقوع الاستثناء المفرغ في الإيجاب نحو "وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ" و "يَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ" لما كان المعنى : و إنها لا تسهل إلّا على الخاشعين . و لا يريد الله إلّا أن يتم نوره . انتهى .

و قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١٣ ص١٣ في شرح قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه الصلاة والسلام "لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ" : و الاستثناء قيل مفرغ من أعمّ الأحوال . و التقدير : لتأتنّني به على كل حال إلّا حال الإحاطة بكم .

و ردّ بأن المصدر من "أن" و "الفعل" لا يقع موقع الحال كالمصدر الصريح . فيجوز "جئتك ركضًا" أي راكضًا ، دون "جئتك أن تركض" و إن كان في تاويله ، لما أن الحال عندهم نكرة و "أن" مع ما في حيزها معرفة في رتبة الضمير .

و أجيب : بأنه ليس المراد بالحال الحال المصطلح عليها بل الحال اللغوية . و يؤول ذلك إلى نصب المصدر المؤول على الظرفية . و فيه نظر .

و في البحر المحيط : أنه لو قدركون "أن" و "الفعل" في موقع المصدر الواقع ظرف زمان ، أي لتأتنني به في كل وقت إلّا إحاطة بكم . أي إلّا وقت إحاطة بكم ، لم يجز عند ابن الأنباري رحمه الله تعالى . لأنه يمنع وقوع المصدر المؤول ظرفًا . و يشترط المصدر الصريح فيجوز "خرجنا صياحَ الديك" دون "خرجنا أن يصيح الديك" أو "ما يصيح الديك" . و جاز عند ابن جني المجوِّز لذاك كما في قول أبي ذؤيب الهذلي :

و تا الله ما أن شهلة أم واحد بأوجد مني أن يهان صغيرها

و قيل : من أعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذي ينساق إليه . أي لتأتنّني و لا تمتنعنّ من الإتيان به إلّا للإحاطة بكم . كقولهم : أقسمت عليك إلّا فعلتَ . أي ما أطلب إلّا فعلك . والظاهر اعتبار التاويل على الوجه الأوّل أيضًا . فإن الاستثناء فيه مفرغ كما علمت . وهو لا يكون في الإثبات إلّا إذا صح و ظهر إرادة العموم فيه . نحو "قرأت إلّا يوم الجمعة" لإمكان القراءة في كل يوم غير الجمعة . و هنا غير صحيح . لأنه لا يمكن لإخوة يوسف عليه الصلاة والسلام أن يأتوا بأخيهم في كل وقت و على كل حال سوى وقت الإحاطة ، لظهور أنهم لا يأتون به له وهو في الطريق أو في مصر . اللّهم إلّا أن يقال : إنه من ذلك القبيل ، و إن العموم و الاستغراق فيه عرفي ، أي في كل حال يتصوّر الإتيان فيها .

و تعقب المولى أبوالسعود رحمه الله تعالى تجويز الأوّل بلا تاويل بقوله : و أنت تدري أنه حيث لم يكن الإتيان من الأفعال الممتدّة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كما في قولك : لألزمنّك إلّا أن تقضيني حقي .

ولم يكن مراده عليه الصلاة والسلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة ، كما إذا قلت : صلِّ إلّا أن تكون محدِثا . بل مجرد تحققه و وقوعه من غير إخلال به ، كما في قولك : لأحجّن العام إلّا أن أحصر . فإن مرادك إنما هو الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار عن الحج ، لا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة ، كان اعتبار الأحوال معه من حيث عدم منعها منه . فآل المعنى إلى التاويل المذكور . انتهى .

اعلم : أن بعض الفضلاء بحث في هذا الموضوع ، فذكر ثلاثة وجوه . و هو بحث نفيس نافع جدًّا نذكر هنا في آخر هذا الفصل وجوهه الثلاثة تلخيصًا لما فصّلنا و حقَّقنا في هذا المقام . و الوجوه الثلاثة هي هذه التي تلي :

الوجه الأوّل : أنه لو كان المراد من قوله "لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦ" الإخبار بمجرد تحقق الإتيان و وقوعه من غير إخلال به لم يحتج إلى التاويل المذكور ، أعني التاويل بالنفي كما لايخفى على المتأمل . فكلامه يفيد خلاف مراده .

الوجه الثاني : أنّا سلمنا أن ليس مراد القائل من قوله " لأحجّن إلخ " الإخبار بمقارنة الحج

لماعدا حال الإحصار على سبيل البدل . لكن لا نسلم أن ليس مراده منه إلّا الإخبار بعدم منع ماسوى حال الإحصار عنه . غايته أن بينهما ملازمة . و ذلك لا يستلزم الاحتياج إلى التاويل بالنفي .

الوجه الثالث : أنه إن أراد من قوله "كان اعتبار الأحوال إلخ" أن الإتيان به لم يكن معه اعتبار الأحوال كما هو الظاهر فممنوع . و إن أراد أن اعتبار الأحوال معه يستلزم حيثية عدم منعها منه فمسلم . لكن لا يلزم منه الاحتياج إلى التاويل المذكور أيضًا . و ليس المدعى إلّا ذاك . هذا . وهو كما ترى فتبصر . والله أعلم بالصواب .

فصل
في حكم توصيف "اللّٰهمَّ"

اعلم : أنهم أجمعوا على أنّ اسم "الله" يجوز أن ينعت ويقع منعوتًا . و هذا ظاهر . نعم اختلفوا في أنه هل ينعت كلمة "اللّٰهم" أو لا . قولان : فأجاز الزجاج والمبرد نعتها . و منعه الخليل و سيبويه رحمهما الله تعالى .

قال العلامة الصبان رحمه الله تعالى في شرح الأشموني ج٣ ص١١٢ : لا يوصف "اللّٰهم" عند سيبويه رحمه الله تعالى كما لا يوصف غيره من الأسماء المختصة بالنداء . و أجاز المبرد رحمه الله تعالى وصفه بدليل قوله تعالى : قُلِ ٱللَّٰهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . قُلِ ٱللَّٰهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ . و نحوهما . وهو عند سيبويه على النداء المستأنف . ذكره الدماميني .

و علّل بعضهم مذهب سيبويه بأن "اللّٰهم" بالاختصاص و التعويض خرج عن كونه متصرفًا . و صار مثل "حيهل" إذ "الميم" بمنزلة صوت مضموم إلى اسم مع بقائهما على معنيهما . بخلاف مثل لفظ سيبويه و لفظ خالويه حيث صار الصوت جزء من الكلمة . انتهى كلام الصبان .

و قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الهمع والجمع ج١ ص١٧٨ : مذهب سيبويه والخليل رحمهما الله تعالى أن هذا الاسم وهو "اللّٰهم" لايوصف . لأنه صار عندهم مع الميم بمنزلة الصوت . يعني غير متمكن في الاستعمال . و قال في قوله "ٱللَّٰهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ" إنه على نداء آخر ، أي يا فاطر السمٰوات .

و ذهب المبرد و الزجاج رحمهما الله تعالى إلى جواز وصفه بمرفوع على اللفظ و منصوب على الموضع ، و جعلا "فَاطِرَ ٱلسَّمٰوٰتِ" صفة له .

و قال أبوحيان : و الصحيح مذهب سيبويه . لأنه لم يسمع فيه مثل "اللّٰهم" الرحيم ارحمنا . و الآية و نحوها محتملة للنداء . انتهى .

قال ابن هشام رحمه الله تعالى في شذور الذهب : و يجوز أن يكون "فاطر" صفة الاسم "الله" خلافا لسيبويه . انتهى .

قال العلامة محمد عبادة رحمه الله تعالى في شرح شذور الذهب ج١ ص١٢٤ : لأن عنده أن اسم "الله" لما اتصل به الميم المعوضة عن حرف النداء و صار "اللّٰهم" أشبه الأصوات فلم يجز نعته . كذا في المغني . قال الدماميني رحمه الله تعالى : لا يوصف "اللّٰهم" لأنه بالاختصاص و التعويض خرج عن كونه متصرفًا و صار مثل "حيهل" إذ الميم بمنزلة صوت مضموم إلى اسم مع بقائهما على معنييهما . هكذا قرّره بعضهم . و هو خير من تعليل المصنف . و جوز قوم الوصف في ذلك ولم يلتفتوا إلى هذه العلة . انتهى .

قال نجم الأئمة الشيخ الرضي في بحث المنادى ص١٢٦ : و لا يوصف "اللّٰهم" عند سيبويه كما لايوصف أخواته أعني الأسماء اللازمة للنداء نحو "يا هناه" و "يا نومان" و "يا ملكعان" و "فل" .

و أجاز المبرد رحمه الله تعالى وصفه لأنه بمنزلة "يا الله" و قد يقال : يا الله الكريم . و قد استشهد بقوله تعالى : قُلِ ٱللّٰهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمٰوٰت . وهو عند سيبويه على النداء المستأنف . و لا أرى في الأسماء المختصة بالنداء مانعا من الوصف . بل السماع مفقود فيها . انتهى كلام الرضي .

وقال الشيخ ابن عابدين رحمه الله تعالى في مجموع رسائله نقلاً عن بعض السلف : "اللّٰهم" مجمع الدعاء ، و الميم في آخره بمنزلة ميم الجمع . فإذا قال الداعي "اللّٰهم" فكأنه دعاه بجميع أسمائه . قال : و لاستغراقه أيضًا لجميع أسماء الله و صفاته لا يجوز أن يوصف ، لأنها قد اجتمعت فيه . و هو حجة لما قال سيبويه في منعه وصفه . انتهى بحاصله .

قال العبد الضعيف البازي : قد علمت أنّ البصرية و سيبويه و الخليل و عامة العلماء منعوا نعت "اللّٰهم" وجوّز المبرّد والزجاج و أتباعهما نعته . ولا ريب أن المذكور من الأقاويل و العلل

كلها كلام بصريّ لا كوفيّ . و عدم ذكر العلل الكوفية ينافي الإنصاف . و نحن الآن ذاكرون في البحث القادم تفصيل ما تقدّم بيانه من العلل المانعة من التوصيف ، موضّحون هذا المرام بمنهاج لم أسبق إليه ، و بطريق لم ينسج أحد على منواله ، ساطرون في أثناء هذا البيان العلل التي هي مانعة من توصيف "اللّٰهم" بالنظر إلى الأصول الكوفية . فأقول والله المستعان و على توفيقه التكلان :

إنّ علل منع توصيف كلمة "اللّٰهم" متعدّدة .

العلّة الأولى : "اللّٰهم" مختصّ بالنداء والاختصاص مانع من التوصيف مثل "يا نومان" و "يا هناه" .

قلت : هذه العلّة ضعيفة . أمّا أوّلاً فلِما قال الرضي : إنّ الاختصاص بالنداء غير مانع من الوصف .

و أمّا ثانيًا فلأنّ المنادٰى يوصف باتّفاق العلماء . فجاز أن يقال : يا زيد العاقل . فما بال لزوم النداء أن يمنع الوصف .

العلّة الثانية : الميم في "اللّٰهم" عوض من حرف النداء المحذوف . إذ أصله "يا الله" فخرج "اللّٰهم" عن كونه متصرّفًا متمكّنًا ، و عن كون وصفه جائزًا ، و صار مثل "حيّهل" .

قلت : هذه العلة أيضًا ليّنة هيّنة . إذ التعويض و التبديل بأيّ نوع كان ليس من موانع التوصيف .

العلة الثالثة : الميم في "اللّٰهم" بمنزلة الصوت الذي صار جزءً من الكلمة فامتنع وصفه .

قلت : لا وجه لجعل الميم التي هي عوض من حرف النداء بمنزلة الصوت الغير المتمكّن . و إلّا لكان كل عوضٍ بمنزلة الصوت . ولم يقل به أحد . وما الفرق بين هذا العوض وبين بقيّة التعويضات كما في عِدة و إقامة و نحو ذلك . حيث صار هذا بمنزلة الصوت دون غيره من التعويضات .

العلة الرابعة : "اللّٰهم" مجمع الدعاء ، و الميم بمثابة ميم الجمع . فهو بهذا الاعتبار جامع لجميع الأسماء الحسنى . فلا يوصف بوصف ، لأن الأسماء كلها اجتمعت فيه .

قلت : فيه نظر واضح . إذ كون الموصوف جامعًا لمعنى الوصف لا يمنع أن يوصف الموصوف بهذا الوصف . لأن الموصوف مشتمل على هذا الوصف بالإجمال . و في ذكر هذا النعت و توصيف الموصوف به توضيح وتفصيل . والإجمال لا يغني من التفصيل . فكيف يكون النعت الدال على التفصيل ممنوعًا .

ألا ترى إلى قولهم : الجسم الطويل العريض العميق . حيث وُصف الجسم بما يدلّ الجسم عليه إجمالاً . و إلى قوله تعالى : نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ . وقوله تعالى : إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ . على قول من جعل اثنين صفة مؤكدة .

و ألا ترى إلى الصفة الموضّحة فإنها ذائعة بليغة مع كون الموصوف دالاّ على الصفة و على معناها إجمالاً .

العلّة الخامسة : قلت : العلل المتقدمة كلها علل بصريّة مترتبة على المذهب البصري في "اللّهم". و العجب كل العجب عدم التفاتهم إلى العلة الكوفية على تقدير تسليم منع توصيف "اللّهم" عند الكوفية . مع كونها أحسن و أجلى و أقوى .

إن قلت : ما توضيح العلّة الكوفية ؟

قلت : لو سلّم منع توصيف "اللّهم" عند الكوفية فعلة المنع بالنظر إلى أصول المذهب الكوفي أنّ أصل "اللّهم" عندهم "يا الله أمّنا بخير" فحذفت الهمزة من فعل "أمّ" فصار "اللّهم" . فالميم المشدّدة فعل و جملة ، و صارت بمنزلة جزء الكلمة و الفعل . و ما صار الفعل جزءً منه يمتنع أن ينعت . و هذا واضح . و إن شئت فقل : الفعل لا يوصف . فكذا ينبغي أن لا يوصف ما صار الفعل كالجزء منه و صارا بمنزلة كلمة واحدة .

العلّة السادسة : هي أيضًا مثل العلّة المتقدّمة متفرّعة على المذهب الكوفي . و خلاصته أن "أمّ" فعل أمر و هو جواب النداء نظرًا إلى الأصل .

و ذكر النعت للمنادٰى بعد ذكر الجواب ممنوع مطلقا لا يجترئ عليه عاقل و من له أدنٰى علاقة بالنحو . فلا يجوز أن يقال : يا زيد ! كلِ الطعام عندنا العاقل الرحيم ، بجعل العاقل الرحيم صفتين لزيد المنادٰى ، لفساد المعنى و لطول الفصل و انقطاع الكلام على الجواب .

العلّة السابعة : هي مشتركة بين مذهب الكوفية و مذهب البصريّة . و هي عدم سماع كون "اللّهم" موصوفًا في عامة الاستعمال عند العرب العرباء .

العلّة الثامنة : هذه العلّة اخترتها واستخرجتها أنا ، وهي أن منع توصيف "اللّهم" في الاستعمال و إن انتفت الموانع النحويّة من خصائص الاسم "الله" .

هذا . و الله أعلم بالصواب . سطرت هذه العلل البديعة و الوجوه الرفيعة بمكة المباركة في العشر الأواخر من شهر رمضان . و قد قدمت هذه الأرض المباركة للعمرة تقبل الله منّي .

فصل
في مواضع استعمال "اللّهمّ"

قال الشيخ ابن عابدين رحمه الله تعالى في مجموع رسائله ص٣٣٢ : ثم الشائع استعمالها في الدعاء . ولذا قال بعض السلف "اللّهم" مجمع الدعاء . و قال بعضهم : "الميم" في قول "اللّهم" فيه تسعة و تسعون اسمًا من أسماء الله تعالى .

و أوضحه بعضهم بأن الميم تكون علامة للجمع . لأنك تقول "عليه" للواحد و "عليهم" للجمع . فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك "ضربوا" و "قاموا" .

فلمّا كانت كذلك زيدت الميم في آخر اسم "الله" تعالى مسماه ، لتشعر و تؤذن بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء الله تعالى كلها . فإذا قال الداعي "اللّهم" فكأنه قال "يا الله الذي له الأسماء الحسنى" .

و قال أيضًا : و لاستغراقه أيضًا جميع الأسماء الحسنى و صفاته لا يجوز أن يوصف . لأنها قد اجتمعت فيه . و هو حجة لما قال سيبويه في منعه وصفه . انتهى .

و قال أبورجاء العطاردي رحمه الله تعالى : الميم فيها تجمع سبعين اسمًا من أسماء الله تعالى . و قال ابن ظفر رحمه الله تعالى : قيل : إنها الاسم الأعظم . و استدلّ لذلك بأن "الله" دالّ على الذات و "الميم" دالّة على الصفات التسع والتسعين . ولهذا قال أبوالحسن البصري : "اللّهم" تجمع . وقال النضر بن شميل رحمه الله تعالى :

من قال "اللّٰهم" فقد دعا الله بجميع أسمائه . انتهى . الإتقان ج١ ص١٥٣ .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية : يستعمل "اللّٰهم" على ثلاثة أوجه : أحدها : النداء المحض . نحو "اللّٰهم أثِبنا" . ثانيها : أن يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع . كأن يقول لك القائل : أزيد قائم ؟ فتقول : اللّٰهم نعم . أو : اللّٰهم لا . ثالثها : أن تستعمل دليلاً على الندرة و قلّة وقوع المذكور . نحو قولك : أنا أزورك اللّٰهم إذا لم تدعُني . ألا ترى أن وقوع الزيارة مقرونة بعدم الدعاء قليل . انتهى .

قال العيني رحمه الله تعالى في شرح البخاري ج٢ ص٢١ : "اللّٰهم" تستعمل على ثلاثة أوجه :

الأوّل : للنداء المحض و هو ظاهر .

و الثاني : للإيذان بندرة المستثنىٰ كما يقال : اللّٰهم إلاّ أن يكون كذا .

و الثالث : ليدل على تيقّن المجيب في الجواب المقترن هو به . كقولك لمن قال : أزيد قائم ؟ اللّٰهم نعم ، أو اللّٰهم لا . كأنه يناديه تعالى مستشهدًا على ما قاله في الجواب . انتهى كلامه .

قال الكرماني رحمه الله تعالى في شرح البخاري : إن قلت : ربما يقولون في الجواب : اللّٰهم نعم . و ليس هذا موضع نداء . فما تأويله لديكم ؟ قلت : الجواب هو "نعم" و ضمّ كلمة "اللّٰهم" للتبرك . و كأنه يستشهد بالله في ذلك تاكيدًا لصدقه . انتهى .

قال الدماميني رحمه الله تعالى : و تأمل موقع "اللّٰهم" في نحو "اللّٰهم إلاّ أن يقال كذا" و هو موضع الاستثناء . ثم قال بعد ذكر عبارة النهاية : و ظاهره أن المعنى الأوّل و الثاني لا يأتيان هنا . و في تأتّي الثالث في هذا المحل نظر . انتهى . و قد سبق بيان نظره مع الجواب في فصل وجه إعراب نحو "اللّٰهم إلاّ أن يقال" و تركيبه النحوي ، فراجعه .

قال العلامة الصبان رحمه الله تعالى في شرح الأشموني ج٣ ص١١٢ باحثًا على عبارة النهاية المذكورة قبيل هذا ، قال : قال شيخنا و تبعه البعض : إن "اللّٰهم" في الموضعين الأخيرين خرجت عن النداء . و الظاهر أن "اللّٰهم" فيهما لا معربة ولا مبنية لعدم التركيب .

و فيه نظر ، لأنا لا نسلم خروجها في الموضعين عن النداء بالكلية . لم لا يجوز أن يكون فيهما

للنداء مع التمكين أو الندرة . و قد يشير إليه قول الشارح في الموضع الأوّل المقابل لهـذين الموضعين . أحدهما النداء المحض .

و لئن سلم خروجها عن النداء بالكلية فلا نسلم أنها لا معربة ولا مبنيّة لعدم التركيب . لأن خروج الكلمة عن معناها الأصلي لايستلزم خروجها عما لها من إعراب أو بناء أو تركيب . فالمتّجه عندي أنها باقية على تركيبها ، و أنه يقال : "اللّهم" منادًى أي ولو صورة ، و مبني على ضم إلى آخر ما مر . فتأمل . انتهى .

و مما استعمل فيه لتيقّن المجيب حديث الأعرابي ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه في البخاري ، و فيه : فقال : أسألك بربك و ربّ من قبلك . آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : اللّهم نعم . فقال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس في اليوم و الليلة ؟ قال : اللّهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللّهم نعم . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اللّهم نعم .

فقال الرجل : آمنت بما جئتَ به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، و أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر . الحديث .

فصل
في مَواقع استعمال "اللّهم" و اختلاف لغاته

اعلم : أن "اللّهم" من الأسماء التي يلزم نداؤها سماعًا ، و شذّ استعماله في غير النداء . قال الأعشى :

كحلفة من أبي رباح يسمعها اللّهُمُ الكبار

بتشديد اللام و تخفيف الميم حسب رواية البعض . و رواية البعض بتخفيف اللام و إسقاط الميم . و شذّ أيضًا حذف "أل" منه . قال :

لاهُمّ إن كنْتَ قبلت حجّتج

كذا في كتاب الهمع وغيره .

إن قلتَ : الأسماء اللازمة النداء كم عددها و ما تفصيلها ؟

قلت : الأسماء اللازمة النداء هي "فل" و "فلة" وهما كناية عن نكرة . و قيل : عن عَلَم من يعقل . و عليه ابن عصفور . و "فلان" "فلانة" و "مكرمان" للعزيز المكرم و "ملأمان" و "مخبثان" و "ملكعان" و "مطيبان" و "مكذبان". و منه "ملام" و "لومان" و "نومان" في نداء الكثير اللوم والنوم و "هناه" . و منها "فُعَل" المعدول في سبّ المذكّر . والمسموع منه "يا لكع" و "يا فسق" و "يا خبث" و "يا غدر" . و منها "فعال" المعدول في سبّ النساء نحو "يا لكاع" و "يا خباث" و "يا فساق" .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : إيضاح المقام بحيث ينحلّ به المرام و ينجلي الظلام و ينقشع الغمام أن للفظة "اللّٰهم" باعتبار الإعراب وجهين : أحدهما لزوم النداء لها. و الثاني وقوعها فاعلاً كما في الشعر المذكور للأعشى وهو شاذ . و الأكثر هو الأوّل .

و تستعمل هذه اللفظة بالنظر إلى التصرف في لفظها على خمسة وجوه :

الأوّل : "اللّٰهم" بحذف حرف النداء وهو الأكثر . و حذفه لتعويض الميم عنه عند البصريين . و لطول لفظها و كثرة استعمالها و دلالة المقام عليه عند الكوفيين . لأن الميم المشدّدة أضحت كالجزء من الجلالة و إن كانت في الأصل بقيةً من الجملة .

الثاني : "يا اللّٰهم" وهو شاذّ محمول على الضرورة عند سيبويه . وجائز في السعة عند الكوفيين . قال الشاعر :

إني إذا ما حدث ألَمّا دعوتُ يا اللّٰهمّ يا اللّٰهمّا

و روى العيني رحمه الله في شرح البخاري ج١ ص٤٥٤ :

و ما عليك أنْ تقولي كلّما سبّحتِ أو صلّيتِ يا اللّٰهما

أردد علينا شيخنا مسلّما

الثالث : "يا اللّٰهم ما" بزيادة "ما" في آخرها ، كما صرح به الرضي . و هذا أشذّ . و أنشد :

و ما عليك أنْ تَقُولي كلّما سبّحتِ أو صليتِ يا اللّهمّ ما

الرابع : "اللّهمَ" بتخفيف الميم في الآخر كما في شعر الأعشى :

ع يسمعها اللّهم الكبار

و يحتمل تشديد الميم في هذا الشعر ، و روي بتخفيف اللام و حذف الميم .

الخامس : "لاهم" بحذف "أل" منه . و هو كثير في الشعر . فلا يصح الحكم بشذوذه كما حكم عليه بذلك في الهمع . و نذكر ههنا عدّةً من الأشعار الفصيحة أنموذجًا كي تستيقن بما قلنا . ففي سيرة ابن هشام : أن عبد المطلب قال عند وقعة الفيل و أخذ حلقة باب الكعبة و دعا :

لاهمّ إنّ المرأ يمـ------نع رحلَه فامنع حلالك

وانْصُر على آل الصليـ------بِ و عابدِيه اليوم آلَك

و فيه أيضًا سند مؤيِّد لمن قال : يجوز إضافة "الآل" إلى الله و ضميره .

و في سيرة ابن هشام ج١ص٨١ لشاعر :

لاهمّ إنّ جرهمًا عبادك الناس طرفٌ وهمْ تلادك

و فيها أيضًا لآخر :

لاهمّ ما لي في الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحسد

فقِ أبا سيّارة المحسّدا مِنْ شرّ كلّ حاسد إذ يحسد

و فيها أيضًا قال أبو السيارة :

ع لاهمّ إنّي تابع تباعه

و فيها ج١ ص١٥٠ لزيد بن عمرو بن نفيل :

لاهمّ إني محرم لا حلّه و إنّ بيتي أوسط المحلّه

و فيها ج٢ ص١٦٦ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لاهمّ إنّ الحارث بن الصمّه كان وفيًّا و بنا ذمّه

و فيها ج٢ ص٦٥ لطالب بن أبي طالب وهو من إخوة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأكبر منه سنًّا :

لاهمّ إمّا يغزوَنّ طالب في عصبة محالف محارب

في مقنب من هـذه المقانب فليكن المسلوب غير سالب

و قال آخر :

لاهمّ إنّ الحارث بن جبله زنٰى على أبيه ثم قتله

وكان في جاراته لا عهد له و أيّ أمرٍ سَيّئٍ لا فعله

و قال آخر :

لاهمّ إن كنتَ قبلتَ حجّتجْ فلا يزال شاحج يأتيك بجْ

أي حجتي . و " يأتيك بي " بإبدال الجيم من الياء . و هذه عجعجة قضاعة . و الشاحج هو البغل .

و في مفردات الراغب مادة "د ، ر ، ي" لبعض الأعراب :

ع لاهمّ لا أدري و أنت الدارِيْ

فصل
في تفصيل الخصائص على مسلكنا

اعلم : أنا قد بحثنا في "اللّهم" بحثًا مفصلاً حسب قواعدهم ، و أوضحنا ما هو الأقوٰى والأعلٰى حسب ضوابطهم . وكل ذلك مع قطع النظر عن خواصّ اسم "الله" تعالى مسماه .

و أمّا إذا اعتبرنا الخصائص لهذا الاسم الأعظم فلايرد شيء من اعتراضات طائفة على طائفة أخرى . إذ لكل طائفة أن تجيب عن إشكال أورد عليها أن لاسم "الله" خواصّ . فيحسن فيه ما يقبح في اسم آخر . ويسوغ فيه أمور مخالفة لقوانينهم . ويجوز فيه ما لا تسوغ في اسم آخر كما لا يخفى على من

نظر في كتابنا هذا .

فالآن أزفّ إلى العلماء خصائص الجلالة في هذا الباب ، و نقطع النظر عن القدح و الإثبات و عن النقض و الإبرام . و أما من توخّى ذلك فليصرف النظر إلى الفصول السابقة .

تنبيه

ثم لابد من التنبيه على أن فهم الفصول الثلاثة أي هذا الفصل وما يليه من الفصلَين موقوفٌ وقفًا تامًّا على استحضار الفصول السابقة في الذهن . فلايحلّ لأحد النظر في هذه الفصول الثلاثة إلّا بعد مراجعة تلك الفصول المتقدّمة . ولا يفهمها الناظر حق فهم إلّا بعد فهم تلك الفصول السَّابقة . و إلّا تعسَّر عليه إدراك نهج السداد ، و كبابه الجواد قبل المراد ، و أهداه عدم زاد تكرير النظر هديًا غير بالغ كعبة المراد .

و بعد هذا التنبيه نستعين الله تعالى ونعتمد على كرمه و فضله و نبدأ بذكر خصائص الاسم "الله" على مسلكنا المتقدّم ذكره . و حاصل مسلكنا أنّ الميم زيدت في "يا الله" بعد حذف "يا" للمبالغة ، ثم شدّدت الميم تاكيدًا للمبالغة و رومًا للمبالغة في المبالغة . فأقول و على الله التكلان ، نعم المولى و نعم المستعان :

من خصائص الجلالة حسب مسلكنا زيادة الميم في آخرها للمبالغة و التوكيد . ولا نظير لها في أسماء الله الحسنى .

و منها : تشديد الميم للمبالغة في المبالغة و توكيدها مثل النون المثقّلة للمبالغة . لأن النون المشدّدة فوق النون المخفّفة في التوكيد . صرح به الآلوسي في تفسير أوائل سورة يوسف وغيره من العلماء الكبار . ولا نظير للجلالة في هذا الأمر في كلام العرب ولا مثيل لها كما لا مثيل لمسماها جَلَّ جَلَالُهُ في العظمة و الجلالة و الكبرياء .

و الميم أخت النون لمضاهاتهما لحروف العلة كما سبق في بيان مذهب سيبويه . والنون المؤكدة ضربان : مخففة و مثقلة . ثم إنّهم اتفقوا على تأتّي الميم المخففة للمبالغة كما سبق في بيان مسلكنا . فلا يبعد

القول بتأتّيها للتاكيد مثقلة أيضًا خاصّةً لاسم "اللّٰه".

و منها : اختصاص الجلالة بالنداء والدعاء و موضعهما بعد ضمّ ميم المبالغة و لحوقها معها . فاللّٰهم لا يستعمل غالبًا إلّا في موضع النداء .

و منها : حذف حرف النداء مع الجلالة جوازًا أو وجوبًا بعد لحوق الميم بها . و قد صرحوا بعدم جواز حذف حرف النداء مع اسم "اللّٰه" عند عدم الميم . فلا يقال "اللّٰه" في "يا اللّٰه" .

و منها : صيرورة "اللّٰهم" مبنيًّا فلا يعرب مع أن الأسماء التي زيدت في آخرها ميم المبالغة معربة . وقد مرّت ذكر هذه الأسماء في بدء هذا الباب فراجعه .

و منها : دلالة "اللّٰهم" على ندرة كلام يذكر بعده ، كما صرح به الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى في نحو "أنا أزورك اللّٰهم إذا لم تدعُني" إذ لا يخفى على أحد أن تأتّي الزيارة مع فقد الدعوة مما يندر و يقلّ .

و منها : دلالة "اللّٰهم" على توثّق المجيب على الجواب و استيقانه به إذا اقترن بحرف الإيجاب . نحو "اللّٰهم نعَم" في جواب سائل قال : أزيدٌ في الدار ؟ كما نقلنا عن ابن الأثير فيما تقدم من الفصول .

و منها : دلالة "اللّٰهم" على استبعاد كلام يذكر بعده و تضعيف معناه بشرط أن تلحقه كلمة "إلّا" نحو قولك عند ذكر جواب ركيكٍ بعيدٍ لسوالٍ معضل : اللّٰهم إلّا أن يقال في الجواب كذا .

و منها : اختصاصه بكثرة استعماله في مواضع الدعاء . و هذا ظاهر لمن طالع كتب الأحاديث و الأدعية المأثورة .

و منها : كونه فاتحة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غالبًا كالصلاة الإبراهيمية التي هي أفضل الصلوات و غير ذلك من صيغ الصلوات المأثورة . و لعل وجه اختصاصه بالأدعية و الصلوات النبويّة تحقق المبالغة فيه . و المبالغة أحرى بمواقع الأدعية و أجدر بمواضع الصلوات النبويّة و أدخل فيها . فهذه عشر خصائص كاملة . و اللّٰه أعلم بالصواب .

فصل
في ذكر الخصائص على المسلك البصري

قد عرفت في الفصول السالفة مذهب البصريّة في "اللّهم". ومحصّله أن أصله "يا الله" فحذفت كلمة "يا" و عوّض منها الميم في الآخر. و الخصائص بالنظر إلى المذهب البصري كثيرة و هي التي يلي ذكرها :

منها : التعويض عن حرف النداء. ولم ير له نظير.

و منها : اختصاص الميم للتعويض. و قلّ تعويضها عن شيء و عزّ.

و منها : تاخير "يا" عن المنادٰى لتاخير ما هو عوض عن "يا". و هذه الخاصة مبنيّة على ما ذكر الإمام الفراء أن تاخير المعوض يستلزم تاخير المعوض عنه، كما يعلم من الوجه الثاني و العشرين من وجوه ترجيح مذهب الكوفية. و إن قطعنا النظرعن العبرة بما ذكر الفراء فلا تحقُّق لهذه الخاصّة. إذ تاخير العوض لا يستلزم تاخير المعوض عنه في نفس الأمر عند جمهور العلماء.

و منها : اجتماع العوض و المعوض عنه في الشعر المذكور سابقًا. و هذه مع قطع النظر عن الجواب بأنّ اجتماعهما شاذّ. راجع الوجه الثامن من وجوه ترجيح المذهب الكوفي.

و منها : جواز الحكم على خلاف الاستقراء العام. و هذا مبني على تسليم اعتراض الإمام الفراء. ارجع النظر كرّتين إلى الوجه الخامس و العشرين من وجوه ترجيح مذهب الكوفية.

و منها : أن الميم مع كونها عوضًا تفيد معنى زائدًا وهو الجمعية. و لذا قالوا : إنّ "اللّٰهم" مجمع الأسماء الحسنى. ولا نظير لذلك في باب الأعواض.

و منها : استعماله لندرة ما بعده، كما قال ابن الأثير في النهاية نحو "أنا أزورك اللّٰهم إذا لم تدعُني". ألا ترى أن وقوع الزيارة مقرونة بعدم الدعاء قليل.

و منها : استعماله قبل الاستثناء "بإلّا" دالًا على ضعف ما ذكر بعده من الجواب وغير ذلك.

و يشترط أن يكون المستثنٰى مصدَّرًا "بأن" المصدرية . نحو قولهم عند ذكر جواب ضعيف لسوال قويّ : اللّٰهم لا جواب إلّا أن يقال كذا و كذا .

و منها : استعماله لتيقّن المجيب بجواب اقترن به "اللّٰهم" كقولك لمن سألك " أزيد قائم ؟ " : اللّٰهم نعم . كما نقلنا عن نهاية ابن الأثير من قبل .

ثم اعلم : أن هذه الخواص الثلاث تتأتّى على مذهب الكوفية و على مسلكنا المختار أيضًا كما تتأتّى على مذهب أهل البصرة .

و منها : بقاء أثر حرف النداء في وسط الكلمة و هو ضمة الهاء . إذ بعد التعويض أصبحت الهاء في الوسط . راجع النظر مرتَين إلى الوجه السابع من وجوه الترجيح لمذهب الكوفية .

و منها : التعويض عن عامل الكلمة و تصيير العوض جزءً في آخرها . و هذا مما لا يوجد له نظير . و هذه الخاصّة متفرعة على تسليم أن حروف النداء عاملة كما هو رأي بعض الأئمّة .

و منها : التعويض عن عوض . فإن نحو "يا" عوض عن فعل مقدّر كما هو قول كثير من المحققين . خلافًا لابن مالك رحمه الله تعالى . طالع الوجه السادس من وجوه الترجيح لمذهب أهل الكوفة .

و منها : صيرورة "اللّٰهم" بعد التعويض مبنيًّا بدون ظهور أثر النداء فيه ، لمشابهته الأصوات . و هذا معدوم النظير . إذ المعروف أن لا يتغير حكم الكلمة بعد التعويض إعرابًا و بناء كعدة و إقامة . طالع الوجه السابع من وجوه ترجيح المذهب الكوفي .

و منها : نقض العمل و كون هذا النقض مستحسنًا . فحسن ذلك أي نقض العمل في اسم "الله" أي في "اللّٰهم" و قبح في غيره . و التفصيل في الوجه الخامس و العاشر من وجوه ترجيح مذهب الكوفية .

و منها : أن العمل الكثير مما يقبح ويحترز عنه . لكن حسن ذلك في "اللّٰهم" فلم يحترز عنه بل عدّوه أمرًا مستحبًّا . و إيضاح ذلك مذكور في الوجه الحادي عشر من وجوه الترجيح للمذهب الكوفي .

و منها : كثرة استعماله في مواضع الأدعية المأثورة كما لا يخفى .

و منها : كونه فاتحةً لصيغ الصلوات على النبي ﷺ المأثورة غالبًا ، كما لا يخفى على من طالع كتب الحديث . هذه سبع عشرة خاصة مترتّبة على مذهب أهل البصرة في "اللّٰهم" . هذا . والله أعلم .

فصل

في ذكر الخصائص على المسلك الكوفي

اعلم : أن هذا الفصل كالفصل السابق يتوقف فهمه حقّ الفهم على فهم الفصول السابقة و على استحضار مباحثها في الذهن .

قد استبان لك في الفصول المتقدمة تفصيل مذهب أهل الكوفة في أصل "اللّٰهم" و محصوله أنّ أصله "يا الله أمّنا بخير" أي اقصدنا بخير . يقال : أمّ الشيءَ أي قصده . فحذفت كلمة "يا" ثم حذفت الهمزة من "أمّ" فعل الأمر ، فصار "اللّٰهم" .

و الخصائص المتفرّعة من المذهب الكوفي كثيرة :

فمنها : إقامة الحرف الواحد مقام الجملة . طالع الاعتراض الثامن من فصل اعتراضات واردة على الكوفيين . و هذه الخاصّة مبنيّة على اعتبار ذلك الاعتراض .

و منها : حذف الحرف العاطف في نحو "اللّٰهم اغفرلي" و اطّراده . و هذا مما لا نظير له . إذ حذف حرف العطف و إن كان ثابتًا في كلامهم كما أوضحناه إلاّ أنه قليل . ولم يطّرد في موضع غير نحو "اللّٰهم اغفرلي" . ارجع إلى الاعتراض الرابع من فصل الاعتراضات الواردة على أهل الكوفة .

و منها : إلزام الوقف على المنادى وعدُّه أمرًا لازمًا تفخيمًا له في " يا الله أمّ " الذي هو أصل "اللّٰهم" ثم إجراء أحكام الوقف عليه .

و هذا كالوقف على حرف النداء ، ثم إجراء أحكامه عليه و هو قطع همزة الوصل في "يا ألله" كما قاله السعد التفتازاني رحمه الله . وقد فصّلناه في الوجه السادس عشر من وجوه ترجيح مذهب الكوفية . و هذا ممّا لا نظير له .

و منها : لزوم نقل حركة همزة "أمّ" إلى هاء الجلالة الموقوف عليها . و نقلها و إن كان قانونًا معروفًا إلّا أنه لم يثبت إيجابه و لزومه في منادًى آخر .

فهما خاصتان : الأولى نقل الحركة . و الثانية إيجابه أي لزومه و جعله لازمًا . و البسط في الوجه السادس عشر من وجوه الترجيح لمذهب الكوفيين .

و فيه خاصة أخرٰى ثالثة بالنظر إلى كون الجلالة و " أمّ " كلمتين ، لا بالنظر إلى كون الجلالة منادًى . إذ لزوم نقل حركة الهمزة وحذفها و إن كان ثابتًا بالنظر إلى كلمة واحدة كما في باب "أرٰى و يرٰى" إلّا أن لزوم نقلها لم يثبت في كلمتين . صرح به ابن مالك رحمه الله في بعض كتبه قادحًا في مذهب أبي البقاء القائل بنقل الحركة لازمًا و حذف الهمزة في أصل الجلالة و هو "الإلٰه" كما بيّنّاه في باب آخر من هذا الكتاب . و نظيره عند الكوفيين "هلمّ" . فهذه ثلاث خصائص . و الثالثة مترتّبة على النظر إلى لزوم نقل حركة الهمزة و حذفها في كلمتين . و بضم هذه الخصائص الثلاث إلى الثلاث المتقدّمة في هذا الفصل صار مجموع الخصائص المذكورة ستّ خصائص .

و منها : حذف همزة "أمّ" للتركيب على تقدير عدم الوقف على الجلالة . و هذا مع ثبوته قليل . و التوضيح في الوجه الثامن عشر من وجوه الترجيح للمذهب الكوفي .

و منها : صيرورة الفعل الأمر الملحق بآخر "اللّٰهم" بمنزلة الجزء منه و كثير الاستعمال معه . وهذا مما لا نظير له في الأسماء الحسنى . و أمّا في غيرها فعزيز في باب النداء وغيره .

و منها : قلب همزة " أمّ " هاء ثم حذفها . و هذا عزيز في باب النداء ولا يشاركه اسم من أسماء الله تعالى . و أما في غير ذلك فقليل لايتجاوز ألفاظًا عديدةً ، كما فصّلنا في الوجه السابع عشر من وجوه ترجيح المذهب الكوفي .

و منها : حذف همز " أمّ " لتوهُّم وصلها . و هذه خاصّة لطيفة . راجع لتفصيلها الوجه التاسع عشر من وجوه الترجيح لمذهب أهل الكوفة .

و منها : تأتّي الجوابين لندائه و لزوم ذلك و اطّراده في نحو "اللّٰهم اغفرلي" و هما "أمّ" و "اغفر" و أحدهما تفسير للآخر . ولا يطّرد ذلك في مقام آخر من مقامات النداء . كما حقّقناه في جواب السؤال

الرابع الوارد على مذهب الكوفية في فصل الاعتراضات الواردة على الكوفيين و دفعها .

و منها : ذكر فعل معه يبيّن ما هو المقصود من النداء وهو طلب إقبال المخاطب ، وهو "أمّ" . و هذا مما لا نظير له في كلام العرب . ارجع لتوضيحه جواب الاعتراض الثاني من فصل الاعتراضات الواردة على الكوفية .

و هذه الخاصية متفرعة على تسليم أن جواب النداء في المثال السابق هو "اغفرلي" فقط دون الميم المشدّدة و إن كان لا يوافقه أقوال الكوفيين .

ولا يبعد أن يحسب هذا قولاً مستقلاً . و يختاره أحد من العلماء و يجعله مذهبًا خامسًا في ميم "اللّهم" . و للناس فيما يعشقون مذاهب .

و منها : حذف حرف النداء معه غالبًا .

و من لطائف بركات هذا الاسم الجليل أنّ العدول عن الاعتدال إلى الإفراط و التفريط فيه يُعدّ أمرًا مستحسنًا بل جمالاً جميلاً و كمالاً كاملاً و حسنًا حسينًا و عظمةً عظيمةً .

و المراد من الإفراط و التفريط وجوب ذكر "يا" معه في حالة ، و وجوب حذفها معه في حالة أخرىٰ . ألا ترىٰ أن ذكر حرف النداء واجب في نحو "يا الله" فلا يجوز حذفه ، كما فصّلناه في باب آخر من هذا الكتاب . و في "اللّهم" حذف "يا" غالب أو واجب فلا يجوز ذكرها . طالع جواب الاعتراض السابع من فصل الاعتراضات الواردة على الكوفية .

و منها : كونه لازم النداء حيث لا يستعمل "اللّهم" في غير النداء . ولا نظير له في أسماء الله تعالى كما أوضحناه في فصل سابق . و هذه الخاصة تتأتى على مذهب سيبويه أيضًا .

و منها : اختصاصه بمواقع الدعاء ، كما نقلنا في فصل استعمالاته . فتفكر .

و منها : كونه فاتحة الصلاة على النبي ﷺ كالصلاة الإبراهيمية التي هي أفضل الصلوات أو من أفضلها وغير ذلك من صيغ الصلوات المأثورة . فإن أكثرها تفتتح بكلمة "اللّهم" كما لا يخفى .

و منها : استعماله للدلالة على بُعد ما ذكر عقبه و ضعف ماجاء بعده إذا لحقته كلمة "إلّا"

مثل قولهم عند ذكر جواب ضعيف : اللّٰهم إلّا أن يقال كذا و كذا .

و منها : استعماله مع "نَعَم" الذي هو حرف إيجاب عند تيقُّن المجيب بفحوٰى الجواب و معناه كقولك "اللّٰهم نعم" في جواب من قال "أزيد قائم ؟" كما صرح به ابن الأثير رحمه الله تعالى و غيره من العلماء الكبار .

و منها : دلالته في بعض المواضع على أن الذي ذُكر بعده نادر . و هذا كما قال ابن الأثير رحمه الله تعالى في نحو "أزورك اللّٰهم إذا لم تدعُني" إذ لا يخفى على العاقل أنّ تحقق الزيارة عند عدم الدعاء نادر و قليل جدًّا .

هذه تسع عشرة خاصة . و أنت ترى أن بعض الخصائص المذكورة مشتركة بين المسلكين أو بين المسالك الثلاثة في أصل "اللّٰهم" . فاحفظ و تنبّه و كن من الشاكرين . هذا آخر رسالتي الفريدة . و ها أنا قد جعلتها بابًا و جزءً من هذا الكتاب . واللّٰه يقول الحق و هو يهدي السبيل المستقيم ، و قدرته أجلّ و أعلى ، و علمه أوسع و أتمّ .



الباب الخامس و الأربعون
و فيه سبع خصائص

من خصائص الجلالة إدغام اللام المتحركة في اللام وجوبًا بعد نقل حركة الهمزة الأصلية إلى اللام الأولى . و هذا مما لا نظير له .

ثم اعلم : أن هذه الخاصة متأتِّية على مذهب أبي البقاء و أتباعه . و قد ذكره في وجوه الإعراب و القراءات حيث قال : والأصل في "الله" "الإله" فألقيت حركة الهمزة على اللام المعرفة . ثم سكنت و أدغمت في اللام الثانية .

و أمّا من قال : إن الهمزة في "الإله" حذفت حذفًا من غير نقل حركتها إلى ما قبلها فلا تتأتّى هذه الخاصة كما لا يخفى .

تفصيل المقام على وجه ينشرح به المرام و ينقشع الغبار عن الأوهام حسب ما يستنبط و يؤخذ من التسهيل و غيره أن ههنا عدّة خواص :

الأولى : نقل حركة الهمزة بين كلمتين على سبيل اللزوم . و المراد من الكلمتين "أل" و "إله" . ولا نظير للزوم هذا النقل ، بل لا نظير له في كلمة واحدة أيضًا .

حيث صرحوا أن قانون "يسل" وهو نقل حركة الهمزة إلى حرف صحيح ساكن قبلها ثم حذف الهمزة جائز غير واجب . إلاّ في أفعال باب "يرٰى" و "أرٰى يرِي" . و قالوا : إنّ وجوب إجراء هذا القانون مختصّ بأفعال بابي "يرٰى" و "أرٰى" دون أسمائهما . يقال : رؤية و مرئي بإثبات الهمزة و حركتها .

و الجلالة اسم لا فعل . فلا نظير لها من الأسماء في هذه الخاصة .

و أمّا "إراءة" مصدر الإفعال فهو تابع لفعله في وجوب هذا القانون . والجلالة ليست كذلك ، أي ليست بتابعة لفعلٍ .

و أيضًا حذف الهمزة في "إراءة" كلا حذف . إذ عوِّض عنها التاء في الآخر . بخلاف الجلالة حيث لا تعويض فيها .

الخاصة الثانية و الثالثة : و لابد من ذكر مقدمة يترتّب عليها بيان هاتين الخاصّتين و يسهل بها فهمهما .

و هي أن نقل حركة الهمزة إلى حرف مماثل لما بعدها ثم حذف الهمزة يوجب اجتماع مثلين متحركين . و هو أثقل من تحقيق الهمزة و إثباتها بعد حرف ساكن . و الحاصل أن فيه ذهابًا من الأيسر إلى الأثقل . و القوانين إنما تكون للذهاب إلى الأيسر . صرح به ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

و بعد تمهيد هذه المقدمة أقول : في اسم "الله" و أصله نظرًا إلى مذهب أبي البقاء ذهاب من الأيسر إلى الأعسر و قلب ما يبتغى بالقوانين الأدبية اللفظية . فيجب أن لا يتطرّق هذا العمل إلى الجلالة . إلّا أن هذا التصرّف الموافق لمذهب أبي البقاء تطرّق إلى الجلالة ، لأن لها خواص . فيسوغ فيها ما لا يسوغ في غيرها . و يخفّ عليها وقر ما يؤود غيرها و ينوء به . فجواز هذا التطرّق إحدٰى خواصها . ثم وجوبه خاصة أخرى . ولا نظير للجلالة فيهما .

إن قلتَ : اعترض ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى على مسلك أبي البقاء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى حيث قال كما في عناية القاضي شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٥٣ : إن نقل حركة همزة إلى مثل ما بعدها يوجب اجتماع مثلين متحركين . و هو أثقل من تحقيق الهمزة بعد ساكن ، لأن اجتنابه في الكلام بعد ساكن آكد . و هو ملتزم إلّا في أفعال الرؤية ، لأن العرب تلتزمه إلّا تيم اللات .

قلنا : لايرد هذا الاعتراض . و وجه عدم الورود أن هذا التصرّف كله من خصائص الجلالة . فجاز فيها من غير كراهة ما يقبح و يكره في غيرها .

الخاصة الرابعة و الخامسة : ما أقول و بالله التوفيق : و لابد من ذكر تمهيد يتوقّف عليه

تسهيل فهم هاتين الخاصتين .

و هو أن نقض العمل في كلمة قبيح و في كلمتين أقبح . أمّا في كلمتين فكما فيما نحن فيه . و هو تسكين المنقول إليه الحركة . و هي اللام الأولى . و أما في كلمة فكما قدّمنا في فصل ذكر الوجوه المرجِّحة لمذهب الكوفية من باب البحث على "اللّٰهم" .

ثم بعد هذا التمهيد نقول : إن نقض العمل ههنا وهو تسكين اللام الأولى من "أَلِاه" بكسر اللام الأولىٰ إنّما حسن في الجلالة و طاب و استحبّ . لأنّ لها خواص ، و هذا منها .

ثم إنّ اطّراد هذا النقض و وجوبه ههنا خاصة أخرٰى .

أرأيت قطع همزة الوصل و اجتماع أداتي التعريف كيف حسن و استحبّ كل ذلك في "يا اللّٰه" و قبح و استنكر في غيره ، وكيف حسن و استحسن حذف الجار و إبقاء عمله في "اللّٰهِ لأفعلن" بجرّ "اللّٰه" و قبح واستقبح فيما سواه ، وغير ذلك من خصائص اسم "اللّٰه" . فظهر أنه لا غبار على مذهب أبي البقاء .

ولا يرد ما قال ابن مالك في شرح التسهيل على ما حكاه عنه الآلوسي رحمه الله في تفسيره ج١ ص٥٥ و غيره من العلماء : إنّ في ذلك أي في مذهب أبي البقاء مخالفة الأصل . و هو تسكين المنقول إليه الحركة . فيوجب كونه عملا كلا عمل . و هو بمنزلة من نقل في "بئس" .

ولا يخفى ما فيه من القبح مع كونه في كلمة . فما هو في كلمتين أقبح وأمكن في الاستقباح و أحق بالاطراح . انتهى ما حكاه الآلوسي .

قلت : وجه عدم ورود اعتراض ابن مالك أنه كم من شيء قبيح يحسن و يطيب في اسم "اللّٰه". هذا . واللّٰه أعلم .

الخاصة السادسة و السابعة : ولا مندوحة عن وضع مقدمة تمهيدًا لتسهيل فهم هاتين الخاصتين .

و هي أن إدغام أحد المنفصلين في الآخر لا يجوز . و كذا ما هو في حكم المنفصل كما فيما نحن فيه . لأن الهمزة المحذوفة المنقولة حركتها إلى ما قبلها في حكم ما هو ثابت مذكور مثل ثبوت الياء في "يبتغِ"

و "يرمِ" عند الجزم . و لذا اعتبر أبو عمرو في الإدغام الكبير الفصل بواجب الحذف الموافق للقانون نحو "يبتغ غير" فلم يدغم .

و بعد بيان هذه المقدمة أقول : إن اللامين في أصل الجلالة في حكم المنفصلين . لأن الهمزة في تقدير الحرف الثابت مثل ثبوت الياء المانعة من الإدغام في "يبتغ غير" . فالإدغام فيهما كالإدغام في المنفصلين . وهو لا يجوز أو لا يطّرد ولا يلزم . إلاّ أنه جاز و ساغ ههنا . لأن لاسم "الله" خواص . و هذه الخاصة منها .

ثم وجوب الإدغام و لزومه خاصة أخرى .

فلا يرد ما قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا على أبي البقاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن في ذلك مخالفة الأصول . وهو إدغام المنقول إليه فيما بعد الهمزة . و هو بمعزل عن القياس .

لأن الهمزة المنقولة الحركة في تقدير الثبوت . فإدغام ما قبلها فيما بعدها كإدغام أحد المنفصلين . و قد اعتدّ و اعتبر أبو عمرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإدغام الكبير الفصل بواجب الحذف نحو "يبتغ غير" فلم يدغم . فاعتبار غير واجب الحذف و جعله مانعًا للإدغام أولى . انتهى .

قلت : وجه عدم ورود ما قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أبي البقاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذكرنا من أن هذا التصرّف من خواص اسم "الله" . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أعلى و أوسع .



الباب السادس و الأربعون
و فيه أربع خصائص

من خصائص اسم الجلالة الشريف جواز قطع همزته الوصلية مطّردًا في النداء فيقال "يا أَللّه" بإثبات ألف حرف النداء مع إثبات الألف التي تليها و هي ألف الجلالة . و هذه خاصّة واحدة .

و يجوز فيه "يا اللّه" بحذف الألف الثانية فقط ، و اجتماع الساكنين على غير حدّه ، وهو لا يجوز ، و جاز ههنا خاصة للجلالة . فهذه خاصة ثانية .

و كلتا الخاصتين بالنظر إلى دخول "يا" عليه . و الذاكرون اللّه تعالى بهذا الاسم الكريم من أهل الطريقة وغيرهم يقطعون الهمزة عند ذكر اسم "اللّه" مفردًا حيث يقولون : أَللّه ، أَللّه ، أَللّه . و لا يسقطونها بوصل الهاء في آخر الاسم المقدم بلام ما يليه ، و هكذا . و هذا مصرّح به في كتب التصوف و غيرها . و هذه خاصة ثالثة . لا اعتبار فيها لمقام النداء .

إن قلت : هذا لا يصح . لأنهم يقفون عند الذكر على كل اسم بالإسكان . ثم يبتدؤن بالاسم الثاني و هكذا . فإثبات الهمزة إنما هو لكون المقام مقام ابتداء لا لجعل الهمزة مقطوعة في الدرج .

قلت : إنّ الوقف على كل اسم و إسكان آخره وقفًا غير واجب عندهم .

إيضاح المقام على وجه ينحلّ به المرام بفضل الملك المنعام أنه يجوز في اسم "اللّه" عند النداء ثلاث صور :

الصورة الأولى "يا أَللّه" بإثبات الألفين ألف "يا" مع إثبات ألف "اللّه" .

الصورة الثانية "يا الله" بحذفهما معًا .

الصورة الثالثة "يا الله" بحذف الثانية وإبقاء الأولىٰ باجتماع الساكنين على غير حدّه ، أحدهما ألف "يا" و الثاني اللام المدغمة .

و في التصريح : أن تعليل سيبويه جواز نداء الجلالة بكون "أل" عوضًا يقتضي إثبات ألف الجلالة في النداء كما تثبت في الفعل المبدوّ بها نحو "أنصر" إذا سمّي به . و وجه حذفها في الوصل النظر إلى أصلها . و وجه حذف ألف "يا" أن إثباتها يؤدّي إلى التقاء الساكنين على غير حدّه لكونهما من كلمتين . و وجه إثباتها مع حذف الثانية إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل في كلمة واحدة . هذا حاصل كلامه .

و في حواشي التصريح : قال الدنوشري رَحِمَهُ اللهُ : ولا يجوز عكس الثالثة . و هو حذف ألف "يا" و إثبات ألف "الله" . انتهى .

أقول : قد جوّز بعض المحققين عكس الصورة الثالثة . فيقال "يأ الله" كما يقال "هأ الله" بهمزة بعد الهاء بلا ألف ، على ما فصلناه في باب "ها الله ذا" . فهذه خاصة رابعة لا نظير لها في أبواب المنادىٰ .

قال الشيخ العلامة يس رَحِمَهُ اللهُ في حواشي التصريح : أقول : مقتضى كلام الشارح جواز العكس أي عكس الصورة الثالثة . لأنه على الثالثة بإجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة . يعني حتى جاء التقاء الساكنين اللازم على الثالثة . و الأصل عدم الإجراء و عدم التقاء الساكنين . فحذف ألف "يا" و إثبات ألف "الله" جار على هذا القياس . و قد تضمن كلام الشارح أي صاحب التصريح أوّلًا جواز حذف ألف "الله" و إثباتها مطلقًا . و إثباتها صادق على ما إذا حذفت ألف "يا" . انتهى كلامه بلفظه .

أقول : فالوجوه في " يا الله " أربعة . مثلها في " ها الله ذا ". وقد تقدم البحث على "ها الله ذا" في باب مفرد من هذا الكتاب فارجع إليه .

و في أمالي ابن الشجري : إن قطع همزته ليست لغة سائر العرب بل هي لغة بعضهم . حيث

قال فيه ج٢ ص١٥ : و بعض العرب يقطعون همزة لام التعريف منه في النداء فيقولون "يا ألله" ليدلوا بقطعها على أن الألف و اللام فيه عوض من همزة قطع ، و خصّوه بشيء لم يسمع في غيره . انتهى .

و ذكر الإمام الرضي منها صورتين فقط حيث قال في شرح الكافية ج١ ص١٢٥ : الأكثر في "يا الله" قطع الهمزة . و ذلك للإيذان من أوّل الأمر أن الألف و اللام خرجا عما كانا عليه في الأصل ، و صارا كجزء الكلمة ، حتى لا يستكره اجتماع "يا" و اللام . فلو كانا بقيا على أصلهما لسقطت الهمزة في الدرج . إذ همزة اللام المعرفة همزة وصل . و حكى أبوعلي "يا الله" بالوصل على الأصل . انتهى .

قال الشيخ الخضري رحمه الله تعالى في شرح شرح الألفية : قطع الهمزة في "يا الله" لأنها لعدم مفارقتها له صارت كجزء من الكلمة فلم تحذف في النداء . و حينئذ تثبت ألف "يا" وجوبًا .

و قوله "و وصلها" أي نظرًا لأصلها . و حينئذ تثبت ألف "يا" أو تحذف . ففيه ثلاثة أوجه . بخلاف "يا المنطلق زيد" إذا سمّي به فيجب قطع همزته مع ثبوت ألف "يا" لأن ما بدئ بهمزة الوصل فعلاً كان أو غيره يجب قطعها في التسمية به لصيرورتها جزءً من الاسم ، فتقطع في النداء أيضًا . ولا يجوز وصلها نظرًا لأصلها كما في اسم الجلالة . لأن له خواص ليست لغيره . انتهى .

و قال الأشموني رحمه الله تعالى : فتقول "يا الله" بإثبات الألفين و "يا الله" بحذف الثانية . انتهى كلامه .

قال العلامة الصبان رحمه الله تعالى في شرحه : قال البعض : و انظر ما الفرق بين هذا أي "يا المنطلق" و بين "يا الله" حيث جوَّز فيه أي في "يا الله" الشارح الأوجه الثلاثة . انتهى . و أنت خبير بأن لاسم الجلالة خواص لا يشاركه فيها غيره . فلا يبعد أن يكون منها جواز الأوجه الثلاثة . انتهى كلام الصبان .

و إنما قطعت همزة "الله" ولم تحذف في الدرج لتنزّل الألف و اللام فيه منزلة جزء من نفس الكلمة .

قال ابن الأنباري في الإنصاف ج١ ص٣٣٩ : إن الألف و اللام في اسم "الله" عوض عن همزة "إله" فتنزلت منزلة حرف من نفس الكلمة . و إذا تنزلت منزلة حرف من نفس الكلمة جاز أن يدخل حرف النداء عليه . و الذي يدل على أنها بمنزلة حرف من نفس الكلمة أنه يجوز أن يقال في النداء

"يا أللّٰه" بقطع الهمزة . قال الشاعر :

مباركٌ هُو و مَن سمّاه على اسمك اللّٰهم "يا أللّٰه"

ولو كانت كالهمزة التي تدخل مع لام التعريف لوجب أن تكون موصولة . فلما جاز فيها ههنا القطع دل على أنها نزلت منزلةَ حرف من نفس الكلمة . كما أن الفعل إذا سمي به فإنه تقطع همزة الوصل منه نحو "إضرب" و "أقتل" . تقول : جاءني إضرب . و رأيت إضرب . و مررت بإضرب . انتهى .

و قد مر البحث المسهب في دخول "يا" على "اللّٰه" في باب مفرد لهذا الموضوع من الأبواب المتقدمة . إن شئت التفصيل فارجع إليه . هذا .

فائدة جليلة في تفصيل قطع همزة الوصل

اعلم : أن همزة اسم "اللّٰه" باعتبار الظاهر همزة وصل نظرًا إلى أنّ همزة لام التعريف عند الجمهور وصلية إلّا أنّها تقطع في "يا اللّٰه" كما قد عرفت من البحث المذكور .

ثم إنّي فحصت فحصًا واستقريت استقراءً فلم أجد في كلامهم لفظًا يشارك اسم "اللّٰه" في قطع همزة الوصل إلّا باب "أسطاع يُسطيع" بضم الياء على قول الفراء و أتباعه ، و لفظ "ألبتة" .

إيضاح المرام أن "أل" في "ألبتة" للتعريف . قطعت همزتها في الاستعمال كما صرح به علماء العربية .

ففي التصريح ج١ ص٩٤ عند بيان كلمة "ألبتة" : " ألبتة " بقطع الهمزة سماعًا . قاله شارح اللباب . و القياس وصلها . انتهى كلامه .

و في شرح شذور الذهب لمحمد عبادة رحمه الله تعالى ج١ ص١٣٩ : قوله "ألبتة" بقطع الهمزة وصلاً و وقفا على الصحيح كما قاله الشيخ الملوي في حاشية كتاب إيساغوجي . انتهى كلامه .

و أمّا "أسطاع" بفتح الهمزة و قطعها فاختلفوا في توجيهه . فقال سيبويه رحمه الله تعالى : هو من باب الإفعال . و أصله "أطوع" كأقوم . أعِلّت الواو و قلبت ألفًا بعد نقل حركتها إلى ماقبلها . ثم جعل السين

عوضًا من تحرُّك العين الذي فاته ،كما جعل الهاء في "أهراق" بسكون الهاء عوضًا من مثل ذلك كما يجيء .

و لا شك أن تحرُّك العين فات بسبب تحرك الفاء بحركة العين . و مع هذا كله فإن التعويض بالسين و الهاء شاذّان . فمضارع "أسطاع" عند سيبويه "يسطيع" بضمّ الياء .

و ردّ ذلك المبرد كما في شرح الشافية للرضي ظنا منه أن سيبويه يقول : السين عوض عن الحركة . فقال :كيف يعوض من الشيء والمعوض منه باق . يعني الفتحة المنقولة إلى الفاء .

و ليس مراد سيبويه ما ظنه المبرد . بل مراده أنه عوض من تحرّك العين لا من حركة العين . ولا شك أن تحرك العين فات بسبب تحرك الفاء بحركة العين .

و قال الفراء : أصل "أسطاع" إستطاع من باب استفعل . فحذفت التاء لأجل ما فصّل في باب الإدغام . فبقي "إسطاع" بكسر الهمزة . ففتحت الهمزة و قطعت شاذا . فالمضارع عند الفراء "يسطيع" بفتح الياء .

و اللغة المشهورة إذا حذفت التاء من "استطاع" لتعذّر الإدغام بقاءُ الهمزة مكسورةً موصولةً كما كانت . قال تعالى : فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ . كذا في الرضي على الشافية ص٢٣٥ . هذا . والله أعلم بالصواب و بالحقائق و بأسرار الأمور و الدقائق ، و أعرف بما يخالف الحق و يوافقه ، و علمه أجلّ و أتمّ و أعلى .



الباب السابع و الأربعون
و فيه ستّ خصائص

من خصائص هذا الاسم الكريم انعقاد اليمين به عند دخول حرف القسم عليه سواء أسكنتَ الهاء في آخر هذا الاسم المبارك أو نصبتَها أو رفعتَها . مع أن العرب لا تعرف في مثل "بالله لا أفعل كذا" إلّا الجر .

فهذه ثلاث خصائص مبنية على ثلاث أحوال ، أي سكون الهاء و نصبها و رفعها . و ذلك عند ذكر حرف القسم ، بأن يقال "بالله لأفعلنّ كذا" بذكر باء القسم مع إسكان الهاء أو نصبها أو رفعها .

و ههنا ثلاث خصائص أخرى مترتبة على تلك الأحوال الثلاث أنفسها ، أي إسكان الهاء و نصبها و رفعها . و ذلك عند حذف حرف القسم من اللفظ بأن يقال "الله لأفعلنّ كذا" بحذف باء القسم مع إسكان الهاء أو رفعها أو نصبها . فمجموع الخصائص في هذا الباب ستّ خصائص .

اعلم : أني إنما ذكرت هـذه الخصائص في عداد الخصائص ، و عددتّها في فهرستها ، بناءً على ما يعلم و يفهم من ظاهر روايات كبار الفقهاء .

ثم إني لم أجد في كلام الفقهاء التصريح على حكم سائر الأسماء الحسنى إن سكن آخرها أو نصب أو رفع في مثل هذا المقام .

ولا يبعد أن يقال : الظاهر اتّحاد الحكم . و يمكن أن يقال : إن هذا الحكم مختص بالجلالة . و وجه الاختصاص الاكتفاء بشهرة دوران الجلالة و تداولها في القسم .

ففي الفتاوٰى الظهيرية : لو قال "با لله لا أفعل كذا" و سكن الهاء أو نصبها أو رفعها يكون يمينًا . و لو قال "الله لا أفعل كذا" و سكن الهاء أو نصبها لا يكون يمينا . إلاّ أن يعربها بالجر فيكون يمينًا . و قيل : يكون يمينًا مطلقًا . انتهى . كذا في البحر الرائق لابن نجيم رحمه الله تعالى ج٤ ص٣١٣ .

و في حواشيه : لأنه تغيير إعرابيٌّ لا يمنع المعنى الموضوع . فلا يضرّ تسكين الهاء و لا رفعها ولا نصبها . و قد تقرر أن اللحن لا يمنع الانعقاد . انتهى ما في الحواشي . هذا . و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أتمّ .

الله اكبر

الباب الثامن و الأربعون

من خصائص الجلالة إبدال همزة كلمة "أَمَا" حرف التنبيه "هاءً" قبل القسم بالجلالة . فيقال : هَما والله لأفعلنّ كذا . والأصل "أما والله لأفعلنّ كذا" .

قال ابن دريد في الجمهرة : إن الهمزة تتحوّل هاءً في بعض اللغات لقربها منها نحو قولهم في "أَمَ والله" : "هَمَ والله" . انتهى .

و في كتاب اللسان : و حكى بعضهم "هَما والله لقد كان كذا" أي "أما والله" فالهاء بدل من الهمزة . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : هكذا ظُنّ أن تحول همزة "أما" هاءً من خصائص الجلالة . لكن عبارات المهرة الأدباء و النحاة لا تدل على ذلك ولا تعضد ما ظنّه البعض حيث يعلم منها أن ذلك لغة ولا تختص بالجلالة .

نعم عبارة اللسان المذكورة و هي قوله "و حكى إلخ" لا تبعد عن الإشارة إلى أنّ إبدال همزة "أما" هاء قبل القسم مختصّ بالقسم بالجلالة .

فعلى هذا لايبعد أن يقال : إنّ الحكاية المذكورة لم تثبت إلّا بإبدال الهمزة هاءً قبل القسم بالجلالة دون القسم بغيرها من الأسماء الحسنى . والأصل قصر الحكاية بمورد السماع . فبناء على فحوٰى هذه الحكاية يصحّ أن يكون هذه خاصةً من خصائص الجلالة . هذا غاية ما يقال . والله أعلم بالصواب .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في الجمع و الهمع : "ألا" بفتح الهمزة حرف تنبيه . و يقال فيها

"هلا" بإبدال الهمزة هاء . قرئ "هلا يا اسجدوا لله " . و "أما" بالفتح "كألا" حرف تنبيه . و تبدل همزتها هاءً فيقال "هَما" . انتهى بتصرف .

و قال نجم الأئمة الشيخ الرضي في شرح الكافية : و قد تبدل همزة "أما" هاءً و عينًا نحو "هما" و "عما" . انتهى كلام الرضي . فترى أن كلام الرضي و السيوطي في الهمع مطلق لا يدل على الاختصاص بالجلالة .

و قال الرضي في شرح الشافية في بحث الإبدال ص٣٣٤ : و يقال في "أيا" في النداء "هيا" و في "أما والله" "هما والله" . انتهى كلام الرضي .

أقول و بالله التوفيق و بيده أزمّة التحقيق : لايخفى علي الغوّاص في دقائق العبارات ، المتفحص لخفايا الإشارات أن كلام الشيخ الرضي في شرح الشافية أي قوله : و في "أما والله" "هما والله" ، بذكر المثال المخصوص المشتمل على القسم بالجلالة . و هو قوله "أما والله" من غير إشارة إلى تعميم الحكم يرشدنا إرشادًا إلى تخصيص الحكم ، و يهدينا إلى صحّة القول بأنّ إبدال همزة "أما" هاءً في القسم من خصائص اسم "الله" أي من خواصّ القسم بالجلالة دون القسم بغيرها من أسماء الله الحسنى .

هذا . و الله أعلم بالصّواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أعظم و أكبر و أتمّ .



الباب التاسع و الأربعون
و هو مشتمل على ثلاث خصائص

من خصائص اسم الجلالة حذف الجارّ عنه و إبقاء عمله في القَسَم . فيقال "اللهِ لأفعلنّ كذا" بخفض الجلالة . و التقدير "بالله لأفعلنّ كذا" فحذف حرف القَسَم و أبقي عمله و هو الخفض . و حذف الجارّ و إبقاء عمله مما لا يجوز ولم يتحقق مطّردًا . و إن تحقق في بعض المواضع كما سنذكره فنادر لا ينقاس .

و أمّا حذف الجارّ عن اسم "الله" فكثير شائع . و المسوِّغ لذلك كثرة وقوعه مقسمًا به . هذه خاصة واحدة .

ثم اطّراد هذا العمل و كونه سائغًا شائعًا خاصة أخرى ثانية .

ثم قولهم في "بالله" "بلهِ" بكسر الهاء و حذف اللام و الألف خاصة ثالثة . كما سيجيء تفصيله نقلاً عن كتب الفقهاء .

قال الإمام أبوالبقاء رحمه الله تعالى في كتابه التبيين : لاسم "الله" تعالى مسمّاه خصائص . منها جواز حذف حرف القسم فيه مع بقاء عمله من غير عوض . ولا يجوز ذلك في غيره . و وجهه أن الشيء إذا كثر كان حذفه كذكره . لأن كثرته تُجريه مجرى المذكور . و لذلك جاز التغيير و الحكاية في الأعلام دون غيرها . و إنما سوَّغ ذلك الكثرة . انتهى . والتفصيل في الأشباه ج١ ص٢٧٦ .

و صرّح في المغني في باب المسائل المنثورة بأن الجر بإسقاط حرف القسم مختص عند البصرية باسم "الله" تعالى مسمّاه وسبحانه . و منعوا حذف الجار الباقي عمله إلّا في قولهم "اللهِ لأفعلنّ" أي

"والله لأفعلنّ" حذف واو القسم و أبقي عمله أي الجرّ . هذا . و سنعود إلى إثبات كلامه المفصل في هذا الباب ، و العود أحمد . فتلوَّم .

ثم اعلم : أن هذه الخاصّة متفرعة على مذهب سيبويه و أكثر البصرية حيث لم يجوّزوا إسقاط الجار الباقي عمله فيما سوى الجلالة . حيث حكى سيبويه عن العرب الخفض في الجلالة بعد حذف الجار .

و المبرد لا يسوِّغ بعد إسقاط الجار إلّا النصب على ما هو الشائع من النصب بعد نزع الخافض . كذا نقل السهيلي رحمه الله تعالى عنه . و الكوفيون و بعض البصرية يقيسون حذف الجار و إبقاء عمله في كل مقسم به .

فالمذاهب في هذا الموضوع ثلاثة : الأوّل مذهب سيبويه . و الثاني مذهب المبرد . و الثالث مذهب الكوفية و بعض البصرية .

قال ابن الشجري ، رحمه الله تعالى ما حاصله : و بالجملة إضمار الجار و إعماله بغير عوض ضعيف . و إنما استجازوا إضماره إذا عرف موضعه و كثر استعماله فيه كما كثر استعمال الباء في جواب قولهم : كيف أصبحتَ ؟ فقيل ذلك لرؤبة فقال : خيرٍ . عافاك الله . بجرّ "خير" فحذف الباء و أعملها . و سوّغ ذلك ما ذكرته من كثرة استعمالها مع هذا اللفظ .

و مثل ذلك حذف الباء من اسم "الله" في القسم في لغة من قال : اللهِ لتفعلن . بجرّ "الله" وهو قليل ولم يستعملوه في غير هذا الاسم تعالى مسماه . فهو مما اختص به كاختصاصه بالتاء في القسم ، و بقطع همزته في النداء في إحدٰى اللغتين ، و بتفخيم لامه إذا تقدّمتها ضمة أو فتحة ، و بإلحاق آخره ميما عوضًا من حرف النداء قبله في قولهم "اللّٰهم" . انتهى . أمالي ج١ ص٣٦٤ .

فقول ابن الشجري رحمه الله تعالى "في لغة من قال إلخ" يدل على أن إبقاء الخفض بعد حذف الجار لغة بعض العرب لا لغة جميعهم .

و **قال** الرضي في شرح حروف الكافية ج٢ ص٢٧٩ : اعلم : أن حروف الجرّ لا تحذف مع بقاء عملها قياسًا إلّا في "الله" قسمًا عند البصريين . و أجاز الكوفية قياس سائر ألفاظ المقسم به على "الله" نحو "المصحفِ لأفعلن" بجرّ "المصحف" أي و المصحفِ . و ذلك غير جائز لاختصاص لفظة "الله"

بخصائص ليست لغيرها تبعًا لاختصاص مسماه تعالى بخصائص . فمنها اجتماع "يا" و "اللام" في "يا الله". ثم ذكر عدة خصائصها .

و **قال** العلامة السهيلي رحمه الله تعالى في روض الأنف شرح سيرة ابن هشام ج٢ ص٧٢ في بيان قتل أبي جهل و مجيء ابن مسعود رضي الله عنه برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و قول رسول الله صلى الله عليه وسلم له "اللهِ الذي لا إله غيره" و قول ابن مسعود له "اللهِ الذي لا إله غيره" : بالخفض أي خفض اسم "اللهِ" عند سيبويه و غيره . و الاستفهام عوض من الخافض عنده .

و إذا كنتَ مخبرًا قلت "الله" بالنصب . لا يجيز المبرد رحمه الله تعالى غيره . و أجاز سيبويه رحمه الله تعالى الخفض أيضًا لأنه قسم . و قد عرف أنّ المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو . و لا يجوز إضمار حروف الجر إلاّ في مثل هذا الموضع أو ما كثر استعماله جدًّا . كما روي أن رؤبة كان يقول إذا قيل له "كيف أصبحتَ ؟" : خيرٍ . عافاك الله . بجرّ "خير" . انتهى .

و **في الاقتراح** ص٥٧ عند البحث على استصحاب الحال : قال ابن الأنباري : احتجّ البصريون بالاستصحاب على أنه لا يجوز الجر بحرف محذوف بلا عوض . بأن قالوا : أجمعنا على أن الأصل في حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف . و إنما تعمل معه في بعض المواضع إذا كان لها عوض . ولم يوجد هنا . فبقي فيما عداه على الأصل . و التمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال ، و هو من الأدلة المعتبرة . انتهى .

قلت : و الاستصحاب أحد الأدلة الأربعة لأهل العربية ، و الأدلّة الأربعة هي السماع ، والإجماع ، والقياس ، واستصحاب الحال . و الاستصحاب كما قال ابن الأنباري إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل . قال : وهو من الأدلة المعتبرة .

و **في كتاب** الأصول لفخرالإسلام رحمه الله تعالى : و قد يحذف حرف القسم تخفيفًا فيقال "اللهِ لأفعلنّ كذا" لكنه بالنصب عند أهل البصرة و هو مذهبنا ، و بالخفض عند أهل الكوفة . انتهى كلام فخرالإسلام .

قال الشيخ عبد العزيز البخاري رحمه الله تعالى في شرح الأصول كشف الأسرار ج٢ ص١٨٦ : قوله

"لكنه أي المقسم به بالنصب عند أهل البصرة" حاصله أن الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض جائز عند أهل الكوفة . و عند أهل البصرة لا يجوز إلّا بعوض . نحو همزة الاستفهام و هاء التنبيه في قولهم " آللّٰه ما فعلت كذا" و قولهم "لاها اللّٰه" .

احتج الكوفيون بما تقول العرب "ء آللّٰه لتفعلنّ" فيقول المجيب "أللّٰه لأفعلنّ"بهمزة واحدة مقصورة في الثانية . فيخفض بتقدير حرف الخفض و إن كان محذوفًا . و قد جاء في كلامهم إعمال حرف الخفض مع الحذف .

فقد حكى يونس بن حبيب رحمه الله تعالى : أن من العرب من يقول "مررت برجل صالح إلّا صالحٍ فطالحٍ" أي إلّا أكن مررت برجل صالح فقد مررت بطالح . و روي عن رؤبة العجاج أنه إذا قيل له : كيف أصبحتَ ؟كان يقول : خيرٍ ، عافاك . أي بخير . و في الشواهد على ذلك أشعار كثيرة .

و أمّا البصريون فقالوا : أجمعنا على أن الأصل في حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف . و إنما تعمل مع الحذف في بعض المواضع إذا كان عنها عوض . فبقيت فيما عداه على الأصل .

و لا تمسك للكوفية فيما ذكروا . لأنّ الجواز في قوله "اللّٰهِ لأفعلنّ" ثبت مخالفًا للقياس لكثرة استعماله ، كما ثبت دخول حرف النداء عليه مع الألف و اللام . فلا يدل على الجواز في غيره لشذوذه و قلّته . و كذا ما حكى يونس ، و ما روي عن رؤبة ، و ما نقل من الأشعار في ذلك كلها من الشواذ التي لا يعتد بها . فلا يصح التمسك بها . كذا في الإنصاف لابن الأنباري .

و ذكر الإمام عبدالقاهر في المقتصد : أمّا حذف حرف الجر الذي هو الباء في "باللّٰه" فعلى وجهين :

أحدهما : أن يحذف و يوصل الفعل إلى الاسم فينصبه فيقال "أللّٰه لأفعلن "كأنه قال : حلفت الله لأفعلن . و على ذلك ثبت الكتاب :

ألا رُبَّ مَن قلبي له اللّٰهَ ناصح و من قلبه لي في الظباء السوانح

التقدير "ألا ربّ من قلبي له ناصح باللّٰه" .

و الوجه الثاني : أن تضمر و يبقى عمله الجر فيقال "اللهِ لأفعلنّ" بالجر . و الأكثر النصب ، لأن الجار لا يضمر إلاّ قليلاً .

و إليه مال صاحب المفصل أيضًا . فعلى هذا لا خلاف في المسألة إذ الخلاف في الأولوية لا في الجواز .

و في الهمع و الجمع في بحث حروف القسم الجارة : الباء و هي الأصل ، و من ثم اختص بالحذف ، فينصب تاليها و لا تجر . خلافًا لمن جوّز الجر بالحرف المحذوف و هم الكوفيون و بعض البصريين . انتهى .

قال ابن النجيم المصري الفقيه رحمه الله في البحر الرائق ج٤ ص٣١٣ : و قد تضمر حروف القسم فيكون حالفًا ، كقوله "الله لا أفعل كذا" لأن حذف الحرف متعارف بينهم اختصارًا .

ثم إذا حذف الحرف ولم يعوّض عنه هاء التنبيه ولا همزة الاستفهام و لا قطع ألف الوصل لم يجز الخفض إلاّ في اسم "الله" . بل ينصب بإضمار فعل أو يرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر . إلاّ في اسمين فإنه التزم فيهما الرفع . و هما "أيمن الله" و "لعَمر الله" . كذا في التبيين .

قال : وإنما قال المصنف "تضمر" ولم يقل "تحذف" للفرق بينهما . فإن الإضمار يبقى عمله وأثره ، بخلاف الحذف . و على هذا ينبغي أن يكون في حالة النصب الحرف محذوفا لأنه لم يظهر أثره ، و في حالة الجر مضمرًا . و في الظهيرية : "بالله لا أفعل كذا" و سكن الهاء أو نصبها أو رفعها يكون يمينًا . و لو قال "الله لا أفعل كذا" و سكن الهاء أو نصبها لا يكون يمينا . إلاّ أن يعربها بالجر فيكون يمينا . و قيل : يكون يمينا مطلقًا .

و لو قال "بِلِهِ لا أفعل كذا" بكسر اللام قالوا : لا يكون يمينا . إلاّ إذا أعرب الهاء بالكسر و قصد اليمين . انتهى كلام ابن نجيم .

قال العبد الضعيف البازي : قوله "ولو قال بله لا أفعل كذا" خاصة ثالثة للجلالة في هذا الباب ، حيث يفيد معنى صحيحًا و يصح إرادة القسم به بعد وقوع التغيير و الحذف الكثير في الجلالة من حذف الألف و اللام للتعريف ، و حذف الألف قبل الهاء . هذا .

قال في البحر : و ينبغي أنه إذا نصب أن يكون يمينا بلا خلاف . لأن أهل اللغة لم يختلفوا في جواز كل واحد من الوجهين . ولكن النصب أكثر كما ذكر عبد القاهر في المقتصد . كذا في غاية البيان . و به اندفع ما في المبسوط من أن النصب مذهب أهل البصرة ، والخفض مذهب أهل الكوفة . إلّا أن يكون مراده أن الخلاف في الأرجحية لا في أصل الجواز فيه . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : قد حصحص لك مما سبق من البحث المطنب المشتمل على نقول الأئمّة و أقاويل العلماء أن الخلاف في الجواز لا في الأرجحية . فالعجب من ابن نجيم رحمه الله كيف خفي عليه ماصرح به أئمة العربية في كل كتاب معتبر و سِفر معتد به ، مع كونه بحرًا رائقًا في العلم . و حقّ ما قيل : لكل جواد كبوة و لكل صارم نبوة .

و في حواشي البحر منحة الخالق لابن عابدين رحمه الله : قوله "لأن الإضمار يبقى أثره إلخ" قال في النهر : هذا بمعزل عن التحقيق ، لأنه كما يكون حالفًا مع بقاء الأثر يكون أيضًا حالفًا مع النصب . بل هو الكثير في الاستعمال و ذاك شاذ . والتزام ذلك الاصطلاح للفقهاء غير لازم . انتهى .

قال محشي مسكين : أقول : فيه نظر من وجهين : أمّا أوّلاً فما ذكره في الردّ على البحر من التعليل بأنه يكون حالفًا مع الحذف أيضًا يقتضي أن صاحب البحر لا يقول به . و ليس كذلك .

و أمّا ثانيًا فلما نقله الحموي رحمه الله عن المغني من أن حذف الجار و بقاء عمله شاذ في غير القسم . أمّا في القسم فمطرد . انتهى .

و لا يخفى عليك سقوط الوجه الأوّل ، فإن إبداء وجه العدول عن الحذف إلى الإضمار ببقاء أثره يوهم أنه مع النصب لا يكون حالفا . إلّا أن يقال : إن المراد أنه في حالة الجر يبقى الأثر ، فيكون كحالة بقاء الحرف . و التعبير بالحذف لا يفيد ذلك ، لأنه يكون منصوبًا . انتهى .

قال ابن الأنباري في الإنصاف ج١ ص٣٩٣ : ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض . و ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك إلّا بعوض . نحو ألف الاستفهام نحو قولك للرجل " آللهِ ما فعلت كذا " أو هاء التنبيه نحو "ها الله" .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء عن العرب أنهم يلقون الواو من

القسم و يخفضون بها . قال الفراء : سمعناهم يقولون " آللّٰه لتفعلن" فيقول المجيب "أللّٰه لأفعلن" بألف واحدة مقصورة في الثانية . فيخفض بتقدير حرف الخفض و إن كان محذوفا .

و قد جاء في كلامهم إعمال حرف الخفض مع الحذف . حكى يونس بن حبيب رحمه الله من العرب من يقول "مررتُ برجل صالح إلّا صالحٍ فطالحٍ" أي إلّا أكن مررت برجل صالح فقد مررت بطالح . و روي عن رؤبة بن العجاج أنه كان إذا قيل له : كيف أصبحتَ ؟ يقول : خيرٍ ، عافاك الله . أي بخير . قال الشاعر :

رَسمِ دار وقفتُ في طَلَلِه كِدت أقضي الحياة من جَلَلِهِ

فخفض "رسم" بإضمار حرف الخفض . و قال الآخر :

لاهِ ابنُ عمك لا أفْضلتَ في حسب عنّي و لا أنتَ ديّاني فتخزوني

فخفض "لاهِ" بتقدير اللام كأنه قال : للّٰه ابن عمك .

ثم قال : و أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن الأصل في حروف الجر أن لاتعمل مع الحذف . و إنما تعمل مع الحذف في بعض المواضع إذا كان لها عوض ، ولم يوجد ههنا . فبقّينا فيما عداه على الأصل . و التمسّك بالأصل تمسكٌ باستصحاب الحال ، و هو من الأدلّة المعتبرة .

و يخرّج تخريجًا على هذا الجرُّ إذا دخلت ألف الاستفهام و هاء التنبيه نحو " آ الله ما فعل" و "ها الله ما فعلت" لأن ألف الاستفهام و "ها" صارتا عوضًا عن حرف القسم . و الذي يدل على ذلك أنه لا يجوز أن يظهر معهما حرف القسم . فلايقال "أوالله" ولا "ها والله" لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض و المعوض . ألا ترى أن الواو لمّا كانت عوضًا عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما . فلا يجوز أن يقال "بوالله لأفعلنّ كذا" فكذلك ههنا .

و أمّا الجواب عن كلمات الكوفيين المستدلّين بقولهم "أللّٰهِ لأفعلن" بجرّ الجلالة فإنما جاز ذلك مع هذا الاسم أي "الله" خاصة على خلاف القياس لكثرة استعماله ، كما جاز دخول حرف النداء عليه مع الألف واللام دون غيره من الأسماء لكثرة الاستعمال ، فكذلك ههنا جاز حذف حرف الخفض لكثرة

الاستعمال مع هذا الاسم دون غيره . فبقّينا فيما عداه على الأصل .

يدلّ عليه أن هذا الاسم أي "الله" يختص بما لايكون في غيره . ألا ترى أنه يختص بالتاء كقوله تعالى : وَ تَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُمۡ . و إن كان لا يجوز دخول التاء في غيره ، كما لا يجوز إدخال التاء في "أسنتوا" إلاّ في خلاف الخِصب . ولا يقال "تالرحمٰن" ولا "تالرحيم" .

و كما أن ماحكاه أبوالحسن الأخفش من قوله "تربّي" لايدل علي جوازه لشذوذه و قلّته فكذلك قولهم "اللهِ لأفعلن" لا يدل على جوازه في غيره .

و اختصاص هذا الاسم المبارك بهذا الحكم كاختصاص "لاتَ" بحين ، و "لَدُنْ" بغُدْوة ، و "جاءت" بحاجتك ، في قولهم : ما جاءت حاجتَك . بنصب "حاجتك" ، فإن "لات" لا تعمل إلاّ في الحين ، و "لدن" لا تنصب إلاّ غدوة ، و "جاءت" لا تنصب إلاّحاجتك . كأنهم قالوا : ما صارت حاجتك أوكانت حاجتك . وأدخلوا التاء على "ما" ، إذ كان "ما" هو الحاجة .

المراد أنهم أنثوا الفعل المسند إلى ضمير عائد إلى "ما" مراعاة لمعنى "ما" . و ذلك أنهم قالوا : جاءت بتاء التانيث ، لأن في "جاء" ضميرًا مستترًا يعود إلى "ما"، و"ما" هي الحاجة ، لأن المبتدأ والخبر شيء واحد ، كما قال بعضهم : من كانت أمَّك ؟ فنصب "الأم" و أنث "من" حيث أوقعها على مؤنث .

و لأنّ هذا الاسم أي "الله" عَلَم . فجاز أن يختص بما لايكون في غيره . لأن الأسماء الأعلام كثيرًا ما يعدل ببعضها عن قياس الكلام .

ألا ترى أنهم قالوا "مَوهَب" "مَورَق" ففتحوا العين ، و قياسها أن تكسر . وكذلك قالوا "حَيْوَة" بالواو و إن كان قياسها أن تكون بالياء . وكذلك قالوا "مَزْيَد" و "مَكْوَزة" و "مديَن" فصححوا و إن كان القياس أن يعلّوا . لأنّ ما كان من الأسماء على مَفعَل فإنه يعتل لمجيئه على وزن الفعل و فصلِ الميم له من أمثلته .

و كذلك قالوا "مَحْبَب" بغير إدغام و إن كان القياس الإدغام . و كذلك قالوا "العَجّاج" و "الحجّاج" بإمالة الألف و إن كان قياسها أن لا تمال ، لعدم شرط الإمالة من الياء و الكسرة . وهذا لأن من كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام . إمّا لكثرة الاستعمال أو تنبيه

على أصل أو غير ذلك . هذا .

فصل
في البحث على إبقاء أثر الجارّ المحذوف

إن قلتَ : ما وجه امتناع حذف الجار مع بقاء عمله ؟

قلنا : إنما لايحذف الجار مع بقاء عمله لكونه عاملاً ضعيفًا . و العوامل أنواع :

نوع منها يعمل مذكورًا و محذوفًا لقوّته كحروف النداء و الفعل و نحو ذلك .

و **نوع منها** لايعمل إلاّ مذكورًا لضعفه أو لكونه كالجزء من معموله نحو حروف الجر و النواصب .

قال ابن هشام رحمه الله في المغني في بيان شروط الحذف : و الخامس من الشروط أن لا يكون عاملاً ضعيفًا . فلا يحذف الجار و الجازم و الناصب للفعل إلاّ في مواضع قويت فيها الدلالة و كثر فيها استعمال تلك العوامل . ولا يجوز القياس عليها . انتهى .

و **قال** الرضي : إنما شبّه الضمير المجرور بالمرفوع دون المنصوب لأن الجار مع الضمير المجرور كالكلمة الواحدة كالرافع مع الضمير المرفوع ، بخلاف الناصب مع المنصوب . انتهى ما في شرح الرضي للكافية ج٢ ص٩٩ ، بحث الظروف .

و **في الأشباه** النحوية ج٢ ص١١٣ : الجازم أضعف من الجارّ . قاله ابن الخباز ، و فرّع عليه أنه لا يضمر ألبتة . و لهذا أفسد قول الكوفيين : إن فعل الأمر مجزوم بلام الأمر المضمرة .

و ذكره أبوحيان في شرح التسهيل ، و فرّع عليه أنه لا يجوز الفصل بين لام الأمر و الفعل لا بمعمول الفعل ولا بغيره ، و إن روي عنهم الفصل بين الجار و المجرور بالقسم نحو قولهم "اشتريته بوالله ألف درهم" ، فإن ذلك لايجوز في اللام ، لأن عامل الجزم أضعف من عامل الجر .

و فرّع عليه الأخفش و اختاره الشلوبين و ابن مالك رحمهم الله أن جواب الشرط مجزوم بفعل

الشرط لا بالأداة . و قال : لأن الجار إذا كان لا يعمل عملَين و هو أقوى من الجازم فالجازم أولىٰ أن لا يعملهما .

و قال ابن النحاس في التعليقة : الجازم في الأفعال نظير الجار في الأسماء و أضعف منه ، لأن عوامل الأفعال أضعف من عوامل الأسماء . و إذا كان حذف حرف الجر و إبقاء عمله ضعيفًا فأن يضعف حذف الجازم و إبقاء عمله أولى و أحرىٰ . انتهى .

و قال ابن جني في كتاب التعاقب : اتصال المجزوم بجازمه أشدّ من اتّصال المجرور بجاره . و ذلك أن عوامل الاسم أقوى من عوامل الفعل . فلما قويت حاجة المجرور إلى جاره كانت حاجة المجزوم إلى جازمه أقوىٰ .

قال : و جواب الشرط أشد اتصالاً بالشرط من جواب القسم . و ذلك أن جواب القسم ليس بمعمول للقسم كما كان جواب الشرط معمولاً للشرط . فقولك "لا أقوم" من قولك "أقسمت لا أقوم" ليس اتصاله بأقسمت كاتصال الجواب بالشرط .

قال : إذا كان كذلك ولم يجز تقديم جواب القسم عليه مع كون القسم ليس عاملا في جوابه كان امتناع تقديم جواب الشرط عليه لكونه جوابًا و كونه مجزومًا بالشرط أجدر . انتهى كلامه .

و قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٨٥ : ولا يجوز نفي المضارع "بلم" و "لن" في جواب القسم ، لأنهم يلفونه بما يجوز حذفه للاختصار كما يجيء . و العامل الحرفي لا يحذف مع بقاء عمله . و إن أبطلوا العمل لم يتعين النافي المحذوف . انتهى .

فصل

في ذكر مواضع حذف فيها الجارّ و أبقي أثره الجرّ

قد سنح لك مما نمقنا من تصريحات الأئمة أن إسقاط الجار بغير عوضٍ الباقي عمله بلا ندرة و شذوذ خاصة الجلالة . و هذا الإسقاط إنما هو في باب القسم .

و مع هذا فههنا عدة مواضع فيما سوى القسم عومل فيها معاملة الجلالة بعضها منقاس و بعضها

غير منقاس . و حق ما قيل : ما من جادة لأهل العربية إلّا و قد شذّ عنها بعض الكلمات و ندّ منها عدد من الجزئيات . فسلكت هذه الكلمات و الجزئيات الفارّة طريقًا يخالف الجادة القيمة المستقيمة .

و أنا استفرغت وُسعي و جهدت جهد المقلّ مستعجلاً في وقت قليل في جمع تلك الجزئيات النافرة برمّتها و الكلمات الفارّة بأسرها . ثم توخّيت ثبتها في هذا الباب تحفةً لذوي الألباب و تكميلاً للمرام و إفادة للعلماء الأعلام و إزالة للغبار عن الأوهام . فقد صرح المحض عن الزبد و أصلح غيث ما أفسد البرد . فأقول و بالله التوفيق :

منها : ما حكي أن رؤبة العجاج كان يقول "خيرٍ ، فالحمد لله" و "خيرٍ ، عافاك الله" بجرّ "خير" أي بخير ، في جواب من يقول له : كيف أصبحت ؟ و قد مر ذكره مرارًا .

و منها : المجرور بعد "حتى" عند الكسائي رحمه الله ، فإنه لا يقول بكونها جارة عند العرب .

قال الرضي في شرح مضارع الكافية ج٢ ص١٩٨ : و قال الكسائي رحمه الله من بين الكوفيين : إن "حتى" ليست في كلام العرب حرف جر ، و إن الجر الذي بعدها في نحو "حتى مطلع الفجر" بتقدير حرف الجر . أي حتى انتهى إلى مطلع الفجر .

فلا يرد على الكسائي الاعتراض في "حتى" بأن عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال ، كما ورد على سائر الكوفية القائلين بأن الناصب للمضارع هو "حتى" في مثل "كان سيري حتى أدخل البلد" .

لكن في مذهبه بُعدٌ ، لأن حذف الجار و إبقاء عمله في غاية القلة . فكيف اطّرد بعد "حتى" و أيضًا كيف اطّرد حذف الفعل بعدها مع انجرار الاسم . انتهى .

و منها : ما قرئ "ولات حينِ مناص" بخفض "الحين" و ما قال أبوزبيد الطائي :

طلبوا صلحنا و لات أوانٍ فأجبنا أن لات حين بقاء

بجر "أوان" و بجرّ "حين بقاء" .

فخرّج الجمهور الآية كما في المغني ج١ ص٢٠٥ بوجهين : أحدهما : على إضمار "مِن" الاستغراقية . أي و لات مِن حين مناص .

و الثاني : أن الأصل "حين مناصهم" ثم نزل قطع المضاف إليه من "مناص" منزلة قطعه من "حين" لاتّحاد المضاف و المضاف إليه . قاله الزمخشري . و جعل التنوين عوضًا عن المضاف إليه ، ثم بني "الحين" لإضافته إلى غير متمكن . انتهى .

و الأولى أن التنزيل المذكور اقتضى بناء "الحين" ابتداء و أن "المناص" معرب ، و إن كان قطع عن الإضافة بالحقيقة لكنه ليس بزمان . فهو ككل و بعض .

و قالوا في تاويل الشعر أيضًا بإضمار "من" الاستغراقية . و قال الفراء : فإن "لات" حرف جر . فعلى قوله هو ليس من هذا الباب .

و منها : قول النبي ﷺ على ما رواه البخاري في صحيحه : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث و إن أربعة فخامس أو سادس .

قال ابن مالك النحوي رحمه الله تعالى في شرح صحيح البخاري المسمى شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص٦٣ :

قلت : هذا الحديث قد تضمن حذف فعلين و عاملي جرٍّ باق عملاهما بعد "إن" و بعد الفاء . و هو مثل ما حكى يونس من قول العرب : مررت بصالح إن لا صالحٍ فطالحٍ . على تقدير : إلّا أمرّ بصالح فقد مررت بطالح . فحذف بعد "إن" "أمرّ" و "الباء" و أبقي عملهما . و حذف بعد الفاء "مررت" و "الباء" و أبقي عملهما .

و هكذا الحديث المذكور حذف فيه بعد "إن" و "الفاء" فعلان و حرفا جرٍّ باقٍ عملاهما . و التقدير : مَن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث . و إن قام بأربعة فليذهب بخامس أو سادس .

و منها : قوله عليه الصلاة والسلام (رواه البخاري) : صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته ، و في سوقه خمسٍ و عشرين ضعفًا . أي بخمس و عشرين ضعفًا . فحذف الجار و أبقي مدخوله أي "خمس" مجرورًا . كذا قال ابن مالك رحمه الله تعالى .

و منها : ما قاله ابن الشجري رحمه الله تعالى في أماليه ج١ ص٣٦٤ ، و هذه عبارته : و مما حذفت منه

"مِن" و أعملت محذوفةً قول أبي حية النميري :

رأَين خليسًا بعد أحوى تقلبت ... بفوديه سبعون السنين الكوامل

وأنكرت إعراض الغواني و رابني ... وأنكرن إعراضي و أقصر باطلي

أراد : من السنين . فحذف "من" و أعملها . و "الخليس" الشعر الأشمط ، و "الأحوى" الأسود ، و "الفودان" جانبا الرأس مما يلي الأذنين . انتهى .

و منها : مدخول واو "رُبّ" فإن الجر بعد هذه الواو "بربّ" محذوفة ، و الواو عاطفة كما اختاره ابن هشام ، و هو مذهب جمهور البصرية . و قال الكوفيون و المبرد : إن الجر بالواو . و حجة الكوفية و المبرد افتتاح القصائد بها كقوله :

ع ... وقاتمِ الأعماق خاوي المخترق

و أجيب : بجواز تقدير العطف على شيء في نفس المتكلم . و يوضح كونها عاطفة أن واو العطف لا تدخل عليها كما تدخل على واو القسم . قال ابن الشجري : اختار أبوعلي الفارسي أن الجر "برب" محذوفة . و استدل بقوله :

ع ... بل بلد ملء الفجاج قتمه

قال : لو كان الجر بالواو دون "رب" المضمرة لكان الجر في قوله "بل بلد" ببل . قال : و هذا لا نعلم أحدًا به اعتداد يقوله . انتهى ما في الأمالي ج٢ص٣٦٦ .

و في التوضيح و شرحه التصريح ج٢ ص٢٢ : تحذف "رُبّ" و يبقى عملها بعد الفاء كثيرًا كقول امرئ القيس :

ع ... فمثلك حبلى قد طرقت و مرضع

بجر "المثل" برب المحذوفة . و بعد الواو أكثر ، و بعد "بل" قليلاً كقول رؤبة :

ع ... بل مهمهٍ قطعت بعد مهمه

فجر "مهمه" بربّ المحذوفة . و بدونهن أقلّ كقول جميل :

ع رسمِ دار و قفت في طلله

فرسم مجرور برب المحذوفة . انتهى .

و منها : ما حكى الإمام يونس رحمه الله تعالى قول بعض العرب : مررتُ برجل صالح إن لا صالحٍ فطالحٍ . بجر "صالح" و "طالح" بجار محذوف . و تقديره : إن لا أمرّ أنا بصالح فقد مررت بطالح .

قال العلامة الأزهري رحمه الله تعالى في التصريح شرح التوضيح ج٢ ص٢٣ : هذا تقدير ابن مالك رحمه الله تعالى . و قدره سيبويه رحمه الله تعالى : إن لا أكن مررت بصالح فبطالح . قيل : و تقدير سيبويه هو الصواب .

قال البطليوسي في شرح كتاب سيبويه : إذا قلت "إن لا أمر" نقضت المعنى . فإنك قد قلت "مررت بصالح" ثم تقول "إن لا أمر بصالح" فيما يستقبل . و إنما المرور واقع . فلابد من إضمار الكون فتقول : إن لا أكن فيما يستقبل موصوفاً بكوني مررت بصالح فأنا قد مررت بطالح . نقله المرادي في شرح التسهيل عنه في باب "كان" و أقرّه .

و منها : المجرور بعد "كم" الاستفهامية كقولك : بكم درهمٍ اشتريت هذا . قال ابن هشام رحمه الله تعالى : هذا قياسي . و قال خالد الأزهري رحمه الله تعالى : فدرهم مجرور "بمن" مقدرة عند المجرور . أي بكم من درهم . خلافاً للزجاج في تقدير الجر بالإضافة .

و قال ابن الشجري في الأمالي ج١ ص٣٦٤ : و ذهب الخليل إلى أن النكرة بعد "كم" في نحو "كم رجل عندي" تجر على إرادة "مِن" . و الدليل على جواز ذلك كما قال الخليل قول الأعشى :

ع كم ضاحك من ذا و من ذا ساخر

أراد : كم من ضاحك . فلذلك عطف عليه "بمن" فقال "و من ذا ساخر" . و بالجملة أن إضمار الجار و إعماله بغير عوض ضعيف . و إنما استجازوا إضمار "من" بعد "كم" لأنه قد عرف موضعها و كثر استعمالها فيه . انتهى كلامه .

و في التوضيح و شرحه التصريح ج٢ ص٢٣ : احتج الجمهور بوجهين :

أحدهما : أن "كم" استفهامية لا تصلح أن تعمل الجر . لأنها قائمة مقام عدد مركب . و العدد

المركب لا يعمل الجر ، فكذا ما قام مقامه .

و الثاني : أن الجر بعد "كم" الاستفهامية لو كان بالإضافة لم يشترط دخول حرف الجر على "كم" فاشتراط ذلك دليل على أن الجر "بمِن" مضمرة ، لكون حرف الجر الداخل على "كم" عوضًا من اللفظ "بمن" بخلاف "كم" الخبرية فإنه لما لم يشترط دخول حرف الجر عليها كان تمييزها مجرورًا بالإضافة لا "بمن" مضمرة . خلافًا للفراء . انتهى .

و منها : قول النبي ﷺ "أقربهما منك بابًا" بالخفض ، في جواب من قال : فإلى أيهما أهدي . وقوله عليه الصلاة والسلام : فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين صلاة . أراد : إلى أقربهما ، و بسبعين صلاة . ذكرهما صاحب جامع المسانيد . كذا قال ابن مالك رحمه الله تعالى في شواهد التوضيح على صحيح البخاري ص٦٤ .

و منها : قال كثير من المعربين و المفسرين في إعراب فواتح السور : إنه يجوز كون الفواتح في موضع الجر بإسقاط حرف القسم .

قال الإمام ابن هشام رحمه الله تعالى في المغني ج٢ ص١٥٠ : و هذا مردود بأنّ ذلك مختص عند الجمهور من البصريين باسم "الله" تعالى مسمّاه ، و بأنه لا أجوبة للقسم في سورة البقرة و آل عمران و يونس و هود و نحوهن .

ولا يصح أن يقال : قدر "ذلك الكتاب" في البقرة ، و "الله لا إله إلّا هو" في آل عمران جوابا . و حذفت اللام من الجملة الاسمية كما حذفت في قوله :

و ربّ السموات العلى و بروجها   و الأرض و ما فيها المقدر كائن

و قول ابن مسعود رضي الله عنه : والله الذي لا إله غيره . هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة . لأن ذلك على قلّته مخصوص باستطالة القسم . انتهى .

و ذكر ابن مالك رحمه الله تعالى أن القلة مع عدم الطول و معه يحسن الحذف . انتهى .

و منها : قول الشاعر :

ع ألا رجلٍ جزاه الله خيرًا

فيمن رواه بجر "رجل" . كذا في المغني ج١ ص٢٠٤ . أي ألا من رجلٍ .

و منها : قولهم "إن في الدار زيدًا و الحجرةِ عمرًا" و قولهم "ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة" بجر "الحجرة" و "بيضاء" مما فيه العطف بالواو على معمولي عاملين مختلفين . و هو جائز عند الاخفش مطلقًا إذا تقدّم المجرور ، كما في هذين القولين . فعلى هذا لا يكون الجار مضمرًا .

و قال سيبويه و الفراء : إن الجر بالجار المضمر في كل صورة توهم العطف على عاملين . و التقدير : و في الحجرة ، و كل بيضاء . و مثله قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ . أي و للذين . و التفصيل في الرضي على الكافية ج١ ص٢٨٦ ، و التصريح على التوضيح ج٢ ص٢٣ .

و في الأشباه النحوية ج١ ص١٤٨ ، ما محصوله : أن سيبويه و الخليل رحمهما الله تعالى حمل قولهم "ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة" و قولهم "ما زيد بقائم ولا قاعد عمرو" على حذف الجار . لا على العطف على معمولَي عاملين كما هومذهب الكوفيين .

فإن قيل : حذف الجار مضافًا كان أو حرف جر وإبقاء عمله على خلاف الأصل وهو ضعيف . والعطف على معمولَي عاملين ضعيف أيضًا . فلم كان حمله على الجار أولى من حمله على العطف على معمولي عاملين ؟

قيل : لأن حذف الجار قد جاء في كلامهم ، و له وجه من القياس . فأما مجيئه فنحو :

ع و بلدةٍ ليس بها أنيسُ

بجرّ "بلدة" أي و ربّ بلدة . وقولهم في القسم "اللهِ لأفعلن" بجرّ "الله" أي والله . و قول رؤبة لما قيل له : كيف أصبحت ؟ "خيرٍ ، عافاك الله" أي بخير . و قد حمل أصحابنا قراءة حمزة "والأرحامِ" بالجرّ على حذف الجار . و أن التقدير فيه "و بالأرحام" .

و الأمر فيه ليس ببعيد ذلك البعد . فقد ثبت بهذا جواز حذف الجار في الاستعمال و إن كان قليلاً . ولم يثبت في الاستعمال العطف على معمولي عاملين . فكان حمله على ما له نظير أولى ، و هو من

قبيل أحسن القبيحين .

و أمّا من جهة القياس فلأن الفعل لما كان يكثر فيه الحذف و شارك الحرف الجار في كونه عاملا جاز فيه ما جاز في الفعل على سبيل الندرة . انتهى .

و منها : قراءة حمزة "والأرحامِ" بالجر في قوله تعالى : وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ . أي بالأرحام . فحذفت الباء و أبقي عملها . هذا .

و منها : لفظة "أيّ" إذا استفهمتَ بها عن المذكور المنكور حيث جاز فيها حكاية الإعراب . و علامات المثنى و المجموع و المؤنث في لفظها نحو "أيٌّ يا فتى""أيٍّ يا فتى" "أيًّا يا فتى" بالرفع و الجر و النصب في "أيّ" .

قال الرضي في شرح موصولات الكافية ج٢ ص٤٩ : و في الحركات اللاحقة "لأيّ" حال الحكاية وجهان : أحدهما : أنها إعرابها . فتكون مبتدأة محذوفة الخبر ، و مفعولة محذوفة ، و مجرورة أضمر جارها . وهذا ضعيف ، لأن إضمار الجار قليل نادر . و الأولى أن يقال كما في "مَن" : إن هذه العلامات اتباعات للفظ المتكلم على وجه الحكاية . و محلّهما رفع على الابتداء . و التقدير "من هو" و "أيّ هو" أي أيّ رجل هو . انتهى .

و قال أيضًا : إذا سألت بها عن المعارف فلا خلاف بينهم في أن ما بعدها لايحكى . فإذا قيل : رأيت زيدًا و مررت بزيد . قلت : أيُّ زيد . بالرفع لا غير .

و منها : كلمة "مَن" في الاستفهام عن مذكور منكور عاقل إذا وقفت على "مَن" حيث يجوز حكاية إعراب ذلك المذكور تقول "مَنُو" إذا قيل : جاءني رجل ، و "مَنا" إذا قيل : رأيت رجلاً ، و "مَنِي" إذا قيل : مررت برجل .

قال الرضي : وأجاز يونس الحكاية "بمن" وصلاً قياسًا على "أيّ" فقال "مَنٌ يا فتى" برفع "مَن" مع التنوين و "مَنٍ يا فتى" بكسر "من" مع التنوين و "منًا يا فتى" بالنصب كذلك . انتهى .

فجرّ لفظ "من" في نحوالكلام المذكور آنفًا بالجار المحذوف أي بمن .

و إذا قيل لك : جاءني زيد . تقول "من زيد" بالرفع . وإذا قيل : رأيت زيدًا . تقول "من زيدًا" بالنصب . و إذا قيل لك : مررت بزيد . تقول "من زيد" بالخفض ، على الحكاية .

قال الرضي : و قيل : إن ما بعد "مَن" في الأحوال معمول لعامل محذوف كما مر في "أيّ" و هو ضعيف للزوم الجر بجار مقدر كما مضى هناك . انتهى .

و منها : "أنْ" و "أنّ" بسكون النون في الأولى و تشديدها في الثانية ، عند حذف الجار معهما .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع و الهمع ج٢ ص٨١ : و يطرد حذف الحرف لكثرة الاستعمال مع "أنْ" و "أنّ" المصدريتين . إذ لا لبس . كعجبت أن تذهب و أنك ذاهب . و محلهما النصب عند الخليل رحمه الله تعالى و الأكثر حملاً على الغالب فيما يظهر فيه الإعراب مما حذف منه . و قال الكسائي رحمه الله تعالى : الجر لظهوره في المعطوف عليه في قوله :

و ما زرت ليلى أن تكون حبيبة إليّ ولا دينٍ بها أنا طالبه

بجر "دين" . انتهى كلامه بتصرف .

و قال ابن هشام رحمه الله تعالى في المغني ج٢ ص١١٨ : و جوّز سيبويه رحمه الله تعالى أن يكون المحل جرًّا . فقال بعد ما حكى قول الخليل رحمه الله تعالى : ولو قال إنسان : إنه جر ، لكان قولاً قويًّا . و له نظائر نحو قولهم "لاهِ أبوك" .

وأمّا نقل جماعة منهم ابن مالك رحمه الله تعالى و صاحب البسيط أن الخليل يرى أن الموضع جر ، و أن سيبويه يرى أنه نصب فسهو ، كما قال أبوحيان و غيره . لأن المنصوص في كتاب سيبويه عن الخليل أنه نصب . و أما سيبويه فلم يصرح فيه بمذهب .

و مما يشهد لمدعي الجر قوله تعالى : وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا . وقوله تعالى : إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ . أصلهما : لاتدعوا مع الله أحدًا لأن المساجد لله . و فاعبدون لأن هذه . ولا يجوز تقديم منصوب الفعل عليه إذا كان "أنّ" وصلتها لا تقول : أنّك فاضل

عرفت . و قوله :

ع و ما زرت ليلى أن تكون إلخ

رووه بخفض "دينٍ" عطفا على محل "أن تكون" إذ أصله : لأن تكون .

و قد يجاب بأنه عطف على توهُّم دخول اللام . و قد يعترض بأن الحمل على العطف على المحل أظهر من الحمل على العطف على التوهُّم . و يجاب بأن القواعد لا تثبت بالمحتملات . انتهى كلام ابن هشام بتصرف .

و منها : قول الشاعر :

ع أشارت كليبٍ بالأكفّ الأصابعُ

بجر "كليب" أي إلى كليب . قال السيوطي رحمه الله تعالى : و هذا شاذ و ضرورة .

و منها : قوله :

و كريمة من آل قيس ألفته حتى تبذخ فارتقى الأعلامِ

أي في الأعلام . قال السيوطي : هو ضرورة .

و منها : قوله :

رسمِ دارٍ وقفت في طلله كدت أقضي الحياة من جلله

بجر الميم . أي ربّ رسم دار .

و منها : قوله تعالى : وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . الآية .

و منها : نحو "أزيدِ بن عمرو" بكسر زيد ، في جواب من قال : مررت بزيد . ونحو "هلا دينارٍ" بكسر دينار ، في جواب : جئت بدرهم . حكاهما الأخفش .

و منها : قولهم "أيمُ الله" بخفض الميم بواو قسم مقدّر على قول . كما في الهمع للحافظ السيوطي

رحمه الله تعالى ج٢ ص٤٠ .

و منها : أحد تخاريج قوله تعالى : وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ . على قراءة الجر . ذكره أبوالبقاء عبد الله بن العكبري رحمه الله تعالى في كتاب وجوه إعراب القرآن ج٢ ص٣٩٥ ، المطبوع على هامش تفسير الجمل . حيث قال : و الوجه الثاني : أن يكون جر "الأرجل" بجار محذوف . تقديره : و افعلوا بأرجلكم غَسلاً . و حذف الجار و إبقاء عمله جائز .

و منها : ما ذكره أبوالبقاء رحمه الله تعالى استشهادًا على التخريج السابق للآية من قول الشاعر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً   و لا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها

و قول زهير :

بدالي أنّي لستُ مدرِكَ ما مضٰى   و لا سابقٍ شيئًا إذاكان جائيًا

فجر "ناعب" و "سابق" بتقدير الباء . و ليس بموضع ضرورة . و قد أفردت لهـذه المسألة كتابًا . انتهى كلام أبي البقاء . هذا ما عندي . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أعلى .



الباب الخمسون

من خصائص هذا الاسم العظيم أن حروفه التركيبية حاملة لأنوار مسكية و محتوية على أسرار قدسية . محصول ذلك أن ألف الوصل المحـذوفة في "بسم الله" لاتصال الواحدانية و سلب انفصال الغيرية .

و إن شئت فقل : الألف و اللام لإثبات المتصـل و سلب الشيء المنفصل . و الألف الثانية بين اللام و الهاء لمحو آثار الغير . و الواو في آخر الهاء معناها بهاء الهوية .

اعلَم : أنّ هذه الجمل المذكورة كنايات عند العارفين عن أحوال أسنٰى ، و رموز عند الواصلين إلى غايات أقصٰى ، و إيماضات لدٰى الكاملين من أصحاب الطريقة إلى مقامات أبهٰى .

قال بعض العارفين : أقول : همزة هذا الاسم أي الاسم "الله" المحذوفة بالإضافة تحقيق اتصال الوحدانية و تمحيق انفصال الغيرية . فالألف و اللام الملصقة كما تقدم لتحقيق المتصل و محق المنفصل ، و الألف الموجودة في اللام الثانية لمحو آثار الغير المتحصل ، والواو التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر ، و معناها في الوجود بهاء الهويّة قد انتشر أبداها في عالم الملك بذاتها .

فقال : هو الله الذي لا إلٰه إلّا هو . فبدأ بالهوية و ختم بها ، و ملكها الأمر في الوجود و العدم ، و جعلها دالّة على الحدوث و القدم . وهو آخر ذكر الذاكرين و أعلاه . فرجع العجز على الصدر فلاحت ليلة القدر ، و وقف بوجودها أهل العناية والتاييد على حقائق التوحيد .

فالوجود في نقطة دائرة هـذا الاسم ساكن . و قد اشتمل عليه بحقيقته اشتمال الأماكن على المتمكن الساكن . ولله المثل الأعلى .

والله قد ضرب الأقلّ لنوره إذ مثلاً من المشكاة و النبراس

فقال الله تعالى : وَ كَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا . أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا . و صيَّر الكل اسمًا و مسمًّى . و أرسله مكشوفًا و معمًّى . كذا قال الشيخ الحاتمي رحمه الله تعالى في الفتوحات ج١ ص١٠٤ . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أحكم و أدقّ .

الله اكبر

الباب الحادي و الخمسون
و فيه سبع خصائص

من خصائص هذا الاسم الكريم ما ذكره بعض العارفين من أهل الطريقة . و هو أن أصل هذا الاسم الكريم سبعة أحرف . ففيها إشارة إلى الصفات السبعة الحقيقية لله تعالى . و الإشارة إلى كل صفة خاصة للجلالة مستقلّة . فهنّ سبع خصائص .

إيضاح المرام بحيث ينحلّ به الكلام و يسهل فهمه على الأفهام أنّ هذه الخصائص السبع في الحقيقة سبعة أسرار قدسيّة . و إن شئت فقل : سبعة رموز قلبيّة ، و إشارات مخفيّة ، و إيماءات عليّة .

و تتفرّع هذه الخصائص السبع على سبعة حروف تألّف منها أصل الاسم "الله" وهو "الإله" . و الحروف السبعة هي "ا ، ل ، ا ، ل ، ا ، ه ، و" . الحرف السابع أي حرف الواو إنما يظهر بعد إشباع الهاء .

و أمثال هذه الأسرار لا يستخرجها من الاسم " الله " إلاّ طائفة من السالكين الذاكرين ، ولا يفقهها إلاّ أصحاب العلوم الباطنة ، و لا يفهمها إلاّ أهل الإشارات القدسيّة .

إن قلتَ : ما ملخص تلك الخصائص السبع ؟

قلنا : خلاصتها أن في حروف الجلالة السبعة إشارة إلى صفات الله الحقيقيّة السبع . وقد صرّح الإمام أبوالحسن الأشعري رحمه الله تعالى أنّ صفات الله الحقيقيّة سبع و هي الحياة ، و الإرادة ، و القدرة ، و العلم ، و السمع ، و البصر ، و الكلام .

إن قلتَ : ما كيفيّة هذه الإشارات و ما تفصيل إشارات هذه الحروف السبعة إلى الصفات الحقيقيّة السبع ؟

قلنا : قالوا : إنّ اسم "الله" مركب من سبعة حروف ، وهي "ا ، ل ، ا ،ل ، ا ، ه ، و" . ثم قالوا : إن الألف الأولى إشارة إلى صفة الحياة ، و اللام الأولى إيماء إلى صفة الإرادة ، و الألف الثانية تلميحٌ بالقدرة ، و اللام الثانية كناية عن العلم ، و الألف الثالثة تلويحٌ بالسمع ، و الهاء رمز إلى البصر ، و الواو تعريضٌ بالكلام .

قال الشيخ عبدالكريم رحمه الله تعالى في كتابه الكهف و الرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم ص٢٧ : اسمه "الله" أصله "الإله" ولكن أسقطت الألف الوسطى و أدغمت اللام في التي تليها ، فصارت الكلمة "الله" .

و لكن أصله سبعة أحرف . ستة رقمية ، و السابعة الواو الظاهرة في إشباع الهاء . كما ترى "ا ، ل ، ا ، ل ، ا ، ه ، و" و هي عين السبع الصفات التي هي معنى الألوهة .

فالألف الأولى : هو عين اسمه الحيّ . ألا ترى إلى سريان حياة الله تعالى في جميع الوجود . و قد أظهرنا لك سريان الألف في جميع الحروف .

الحرف الثاني : اللام الأولى وهي الإرادة التي كانت أوّل توجه من الحق في بروز العالم ، لما أشار إليه الحديث بقوله : كنت كنزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف . و ليس الحبّ إلّا الإرادة .

الحرف الثالث : الألف الثانية وهي القدرة السارية في جميع الموجودات الكونية . إذ الموجودات الكونية داخلة تحت سلطان القدرة .

الحرف الرابع : اللام الثانية وهو العِلم ، وهو جمال الله تعالى المتعلق بذاته و بمخلوقاته . فقائمة اللام محل علمه بذاته و تعريفه ، اللام محل علمه بمخلوقاته ، و نفس الحرف عين العلم الجامع .

الحرف الخامس : و هو الألف الثالثة وهي السمع السامع منطوق . و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده .

الحرف السادس : الهاء و هي بصر اللهٰ . دائرة الهاء تدل على إنسان غيبه المحيط الذي ينظر به إلى جميع العالم . و العالم هو البياض الموجود في عين دائرة الهاء .

و في هذا تنبيه إلى أن العالم ليس له وجود إلّا بنظر اللهٰ تعالى إليه . فلو رفع نظـره عـن العالم لفنى بأجمعه . كما أنه لو لم تدر دائرة الهاء على النقطة البيضاء لم يكن للهاء وجود ألبتة . و مع وجودها فهي باقية على ما كانت عليه من العدم . إذ البياض الموجود قبل استدارة الهاء موجود بعده . و كذلك العالم مع الله على حالته التي كانت عليها قبل أن يخلقه اللهٰ سبحانه . فافهم و تامل في هذا السر الغريب . و قس بما ذكرته خارجًا عنك على ما هو في ذاتك . فليس المراد من ذلك إلّا سعادتك و وقوعك على عينك .

الحرف السابع : الواو البارزة عددها في المرتبة السادسة . وهي معنى مشير إلى كلام اللهٰ تعالى . ألا ترى إلى الستّ الجهات التي غاية نهايتها كمال العرش الرحماني المنسوب إلى كل جهة . كيف دخلت تحت حضرة كن .

فكما أن كلام الله تعالى لا نهاية له كذلك المخلوق الداخل تحت حيطة العرش ممكن . ولا نهاية للممكن . فانظر عدم النهاية في الواجب الوجود كيف ظهر بعينه في الممكن الجائز الوجود و العدم .

فهي السبعة الأسماء هي عين معنى اللهٰ و صورته اسمًا و ذاتًا ليست سواه . و هي هي . انتهى كلامه بعينه . فتدبر في مفهومه إن كنت تفهمه .

و أمّا معنى سريان الألف في سائر الحروف فما قال أيضًا في هذا الكتاب بالرموز و التلويحات و هو :

إن النقطة في بعض الأحرف أشد ظهورًا منها في بعضها . فتظهـر في بعض زائدة عليها يكون تكميل ذلك الحرف بها كالحروف المعجمة ، فإن تكميلها بها . و تظهر في بعض عينها كالألف و الحروف المهملة ، لأنها مركبة من النقطة .

و لهذا كان الألف أشرف من الباء لظهور النقطة في عينه . و ما ظهرت النقطة في الباء إلّا على حسب تكميله على وجه الاتحاد ، لأن نقطة الحرف من تمام الحرف . فهو متحـد بالحرف . و الاتحاد يشعر بالغيرية . و هو ذاك الفصل الذي تراه بين الحرف و بين النقطة .

و الألف مقامه مقام الواحد بنفسه . و لهذا كان حرف الألف ظاهرًا بنفسه في كل حرف . كما تقول : إن الباء ألف مبسوطة ، و الجيم ألف معوّجة الطرفين ، و الدال ألف منحني الوسط ، و الألف في مقام النقطة لتركيب كل حرف منها . و كل حرف مركب من النقطة .

فالنقطة لكل حرف كالجوهر البسيط ، و الحرف كالجسم المركب ، فمقام الألف بجسمه مقام النقطة .

و قال في موضع آخر من هذا الكتاب ص١٣ : إن مقام الألف التصور بصورة كل حرف . إذ الباء ألف مبسوطة ، و الجيم ألف معوج الطرفين ، و الدال و الراء ألف منحني الوسط ، والشين أربع ألفات كل سنة منها ألف ، و التعريجة ألف منحن مبسوطة . و على هذا قياس الباقي . هذا في الصورة .

و أمّا في المعنى فلابد من وجود الألف في كل حرف لفظًا إذا هجيته ، يقال : "باء" و "ألف" . و "الجيم" إذا هجّيته تقول "جيم" "ياء" "ميم" . فالياء المثناة التحتية موجود فيها الألف .

فالألف موجودة في كل حرف صورة و معنى ، لأنه تنزل إلى النقطة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة . فله كل ما للنقطة في عالم الشهادة . انتهى بلفظه .

هذا الكلام من رموز أهل الطريقة الصافية . و فهمه باستمداد العلوم الظاهرة عسير . و يجب علينا اتباع الأمرين النيّرين الهاديين الكتاب و السنة و ما وافقهما و ردّ ما خالفهما . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الثاني و الخمسون

من خصائص هذا الاسم الكريم ذكر له بطريق مخصوص يسمى عند السالكين من أهل الطريقة ذكر البساط و شغل البساط ، لتحقق الانبساط النوري وانمحاء وجود السالك في هذا النور الرحماني القدسي . و هذا الذكر القلبي التصوري يتعلق بحرف الهاء آخر حروفه . و قالوا : إن هاء الجلالة مختصرة من كلمة "هو" . و قال البعض : إنّ أصل الجلالة إنما هو "هو" دون "إله" و تفصيله في باب آخر من هذا الكتاب .

و الشيخ المشهور خواجه معين الدين الهندي العارف بالله أوّل من اشتغل بهذا الطريق من الذكر . و إيضاحه أن في أم الدماغ نقطة مضيئة مثل الشمس . و تسمّى هي عندهم القلب المدور . و يسميه البعض أخفى . و على اعتبار هذه النقطة و النظر إليها عند الذكر يدور هذا الشغل .

و قالوا : إن هذا الطريق وقع في قلب خواجه معين الدين رحمه الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم بغير توسط واسطة رجل آخر . لقّنه النبي صلى الله عليه وسلم إياه في مبشّرة . فحصل ببركة هذا الشغل لخواجه معين الدين رحمه الله تعالى الترقّي الروحاني و المعراج المعنوي . و من هذا قالوا : إن العِلم نقطة .

و طريقه أن يغمض الذاكر عينيه متصلاً لسانه بالحنك الأعلى ، حابسًا نفسه في أم الدماغ ، و يتخيل بقوة همته حلقة لفظة الهاء من "هو" مثل الشمس النيرة المتلونة بشيء من الحمرة المائلة إلى السواد و بالعكس ، مثل نون حدقة العين .

و أيضًا يتصور أن هذه الحلقة المدوّرة حلقة الهاء المذكورة منبسطة محيطة بجميع الأعضاء ، و أن بدن السالك الذاكر كأنه انمحى و انعدم ، و قام مقامه وجود هذه الحلقة النورانية دائرة الهاء من

لفظة "هو" التي هي الذات المنزهة من الجهات و الكيفيات ، أعني النور الخاص للذات المنزهة . كذا قال الشيخ إمداد الله المكي رحمه الله تعالى في ضياء القلوب ص٢١ . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أوسع و أتمّ .



الباب الثالث و الخمسون

من خواص اسم "الله" الكريم من بين الأعلام المفردة أنه لاينكَّر بل لا يكاد ينكَّر . ولا نظير له في ذلك في الأعلام المفردة حيث يصح أن ينكَّر كل عَلَم مفرد . صرح به الرضي وغيره من العلماء .

و باسم "الله" قدحوا في قول المبرد حيث قال : إن الأعلام كلها تنكر عند دخول "يا" عليها كراهة اجتماع المعرِّفين .

قال الرضي في بحث المنادى المعرف بأل ج١ ص١٢٢ : و قال المبرد في الأعلام : إنها تنكر ثم تعرَّف بحرف النداء . و لا يتم ما قاله في " يا الله " و "يا عبد الله" . انتهى .

و وجه ذلك أن تنكير العلَم إنما يكون للاشتراك فيه . و أنت تعلم أن اسم "الله" تعالى مسمّاه لا يحتمل الاشتراك . و هل تعلم له سميًّا . فلا شريك له كما أن مسمّاه كذلك .

وأجمع المسلمون بل جميع الأمم من أهل الكتاب والمشركين على منع تسمية غير الله باسم الجلالة .

فائدة مهمة في تنكير الأعلام

اعلم : أن تنكير العَلَم قد يكون تحقيقًا نحو : رأيت زيدًا من الزيدين ، و ما من زيد كزيد بن ثابت . و قد يكون تقديرًا كقول أبي سفيان : لا قريش بعد اليوم . و قول بعض العرب : لا بصرة لكم . و حينئذ يثنى و يجمع و تدخله "أل" و يضاف . كذا في الهمع .

و قال الرضي في بحث العلم من المعرفة ج٢ ص١٠٩ : و قد ينكَّر العلَم قليلاً . فإما أن يستعمل بعد على التنكير نحو : رب زيد لقيته . و قولك : لكل فرعون موسى . لأن "ربّ" و "كل" من خواص

النكرات أو تعرَّف . و ذلك بأن يأوَّل بواحد من الجماعة المسماة به فيدخل عليه "اللام" كقوله .

رأيت الوليـد بن اليزيد مباركًا شديدًا بأحناء الخلافة كاهله

أو الإضافة نحو قوله :

علا زيدُنا يوم النقا رأسَ زيدكم بأبيض ماضي الشفرتين يمـانِ

و هي أكثر من اللام . وقد يضاف العلَم مع بقاء تعريفه كما مرّ في باب الإضافة . نحو "زيد الخيل" و "انمار الشاء" و "مضر الحمراء" إذ لم يكن اشتراك في الأعلام .

و إذا ثنّي العلَم أو جمع فلابد من زوال التعريف العلَمي . لأن هذا التعريف إنما كان بسبب وضع اللفظ على معين . والعلَم المثنى أو المجموع ليس موضوعًا إلاّ في أسماء معدودة . فإذا زال التعريف العلَمي و قد قلنا إن تنكير الأعلام قليل وجب على قول المصنف أي ابن الحاجب أن يجبر ذلك التعريف الفائت بأخصر أداتي التعريف و هي اللام . فلا يكون مثنى العلَم و مجموعه إلاّ معرفين باللام العهدية . كما قلنا في نحو قولك "خرج القاضي" إذا لم يكن في البلد غيره ، أو كان أشهر بحيث يرجع مطلق اللفظ إليه .

و ابن يعيش لا يوجب جبر التعريف الفائت في المثنى والمجموع . بل يجبر تنكيرهما بوصفهما بالنكرة . و الاستقراء يقوّي مذهبَ المصنف مع القياس ، و أجري مجرى العلَم الحقيقي العلَم اللفظي . فقيل في تثنية أسامة و جمعه : الأسامتان و الأسامات .

فإن قيل : فعلى ما قرّرتَ تنكير العلَم من لوازم تثنيته و جمعه و تنكيره قليل مخالف للقياس ، فوجب قلّتهما أيضًا و ليس كذلك .

قيل : العلَم واقع في كلامهم كثيرًا . فلو لم يثنوه ولم يجمعوه لأدّى إلى ما كرهوه من مثل : جاءني رجل و رجل و رجل . و لما علموا أنهم إذا ثنوه و جمعوه أدّى إلى تنكيره الذي هو قليل مخالف للقياس ، قصدوا إلى تثنيته و جمعه على وجه يراعى فيه ما يندفع به ذلك . فجبروا التعريف الزائل بإلزامه اللام لزوم التعريف العلَمي له . فكان فيه توفية الأمرين جميعًا : الخلاص من التكرير الشنيع ، و حفظ العلَم عن التنكير بتعريف آخر ، و إن كان التعريفان متغايرين لكنه غاية المجهود .

و قد جاء بعض المثنى و المجموع غير مجبور باللام . و ذلك في أشياء مشتركة في الأسماء لازم تصاحبها ، كأبانَين ، لجبلين متقابلين . يقال لأحدهما : أبان الريّان ، لكثرة الماء فيه . و للآخر : أبان العطشان ، لقلّة الماء فيه . وكذلك عمايتان ، جبلان لهذيل متقاربان . اسم كل واحد منهما عماية . و كذلك جماديان .

و إنما جاز تجريد هذه الأسماء من اللام لأن أحد الجبلين مثلاً لمّا لم ينفرد من الآخر جاز أن يكونا كالشيء الواحد المسمى بالمثنى ، كما تسمى مثلاً شخصًا بزيدان . بخلاف شخصين مسمًّى كل واحد منهما بزيد فإن الأغلب فيهما لمّا كان هو الانفكاك لم يكونا كشخص مسمًّى بالمثنى حتى يقال لهما زيدان .

و "عرفات" كأبانين و عمايتين . فإن كل موضع منها كان يسمى عرفة . فقيل عرفات للمجموع . و أما "أذرعات" لبلد بالشام فليس من هذا . إذ لا يقال لبعض منه : أذرعة . بل هو كمساجد موضوعًا لشخص معين .

و في الأشباه ج٢ ص٨٦ : ما لا يمكن تنكيره من المعارف كالمضمرات وأسماء الإشارة لاتجوز إضافته ، لملازمته القرينة الدالة على تعريفه وضعًا . و أمّا الأعلام فالقياس عدم إضافتها و عدم دخول اللام عليها لاستغنائها بالتعريف الوضعي عن التعريف بالقرينة الزائدة . و الاشتراك فيها يكون اتفاقيًّا غير مقصود للواضع .

و اشتراك النكرات يكون مقصودًا له . و النكرات تشترك في حقيقة واحدة . الأعلام تشترك في اللفظ دون الحقيقة . و كل حقيقة تتميز بوضع غير الوضع للحقيقة الأخرى . بخلاف وضع اللفظ على النكرات . ولذلك كان "الزيدان" يدل على الاشتراك في الاسم دون الحقيقة ، و "الرجلان" يدل على الاشتراك في الاسم و الحقيقة .

وقد جاء إدخال اللام عليها و إضافتها إلحاقًا للاشتراك الاتفاقي بالاشتراك الوضعي . و كأنه تخيل في تنكيرها اشتراكها في مسمى هذا اللفظ . فإذا اتفق جماعة اسم كل واحد منهم زيد فكل واحد منهم فرد من يسمى بزيد . فلهذا القدر من التنكير صح تعريفه باللام و إضافته في قوله :

ع باعد أمّ العمرو من أسيرها

و قوله :

ع علا زيدُنا يوم النقا رأسَ زيدكم

و اجتمع اللام و الإضافة في قوله :

و قدكان منهم حاجب و ابن مامة أبو جندل و الزيد زيد المعارك

قال في البسيط : والإضافة في الأعلام أكثر من تعريف اللام . و إنما كثرت ولم يكن استقباحها كاستقباح دخول اللام لوجهين : أحدهما : التأنيس بكثرة الأعلام المسماة بالمضاف والمضاف إليه كعبدالله و عبدالرحمن و الكنٰى . فلم تكن الإضافة والعلَم متنافيين . و الثاني : أنه قد عهد من الإضافة عدم التعريف بها في المنفصلة . فلم تستنكر كاستنكار دخول اللام التي لا يكون ما تدخل عليه نكرة و إن وجد ، كأرسلها العراك . و أدخلوا الأوّل فالأوّل . فهو قليل بالنسبة إلى الإضافة اللفظية التي لا تفيد التعريف .

و **قال** ابن يعيش في بيان تنكير العلَم ثم إضافته : إذا أضفتَ العلَم سلبته تعريف العلَمية وكسوته بعد تعريفًا إضافيًّا ، و جرٰى مجرٰى أخيك و غلامك في تعريفهما بالإضافة كقوله :

ع علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم

قال : و إذا أضيف العلَم إلى اللقب صار كالاسم الواحد و سلب ما فيه من تعريف العلَمية ، كما إذا أضيف إلى غير اللقب و صار التعريف بالإضافة . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجل و أتم و أحكم .



الباب الرابع و الخمسون
و فيه خاصّتان

من خصائص هذا الاسم الشريف أن ذكره أعظم الأذكار و أكبرها . هذه خاصة واحدة .

و أيضًا أن ذكر هذا الاسم الشريف بخصوصه ذكرًا كثيرًا مأمور من الله تعالى و أحب إليه . و هذه خاصة ثانية .

قال الله تعالى : وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . الجمعة . فأضاف الله تعالى كثرة الذكر و تكراره إلى هذا الاسم الشريف . و هذا يهدينا بطريق الإشارة أن ذكر الله تعالى بهذا الاسم بأيّ طريق كان أي سواء كان مفردًا أو مركبًا أحبّ إلى الله تعالى .

و قال الله تعالى في كتابه : وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ . فأضاف الذكر إلى هـذا الاسم الكريم ، و حكم عليه بأنه أكبر من كل ذكر .

و لكون هذ الذكر أحبّ إليه تعالى و أكبر عنده جعله الله تعالى قيامًا للعالم بقضّه و قضيضه . فبقاء ذكر الله بقاء العالم و انتفاؤه فناء العالم . و في الحديث المرفوع : لا تقوم الساعة و على وجه الأرض من يقول "ألله ، ألله" .

قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله في كتابه الجواهر و الدرر من علوم شيخه عليّ الخواص رحمه الله ص٣٢٢ : و سمعت شيخي عليًّا الخواص يقول في حديث "لا تقوم الساعة و على وجه الأرض من يقول : ألله ، ألله . " : المراد به الإنسان الكامل وحده في كل زمان . و هو الذي يكون لو قدر أن جميع

العالم غفل عن الله عَزَّوَجَلَّ قام ذكر هذا الكامل مقام ذكر الكلّ .

فقلت : فلم كرّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاسم العظيم بقوله "ألله ، ألله" ولم يكتف بذكره مرة واحدة ؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : إنما كرّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاسم مرتين ليثبت لنا بذلك أنه ذكر على الانفراد فإنه لم ينعته بشيء و سكن الهاء منه . فكان ذلك كالتفسير لقوله تعالى : ٱذۡكُرُوا ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا . أي كرّروا هذا الاسم كثيرًا .

و نظير ذلك قوله تعالى : وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ . أي ذكركم الاسم "الله" أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروع الطالبة لوجود الأغيار كالرحمن و الغفور و الرزاق و نحوها .

فما في الأذكار كلها أعظم فائدة من ذكر الاسم "الله" لأنه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحدًا من الأغيار المشهودة في هذا العالم . و لولا أن نقول : الله ، الله . له حفظُ العالم لم يقرن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوال الكون بزوال من يذكر به . ولذلك أيضًا اتّخذه الكمل من العارفين وِردًا لهم لا يخف على لسانهم اسم مثله . لأنهم لا يشهدون شيئا من الأسماء لا يفرق غيره .

فقلت له : فهل لنا الذكر بقولنا "هو ، هو" أو "ذا ، ذا" أو "كا ، كا" أو نحو ذلك من أسماء الإشارة ؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : نعم . لنا الذكر بذلك بشرط الحضور . خلافا للغزالي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيما عدا الذكر "بهو" فإنه قال : إن "ذا" و "كا" يطلب التحديد . و كان الحلاّج يقول : إنما منع من ذلك من لا ذوق له في الطريق . إذ التحديد لا ينفك عنه عاقل . انتهى .

و قال في اليواقيت ج١ ص٧٩ : وكان سيدي عليّ بن وفا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يذهب إلى التفاضل في الأسماء . و يقول في قوله تعالى "وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا" : و هو الاسم "الله" فإنه أعلى مرتبة من سائر الأسماء . و لذلك تقدم في التسمية و في نحو قوله : ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ . على ما ذكر ما يعطف عليه من الأسماء . و أجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء كلها . قال : و نظير ذلك أيضًا "وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ" أي ولذكر الاسم "الله" أكبر من ذكر سائر الأسماء . انتهى .

قال بعض أهل الطريق عند بيان الآثار : و أمّا الأثر الرابع فكقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تقوم الساعة و على

وجه الأرض من يقول "الله ، الله" فأتى به مرتين ولم يكتف بواحدة و أثبت بذلك أنه ذكر على الانفراد . ولم ينعته بشيء و سكن الهاء من الاسم . و هو تفسير لقوله تعالى : ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . و هو تكرار هذا الاسم . و قوله : وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ . ولم يذكر إلّا الاسم "الله" خاصة .

و هو مأمور من الله أن يبين للناس ما نزل إليهم . فلولا أن قول الإنسان "الله ، الله" له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر لم يقرن بزواله زوال الكون الذي زال منه و هو الدنيا .

و هذا الاسم الشريف كان ذكرنا و ذكر شيخنا الذي دخلنا عليه . و ما في فوائد الأذكار أعظم من فائدته . فلما قال الحق "وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ" ولم يذكر صورة ذكر آخر مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية فاتخذه الله ذكرًا وحده . فأنتج لهم في قلوبهم أمرًا عظيما لم ينتجه غيره من الأذكار .

فإن بعض العلماء بالرسوم لم ير هذا الذكر لارتفاع الفائدة عنده فيه . إذ كل مبتدأ لابدّ له من خبر . فيقال له : لا يلزم ذلك في اللفظ . بل لابدّ له من فائدة . و قد ظهرت في الذاكر به حين ذكره بهذه الكلمة خاصة . فنتج له في باطنه من نور الكشف ما لاينتجه غيره . بل له خبر ظاهر لا في اللفظ . كإضافة إلى تنزيه أو ثناء بفعل . و معلوم أنه إذا ذكر أمر مّا ثم ذكر أمر ما و كرّر على طريق التاكيد له أنه يعطي من الفائدة ما لايعطيه من ليس له هذا الحكم ولا قصد به . فهو أسرع وأنجح في طلب الأمور . فلا عبث في العالم جملة واحدة . انتهى ما في الفتوحات ج٣ ص٣٩٩ .

و أيضًا قال في الفتوحات ج٢ ص١١٩ ، ما حاصله : أن ذكر الله في الصلاة و غيرها إنما كان أكبر ببركة هذا الاسم . ولذا لم يضف الذكر إلّا إليـه . و وجه ذلك أن هذا الاسم يتضمن جميع الأسماء الإلهية ولا يتضمنه اسم آخر . و هذا كلامه قال :

السؤال الثامن و العشرون و مائة : ما ذكره الذي يقول : وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ؟

الجواب : ذكره نفسه لنفسه بنفسه أكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه . اعلم : أن الله ما قال هذا الذكر و وصفه بهذه الصفة من الكبرياء إلّا في قوله تعالى : إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ . لأجل ما فيها من الإحرام ، و هو المنع من التصرف في شيء مما يغاير كون فاعله مصلّيًا .

فهي تنهى عن الفحشاء و المنكر ، و لا تنهى عن غيرها من الطاعات فيها مما لايخرجك فعله عن

أن تكون مصليا شرعًا . فيكون قوله : و لذكر الله فيها أكبر أعمالها و أكبر أحوالها . إذ الصلاة تشتمل على أقوال و أفعال . فتحريك اللسان بالذكر من المصلّي من جملة أفعال الصلاة . و القول المسموع من هذا التحريك هو من أقوال الصلاة . و ليس في أقوالها شيء يخرج عن ذكر الله في حال قيام و ركوع و رفع و خفض إلّا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسأله أن يعطيكها مثل "اهدني" و "ارزقني" و لكن هو ذكر شرعًا لله .

ثم إن قوله تعالى : وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ . هذه الإضافة تكون من كونه ذاكرًا و من كونه مذكورًا . فهو أكبر الذاكرين و هو أكبر المذكورين . و ذكره أكبر الأذكار التي تظهر في المظاهر . فالذكر و إن لم يخرج عنه فإن الله تعالى قد جعل بعضه أكبر من بعض .

ثم يتوجّه فيه قصد آخر من أجل الاسم "الله" فيقول : و لذكر الله بهذا الاسم الذي ينعت ولا ينعت به و يتضمن جميع الأسماء الحسنى ولا يتضمنه شيء في حكم الدلالة أكبر من كل اسم تذكره به سبحانه من رحيم و غفور و ربّ و شكور و غير ذلك . فإنه لا يعطي في الدلالة ما يعطي الاسم "الله" لوجود اشتراك في جميع الأسماء كلها .

هذا إذا أخذنا "أكبر" بطريق أفعل من كذا . فإن لم نأخذها على أفعل من كذا فيكون إخبارًا عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأيّ اسم ذكر . وهو أولى بالجناب الإلهي و إن كان الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى : وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ .

فإن كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله من فرقان و توراة و زبور و إنجيل و صحيفة عند كل عارف بذلك اللسان . فإنه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأوّل لعلمه الإحاطي سبحانه بجميع الوجوه . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أحكم و أتمّ و أعلى .



الباب الخامس و الخمسون
و فيه من الخصائص ثمانٍ

من خصائص اسم "الله" الشريف تفخيم لامه بعد الضمة و الفتحة ، و ترقيقها بعد الكسرة . ولا يفخّم ما سوى هذه اللام عند عامة القراء . فهاتان خاصّتان أي التفخيم و الترقيق .

قال نجم الأئمّة الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٧٩ عند عدّ خواص اسم "الله" : و منها تفخيم لامه بعد الضم و الفتح و ترقيقها بعد الكسر . انتهى .

قال الشيخ ابن الشجري في أماليه ج٢ ص١٤ : و خصّوا اسم "الله" بشيء لم يسمع في غيره ، وهو تفخيم لامه تعظيمًا وتنويهًا به . ذلك إذا وقعت بعد ضمة أو فتحة كقولك : يقول الله ، و قال الله . و يفعلون ذلك إذا ابتدؤا به . لأن همزة لام التعريف مفتوحة . و هذا التفخيم معدوم في اللات و ما قاربها كالتي واللاتي . فإن جيء به بعد كسرة رقّقوا لامه لموافقة الترقيق للكسر . انتهى .

و في الكشاف : فإن قلت : هل تفخَّم لامه ؟ قلت : نعم . قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة ، و على ذلك العرب كلهم ، و إطباقهم عليه أنهم ورثوه كابرًا عن كابر . انتهى كلامه .

و قيل : تفخَّم مطلقا سواء كانت قبلها كسرة أو فتحة أو ضمة كما في تفسير المحقق القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى .

أقول : فالتفخيم بعد الكسرة باعتبار هذا القيل خاصة ثالثة ، و بعد الراء الممالة خاصة رابعة ، كما سيجيء بيانها .

ثم تتحقق هذه الخصائص الأربع في "اللّٰهم" أي بعد لحوق الميم أيضًا . فمجموع الخصائص في هذا الباب ثمانٍ . ولك أن تعدّهنّ أربعًا فقط . و لكل وجهة هو مولّيها . و في المثل السائر : أعطِ القوس باريها .

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في لاميته :

وكلّ لدٰى اسم الله من بعدكسرة يرقّقها حتى يروق مرتّلا
كما فخّموه بعد فتح و ضمّة فتمّ نظامُ الشّمْلِ وصلاً و فيصلاً

قال الشيخ أبوالقاسم عليّ بن عثمان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في شرحها سراج القاري ص١٥٤ : أخبر أي الشيخ المصنّف أن كل القراء متفقون على ترقيق اللام من اسم"الله" تعالى مسمّاه إذا وقعت بعد كسرة نحو "بسم الله" و "بالله" و "ما يفتح الله" . ثم قال : حتى يروق مرتلاً . أي يروق اللفظ في حال ترتيله . ثم قال : كما فخّموه بعد فتح و ضمة . أي و أجمعوا أيضًا على تفخيم لام اسم "الله" بعد الفتحة و الضمة . وكذلك إذا ابتدئ به . انتهى كلامه .

و في نهاية القول المفيد في علم التجويد للعلامة الشيخ محمد مكي نصر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ص١٠٠ : اعلم : أن تغليظ اللام على قسمين : متفق عليه ومختلف فيه . فالمتفق عليه تغليظها من اسم "الله" و إن زيد عليه الميم بعد فتحة و ضمة نحو "قال الله" و "يقول الله" قصدًا لتعظيم هذاالاسم الأعظم . ولأن موجب الترقيق معدوم ، و الفتحة و الضمة يستعليان في الحنك ، و الاستعلاء خفيف ، فإن كان قبلها كسرة محضة فلا خلاف في ترقيقها . (قلت : بل فيه خلاف كما ذكرنا سابقًا) وإنما رقّقت بعد الكسرة كراهة التصعّد بعد التسفّل و استثقالاً له .

و اختلف فيما وقع بعد الراء الممالة . و ذلك في رواية السوسي في قوله "نَرَى ٱللَّهَ" و "سَيَرَى ٱللَّهُ" . فيجوز تفخيم اللام لعدم وجود الكسر الخالص قبلها و ترقيقها لعدم وجود الفتح الخالص . و الأوّل اختيار السخاوي و الشاطبي . و نص على الثاني الشيخ الداني في جامعه و قال : إنه القياس . والوجهان صحيحان مأخوذ بهما . انتهى ما في القول المفيد .

و في غيث النفع في القراءات السبع للشيخ عليّ النوري الصفاقسي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ص١٥٢ في بيان

قوله تعالى "وَ سَيَرَى ٱللَّهُ" و "فَسَيَرَى ٱللَّهُ" : و إذا فتح فخّم لام الجلالة . و إذا أمال فله التفخيم و الترقيق ، لأن الإمالة ليست بكسر خالص ولا فتح خالص . انتهى .

فإن قلت : لم لم تفخّم لام السلام ، لأنه من أسماء الله تعالى ؟

قلت : نعم . لكن الأوّل أي "الله" يدل على الذات بالمنطوق ، و للفرق بينه و بين اللات في الوقف بالهاء مع عدم المنافرة . كذا في نهاية القول .

و أمّا تغليظ اللام المختلف فيه فكل لام مفتوحة متوسطة أو متطرفة قبلها صاد أو طاء أو ظاء ، سواء فتحت هـذه الثلاث أو سكنت ، خفّفت أو شدّدت نحو "عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ" و "أَصْلَحُوا" و "مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ" و "ظَلَمُوا" فقرأ ورش من طريق الأزرق بتغليظ اللام التالية لهذه الثلاثة من ذلك كله .

أمّا إذا كانت اللام مضمومة أو مكسورة أو ساكنة نحو "لَظَلُّوا" "مَن ظَلَمَ" "يَصْلَىٰ" فإن اللام ترقّق لا غير . وكذلك إذا كانت هذه الأحرف مضمومة أو مكسورة نحو "ظُلَلٍ" و "ظِلَالٍ" فالترقيق لا غير . كذا في سراج القاري و النهاية .

قال الإمام المرعشي رَحِمَهُ اللَّهُ : وينبغي أن يزاد في هذا الضرب في تجويد الحرف المشدّد اللام المفخمة في اسم "الله" عزّ مسمّاه و جلّ . لما نقل عن الرعاية أنه إذا كان المشدد مفخّما للتعظيم و الإجلال نحو "قال الله" و شبهه وجب على القارئ أن يظهر التشديد إظهارًا متمكنا ليظهر التفخيم في اللام . و ليس في كلام العرب لام أظهر تفخيمًا و أشدّ تعظيما من اللام في اسم "الله" تعالى مسمّاه . لأنه فخّم لأجل التعظيم و الإجلال . و ذلك إذا كان قبل اللام فتح أو ضم . انتهى .

و في المنح الفكرية في شرح قول الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ :

و فخِّم اللام من اسم الله عن فتح أو ضم كعبـد الله

"من اسم الله" أي لا من غير اسم "الله" . إلاّ في قاعدة ورش لبعض اللامات . ثم اللام أصلها الترقيق عكس الراء عند أهل التحقيق . فلا تفخيم إلاّ لموجب . و من ثم كان المانع في الراء عن التفخيم أو الترقيق سببًا لأحدهما في اللام . فتكون بعد ضمة أو فتحة مفخمة لمناسبة الفتحة والضمة التفخيم المناسب للفظ

"الله" من التعظيم . لكونه الاسم الأعظم عند الجمهور المعظم . و إن وقعت بعد إمالة كبرى أي محضة و ذلك في قراءة السوسي فوجهان : نحو "حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً" التفخيم ، و به قرأ أبوالعباس . و الترقيق ، و به قرأ عبدالباقي .

و قيل : إنما فخّمت اللام من لفظة الجلالة فرقًا بينه وبين سائر اللامات . ولعل مراده أن التفخيم إنما هو لمجرد التعظيم . و هو لا ينافي ما ذكر من أنّ وجه تفخيمها فيما ذكر هو نقل السلف و الخلف و توارثهم ذلك كابرًا عن كابر من غير نكير ناكر . انتهى بخلاصته .

فائدة

تفخَّم لام "الله" في مثل "ها الله" و "آلله" باجتماع الساكنين أي فيما تقدمها ساكن قبله فتحة ، كما تفخّم الراء في نحو "الدار" عند الوقف عليها ، و ترقّق في مثل "إي الله" باجتماع الساكنين الياء الساكنة من حرف الإيجاب و لام "الله" أي فيما تقدمها ساكن قبله كسرة ، كما ترقّق الراء في "الخبير" وقفًا . هذا .

فصل
في تفصيل الحروف التي تفخّم أو ترقّق

اعلم : أن الحروف ضربان : مستعلية أي ما يرتفع اللسان عند النطق به إلى الحنك الأعلى . و هي سبعة يجمعها قولهم : خص ضغط قظ . و الضرب الثاني : المستفلة أي ما لايستعلي اللسان بها إلى الحنك الأعلى عند النطق . وهي ما عدا حروف الاستعلاء .

و حروف الاستعلاء كلها مفخمة لا يستثنى شيء منها في حال من الأحوال سواء كانت متحركة أو ساكنة . و أعلاها في التفخيم حروف الإطباق الأربعة "الصاد و الضاد و الطاء و الظاء" .

و أمّا حروف الاستفال فلا يجوز تفخيم شيء منها إلّا الراء و اللام في بعض أحوالهما ، و إلّا الألف المدّية فإنها تابعة لما قبلها . فإذا وقعت بعد الحرف المفخّم تفخّم . وإذا وقعت بعد الحرف المرقّق ترقّق . لأن الألف ليس فيها عمل عضو أصلا حتى يوصف بالترقيق أو التفخيم .

قال المرعشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته : ولمّا كان في الياء و الواو المدّين عمل عضو في الجملة كما سبق لم يكونا تابعين لما قبلهما . بل هما مرقّقان في كل حال . كذا يفهم من إطلاقاتهم . انتهى كلامه .

و قال أيضًا في حاشيته على رسالته : و لعل الحق أن الواو المدّية تفخّم بعد الحرف المفخم . وذلك لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو "الطور" و "الصور" و "قوا" لا يمكن إلّا بإشرابها صوت الياء المدّية بأن يحرك وسط اللسان إلى الحنك ،كما يشهد به الوجدان الصادق . مع أن الواو ليس فيه عمل للسان أصلا . و قد رجوت أن يوجد التصريح بذلك أو الإشارة إليه في كتب هذا الفن . لكن أعياني الطلب . فمن وجده فليكتبه هنا . و أمّا الياء المدّية فلا شك في أنها مرققة في كل حال . انتهى . كذا في نهاية القول المفيد .

و في مقدمة الشيخ العلامة القارئ الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فرقّقن مستفلاً من أحرف و حاذِرن تفخيم لفظ الألف

قال الملا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قوله "و حاذرن تفخيم إلخ" إذا وقعت بعد حرف مستفل . و إذا كانت بعد حرف مستعل فإنها تكون تابعة له في التفخيم ، بناء على القاعدة المقررة من أن الألف لازمة للحرف الذي قبلها بدليل وجودها بوجوده و عدمها بعدمه . و لذلك لا يكون قبل الألف إلّا مفتوح .

فحيث كانت مع حرف مستعل أو شبهه مما يستحق التفخيم كالراء استعلت الألف للزومها له ففخّمت . و حيث كانت مع حرف مستفل استفلت الألف للزومها له فرقّقت . قال ابن المصنف : ولا اعتبار بقول من قال : ينبغي المحافظة على ترقيق الألف . خصوصًا إذا جاءت بعد حروف الاستعلاء . انتهى .

و به يعلم ضعف ما مشى عليه المصنف في التمهيد و جزم به شيخه ابن الجندي حيث قال : إن تفخيمها بعد حروف الاستعلاء خطأ . انتهى . فلا ينبغي حمل كلامه هذا على إطلاقه كما جوّزه بعض الشراح . فإن المصنف صنّف التمهيد أوّلاً في سن البلوغ . و العمدة على تصنيفه النشر . فإنه وقع آخرًا . و هو الحق كما جزم به القسطلاني .

وقال الشارح الرومي : لما اشتهر عند بعض الأعجام لاسيما الأروام تفخيم الألف حيث يصيّرونها

كالواو أمر بالتحرز عن مثل هذا التفخيم لا عن تفخيمها مطلقا ، لما سبق أن الألف بعد الحرف المستعلى تفخم اتفاقًا . انتهى . والله أعلم .

فصل
في حقيقة التفخيم و الترقيق

اعلم : أن التفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف ، أي صوته ، فيمتلئ الفم بصداه . والتفخيم و التسمين و التجسيم و التغليظ بمعنى واحد عند علماء القراءة . لكن المستعمل في "اللام" التغليظ و في "الراء" التفخيم . والترقيق عبارة عن نُحول يدخل جسم الحرف ، فلا يمتلئ الفم بصداه . كذا في النهاية .

إن قلت : ما معنى الحديث المعروف وهو "نزل القرآن بالتفخيم" ؟

قلنا : في معناه و المرادبه أقاويل متعدّدة للعلماء :

فقيل : التفخيم في الحديث معناه ما يقابل الإمالة . و هؤلاء كرهوا الإمالة في القرآن .

و قيل : إنه نزل أوّلًا بالتفخيم ثم رخّص بالإمالة .

و قيل : معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء .

و قيل : إن معناه أنه أنزل بالشدة و الغلظة على المشركين . قال في جمال القراء : و هو بعيد في تفسير الخبر ، لأنه نزل أيضًا بالرحمة و الرأفة .

و قيل : إن معناه بالتعظيم و التبجيل . أي عظّموه و بجّلوه . فحضّ بذلك على تعظيم القرآن و تبجيله .

و قيل : إن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضم و الكسر في المواضع المختلف فيها دون إسكانها . لأنه أشبع لها و أفخم .

قال الشيخ الداني رحمه الله : وكذا جاء مفسرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما . ثم قال : حدثنا ابن خافان

حدثنا أحمد بن محمد حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا القاسم سمعت الكسائي يخبر عن سلمان عن الزهري قال : قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : نزل القرآن بالتثقيل و التفخيم . نحو قوله : الجمعة . و أشباه ذلك من التثقيل . ثم أورد حديث الحاكم عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا : نزل القرآن بالتفخيم .

قال محمد بن مقاتل أحد رواته : سمعت عمارًا يقول : عذرًا نذرًا و الصدفين . يعني بتحريك الأوسط في ذلك . قال : و يؤيده قول أبي عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلّا حرفًا واحدًا "عشرة" فإنهم يجزمونه . وأهل نجد يتركون التفخيم في الكلام إلّا هذا الحرف فإنهم يقولون "عشرة" بالكسر .

قال الداني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر . كذا في الإتقان . هذا . والله أعلم بالصواب و الحقائق و أعلم بالأسرار و الدقائق و علمه أوسع و أتمّ .

تم الجزء الأوّل ويليه الجزء الثاني وأوّله الباب السادس والخمسون



الفهــرس

تمّ الفهرس للجزء الأوّل



بحلّ إشكال التّشبيه العظيم

فی حديث : "كما صلّيتَ على إبراهيم"

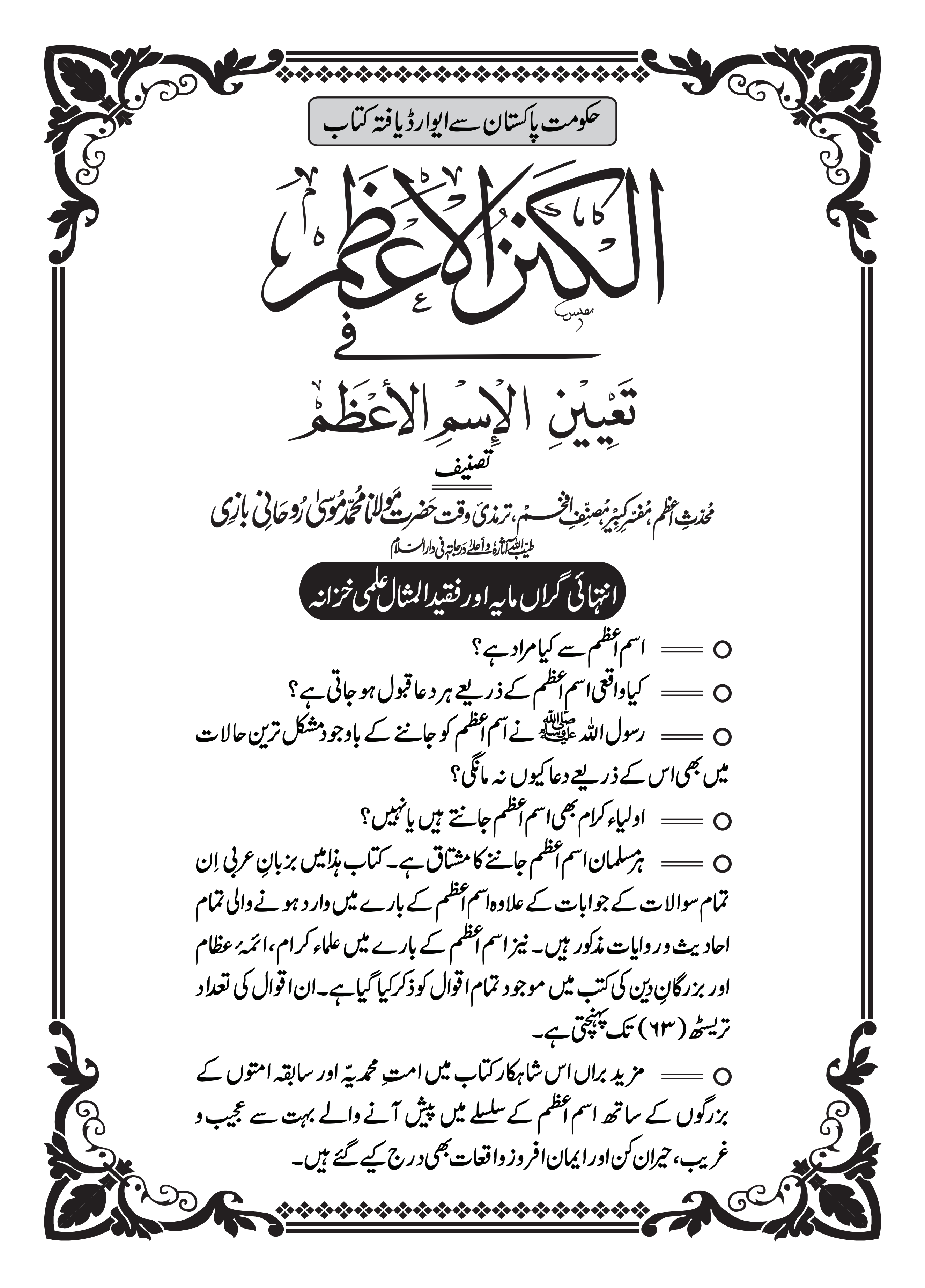
لإمام المحدّثين نجم المفسّرين زبدة المحقّقين

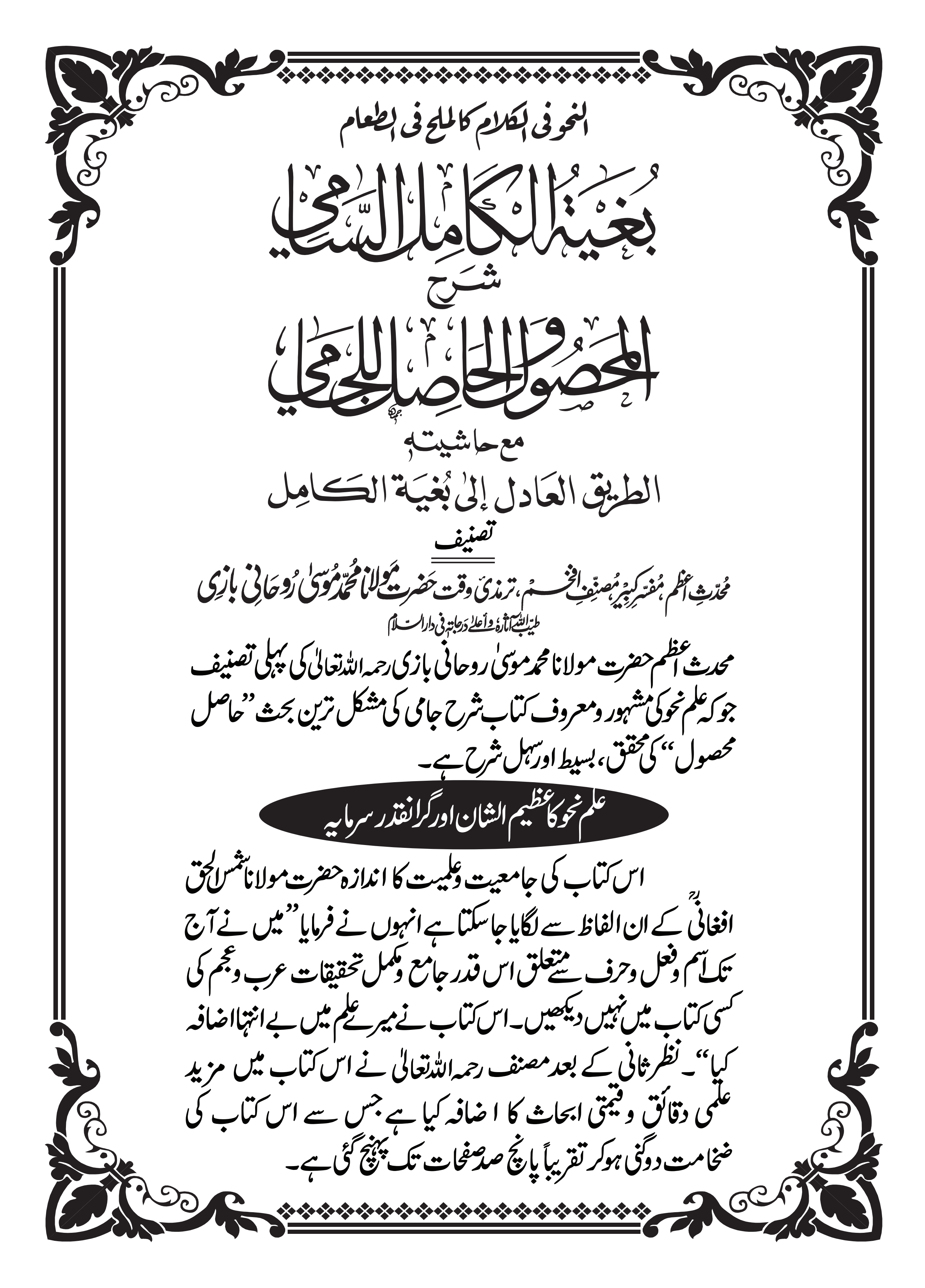
العلّامة الشّيخ مولانا محمّد موسیٰ الرّوحانی البازی

رحمہ الله تعالیٰ وأعلىٰ درجاته فی دار السّلام

الہامی علوم کا درخشندہ وجگمگاتا سرمایہ

درودِ ابراہیمی میں "کما صلیت علیٰ ابراھیم" کے الفاظ میں دی گئی تشبیہ میں یہ مغلق اشکال ہے کہ حسب قانون مشبہ بہ افضل ہوتا ہے جس سے یہ لازم آتا ہے کہ ابراھیم علیہ السلام خاتم النّبیین ﷺ سے افضل ہیں۔ بہت سے قدیم و مشہور مناظروں میں غیر مسلمین، مسلمانوں پر یہ اعتراض کرتے تھے۔ اس کتاب میں بزبان عربی اس اشکال کے تقریباً ایک سو نوے **۱۹۰** محقق، دقیق، الہامی جوابات مؤلف نے ذکر کیے ہیں۔ اس کتاب کو دیکھ کر جامعہ ازہر (مصر) کے شیخ اکبر جناب عبدالحلیم محمودؒ ورطۂ حیرت میں پڑگئے اور فرمایا "اولادِ آدم میں ہم نے آج تک کسی علمی یا فنی مسئلے کے اس قدر کثیر جوابات دیکھے ہیں اور نہ سنے ہیں"۔


حکومت پاکستان سے ایوارڈ یافتہ کتاب
الکنز الاعظم
فی
تعیینِ الاِسمِ الأعظم
تصنیف
محدثِ اعظم، مفسرِ کبیر، مصنفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی
طیب اللہ آثارہ و أعلیٰ درجاتہ فی دار السلام
انتہائی گراں مایہ اور فقید المثال علمی خزانہ
اسم اعظم سے کیا مراد ہے؟
کیا واقعی اسم اعظم کے ذریعے ہر دعا قبول ہو جاتی ہے؟
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم نے اسم اعظم کو جاننے کے باوجود مشکل ترین حالات میں بھی اس کے ذریعے دعا کیوں نہ مانگی؟
اولیاء کرام بھی اسم اعظم جانتے ہیں یا نہیں؟
ہر مسلمان اسم اعظم جاننے کا مشتاق ہے۔ کتاب ہذا میں بزبانِ عربی اِن تمام سوالات کے جوابات کے علاوہ اسم اعظم کے بارے میں وارد ہونے والی تمام احادیث و روایات مذکور ہیں۔ نیز اسم اعظم کے بارے میں علماء کرام، ائمۂ عظام اور بزرگانِ دین کی کتب میں موجود تمام اقوال کو ذکر کیا گیا ہے۔ ان اقوال کی تعداد تریسٹھ (۶۳) تک پہنچتی ہے۔
مزید براں اس شاہکار کتاب میں امتِ محمدیہ اور سابقہ امتوں کے بزرگوں کے ساتھ اسم اعظم کے سلسلے میں پیش آنے والے بہت سے عجیب و غریب، حیران کن اور ایمان افروز واقعات بھی درج کیے گئے ہیں۔



النحو فی الکلام کالملح فی الطعام

بغیۃ الکامل السامی

شرح

المحصول والحاصل للجامی

مع حاشیتہ

الطریق العادل إلی بغیۃ الکامل

تصنیف

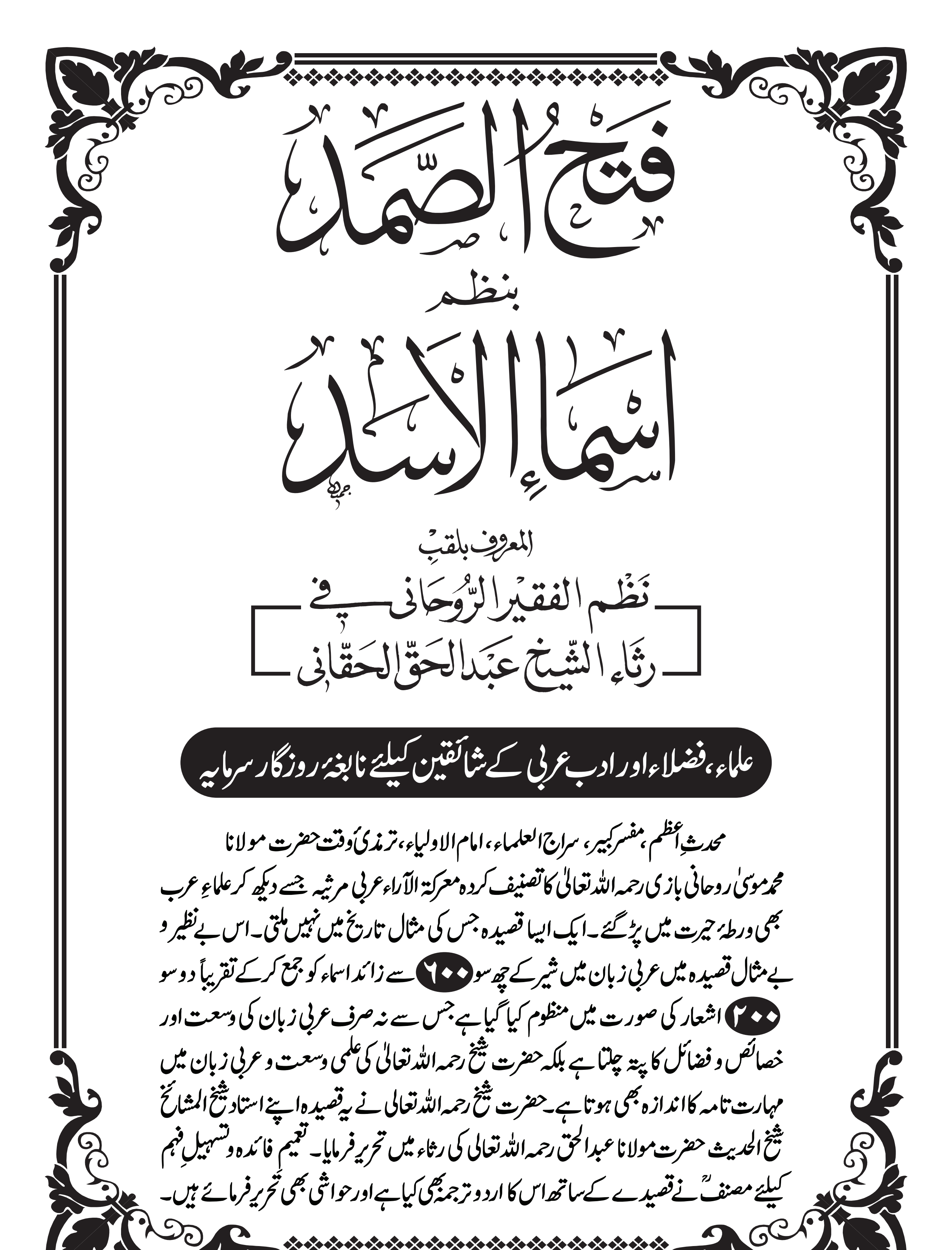
محدثِ اعظم، مفسرِ کبیر، مصنفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی

طیب اللہ آثارہ وأعلیٰ درجاتہ فی دار السلام

محدث اعظم حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی رحمہ اللہ تعالیٰ کی پہلی تصنیف جو کہ علم نحو کی مشہور ومعروف کتاب شرح جامی کی مشکل ترین بحث "حاصل محصول" کی محقق، بسیط اور سہل شرح ہے۔

علم نحو کا عظیم الشان اور گرانقدر سرمایہ

اس کتاب کی جامعیت وعلمیت کا اندازہ حضرت مولانا شمس الحق افغانیؒ کے ان الفاظ سے لگایا جا سکتا ہے انہوں نے فرمایا "میں نے آج تک اسم وفعل وحرف سے متعلق اس قدر جامع ومکمل تحقیقات عرب وعجم کی کسی کتاب میں نہیں دیکھیں۔ اس کتاب نے میرے علم میں بے انتہا اضافہ کیا"۔ نظرِ ثانی کے بعد مصنف رحمہ اللہ تعالیٰ نے اس کتاب میں مزید علمی دقائق وقیمتی ابحاث کا اضافہ کیا ہے جس سے اس کتاب کی ضخامت دوگنی ہو کر تقریباً پانچ صد صفحات تک پہنچ گئی ہے۔



فتح الصمد

بنظم

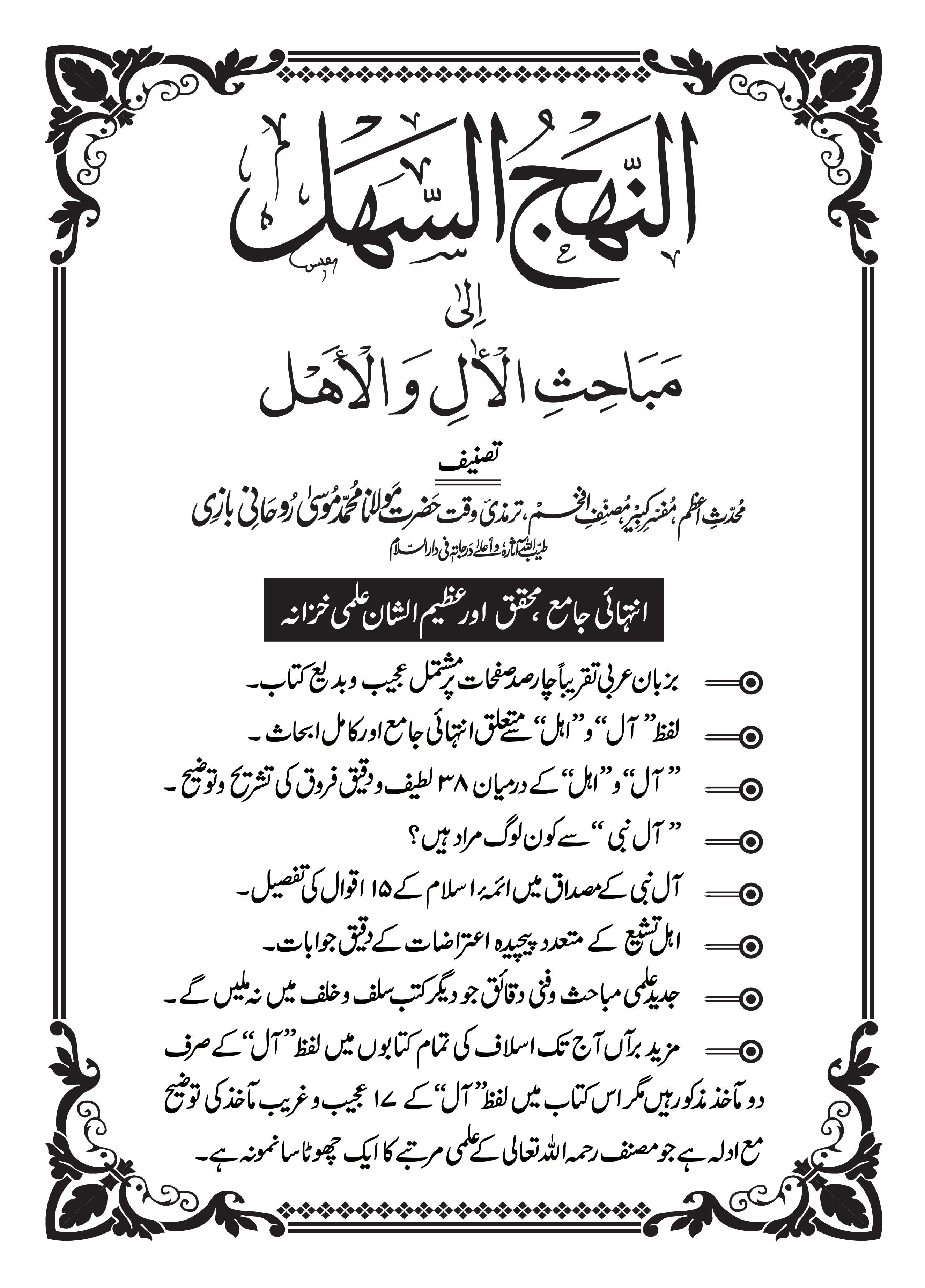
اسماء الاسد

المعروف بلقب

نظم الفقیر الروحانی فی رثاء الشیخ عبدالحق الحقانی

علماء، فضلاء اور ادب عربی کے شائقین کیلئے نابغۂ روزگار سرمایہ

محدثِ اعظم، مفسرِ کبیر، سراج العلماء، امام الاولیاء، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی رحمہ اللہ تعالیٰ کا تصنیف کردہ معرکۃ الآراء عربی مرثیہ جسے دیکھ کر علماءِ عرب بھی ورطۂ حیرت میں پڑ گئے۔ ایک ایسا قصیدہ جس کی مثال تاریخ میں نہیں ملتی۔ اس بے نظیر و بے مثال قصیدہ میں عربی زبان میں شیر کے چھ سو ۶۰۰ سے زائد اسماء کو جمع کر کے تقریباً دو سو ۲۰۰ اشعار کی صورت میں منظوم کیا گیا ہے جس سے نہ صرف عربی زبان کی وسعت اور خصائص و فضائل کا پتہ چلتا ہے بلکہ حضرت شیخ رحمہ اللہ تعالیٰ کی علمی وسعت و عربی زبان میں مہارت تامہ کا اندازہ بھی ہوتا ہے۔ حضرت شیخ رحمہ اللہ تعالیٰ نے یہ قصیدہ اپنے استاد شیخ المشائخ شیخ الحدیث حضرت مولانا عبدالحق رحمہ اللہ تعالیٰ کی رثاء میں تحریر فرمایا۔ تعمیم فائدہ وتسہیلِ فہم کیلئے مصنف ؒ نے قصیدے کے ساتھ اس کا اردو ترجمہ بھی کیا ہے اور حواشی بھی تحریر فرمائے ہیں۔



النهج السهل

اِلیٰ

مباحثِ الآلِ والأھل

تصنیف

محدّثِ اعظم، مفسّرِ کبیر، مصنّفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمّد موسیٰ روحانی بازی

طیّب اللّٰہ آثارہٗ وأعلی درجاتہٗ فی دار السلام

انتہائی جامع، محقق اور عظیم الشان علمی خزانہ

- بزبان عربی تقریباً چار صد صفحات پر مشتمل عجیب وبدیع کتاب۔
- لفظ "آل" و "اہل" سے متعلق انتہائی جامع اور کامل ابحاث۔
- "آل" و "اہل" کے درمیان ۳۸ لطیف ودقیق فروق کی تشریح وتوضیح۔
- "آل نبی" سے کون لوگ مراد ہیں؟
- آل نبی کے مصداق میں ائمۂ اسلام کے ۱۵ اقوال کی تفصیل۔
- اہل تشیع کے متعدد پیچیدہ اعتراضات کے دقیق جوابات۔
- جدید علمی مباحث وفنی دقائق جو دیگر کتب سلف وخلف میں نہ ملیں گے۔
- مزید برآں آج تک اسلاف کی تمام کتابوں میں لفظ "آل" کے صرف دو ماخذ مذکور رہیں مگر اس کتاب میں لفظ "آل" کے ۱۷ عجیب وغریب ماخذ کی توضیح مع ادلہ ہے جو مصنف رحمہ اللہ تعالیٰ کے علمی مرتبے کا ایک چھوٹا سا نمونہ ہے۔



ایک مختصر لفظ یعنی "أما بعد" پر محدث اعظم، فقیہ افہم، امام العصر، حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی طیب اللہ آثارہ کی تحریر کردہ ایک عظیم اور منفرد کتاب۔

بلند علمی ذوق رکھنے والوں کیلئے ایک منفرد، شاہکار اور گراں قدر علمی ذخیرہ

کتاب میں شامل چند اہم مباحث کی تفصیل۔

- "أما بعد" کا شرعی حکم کیا ہے؟
- سب سے پہلے لفظ "أما بعد" کس نے استعمال کیا؟
- "أما بعد" کن مواقع میں ذکر کیا جاتا ہے؟
- "أما بعد" کی اصل کیا ہے اور اس کا کیا معنی ہے؟
- "أما بعد" سے متعلق تمام ابحاث و تحقیقات۔
- نیز کتاب ہذا میں حضرت شیخ المشائخ رحمہ اللہ تعالی نے لفظ "أما بعد" کی نحوی ترکیب میں تیرہ لاکھ انتالیس ہزار سات سو چالیس **۱۳۳۹۷۴۰** وجوہ اعراب ذکر کی ہیں اور ان کی تشریح کی ہے۔ ایک مختصر سے لفظ کی اس قدر نحوی تراکیب پڑھ کر عقل دنگ رہ جاتی ہے اور انسان بے اختیار عربی زبان کو سید الالسنہ اور مصنف رحمہ اللہ کو سید المصنفین کہنے پر مجبور ہو جاتا ہے۔
- مزید براں اس کتاب میں بہت سی ایسی دقیق ابحاث، علمی مسائل اور فنی غرائب کی تفصیل ہے جن کے حصول کیلئے علمی ذوق و شوق رکھنے والے حضرات بیتاب رہتے ہیں۔



محدثِ اعظم، مفسرِ کبیر، مصنفِ افخم، ترمذیٔ وقت

حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی

طیب اللہ آثارہ وأعلیٰ درجاتہ فی دار السلام

سنن ترمذی کی بزبانِ اردو عظیم الشان شرح

محدث اعظم حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی رحمہ اللہ تعالیٰ کی تصنیفِ لطیف ۔ عرصۂ دراز سے علماء وخواص اس کتاب کی اشاعت کا مطالبہ کر رہے تھے۔ علم وحکمت کے بے بہا موتیوں سے لبریز ایک عظیم علمی شاہکار۔ اب تک صرف جلد ثانی زیورِ طبع سے آراستہ ہوئی ہے۔



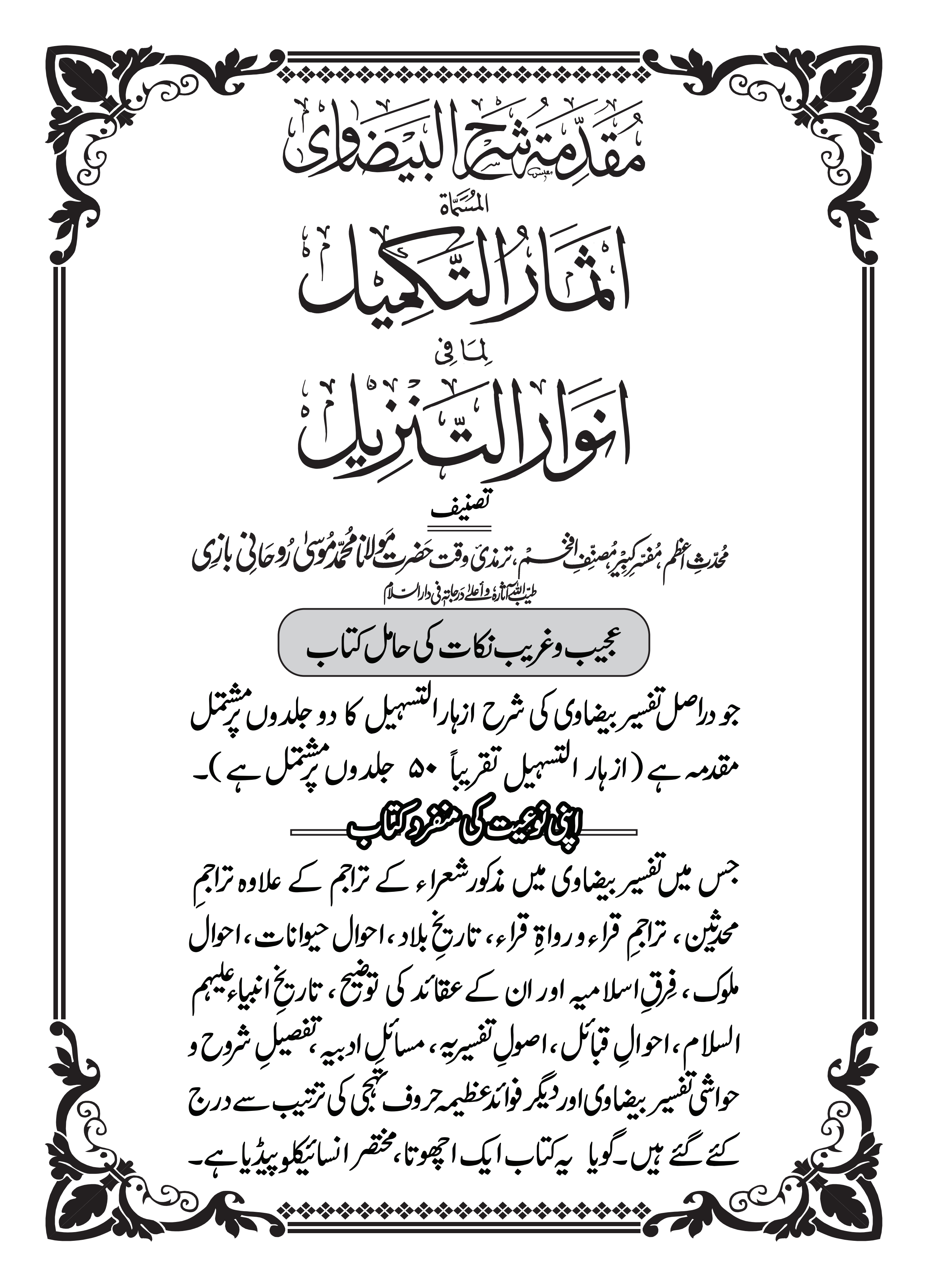
الصلوات النبویۃ

امیر المؤمنین فی الحدیث شیخ المشائخ حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی طیب اللہ آثارہ کی تصنیف کردہ انتہائی مبارک اور پرتاثیر کتاب۔

وظائف پڑھنے والوں کیلئے بیش بہا اور نادر خزانہ

حیرت انگیز تاثیر کی حامل درود شریف کی عجیب و غریب کتاب جو عوام و خواص میں بے انتہاء مقبول ہے۔ اس کتاب میں حضرت شیخ رحمہ اللہ تعالی نے رسول اللہ ﷺ کے آٹھ سو (۸۰۰) سے زائد اسماء کو احادیث کی مستند کتب سے انتہائی تحقیق کے بعد درود شریف کی شکل میں یکجا کیا ہے۔ کتاب کی ابتداء میں درود شریف کے فضائل اور کتاب پڑھنے کا طریقہ تفصیلاً درج ہے۔

حضرت محدث اعظمؒ خود فرمایا کرتے تھے کہ مجھے بیشمار لوگوں نے بتلایا ہے کہ اس کتاب کے گھر میں پہنچتے ہی انہوں نے قلیل مدت میں اس کتاب کے عجیب و واضح فوائد محسوس کیے اور ان کی تمام مشکلات حل ہوئیں۔ وفات کے بعد ان کے ایک شاگرد نے خواب میں دیکھا کہ روضۂ رسول ﷺ کی جالی کا دروازہ کھلا اور اندر سے حضرت شیخ رحمہ اللہ تعالی انتہائی خوشی کی حالت میں مسکراتے ہوئے باہر تشریف لائے۔ شاگرد نے آگے بڑھ کر سلام کیا اور عرض کیا کہ استاذی آپ کی قبر مبارک سے جنت کی خوشبو آرہی ہے اس کی کیا وجہ ہے؟ تو حضرت محدث اعظم رحمہ اللہ تعالی نے مسکراتے ہوئے جواب دیا کہ کیا آپ کو معلوم نہیں کہ میری کتاب ”برکاتِ مکیہ“ کو بارگاہ نبوی ﷺ میں شرفِ قبولیت حاصل ہوا ہے اسی لئے میری قبر سے جنتی خوشبو آرہی ہے۔



مقدمۃ شرح البیضاوی

المسمّاۃ

اثمار التکمیل

لِما فی

انوار التنزیل

تصنیف

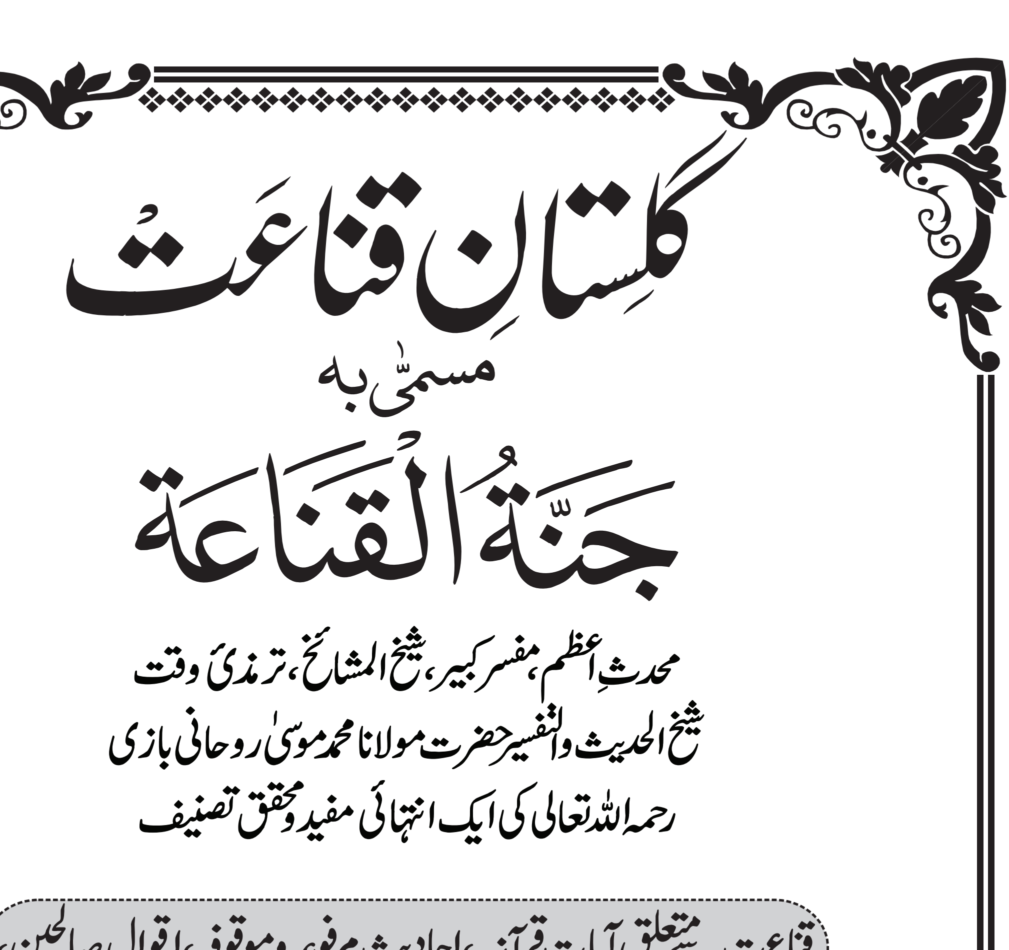
محدّثِ اعظم، مفسّرِ کبیر، مصنّفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمّد موسیٰ روحانی بازی
طیّب اللہ آثارہٗ وأعلیٰ درجاتہٗ فی دار السلام

عجیب وغریب نکات کی حامل کتاب

جو دراصل تفسیر بیضاوی کی شرح ازہار التسہیل کا دو جلدوں پر مشتمل مقدمہ ہے (ازہار التسہیل تقریباً ۵۰ جلدوں پر مشتمل ہے)۔

اپنی نوعیت کی منفرد کتاب

جس میں تفسیر بیضاوی میں مذکور شعراء کے تراجم کے علاوہ تراجمِ محدثین، تراجمِ قراء و رواۃِ قراء، تاریخ بلاد، احوال حیوانات، احوال ملوک، فِرقِ اسلامیہ اور ان کے عقائد کی توضیح، تاریخِ انبیاء علیہم السلام، احوالِ قبائل، اصولِ تفسیریہ، مسائلِ ادبیہ، تفصیلِ شروح و حواشی تفسیر بیضاوی اور دیگر فوائد عظیمہ حروف تہجی کی ترتیب سے درج کیے گئے ہیں۔ گویا یہ کتاب ایک اچھوتا، مختصر انسائیکلوپیڈیا ہے۔



گلستانِ قناعت

مسمّٰی بہ

جنۃ القناعۃ

محدثِ اعظم، مفسر کبیر، شیخ المشائخ، ترمذیٔ وقت
شیخ الحدیث والتفسیر حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی
رحمہ اللہ تعالی کی ایک انتہائی مفید و محقق تصنیف

قناعت سے متعلق آیاتِ قرآنیہ، احادیثِ مرفوعہ وموقوفہ، اقوالِ صالحین، مواعظِ عارفین، حکایاتِ متقین، کراماتِ اولیاء اور واقعاتِ ائمۂ کرام کا نہایت مفید، روح پرور اور ایمان افروز ذخیرہ و گنجینہ

تقریباً چھ صد صفحات پر مشتمل ایک انتہائی عجیب و بدیع کتاب جو علمی تحقیقات کے ساتھ ساتھ اصلاحی، تبلیغی، اخلاقی مواعظ ونصائح پر مشتمل ہے۔ یہ کتاب دراصل اہل علم کے ایک استفتاء کا محققانہ، واعظانہ، حکیمانہ عارفانہ مفصل جواب ہے۔ اہل علم و دانش کے ساتھ ساتھ عوام بھی اس کتاب سے پوری طرح استفادہ کر سکتے ہیں۔

کتابِ ہذا میں حرصِ دنیا، ترکِ قناعت اور حب دنیا کے تباہ کن نتائج کی تحقیق و تفصیل پیش کی گئی ہے مزید براں یہ کتاب زہد و قناعت کے علمی، اصلاحی، دنیوی واخروی، اخلاقی، ظاہری و باطنی فوائد و برکات اور ثمرات کی ایمان افزا تفصیلات پر بھی مشتمل ہے۔ تکمیلِ افادہ کی خاطر کثرت سے مفید ورقت انگیز اشعار بھی ذکر کیے گئے ہیں۔



فلکیاتِ جدیدہ

و

سیر القمر و عید الفطر

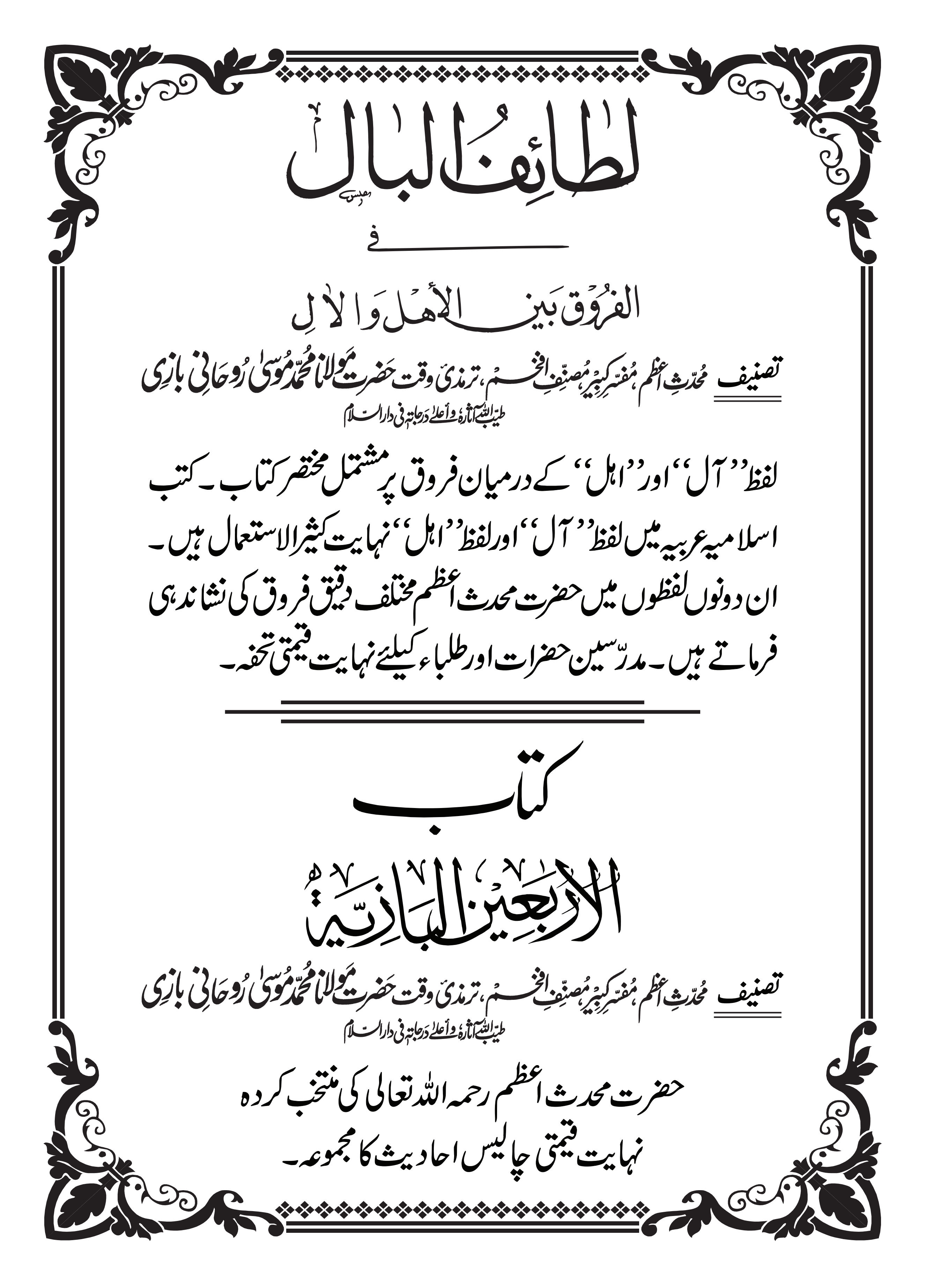
تصنیف محدّثِ اعظم، مُفسرِ کبیر، مُصنّفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمّد موسیٰ رُوحانی بازیؒ

طیّب اللّٰہ آثارہٗ و اعلیٰ درجاتہٗ فی دار السلام

علم فلکیات پر اردو زبان میں اپنی نوعیت کی منفرد کتاب

ستارے کیسے وجود میں آئے؟ سیارے اور ستارے میں کیا فرق ہے؟ ستاروں کی تعداد کتنی ہے؟ نظام شمسی کی پیدائش کیسے ہوئی؟ سیاروں کی دائمی گردش کا راز کیا ہے؟ کیا سماء اور فلک ایک شے ہیں؟ کیا ستارے آسمانوں میں پھنسے ہوئے ہیں یا ان سے نیچے ہیں؟ تقویم کسے کہتے ہیں؟ ہیئت کے بارے میں قدیم نظریات کیا ہیں؟ ہیئت جدیدہ کے اہم نظریات کون کونسے ہیں؟ کرہ ہوائی سے کیا مراد ہے؟ زیریں سرخ، بالائے بنفشی، لاسلکی اور ریڈیائی شعاعوں میں کیا فرق ہے؟ ہمیں آواز کیسے سنائی دیتی ہے؟ فضا ہمیں نیلگوں کیوں دکھائی دیتی ہے؟ کیا قرآن اور ہیئت جدیدہ کے نظریات میں کوئی اختلاف ہے؟ سال کے مختلف موسموں میں شب و روز کی لمبائی کیوں بدلتی ہے؟ کیا براعظم سرک رہے ہیں؟ سورج گرہن اور چاند گرہن کیوں ہوتا ہے؟ کائنات کتنی وسیع ہے؟ کائنات کی ابتداء کیسے ہوئی اور اسکی عمر کتنی ہے؟ علم ہیئت میں مسلمان سائینسدانوں نے کیا کارنامے سرانجام دیئے؟ قدیم مسلمان سائینسدانوں کی تحقیقات اور جدید ترین سائنسی تحقیقات میں کتنا فرق ہے؟

مندرجہ بالا موضوعات کے ساتھ ساتھ نظام شمسی کے سیارات کے حالات، چاند کی سرگزشت، آواز، روشنی کی اقسام، شب و روز، زمین کی گردش، سمت قبلہ، معجزۂ شق قمر، عناصر کا بیان، ہفتے کی تقرری کی وجوہات، براعظموں کا بیان، آسمانی بجلی کی تفصیل، زمین کی گردش، عرض بلد وطول بلد وغیرہ کے بارے میں مفصل ابواب ہیں۔ کتاب ہذا کے دوسرے حصے میں عید الفطر اور ہلال عید کے بارے میں تفصیلی بحث کی گئی ہے۔ جدید طباعت میں بیشمار قیمتی تصاویر کے علاوہ اسی (۸۰) سے زائد آرٹ پیپر کے صفحات پر رنگین و نادر تصاویر بھی شامل ہیں۔



لطائف البال

فی

الفروق بین الأهل والآل

تصنیف محدّثِ اعظم، مُفسّرِ کبیر، مُصنِّفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمد موسیٰ رُوحانی بازی

طیب اللہ آثارہ وأعلیٰ درجاتہ فی دار السلام

لفظ ''آل'' اور ''اہل'' کے درمیان فروق پر مشتمل مختصر کتاب۔ کتب اسلامیہ عربیہ میں لفظ ''آل'' اور لفظ ''اہل'' نہایت کثیر الاستعمال ہیں۔ ان دونوں لفظوں میں حضرت محدث اعظم مختلف دقیق فروق کی نشاندہی فرماتے ہیں۔ مدرّسین حضرات اور طلباء کیلئے نہایت قیمتی تحفہ۔

کتاب

الأربعین البازیّة

تصنیف محدّثِ اعظم، مُفسّرِ کبیر، مُصنِّفِ افخم، ترمذیٔ وقت حضرت مولانا محمد موسیٰ رُوحانی بازی

طیب اللہ آثارہ وأعلیٰ درجاتہ فی دار السلام

حضرت محدث اعظم رحمہ اللہ تعالیٰ کی منتخب کردہ نہایت قیمتی چالیس احادیث کا مجموعہ۔



علمِ صرف میں کمزور طلباء وطالبات کیلئے عظیم خوشخبری

ابتدائی طلباء کیلئے دنیا کی آسان ترین اور جامع ترین علمِ صرف

محدّثِ اعظم، مُفسّرِ کبیر، ترمذئ وقت حضرت مولانا محمّد موسیٰ رُوحانی بازی رحمہ اللہ تعالیٰ

کے انوارات وبرکات والا علمِ صرف کا انتہائی مبارک ونافع طریقہ

اب اردو ترجمہ والا ابواب الصرف کا جدید ایڈیشن بھی دستیاب ہے

مدارسِ دینیہ کے بعض طلباء عربی عبارت نہیں پڑھ سکتے، عموماً اس کی بنیادی وجہ علم صرف میں کمزوری ہوتی ہے کیونکہ علم نحو میں مہارت کیلئے علم صرف میں مہارت نہایت ضروری ہے۔ ایسے مایوس طلباء کیلئے یہ ابواب نعمتِ غیر مترقبہ ہیں۔ بڑے درجات کے طلباء صرف تین چار ماہ کے مختصر عرصے میں ان ابواب کو یاد کر کے اپنی علمی بنیاد کو خوب مضبوط کر سکتے ہیں۔

علم صرف پڑھانے والے مدرّسین حضرات کیلئے ایک عظیم علمی خزانہ

مدرّسین حضرات اپنے تلامذہ کی مضبوط علمی بنیاد بنانے کے لئے ایک مرتبہ یہ ابواب پڑھانے کا تجربہ ضرور کرلیں۔ ان شاء اللہ تعالی صرف ایک مرتبہ کے تجربہ سے ہی وہ ان ابواب کو ہمیشہ کیلئے اپنالیں گے۔ پاکستان وبیرون ملک میں طلباء وطالبات کے جن مدارس نے بھی ان ابواب کا تجربہ کیا وہ اس کے ناقابل یقین نتائج دیکھ کر حیران رہ گئے۔

ان ابواب کو پڑھانے اور سننے کا خاص طریقہ جاننے کیلئے حضرت مولانا محمد موسیٰ روحانی بازی رحمہ اللہ تعالیٰ کے بیٹے مولانا محمد زہیر روحانی بازی حفظہ اللہ کے دروس انٹرنیٹ (یوٹیوب وغیرہ) پر موجود ہیں جن سے بآسانی استفادہ کیا جاسکتا ہے۔

مزید معلومات وتفصیلات کیلئے جامعہ محمد موسیٰ البازی رابطہ نمبر 0301-8749911

جامعہ محمد موسیٰ البازی

برہان پورہ، عقب گورنمنٹ بوائز ہائی سکول رائے ونڈ لاہور